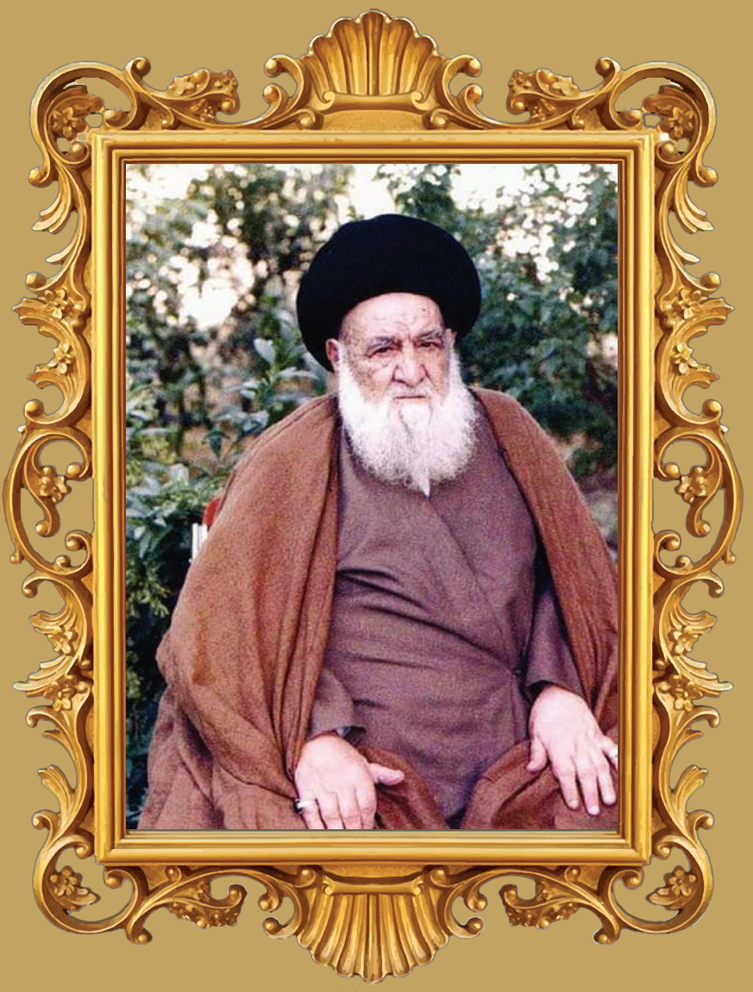
العتبة العباسية المقدسة

ذاكرة الأرشيف الوثائقي

مجلّة فصليّة وثائقيّة مُصوّرة تُعنى بالتراث والتوثيق تصدر عن العتبة العبّاسيّة المقدّسة قسم الشؤون الفكريّة والثقافيّة

العدد الثاني والعشرون - السنة السادسة (١٤٤٤هـ-٢٠٢٣م) - الإعتماد في نقابة الصحفيين العراقيين ١٧٥٧



عدد خاص

ذاكرة الأرشيف الوثائقي

٢٢

مجلّة فصليّة وثائقيّة مُصوّرة تُعنى بالتراث والتوثيق تصدر عن العتبة العبّاسيّة المقدّسة قسم الشؤون الفكريّة والثقافيّة



مجموعة صور تبيّن مختلف المراحل العمريّة للإمام السيّد أبي القاسم الخوئي قدّس سرّه

ذاكرة الأرشيف الوثائقي

مجلّة فصليّة وثائقيّة مُصوّرة تُعنى بالتُّراث والتّوثيق

تصدر عن العتبة العبّاسيّة المقدّسة قسم الشؤون الفكريّة والثقافيّة

المشرف العام

سماحة السيّد أحمد الصّافي

رئيس التحرير

سليم الجبوري

كربلاء المقدسة، باب الخان، (مجمع الإمام الصادق عليه السلام - ط ٧)

هاتف: ٠٠٩٦٤٧٧١٦٦٦٦١٤٧ / ٠٠٩٦٣٩٩٢٨١١١١٧ / ٠٠٩٦١٨١١١٨١٨٩

Email: arshefbaghdad@gmail.com

التنضيد والإخراج الطباعي : حيدر مهدي



المرجع الراحل الإمام السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره

ملف خاص

عن المرجع الراحل

الإمام السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره



الإمام السيد أبي القاسم الخوئي قدّس في كهولته

الإمام الخوئي

المرجع الشيعي الأكبر

(١٩/١١/١٨٩٩) - (٨/٨/١٩٩٢)



إبداعات الإمام الخوئي في

الأبحاث الأصولية والفقهية

آية الله العظمى الشيخ محمّد إسحق الفياض

مدرسة النجف الأشرف في طليعة المدارس التي ازدهرت فيها الحركة العلمية واشتهرت بعلمائها ونشاطاتهم الفكرية، وهي مدينة العبقريات والتاريخ، إذ تخرج من لدن زمان شيخ الطائفة الطوسي رضي الله عنه إلى عصرنا الحاضر آلاف العلماء الأفذاذ وزعماء الفقه الإسلامي، وأئمة الأصول والحديث والتفسير، وفي مقدمتهم المرجع الديني الأعلى للعالم الإسلامي وزعيم الطائفة سيدنا الأستاذ الأعظم سماحة آية الله العظمى السيد أبي القاسم الموسوي الخوئي قدس سره، فإنه رضوان الله عليه كان بحق رجل العلم والتاريخ والفكر ومثلاً للعدالة والاستقامة بلا منازع، وكان فيه قدسية كبيرة ونفسية سامية مزودة بملكات فاضلة وصفات حميدة وطاقات ذاتية قل نظيرها، وكان مخلصاً في عمله مجداً مثابراً لا تحركه العواصف ولا العواطف يمنة ويسرة، ولا تزعزعه المشاكل والصعاب مهما كان لونها، ومن صفاء روحه وورعه وتقواه عدم إشغال باله إلّا بمحاسبة نفسه أمام الله تعالى، وعدم اهتمامه بما قيل أو يقال في حقه.

فقد رافقته قرابة خمسة وثلاثين عاماً فما رأيته ولا سمعته قط تجرأ على أحد، أو انتقص من آخر، وليس هذا إلّا دليلاً على سمو النفس ورفعة التقوى، وأما ما يتعلق بأفكاره وآرائه فإنه قدس سره قد جمع عمق الفكرة إلى سلامة الذوق، ودقة النظر إلى جمال البيان والتعبير، وكانت لديه موهبة رائعة ومقدرة علمية عالية، ففي عهده قدس سره قد تجلت الحركة العلمية النابضة بالأفكار والآراء وهو قطب رحاها، فكان بعيد الغور عميق الأثر يعرف كيف يتصرف في المسائل العويصة والقواعد المعقدة نظرياً وتطبيقياً في مختلف الجهات، وكانت مهارته العلمية ونبوغه الفكري تظهر من خلال عرض المسائل الصعبة الغامضة عليه وكيفية تلقيه إياها، وسرعة انتقاله إلى نكاتها ورموزها ودقائقها، واستيعابه مختلف نواحيها، ومن ثم الإتيان بحل دقيق وجواب متقن رصين وذلك بأسلوب جذاب بليغ وعرض شائق رفيع وذوق أدبي سليم حيث كان مسيطراً على

المسائل مهما كان نوعها ودرجتها من التعقيد، فكان العلم ينحدر من منبره ويفور من معدنه فوران الماء من منبعه والطيب من مسكه.

وكان له قدس سره اليد الطولى في الجدل والنقاش، وقد أبدى فيه مقدرة عالية ومهارة فنية فائقة بجودة إدراكه ودقة استيعابه المسائل من كافة جوانبها المثبتة والنافية، وكيفية اقتحامها وردها على الخصم والخروج عنها، فلذا كلما ردت عليه المسألة ردها بأسلوب آخر، وهذا لا يكشف إلّا عن ذهنيته النقادة وقدرته العلمية، وإنه مجهز بطاقات غزيرة من العلم والذكاء الحاد.

ومن هنا ينبغي أن يقال في حقه: إن مقام ثبوته أقوى وأرقى من مقام إثباته، رغم إن علو مقام إثباته قد أصبح جلياً وظاهراً كظهور الشمس في رابعة النهار، وخير دليل ساطع على ما أقوله مواكبة العلماء والفضلاء على دروسه ومحاضراته في الحوزة العلمية الكبرى في النجف الأشرف، واشتياقهم لحضور أبحاثه وهضم أفكاره فقد تخرج على يده قدس سره جمهرة كبيرة من أعلام الفضل وفطاحل العلم وقادة الفكر ورموز الإبداع الذين بيدهم اليوم زمام الدراسات العليا في الفقه والأصول في الحوزات العلمية في أرجاء العالم الإسلامي، حيث تدور أبحاثهم حول أفكاره القيمة وآرائه الدقيقة ونظرياته العميقة أصولياً وفقهياً، نظرياً وتطبيقياً كدوران الأرض حول نفسها، فحسبه فخراً هذا الأمر العظيم والنتاج الجبار.

مضافاً إلى أنه لا يمكن لمثله قدس سره أن يقف عند هذا الحد، بل سار إلى الأمام بخطوات حثيثة ودخل ميدان الإبداع وفجر ينابيعه، فقد أبدع أفكاراً متألقة ونظريات حديثة في الأبحاث الأصولية والفقهية.

مقدمة:

فيها أمران:

الأول: الاجتهاد في كل عصر:

إن الدين الإسلامي القويم قد سمح بعملية الاجتهاد في كل عصر ولكل فرد شريطة توفر مؤهلاته فيه، بل إن هذه العملية ضرورية في الإسلام وهذه الضرورة تدعم من أبدية الشريعة الإسلامية التي هي النظام الوحيد لحل مشاكل الإنسان الكبرى في مختلف مجالات الحياة، على أساس إنها تزود الإنسان بطاقات وملكات فاضلة وأخلاق سامية لمعالجة تلك المشاكل المقعدة وهو يربط بين الدوافع الذاتية والميول الطبيعية والاتجاهات الشخصية للإنسان وبين مصالح الإنسان الكبرى، وهي الدين والعدالة التي اهتم الإسلام بها، وهو الوسيلة الوحيدة لحل التناقضات بين الدوافع الذاتية لمصالح شخصية وبين الدوافع النوعية لمصالح عامة، وهو يجهز الإنسان بطاقات غريزة الدين ودوافعه وبذلك تصبح المصالح العامة للمجتمع الإنساني وفق الميول الطبيعية والدوافع الذاتية، وهذا هو معنى حل الدين الإسلامي لمشكلة الإنسان الكبرى على وجه الأرض، وهذه الأبدية للشريعة الإسلامية وانسجامها مع الحياة العامة في كل عصر تستدعي ضرورة حركة فكرية اجتهادية ذات طابع إسلامي على طول الخط لكي تفتح الآفاق الذهنية وتحمل مشعل الكتاب والسنة في كل دور وعصر.

ولولا هذه الحركة الفكرية الاجتهادية في الإسلام – في غياب دور المعصومين عليهم السلام – وتطورها وتعمقها عصراً بعد عصر بتطور الحياة واتساعها وتعمقها بمختلف جوانبها الاجتماعية والفردية والمادية والمعنوية، ما تبلورت أصالة المسلمين في التفكير والتشريع المتميز الملائم مع الحياة في كل عصر،

والمستمد من الكتاب والسنة على طول التاريخ في عصر الغيبة، فلو لم تكن هذه الحركة الفكرية الاجتهادية مستمرة طول التاريخ وفي كل عصر لانطفأ مشعل الكتاب والسنة في نهاية المطاف، وظلت المشاكل الحياتية في المجتمع الإسلامي - من الجانب الاجتماعي والفردي - في كل عصر بدون حل صارم، ولهذا يتطور علم الفقه ويتسع ويتعمق تدريجياً تبعاً لتطور الحياة العامة واتساعها دقة وعمقاً في جميع المجالات الحياتية على طول الخط في المسلمين أصالتهم الفكرية المتميزة في تمام جوانب الحياة وشخصيتهم التشريعية المستقلة، وعلى هذا الأساس فلابد في كل عصر من قيام جماعة لبذل أقصى جهد للوصول إلى مرتبة الاجتهاد الكاملة وتحمل مصابها ومشاقها، فإنها مرتبة عظيمة في الإسلام وامتداد للزعامة الدينية إلى زمان الغيبة وفي كل عصر إلى يوم القيامة، وإلّا ظلت المشاكل المتجددة في كل يوم من المشاكل الاجتماعية والفردية بلا حلول ملائمة لها في إطار الشرع.

الثاني: ارتباط وثيق بين علمي الفقه والأصول:

إن المحور الأساس لعملية الاجتهاد والاستنباط وموضوعها في الدين الإسلامي هو علم الأصول والفقه، وهما علمان مستمدان من الكتاب والسنة ومترابطان برابط متبادل على طول التاريخ؛ حيث إن علم الأصول قد وضع لممارسة تكوين النظريات العامة وتحديد القواعد المشتركة في الحدود المسموح بها شرعاً وفقاً لشروطها العامة للتفكير الفقهي التطبيقي، وعلم الفقه قد وضع لممارسة طريقة تطبيق تلك النظريات العامة والقواعد المشتركة على عناصرها الخاصة التي تختلف من مسألة إلى أخرى، ومن هنا يرتبط علم الفقه بعلم الأصول ارتباطاً وثيقاً منذ ولادته إلى أن ينمو ويتطور ويتسع تبعاً لتطور البحث واتساعه بوجود مشاكل جديدة في الحياة اليومية.

وتوضيح ذلك إن فهم الحكم الشرعي من نصوص الكتاب والسنة التشريعية في كل مسألة ومورد بحاجة إلى عناية زائدة ودقة كبيرة، ومن الطبيعي إن هذا الفهم المسمى بالتفكير الفقهي لا يمكن بدون التفكير الأصولي؛ يعني بدون استعمال القواعد العامة الأصولية وإن كان الممارس غير ملتفت إلى طبيعة تلك القواعد وحدودها وأهمية دورها في الاستنباط الفقهي، ومن أجل هذا الترابط الوثيق بين الفقه والأصول فكلما اتسعت البحوث الفقهية وتعمقت باتساع مشاكل صنوف الحياة المختلفة بجوانبها الفردية والاجتماعية والمعنوية والمادية ووجود عناصر جديدة فيها، اتسعت البحوث الأصولية والنظريات العامة وتعمقت وتطورت؛ حيث اتساع الفقه دقة وعمقاً يدفع البحوث الأصولية والقواعد المشتركة خطوة إلى الأمام، فالنتيجة إن توسع البحوث الفقهية التطبيقية وتطورها عصراً بعد عصر تبعاً لتطور الحياة وتوسع مشاكلها في مجالاتها المختلفة يتطلب توسع البحوث الأصولية وتطورها كذلك بنسبة واحدة.

ومن هنا كلما كان الباحث الأصولي أدق وأعمق في التفكير الأصولي وتكوين النظريات العامة والقواعد المشتركة المحددة كان أدق وأعمق في طريقة تطبيقها على مسائلها وعناصرها الخاصة وفقاً لشروطها المحددة فإن الترابط بين العلمين ذاتياً، والتفاعل بينهما كذلك في تمام الأدوار والمراحل يستدعي وجداناً إنه إذا بلغ مستوى التفكير الأصولي درجة بالغة من الدقة والعمق بلغ مستوى التفكير الفقهي التطبيقي نفس الدرجة، ولا يعقل أن يكون مستوى التفكير الأصولي بالغاً لدرجة كبيرة من الدقة والعمق والسعة ويظل مستوى التفكير الفقهي التطبيقي دون ذلك المستوى والدرجة، وهذا خلاف فرض؛ لأن الفقه مرتبط بالأصول ومتولد منه.

وبكلمة: إن النظريات العامة الأصولية كلما كانت موضوعة في صيغ أكثر عمقاً وصرامة وأكبر دقة وأوسع مجالاً تطلبت في مجال التطبيق دقة وعمقاً أكبر والتفاتاً أكثر وأوسع، وهذا معنى الترابط والتفاعل بين الذهنية الأصولية والذهنية الفقهية، وهاتان الذهنيتان متبادلتان على مستوى واحد في تمام أدوارهما ومراحل وجودهما؛ لأن دقة البحث في تكوين النظريات العامة في الأصول تنعكس تماماً في الفقه على صعيد التطبيقات، ولا نقصد بذلك أن عملية تطبيق النظريات العامة على المسائل والعناصر الخاصة في الفقه لا تحتاج إلى أي تفكير وبذل أي جهد ودقة، إن المجتهد كما إنه بحاجة إلى دراسة النظريات العامة في الأصول وتكوين القواعد المشتركة وفق شروطها العامة فهو بحاجة إلى التفكير دقة وعمقاً وبذل الجهد العلمي المتعب خلال سنين متمادية، كذلك إنه بحاجة إلى تطبيق تلك النظريات العامة والقواعد المشتركة على عناصرها الخاصة لدراسة جوانب التطبيق وممارستها بدقة وما يرتبط بها من القرائن الخارجية في كل مسألة بلحاظ طبيعة تلك المسألة وأرضية مواردها بل نقصد بذلك أن الذهنية الأصولية النظرية ترتبط بالذهنية الفقهية التطبيقية على طول التاريخ وفي تمام المراتب، فإذا بلغت الذهنية الأصولية درجة أكبر عمقاً وأكثر دقة انعكست تماماً في الذهنية الفقهية وتطلبت في مجال التطبيق دقة أكثر وعمقاً أكبر ومن ثم إن الهدف من وراء الأمر التنبيه والتذكير على النقاط التالية:

الأولى: إن الحركة الفكرية الاجتهادية، المستمدة من الكتاب العزيز والسنة النبوية، في تطورها وتعمقها في كل عصر بدرجة أكبر سعة وأكثر دقة تؤكد بشكل قاطع أصالة المسلمين واستقلالهم في تشريعاتهم المادية والمعنوية والاجتماعية والفردية والثقافية والأخلاقية.

الثانية: إن الشريعة الإسلامية هي الوسيلة الوحيدة لحل مشاكل الإنسان

الكبرى المعقدة في مختلف جوانب الحياة.

الثالثة: إن سد باب هذه الحركة الفكرية الاجتهادية العظيمة أو التنقيص من شأنها، إطفاء أبدية مشعل الكتاب والسنة أو التنقيص من شأنهما، والهدف من وراء الأمر الثاني التنبيه على إن ما هو متداول على بعض الألسنة: إن العالم الفلاني أصولي ليس بفقيه أو العكس فهو كلام عامي بعيد عن الواقع وصادر عمن لا يلتفت إلى طبيعة القواعد الأصولية وحدودها وأهمية الاستنباط والاجتهاد الفقهي ومدى تأثير هذا الارتباط والتفاعل بينهما في العملية، لما عرفت الآن من أن الترابط والتفاعل بين العلمين ذاتيان فلا يمكن التفكيك بينهما في جميع المستويات، فالفقيه في نفس الوقت أصولي شهير والأصولي في نفس الوقت فقيه بارع.

بعد هذه المقدمة نقول:

إن مدرسة النجف الأشرف مدينة أمير المؤمنين عليه السلام باب مدينة علم الرسول صلى الله عليه وآله من أعظم وأشهر الجامعات العلمية والإسلامية للحركة الفكرية الاجتهادية في الفقه والأصول المستمدين من الكتاب والسنة، ومن أهم المعاهد العلمية الدينية للطائفة الإمامية، ومن هذه المدرسة الكبرى الشريفة تخرج آلاف الفقهاء العظام والمجتهدون الكبار وأعلام الطائفة والأساتذة من زمن شيخ الطائفة الشيخ الطوسي قدس سره إلى زماننا هذا وهؤلاء الفقهاء العظام طوال عشرة قرون قد قدموا جهوداً كبيرة في خدمة الدين والمذهب بأقلامهم المباركة ودروسهم النفسية ومؤلفاتهم القيمة، ونشرهم الثقافة الدينية في العالم الإسلامي بل في العالم ككل، رغم الظروف القاسية والمصاعب التي مرت عليهم خلال تلك القرون، ولا يزالون يقدمون خدمة كبيرة للدين الإسلامي والمذهب بشجاعة فائقة في ظل أصعب الظروف وأقساها ومهما كان حجمها؛

حيث إنّ حجم الهدف أكبر من كل شيء.

أستاذ العلماء والمجتهدين:

فمن هنا أصبحت الطائفة في العصر الحاضر ذات شأن عظيم منتشرة في أقطار العالم ولهم في كل بلد صوت بينما كانوا قبل تلك القرون يعيشون غالباً في تقية، وهذا ليس إلّا من الجهد المتواصل في خدمة المذهب لعلمائنا العظام طوال هذه القرون، ومن أبرز العلماء والمجتهدين العظام في القرن الأخير وأشهرهم وأعلمهم هو سيد الطائفة سيدنا وأستاذنا الأعظم أية الله العظمى السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره الذي واكب مسيرة العلم وحركة التطور والنمو الفكري في هذه المدرسة الكبرى وكان قدس سره قد رفع رايتها خفاقة عالية ورصدها بتأليفاته القيمة وتحقيقاته وتدريسه في حقول المعرفة كالأصول والفقه والتفسير والرجال؛ حيث إنه تعمق فيها دقة وسعة ولاسيما في علمي الأصول والفقه، وأحكم قواعدهما النظرية والتطبيقية وبناهما على أسس متينة ومجددة ومبان رصينة واكتشف آفاقاً جديدة في هذين العلمين الشريفين فأبدع في ذلك، فأحرز مقام القيادة الكبرى ونال شرف أستاذ العلماء والمجتهدين في الحوزات العلمية والمعاهد الدينية الكبرى، وقد قام الإمام الخوئي قدس سره بإلقاء الدروس العليا (الخارج) في الفقه والأصول على جمع غفير من الفضلاء ذوي الكفاءة واللياقة لا يقل عددهم عن أربعمائة أو خمسمائة نفر، وقد تميزت دروسه في الحوزة العلمية بالابتكار والتحقيق والتدقيق سعة وعمقاً، واتسمت أبحاثه بالقوة في الاستدلال والإحاطة العلمية بأفكار العلماء وتحليلها ونقدها بأسلوب بليغ رائع وبيان ساحر وفصيح، ولذلك قد فاق أقرانه ومعاصريه من كبار الأساتذة والعلماء في الحوزة العلمية الكبرى وتفوق عليهم في استقطاب أكبر عدد من الطلبة والفضلاء ذوي اللياقة والكفاءة، وكان مجلس درسه قدس سره من

أوسع الدروس إقبالاً وحضوراً، وأكثرها انتشاراً، وكان بحق القطب الذي تدور حوله الحركة العلمية، كان كالشمس ترسل أشعتها على الدوام أكثر من نصف قرن وقد استحق بذلك عن جدارة لقب زعيم الحوزة العلمية الكبرى في النجف الأشرف.

وقد شرع الإمام الخوئي قدس سره في درس الأصول مرحلة (الخارج) ولم يتجاوز عمره الشريف الخمسة وعشرين، واستمر في دراسته سبع دورات كاملة في الأصول، وشرع في الدورة الثامنة ولم يتم، وفي كل دورة تخرج في مدرسته مئات من العلماء والأساتذة وأعلام الطائفة وقد درس قدس سره خارج الفقه على ضوء الكتاب والسنة دورة كاملة، إلّا بعض أبوابها، وإضافة إلى ذلك فقد درس قدس سره خارج باب الصلاة مرة أخرى مستقلة وكذلك باب الطهارة ودرس قدس سره خارج مكاسب الشيخ الأنصاري قدس سره دورتين كاملتين، ولم يسبقه في ذلك غيره من علماء الطائفة طوال عشرة قرون، وسر هذا النجاح الكبير والتوفيق العظيم للسيد الأستاذ الإمام الخوئي قدس سره يتمثل بالنقاط التالية:

النقطة الأولى: مقدرته الفكرية الذاتية، فإن لتلك المقدرة أثراً كبيراً في تحديد القواعد والنظريات العامة وتكوينها في الأصول وفق شروطها بصيغة أكثر دقة وعمقاً وشمولاً، وتطبيقها على عناصرها في الفقه بدقة أكثر التفاتاً وبعمق أكبر تحقيقاً وبسعة أشمل مجالاً.

النقطة الثانية: مقدرته العلمية الفائقة في تحليل المسائل المعقدة والنظريات الصعبة الأصولية والفقهية بصيغة أسهل تناولاً وأبلغ تنظيماً وترتيباً، وبفضل هذه المقدرة العلمية الفائقة ومؤهلاته الفكرية الذاتية وذهنيته الوقادة في علمي الأصول والفقه ابتكر فهم آراء ونظريات لم يسبقه إليها غيره أصلاً، وقد جمعنا بعض تلك الآراء والنظريات في رسالة خاصة ونشرت سابقاً.

ومن هنا قال تلميذه العبقري الكبير الشهيد السيد محمّد باقر الصدر قدس سره: إن مقام ثبوت السيد الأستاذ الإمام الخوئي قدس سره علمياً ونظرياً أقوى وأكبر من مقام إثباته، يظهر ذلك بوضوح لكل طالب في مقام التباحث مع سماحته قدس سره شريطة أن يكون أهلاً لذلك، قال أيضاً تلميذه الكبير في مقالة كتبها حول عمق علاقته بأستاذه الإمام الخوئي قدس سره: إن علاقتي هي من أشرف وأطهر وأقدس العلاقات في حياتي وهي علاقتي بسيدنا وأستاذنا وسندنا وسنادنا آية الله العظمى الإمام الخوئي هذا الأستاذ الذي أبصرت نور العلم في حوزته وذقت طعم المعرفة على يده، وإن من أعظم ما ينعم الله به على الإنسان بعد الإيمان العلم، ولأني كنت قد حصلت على شيء من هذه النعمة فإن فضل ذلك يعود إليه، فلست إلّا ثمرة من ثمرات وجوده وفيضه الشريف، وولداً من أولاده الروحيين.

النقطة الثالثة: إن دروسه قدس سره كانت تمتاز في التحقيق والتدقيق بتحليل المسائل العلمية الدقيقة والنظريات العامة بشكل يليق بها وطرحها على أسس ومبان متينة ورصينة من جهة حسن التقرير وقوة الأداء واستحكام الأدلة بأسلوب رائع وبليغ وبيان سحري جذاب فصيح ولون أدبي جميل وبتنسيق منظم وبارع، وسيطرته قدس سره التامة على المطالب والنظريات العلمية بدرجة لا تفلت زمام أمرها عنه مهما كانت معقدة، فإن له المقدرة على تحليلها وحل مشاكلها وبيانها بأبسط صيغة، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على سيطرته الكاملة على المسائل العلمية مهما كانت معقدة وصعبة، ومجموع ما في هذه النقاط من المؤهلات والخصوصيات الذاتية المميزة المتوفرة في الإمام الخوئي قدس سره سبب لنجاحه الكبير وتفوقه على سائر أقرانه ومعاصريه من العلماء والأساتذة الكبار، فإن تلك المؤهلات والخصوصيات المميزة جعلت دروسه من أوسع الدروس إقبالاً وأكثرها رونقاً وحضوراً وتفهماً وتفهيماً، إذ قلما يوجد شخص يحضر

مجلس درسه لا بغرض الاستفادة، ومن هنا نقول إن نسبة من يكتب دروسه لا تقل عن نسبة تسعين بالمائة بنسبة تقريبية، ولهذا تخرج من مجلس درسه على يديه الكريمتين طوال تاريخ زعامته الحوزة المباركة مئات الأستاذة والمدرسين في الحوزات العلمية المنتشرة في أقطار العالم الإسلامي وعشرات المجتهدين الكبار وتسنم نخبة منهم في العصر الحاضر سدة المرجعية في الحوزات العلمية الشهيرة في النجف الأشرف وقم المقدسة ومشهد الرضا المقدس.

الإمام الخوئي وكمالاته النفسانية:

كان السيد الأستاذ قدس سره إلى جانب مواهبه العلمية ومؤهلاته الفكرية الذاتية يتحلى بملكات فاضلة وصفات حميدة وكمالات سامية متميزة وبطاقات نفسية كبيرة، ولذلك كان قدس سره مسيطراً على نفسه وميوله الطبيعية المضللة بقوة ملكاته الفاضلة وطاقاته النفسية الكبيرة، فإنما إذا تحققت ترشد الإنسان إلى الاتجاهات الدينية الصحيحة وتسهل الطريق إلى الله تعالى والإيمان به، وتزيل العوائق والموانع وتجعل مخالفة الهوى والميول الطبيعية والدوافع الذاتية الشهوانية سهلة، بل تجعلها موافقة لميوله وغريزته الدينية التي تصبح طبيعة ثانية له، ولهذا كان قدس سره صادقاً في قوله ووافياً بوعده وطالباً لمرضاة الله تعالى في أعماله والإخلاص فيها ومخالفاً لهواه ومتواضعاً في خلقه وعشرته، ولم يدخل في نفسه الكريمة شيئاً من الكبرياء والعجرفة، ولم تؤثر فيه الرئاسة والزعامة، وإذا حضر بين تلامذته كان كأحدهم طالباً للحق ومستسلماً للحقيقة من أي فرد وكان مؤدباً في سلوكه ويحترم أهل العلم والفضل وينزلهم منازلهم ولا ينتقص أحداً أبداً، فما سمعت منه قدس سره طيلة وجودي معه والتي لم تقل عن خمس وثلاثين سنة تقريباً يتكلم على أحد بما لا يناسبه مهما كان موقفه تجاهه سلبياً وعدائياً، وكل واحد إذا ذكره، ذكره بخير وما رأيت هذه النفسية الكبيرة

الصابرة في غيره وهذا ليس إلّا من جهة أنه جهز نفسه بغريزة الدين والإيمان وزودها بتقوى الله والإخلاص في العمل والصفات الحميدة والملكات الفاضلة السامية والطاقات النفسية الصابرة، وباعتقادي الراسخ من صفاء نفسه قدس سره وطيب باطنه وخلاص نيته في أعماله المادية والمعنوية وإيمانه الراسخ بالله تعالى من جانب، والصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة والملكات السامية والطاقات النفسية الكبيرة من جانب آخر، كانت إحدى الوسائل والأسباب التي قد منّ الله تعالى بها عليه بهذا التوفيق الكبير الناجح.

الإمام الخوئي وآلامه:

وبعد وفاة المرجع الأعلى الإمام الحكيم قدس سره تسلم السيد الخوئي قدس سره منصب المرجعية العليا في النجف الأشرف وبدأت آلامه بسبب رموز النظام البائد؛ لأن النظام قد قام بانتهاك الحوزة العلمية بذرائع مختلفة وتهم متنوعة منذ ولادته يومياً وقد وصلت أدواته القمعية وانتهاكاته للحوزة العلمية ذروتها حين جعل النظام الإمام الحكيم تحت رقابة مشددة في بيته ومنع الناس من الوصول إليه، نعم قد زاره الإمام الخوئي قدس سره في الأسبوع مرة واحدة، وبعد وفاته زاد النظام في أدواته القمعية وانتهاكاته للحوزة العلمية ومضايقته للسيد الخوئي قدس سره ولهذا لم يبق من الحوزة إلّا أصولها ورموزها المعنوية، وكان هدفهم المشؤوم من كل ذلك هدم الحوزة نهائياً ولكنهم لم يصلوا هذا الهدف المشؤوم لسببين: **السبب الأول**: بعنايته تعالى وتقدسه وفضله الكريم وببركة صاحب هذا المكان المقدس وبرعاية إمام العصر عجل الله فرجه الشريف.

السبب الثاني: بالصبر والتحمل من السيد الأستاذ قدس سره فإنه تحمل ما حمل من المضايقات من قبل النظام بطرق مختلفة وأسباب قمعية متنوعة، تارة بإعدام ثلة من حواشيه وأخرى بالضغط على فضلاء الحوزة بالقتل والحبس والتشريد

والتسفير وهكذا، ومع كل هذه الأسباب القمعية والمضايقات فإنه قدس سره تحمل وصبر كالجبل الراسخ في سبيل الحفاظ على كيان هذه الحوزة المباركة، والهدف من وراء كل هذه المضايقات والضغوطات، إما أن تصدر عنه قدس سره كلمة ضد النظام أو لتأييده ومشروعيته، فإن النظام على كلا التقديرين يصل إلى هدفه المشؤوم، أما على الأول فإنه ذريعة لهدم الحوزة نهائياً، وأما على الثاني فإنه تهديم لمعنوية الحوزة وروحها المتمثلة بالسيد الخوئي قدس سره هذا هو ديدن علمائنا العظام فإنهم كانوا يبذلون أنفسهم في سبيل الحفاظ على كيان الحوزة ومكانتها الدينية وهيبتها واستقلاليتها في كافة شؤونها الاقتصادية والتعليمية والدينية في الأوقات التي تعرضت الحوزة من قبل الحكومات والأنظمة الجائرة للانتهاكات والمضايقات؛ لأن الحفاظ على كيانها حفاظ على كيان المذهب.

وبعد سقوط النظام أخذت الحوزة عافيتها ونشاطها يوماً بعد يوم إلى أن واجهت ظروفاً غير متوقعة أملنا بالله تعالى كبير أن تمر هذه الظروف بسلام وتستعيد الحوزة نشاطها تدريجياً، ومن هنا إن الوظيفة الشرعية تملي على العلماء ورجال الحوزة وأساتذتها وطلابها الاهتمام الجاد بالدراسة والتحقيق وبذل أقصى الجهد فيها لكي يحافظ على مكانة الحوزة العلمية المباركة وعطائها المستمر بشكل أفضل يوماً بعد يوم، حتى تستعيد عافيتها بالكامل وبشكل أكثر ازدهاراً وتوسعة تليق بها وبمكانتها العلمية وثوابتها الدينية والإسلامية.

الأبحاث الأصولية وموارد إبداع الإمام الخوئي فيها:

المورد الأول: نظرية التعهد ومسألة الوضع:

حيث إن مسالة الوضع من أهم المسائل الاجتماعية في كل مجتمع عقلاني منذ نشوء الإنسان على وجه الكرة الأرضية على أساس استخدام ظاهرة اللغة في حياته كوسيلة للتفاهم مع الآخرين وإبراز مقاصده ونقلها إليهم، وبما أن حياة

الإنسان قد تطورت وتكاملت وتعمقت عصراً بعد عصر وتوسعت قرناً بعد آخر من مختلف جهاتها، فبطبيعة الحال يتطلب الأمر تطوراً ظاهراً للغة وتكاملها وتوسعها بما يناسب ذلك؛ لأنهما مترابطان بترابط متبادل، ولما رأى قدس سره أن الوضع على ضوء التفسير المشهور لا ينسجم مع مكانة هذه المسألة وأهميتها لدى العقلاء أبدى بنظرية جديدة متكاملة كماً وكيفاً وهي نظرية التعهد على أساس أن هذه النظرية بنفسها نظرية عقلانية تتناسب مع مكانة هذه المسألة، وتتميز عن غيرها بما يلي:

الأول: إنها عبارة عن التلازم بين اللفظ الخاص والمعنى المخصوص المحقق للدلالة بقضية شرطية يتعهد بها العقلاء في كل مجتمع على طول التاريخ، وطرفاها: النطق باللفظ، وقصد إفهام المعنى، وعلى أساسه ينفي وجود أي داع آخر للنطق باللفظ سوى قصد الإفهام.

الثاني: إن الدلالة الناتجة من الوضع على أساس هذه النظرية دلالة تصديقية عقلانية لا تصورية محضة؛ لأن اللفظ بعد التعهد المذكور يكشف كشفاً تصديقياً عن قصد المتكلم لإفهام المعنى، وأما الدلالة التصورية بين اللفظ والمعنى فهي لا تستند إلى الوضع بالمعنى المذكور، بل هي نتيجة الأنس الذهني بينهما.

الثالث: إن كل مستعمل يصبح واضعاً حقيقة على ضوء هذه النظرية؛ لأن الوضع عبارة عن التعهد والفرض أن تعهد كل مستعمل بأن لا ينطق باللفظ إلّا عند إرادة إفهام معنى خاص قائم بنفسه.

المورد الثاني: نظرية الإبراز ومسألة الإنشاء:

حيث إن التفسير المشهور للإنشاء بإيجاد المعنى باللفظ يكون ناقصاً بنظره قدس سره وغير تام، فأبدى نظرية جديدة تناسب مكانة المسألة وأهميتها لدى العقلاء وآثارها الاجتماعية، وهي نظرية الإبراز، أي إن الإنشاء عبارة عن إبراز

الأمر الاعتباري النفساني بمبرز ما في الخارج من قول أو فعل، وتتميز هذه النظرية عن نظرية الإيجاد بأن الأولى مدلول تصديقي للفظ، والثانية مدلول تصوري، وتترتب على هذه النظرية آثار مهمة:

الأول: إن مدلول الأوامر والنواهي على أساس هذه النظرية عبارة عن إبراز الأمر الاعتباري النفساني، دون الوجوب والحرمة، فإن الحاكم بهما في مواردهما العقل بملاك صدورهما من المولى بعنوان المولوية إذا لم تكن قرينة على الترخيص.

الثاني: إمكان الالتزام بالشرط المتأخر على أساس إن الحكم الشرعي على ضوء هذه النظرية أمر اعتباري لا واقع موضوعي له ما عدا اعتبار من بيده الاعتبار، وعليه فلا مانع من اعتباره مشروطاً بشرط متأخر كما يعتبره مشروطاً بشرط مقارن.

الثالث: عدم المضادة بين الأحكام الشرعية بأنفسها وذواتها؛ لأنها أمور اعتبارية لا واقع لها حتى نتصور المضادة بينها، نعم إن المضادة إنما هي بين ملاكاتها في مرحلة الملاك وبينها في مرحلة الامتثال وأما في مرحلة الجعل فلا.

الرابع: أن تقتضي هذه النظرية عدم اعتبار كون المبرز لفظاً أو صيغة خاصة، فإن كان ذلك بحاجة إلى دليل، وإلّا فمقتضى القاعدة كفاية كون المبرز إشارة أو فعلاً، بينما إن مقتضى نظرية المشهور اعتبار اللفظ، وأما كفاية غير اللفظ فهي بحاجة إلى دليل، فإن قام دليل على الكفاية كالسيرة أو نحوها فهو، وإلّا فيكفي.

المورد الثالث: نظرية التحصيص:

ومسألة وضع الحروف فإنه ﷺ بعد انتقاده سائر النظريات في تلك المسألة واحدة تلو الأخرى انتقاداً موضوعياً، قام بإبداع نظرية التحصيص فيها، وهي: إن الحروف موضوعة للدلالة على إرادة تفهيم تحصيص المفاهيم الاسمية

وتضييقها، وتتميز هذه النظرية عن تلك النظريات في أن مدلول الحروف على ضوئها يكون تصديقياً لا تصورياً فحسب، وأما على ضوء سائر النظريات فهو تصوري لا تصديقي، فمن أجل ذلك تكون هذه النظرية من حلقات نظرية التعهد، وترتبط بها ارتباطاً وثيقاً.

المورد الرابع: نظرية عدم جريان الاستصحاب في الشبهات الحكمية مطلقاً:

وإن كانت جزئية على خلاف نظرية المشهور وهي جريانه فيها مطلقاً وقد قدم قدس سره بإبداع هذه النظرية بلحاظ التفاتته الكريمة إلى نكتة دقيقة تكون مبررة لها وهي أن الاستصحاب فيها معارض باستصحاب عدم سعة الجعل فيسقط من جهة المعارضة، ومن هنا غيرت هذه النظرية مجرى تاريخ الاستصحاب في الشبهات الحكمية، فمن أجل ذلك تكون لها آثار كبيرة في كافة أبواب الفقه.

المورد الخامس: نظرية التعارض ومسألة الواجبات الضمنية:

فإن المشهور قد قاموا بتطبيق قواعد باب المزاحمة عليها فيما إذا لم يتمكن المكلف من الجمع بين اثنين منها، ولكنه قدس سره قد نقد هذه النظرية وأبدى بنظرية أخرى وهي نظرية التعارض فيما إذا لم يتمكن المكلف من الجمع بين الواجبين الضمنيين، بنكتة أن الأمر الأول قد سقط جزماً بسقوط متعلقه، وعليه فإن قام دليل على جعل أمر آخر كما في باب الصلاة فإن عين متعلقه فهو، وإلّا فمرده بين الفاقد لهذا الجزء أو ذاك، فإذن بطبيعة الحال تقع المعارضة بين إطلاق دليلي الجزأين.

المورد السادس: زيادة في أقسام الاستصحاب:

فإنه قدس سره قد أبدع قسماً رابعاً من أقسام الاستصحاب الكلي في مقابل المشهور، حيث إنهم حصروا أقسامه في ثلاثة، وله آثار علمية وعملية في أبواب الفقه.

المورد السابع: مسألة الشهرة الفتوائية:

المعروف بين الأصوليين أن الشهرة الفتوائية إذا كانت في مسألة على خلاف رواية معتبرة فيها وكانت الرواية في متناول أيديهم تكشف عن عدم حجيتها وخروجها عن دليل الاعتبار، وإن كانت في مسألة وكانت مستندة إلى رواية ضعيفة فيها تكشف عن حجيتها وصدورها عن المعصوم عليه السلام وقد جرى عملهم على أساس هذه النظرية في مقام عملية الاستنباط والتطبيق في المسائل الفقهية على طول التاريخ، ولكن السيد الأستاذ قدس سره على أساس نبوغه الفكري قد أبدى بنظرية جديدة في المسألة أكثر استيعاباً وأدق عمقاً على ضوء نقطتين: إحداهما بمثابة منع الكبرى والأخرى بمثابة منع الصغرى.

أما **الأولى**: فلأن الشهرة الفتوائية في المسألة التي تصلح أن تكون جابرة تارة لنقاط ضعف الرواية وكاسرة تارة أخرى لنقاط قوة الرواية هي الشهرة الفتوائية من الفقهاء المتقدمين الذين يكون عصرهم قريباً من عصر أصحاب الأئمة عليهم السلام وحملة الأحاديث لا من الفقهاء المتأخرين، حيث لا قيمة للشهرة الفتوائية بينهم، ولكن لا طريق لنا قط إلى إحراز إعراض المتقدمين عن رواية في مسألة ما على الرغم من صحتها واستنادهم إلى رواية فيها على الرغم من ضعفها؛ لأن الطريق إلى ذلك منحصر بالرجوع إلى كتبهم بأن يكون لكل واحد منهم كتاب استدلالي في الفقه وأن يكون واصلاً إلينا يداً بيد، والمفروض عدم وجود كتاب منهم كذلك عندنا، أو إنه كان ولكنه لم يصل إلينا، فإذن لا أصل لهذه النظرية.

وأما **الثانية**: فلأن الشهرة الفتوائية لا تكون حجة بنفسها، وعليه فأقصى ما تكون الشهرة مؤثرة فيه أنها تكشف ظناً عن صدور رواية إذا كانت مستندة إليها وعن عدم صدورها إذا كانت مخالفة لها، ولكن من الواضح عدم إناطة

حجية الإخبار بالظن بالصدور بل هي منوطة بالوثوق النوعي، ولا ينافيه الظن الشخصي بعدم الصدور، فمن أجل ذلك تختلف هذه النظرية عن نظرية المشهور اختلافاً جوهرياً، وتترتب عليها آثار مهمة في مرحلة عملية التطبيق والاستنباط في أبواب الفقه.

المورد الثامن: مسألة الإطلاق:

قد تبنى السيد الأستاذ قدس سره نظرية في هذه المسألة تؤكد على إن الإطلاق غير داخل في مدلول اللفظ، فإن الحاكم به هو العقل ببركة مقدمات الحكمة، بل هو في نهاية المطاف مدلول لتلك المقدمات، فلا يكون لفظاً وكلاماً حتى يكون كتابة أو سنة، بل هو دلالة ناشئة عن السكوت في مقام البيان، وتترتب على هذه النظرية أمور:

الأول: إن الرواية المخالفة لإطلاق الكتاب لا تكون مشمولة لما دل من النصوص على أن المخالف للكتاب زخرف أو باطل؛ حيث لا ينطبق عليها عنوان المخالف له، بنكتة ما عرفت من أن الإطلاق ليس مدلولاً للفظ لكي يكون المخالف له مخالفاً للكتاب بل هو مخالف لحكم العقل.

الثاني: إن الروايتين المتعارضتين إذا كانت إحداهما موافقة لإطلاق الكتاب والأخرى مخالفة له لم تكونا مشمولتين لما دل على ترجيح الموافق للكتاب على المخالف له على أساس ما عرفت من النكتة من أن إطلاق الكتاب ليس من الكتاب فلا يكون الموافق له موافقاً للكتاب لكي يكون مشمولاً له.

الثالث: إن التعارض بين الروايتين إذا كان بالإطلاق فلا مجال للرجوع إلى مرجحات باب المعارضة، بل لا موضوع له فإن ما دل من النصوص على الترجيح بها إنما هو في مورد كانت المعارضة بين مدلوليها لفظاً، وأما إذا لم تكن معارضة بينهما وكانت بين إطلاقيهما، فلا تصدق المعارضة بين الروايتين لكي تكون مشمولة لتلك النصوص، فمن أجل ذلك يسقط كلا

الإطلاقين معاً من جهة المعارضة في المسألة، فالمرجع هو العالم الفوقي إن كان، وإلّا فالأصل العلمي.

المورد التاسع: مسألة الاستصحاب:

قد بنى الأصوليين على أن حجية الاستصحاب إذا كانت على أساس الروايات فهو أصل عملي، ولكن السيد الأستاذ قد أبدى بنظرية تؤكد على إن الاستصحاب أمارة على الرغم من أن حجيته كانت على أساس الروايات وليس بأصل عملي، غاية الأمر إن أمارته تكون في طور سائر الأمارات لا في عرضها، فمن أجل ذلك تتقدم عليه جميع الأمارات وذلك على إبراز نكتة دقيقة وهي إن مفاد أدلة حجية الاستصحاب التعبد ببقاء اليقين السابق في ظرف الشك لا التعبد بالعمل بالشك في ظرفه، وفرق بين التعبيرين؛ حيث إنّ الأول تعبير عرفي عن موقع الاستصحاب كأمارة، والثاني تعبير عرفي عن موقعه كأصل عملي، وأما كونه من أضعف الأمارات فهو بملاك أن التعبد ببقاء اليقين السابق في ظرف الشك تعبد عملي لا حكائي.

المورد العاشر: مثبتات الأمارات والأصول:

المعروف لدى الأصوليين إن مثبتات الأمارات تكون حجة دون مثبتات الأصول من دون الفرق في ذلك بين أنواع الأمارات، ولكن السيد الأستاذ قد قام بتحليل هذه المسألة ببيان أنها لا يمكن أن تكون جزافاً، فلا محالة تكون مبنية على نكتة مبررة لها، وتلك النكتة هي إن الأمارات بما إنها ناظرة إلى الواقع وحاكية عنه فهي كما تحكي عن مدلولاتها الالتزامية بالواسطة على أساس الملازمة بينهما ثبوتاً وإثباتاً.

وأما الأصول العملية فبما إنها لا تنظر إلى الواقع فلا تثبت إلّا مدلولاتها المطابقية في مقام الظاهر دون لوازمها، وعلى أساس هذه النكتة تظهر أن حجية

مثبتات الأمارات ليست من لوازم أماريتها بل هي من لوازم حكائيتها عن الواقع، وعليه فلابد من الفرق بين أنواع الأمارات أيضاً فإن ما يكون لسانها لسان الحكاية عن الواقع والنظر إليه تكون مثبتاتها حجة، وما لا يكون كذلك فلا تكون حجة، كالاستصحاب وقاعدتي الفراغ والتجاوز وأصالة الصحة ونحوها، فتكون حال هذه الأمارات حال الأصول العملية فلا فرق بينهما من هذه الناحية، فإذن لا تتميز الأمارات عن الأصول بذلك.

المورد الحادي عشر: أصولية المسألة:

قد تبنى قدس سره في هذه المسألة نظرية تؤكد أن أصولية المسألة مرهونة بوجود الخلاف وإبداء النظر والرأي فيها، فإذا كانت المسألة مسلمة واضحة لدى الكل بدرجة لم يكن مجال لإبداء النظر والرأي فيها لم تكن أصولية؛ لأن علم الأصول قد وضع لممارسة النظريات العامة وتحديد القواعد المشتركة في الحدود المسموح بها لإعمال النظر والرأي وفقاً لشروطها العامة للتفكير الفقهي، ومن هنا يكون علم الأصول نظرياً وعلم الفقه تطبيقياً، وتكون نسبته إليه كنسبة المنطق العام إلى سائر العلوم، وعلى أساس ذلك فقد ذكر قدس سره أن مسألة حجية الظواهر ليست من المسائل الأصولية وكذلك مسألة الطهارة في الشبهات الحكمية، فإن كلتا المسألتين من المسائل المسلمة الواضحة عند الجميع بدرجة لا مجال لإبداء النظر وإعمال الرأي فيها، فمن أجل ذلك لا ينطبق عليهما ضابط المسألة الأصولية.

المورد الثاني عشر: مسألة مفهوم الوصف:

قد بنى قدس سره على دلالة القيد في القضية على المفهوم لكن لا بمعنى دلالته على انتفاء سنخ الحكم بانتفائه، بل بمعنى أنه دل على أن موضوع الحكم في القضية ليس هو الطبيعي على نحو الإطلاق بل حصة خاصة منه، بنكتة أنه لو

لم يدل على ذلك لكان لغواً محضاً، فيكون وسطاً بين القول بمفهوم القيد والقول بعدمه، وتترتب على ذلك آثار في المسائل الفقهية.

الأبحاث الفقهية وموارد إبداعه فيها:

المورد الأول:

ما إذا شك المكلف بعد الصلاة في أنه اغتسل من الجنابة قبلها أو لا، فالمشهور إن وظيفته إجراء قاعدة الفراغ بالنسبة إلى الصلاة الماضية واستصحاب بقاء الجنابة بالنسبة إلى الصلاة الآتية، ولكنه قدس سره تنبه هنا لنكتة أخرى أكثر استيعاباً وأدق عمقاً وهي ماذا أحدث المكلف بعد الصلاة بالأصغر، فإنه حينئذ يعلم إجمالاً إما ببطلان الصلاة السابقة، أو بوجوب الوضوء للصلاة الآتية كما إنه يعلم إجمالاً إما ببطلان قاعدة الفراغ في الصلاة المتقدمة أو ببطلان استصحاب بقاء الجنابة، إذ لا يمكن جريان كليهما معاً لاستلزامه المخالفة القطعية العملية، وعلى هذا فإن كان في الوقت وجب عليه إعادة الصلاة المتقدمة والجمع بين الوضوء والغسل للصلاة الآتية، وإن كان في خارج الوقت فوظيفته بالنسبة إلى الصلاة الآتية هي الجمع بين الوضوء والغسل، وأما بالنسبة إلى قضاء الصلاة المتقدمة فبما أنه شاك في أصل وجوبه باعتبار أن القضاء يكون بأمر جديد فوظيفته الرجوع إلى أصالة البراءة عنه؛ لأن العلم الإجمالي لوجوب الوضوء للصلاة الآتية أو وجوب قضاء الصلاة المتقدمة لا يكون منجزاً لعدم توفر شروط التنجيز فيه وهي تعارض الأصول المؤمنة في أطرافه؛ وذلك لأن أحد طرفي هذا العلم الإجمالي وهو وجوب الوضوء يكون مورداً لقاعدة الاشتغال، كان هناك علم إجمالي أم لم يكن، فعندئذ لا مانع من جريان الأصل المؤمن في الطرف الآخر وهو أصالة البراءة لعدم المعارض له.

المورد الثاني: بداية الشهر القمري:

قد تبنى قدس سره نظرية تؤكد على أن للشهر القمري بداية واحدة بالنسبة إلى الجميع، ولا يمكن أن يكون حلوله أمراً نسبياً بأن يكون لكل بلد أو منطقة شهرها القمري الخاص، إذ من الخطأ جداً قياس ذلك على نسبية طلوع الشمس، فإن الأرض بحكم كرويتها وحركتها حول نفسها فلا محالة تكون أجزاؤها مواجهة للشمس بالتدريج وبالنسبة، فتطلع على هذا الجزء من الأرض قبل ذاك الجزء فيكون الطلوع نسبياً، وأما الشهر القمري فهو يبدأ بخروج القمر من المحاق، أي من بين الشمس والأرض وهذه ظاهرة كونية محددة تعبر عن موقع جرم القمر من جرمي الشمس والأرض، ولا تتأثر هذه الظاهرة بهذا الجزء من الأرض أو ذاك، فلا مجال لافتراض النسبية هنا ولا معنى للقول إن الشهر القمري يبدأ بالنسبة إلى هذا الجزء من الأرض في ليلة الخميس مثلاً وبالنسبة إلى ذلك الجزء في ليلة الجمعة، فالنتيجة إنه لا يمكن أن يكون حلول الشهر القمري أمراً نسبياً يختلف فيه أفق عن أفق ليكون كطلوع الشمس، بل هو ظاهرة كونية واحدة محددة، فإن المحاق عبارة عن انطباق القمر بين جرمي الشمس والأرض المحقق لغيبته عند كل أهل الأرض، ولا يمكن أن يكون نسبياً، فإذن كيف يمكن أن يكون خروجه منه نسبياً؟ هذا، ولكن لا يخفى أن إثبات هذه النظرية بالطريقة المذكورة من إبداع السيد قدس سره وأما أصل هذه النظرية فلا، فإن جماعة من الفقهاء قد سبقوه في هذه النظرية، غاية الأمر إن التزام بعضهم بها مبني على الروايات، وبعضهم الآخر مبني على كون الأرض مسطحة لا كروية.

المورد الثالث: الضمان بالنسبة في الخمس:

ومحله ما إذا اشترى مالاً للتجارة فارتفعت قيمته وجب تخميس الزيادة، وأما إذا أخر تخميسها ونقصت قيمته فالمعروف والمشهور ضمان الخمس،

ولكنه قد أبدى بنظرية أخرى تكون مبنية على نكتة دقيقة وهي أنه يضمن بالنسبة بملاك أن النقص يرد على المال المشترك بين المالك والإمام وعلى هذا فبطبيعة الحال يكون النقص نسبياً، فلو فرضنا أن تسعة أعشار هذا المال للمالك وعشر منه للإمام كان النقص وارداً على المجموعة بالنسبة لا على خصوص الزيادة، وعليه فكلما نقص منه يكون تسعة أعشاره على المالك وعشره على الإمام، وبذلك تختلف عن نظرية المشهور اختلافاً نوعياً.

المورد الرابع: عدم تعلق الخمس في زيادة الهبة أو الحيازة أو الإحياء:

إذا ملك شخص مالاً بالهبة أو بالحيازة أو الإحياء، فإن المشهور بين الفقهاء عدم الفرق بينه وبين ما إذا كان ملكه بالشراء، فإنه لا يجب فيه الخمس بالزيادة في كلا الموردين إلّا إذا باعه بها.. ولكنه قد أبدى بالفرق بينهما على أساس نكتة دقيقة وهي أن ما ملكه بالهبة أو الحيازة فقد ملكه بما له من المالية من دون أن تكون محددة بحد خاص، وعليه إذا باعه لم يصدق عليه عنوان الزيادة على رأس المال لكي يجب فيها الخمس، وهذا بخلاف ما إذا ملكه بالشراء، فإن رأس ماله معلوم، فإذا باعه بأزيد منه وجب عليه الخمس في الزائد.

المورد الخامس: مسألة الإرث:

المشهور أن أولاد أخ الأبوين والأب يقتسمون المال بينهم بالتفاضل إن اختلفوا بالذكورة والأنوثة، ولكنه قد أبدى بنظرية جديدة وهي: إن المال يقسم بينهم بالتساوي، نكتته أن التقسيم بالتفاضل إنما ورد في الأولاد والإخوة والأخوات من الأب أو الأبوين، والتعدي إلى أولاد الإخوة والأخوات بحاجة إلى قرينة، ولا قرينة، لا في الداخل ولا في الخارج، مع أن الحكم يكون على خلاف القاعدة.

فإذن مقتضى القاعدة هو تقسيم حصة الأب بين أولاده بالتساوي، والتفاضل بحاجة إلى دليل ومؤنة زائدة.

ومن هذا القبيل العم والعمة والخال والخالة، فإن المشهور إن القسمة بينهم بالتفاضل إذا كانوا جميعاً لأبوين أو لأب.. ولكنه قدس سره قد أفتى بالتساوي بعين النكتة المتقدمة.

والضابط العام لذلك: إن مقتضى القاعدة في كل مورد ورد الأمر بتقسيم المال بين آحاد جماعة من دون التقييد بخصوصية زائدة لا كماً ولا كيفاً هو التقسيم بينهم بالتساوي، وأما التقسيم بالتفاضل بأخذ الاعتبارات كالذكورة أو الأنوثة أو غيرهما مورد الاعتبار فهو بحاجة إلى قرينة ومؤنة زائدة.

وقد خرجنا عن مقتضى هذه القاعدة في باب الإرث بالنسبة إلى الطبقة الأولى الذين يرثون من الميت مباشرة كالأولاد والآباء والأمهات، وبالنسبة إلى الإخوة والأخوات والأجداد والجدات من الطبقة الثانية إذ كانوا جميعاً من الأبوين أو الأب، وذلك للنص من الكتاب والسنة، وأما إذا كانوا من الأم فقط فالتقسيم بينهم بالتساوي، فإنه مضافاً إلى كونه مقتضى القاعدة إنه منصوص أيضاً، وأما أولاد الإخوة والأخوات الأبوين أو أب من الطبقة الثانية، والأعمام والعمات والأخوال والخالات من الطبقة الثالثة فجميعاً يقسم المال بينهم بالتساوي وإن اختلفوا بالذكورة والأنوثة، ثم إن لهذه النظرية آثاراً مهمة وكبيرة في طبقات الإرث.



الإمام السيد الخوئي قدس سره في طريقه الى مسجد الخضراء لإقامة صلاة الجماعة



الإمام السيد الخوئي قدس سره في مجلسه اليومي بين ثلة من تلامذته



انحناءة أمام أعتاب

الأب الراحل للأمة

محمد تقي الخوئي

سلام عليك يا أبتاه.. طبت حياً تخدم الدين وتنشر علوم آل محمدﷺ وطبت ميتاً لما تركت من آثارك العظيمة وخدماتك الجليلة وذكراك التي عطرت بشذاها قلوب المؤمنين.

كنت طاهراً في قولك.. طاهراً في عملك.. طاهراً في قلبك.. طاهراً في جسدك.. دائم الطهارة في كل أوقاتك.. وكيف أنسى آخر لحظات حياتك الطاهرة إذ دعوتني كي أعينك على إسباغ الوضوء، فأسبغت وضوءك كأحسن ما يكون ولم تمض إلّا لحظة حتى عرجت روحك إلى بارئك راضية مرضية.. وبقي جسدك في حجري وكأنك يا أبتاه كنت على علم وموعد مع لقاء الله وأوليائه فأردت أن تكون طاهر الجسم كما أنك طاهر الروح أبداً... أأرثيك يا أبتاه؟ كلا فلستُ المعزّي الوحيد بفقدك، إذ كنت أباً عطوفاً مشفقاً لعشرات الملايين من المسلمين في أنحاء العالم.. وهم اليوم جميعاً يرثونك بدموعهم وقلوبهم قبل ألسنتم.

وهذا سيل التعازي من أبنائك المفجوعين في أصقاع الأرض يؤكدون أن فقدك كان فقداً لرب الأسرة الشيعية في العالم.. لأنك نذرت حياتك المباركة لخدمة أهل البيتعليهم السلام وقد أتاك الله بمشيئته الحكمة والعدل والعلم الوفير وهو القائل: ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً**﴾ (البقرة: ٢٦٩) وكنت نائب الإمام عجل الله فرجه الشريف وقد قدمت كل وجودك الشريف لخدمة الدين والمؤمنين.

آه آه يا أبتاه...

كيف يغفو جفنك وجفون ملايين المؤمنين مقروحة؟

كيف تستقر في ضريحك الطاهر وقلوب الملايين مضطربة؟

لو لم يكن الموت حقيقة وحتماً على كل ولد آدم.. لما صبرنا على فراقك.. ولكن الرضا بقضاء الله وقدره هو سبيلنا ومن الله سبحانه نستمد العون، وهو درس من الدروس التي ربيتنا عليها بما ربى أهل البيت عليهم السلام شيعتهم المخلصين وأنت بحق مربي الأمة في هذا العصر.

لقد ربيت مئات المجتهدين والعلماء الذين انتشروا في أقطار الأرض ناشرين أنوارك وعلومك بين الملايين.. وربيت أبناء هذه الأمة وهم جميعاً أبناؤك على الصدق في القول والفعل والتعامل مع الله والناس والذات.. ربيتنا على المثابرة وعلو الهمّة في كل مجالات التكامل الإنساني في طلب العلم والعمل به وخدمة المؤمنين.

علمتنا على تنظيم أوقاتنا وأمورنا.. لأنك كنت القدوة المثلى لنا في كل ذلك.. فكنت في يومك المحدود زمانه تدير شؤون العالم الإسلامي وترفد بعلومك العلماء والأساتذة والمحققين وترشد الناس إلى سبيل الرشاد وتدير شؤون بيتك بأحسن ما تكون الإدارة شأن كل أب عطوف وحنون؛ لأنك القائد الذي سدده الله فكنت فذاً في كل جوانب حياتك.

أبتاه أنت الذي علمتنا التواضع الذي يزداد ويتأكد كلما ازداد الإنسان رفعة بين الناس.. فكنت وأنت الحاكم الشرعي المطاع لملايين المؤمنين تعيش كأبسط ما تكون العيشة، وتتحدث مع الفقراء والأيتام بكل حنان وصدق حتى عجب زوارك لشدة تواضعك وبساطة حياتك، وما علموا أن ذلك وراثة من آبائك الأئمة الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

أنت علمتنا يا أبتاه العطف على الفقير وخدمته وإنه الأخ الذي رزقنا الله التوفيق لمساعدته.. علمتنا أن «**حوائج الخلق إليكم من نعم الله عليكم**».

علمتنا أن نتعاون مع كل من يخدم الدين في مشارق الأرض ومغاربها؛ لأن

الهدف المقدس أكبر من الفوارق الظاهرية.. ولذلك كنت أباً للشيعة في كل البلاد.

علمتنا يا أبتاه كل خير ونهيتنا عن كل سوء.

فما أعظم مصابنا بفقدك..

اللهم إنا نحتسب عندك هذا المصاب الجلل، ونسألك بجودك وكرمك أن تجبر قلوبنا بظهور مولانا الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف الذي قضى فقيدنا كل حياته في خدمته والدعاء له، إذ لم يقنت في صلاة إلّا بقوله: «**اللهم كن لوليك الحجة ابن الحسن العسكري صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً وقائداً وناصراً ودليلاً وعيناً حتى تسكنه أرضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً**».

اللهم احفظ المؤمنين بحفظك ووفقهم لما يرضيك عنهم..

اللهم ارفع درجات سيدنا الفقيد الراحل واجعله مع أوليائه الطاهرين محمد صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرين عليهم السلام ﴿**فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ**﴾ (القمر: ٥٥).. وعليك يا أبتاه مني ألف تحية وسلام مشفوعة بالنور والرضوان.





المعلّم العظيم

السيد علي حسين مكي العاملي

أستاذي الكبير! أيها المعلم العظيم!

في ذكرى أربعينك: رأيت من الواجب أن أتحدث بما يليق بمقامك.. أداء لحقك، واعترافاً مني بالجميل لك، وإقراراً مني بأنك كنت في حياتي العلمية وخاصة الفقه والأصول – المحور والأساس.

وحاولتُ أن تكون كلماتي تعبيراً وتجسيداً لما أحمله في نفسي من الإكبار والإجلال والإعظام لك.. ولما أنت عليه مما نعرف عنك.

وما أحببت أن تكون سرداً من التعابير ولا أن تكون بعيدة عن المعنى والمضمون.. ووجدت نفسي وأنا أحاول أن أصل إلى محرابك أو أطرق بابك، فضلاً عن أن أصل إلى عالمك، أني عاجز عن أن أقول فيك ما أريد.. وترددت الكلمات على فمي ولساني حاسراً أن تؤدي حقاً من معروفك، وجميلك عليّ وعلى غيري من تلاميذك ممن علم منك، وعرف عنك، وحارت الكلمات في تجوالها وتطوافها.. وتهاوت بحروفها، فيها بعضاً من القول.. لأن أمثالك بين الناس وفي دنيا الناس رموز للحياة، ورواد للخير، ومصابيح للهدى، ومعين يفيض بالعطاء... وحصرتها في العلم والعلماء.

من هو العالم؟

هل هو يا ترى من يتصف بالعلم؟ ويعقل المعارف؟

أم هو الذي يعرف بكثرة الكتب والمؤلفات، والمقالات والمحاضرات..؟

أم إنه الذي يتردد اسمه في الآفاق.. وله جميل الألقاب والصفات..؟

أم إنه القادر على مجابهة العلماء؟ ومحاورة الحكماء؟

أم إن العالم – في حقيقته وواقعه – صورة أخرى تتميز في جوهرها ومعناها عن هذه الماديات.. بل وحتى المعنويات؟ وعن مثل هذه الأعراض التي تتكيف

بالزمان والمكان، وتتأثر بالمناسبات والمؤثرات، وهي - مع ذلك - عرضة للزيادة والنقصان؟

أسئلة تتردد على كل زمان وإنها محل الاهتمام من المؤمنين الذين يعيشون مسؤولياتهم الدينية باستمرار ويحتاجون للأخذ من العالم.

وحتى لا نقع في خلاف الحقيقة، رأيت أن أعود إلى القرآن الكريم لتحديد هذه الصفة، قال تعالى في محكم كتابه المجيد:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨).

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ١٧-١٨).

فالآيات دليل يعرفنا من هو العالم، فالعالم هو الذي تنطق عنه أعماله الصالحة.. وأوراده الزكية.. وصدقه.. وتقواه.. ومن كان فيه عقل.. ونسك.. وحكمة.. وحياء.. وخشية.

قال الصادق عليه السلام: «**من حرم الخشية، لا يكون عالماً وإن شق الشعر في متشابهات العلم..**»[1]، فالعالم أو العلماء في حقيقتهم، أو في حقيقته، من كان متمحضاً لله، في كل أموره.. وعارفاً بالله بأسمائه وصفاته وأفعاله، معرفة تامة، تطمئن بها قلوبهم، وتظهر آثارها في أقوالهم وأفعالهم، وتكون دائماً مطابقة للحق.. ومن بذل علمه لله لا يبتغي إلّا وجه الله واليوم الآخر.

هذا هو العالم بالمفهوم الأخلاقي، وبالمفهوم الشرعي، الذي يستفاد من القرآن والسنة، ويكون وسيلة لبراءة الذمة من كل مسؤولية وتكليف شرعي بين يدي الله.. عند الرجوع إليه.

(١) البحار: ٢/ ٥٢، طبعة بيروت.

دور العالم:

أما دور العالم فهو دور مهم وخطير جداً.

مسؤولية العالم أضخم من أن تحد، أو توضع في إطار.

مسؤولية عبؤها ثقيل.. وتبعتها خطيرة.. مسؤولية تتجسد في أنه هو الذي يجعل الناس يعيشون الواقع، أو يبتعدون عنه، مسؤولية تجعل الناس في قرب من الله أو بعد عنه.. مسؤولية السعادة الدنيوية والأخروية للناس.. أو الشقاء الدنيوي والأخروي للناس.. إنه يتدخل في شؤون وحياة الناس تدخلاً مباشراً.. من حيث تحديد المسؤولية الشرعية!

ولقد أشار القرآن الكريم إلى واقع هذا الدور للعالم، والى مسؤوليته اتجاه العباد، قال تعالى:

﴿مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً...﴾ (المائدة: ٣٢). وورد في تفسيرها: من أخرجها من ضلال إلى هدى، فقد أحياها.. ومن أخرجها من هدى إلى ضلال؛ فقد – والله – أماتها[١].

والسنة – أيضاً – أشارت إلى هذا الدور: فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: «**يقال للعابد يوم القيامة نعم الرجل كنت؛ همتك ذات نفسك، وكفيت الناس مؤونتك، فادخل الجنة، إلّا أن الفقيه من أفاض على الناس خيره، وأنقذهم من أعدائهم ووفر عليهم جنان الله، وحصل لهم رضوان الله...**»[٢].

وعن الباقر عليه السلام: «**العالم كمن معه شمعة تضيء للناس، فكل من أبصر شمعته دعا له بالخير، كذلك العالم مع شمعته تزيل ظلمة الجهل والحيرة، فكل**

(١) البحار: ٢/ ١٦.

(٢) البحار: ٢/ ٥-٦.

من أضاءت له، فخرج بها من حيرة، أو نجا بها من جهل، فهو من عتقائه من النار....»[١].

وأوحى الله إلى موسى عليه السلام: «**حببني إلى خلقي، وحبب خلقي إليّ، قال: يا رب، كيف أفعل؟ قال: ذكرهم آلائي ونعمائي ليحبوني، فلإن ترد آبقاً عن بابي، أو ضالاً عن فنائي، أفضل لك من عبادة مائة سنة، بصيام نهارها وقيام ليلها.. قال موسى: ومن هذا العبد الآبق منك؟ قال: العاصي المتمرد.. قال: فمن الضال عن فنائك؟ قال: الجاهل بإمام زمانه، تعرفه، والغائب عنه بعد ما عرفه الجاهل بشريعة دينه، تعرفه شريعته وما يعبد به ربه، ويتوصل به إلى مرضاته**»[٢].

هذه هي مسؤولية العالم ودوره.. وإذا كانت هذه مسؤوليته ودوره، فلابد من الإطلالة على بعض أوصافه.

بعض أوصاف العالم:

العالم هو العقل النيّر.. والقلب الكبير.. والروح العالية.. والنفس الطاهرة.. والقدسية السامية.. والتجرد المطلق.. والمعين الفياض.. والعلم الزاخر.. والأدب الحاضر.. وتنصهر فيه فوق ذلك، هو مجموعة من الصفات، ومجموعة من المزايا، ومجموعة من المواهب، يلتقي بعضها مع بعض، وكأنها في سباق!

فترى فيه الإيمان، والتقوى، قد غارا في جنانه، وتشيدت بهما أركانه، وترى فيه الحق والعدل عاشا في كيانه، وذابا في وجدانه، وترى فيه الحزم والعزم قد توشحت بهما روحه، وقوي بهما قلبه.. وترى فيه الصدق والأمانة قد زكت فيهما أقواله، وحسنت بهما أفعاله.. وترى فيه الحب والإخلاص ارتبط بهما فؤاده،

(١) البحار: ٢/ ٤.

(٢) المصدر السابق نفسه.

وخشعت بهما نفسه.

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**ألا أخبركم بالفقيه، حق الفقيه؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين، قال: من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره..**»[1].

هذا غيض من فيض عن العالم.. ومن هو.. وما هي مسؤوليته ودوره..

مسؤولية كبيرة وخطيرة.. ولذلك يجب أن يراعي الحذر والاحتياط في نفسه، وفي مواقفه، في القرارات التي يتخذها، والأحكام التي يطلقها، والفتاوى التي يفتيها، وأن يتأمل في كل صغيرة وكبيرة تعرض عليه.. ويتبصر في كل وضع يرد عليه، وإلّا كان على خطر عظيم.. لأن شؤون العباد أمانة خطيرة لا يمكن أن توضع إلّا في عهدة من كانت له المقدرة، والأمانة على القيام بالمسؤولية، وله المعرفة الكاملة بشؤون الإنسانية.. فالبشر عباد الله وأمانته في هذه الحياة، والأحكام أحكام الله للعباد، شرعها لصلاحهم وانتظام أمورهم، وما يقربهم إلى الله زلفى.. وليس لأحد أن يتدخل في هذا الأمر، وفي شؤون العباد، ويتحمل ثقل هذه الأمانة من دون أن يسند إليه هذا الدور، ويكون مرخصاً في ذلك.

ولقد حرص النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام من العهود الأولى، على أن يجعلوا هذه المسؤولية في عهدة أشخاص معنيين معينين، ممن توفرت فيهم أوصاف العالم.. من: الإيمان، والوثاقة، والعدالة، والتقوى، والورع، والصدق، والأمانة، والصبر، والحلم، والرفق، واللين، والرحمة، والإخلاص.

قال الصادق عليه السلام: «**لا تحل الفتيا لمن لا يستفتي من الله عز وجل، بصفاء سره، وإخلاص عمله وعلانيته، وبرهان من ربه في كل حال، لأنّ من أفتى، فقد حكم، والحكم لا يصح إلّا بإذن من الله، وبرهانه، ومن حكم بالخبر بلا معاينة،**

(١) البحار: ٢/ ٤٨.

فهو جاهل مأخوذ بجهله، مأثوم بحكمه»[١].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «**أجرؤكم على الفتيا (بالفتيا) أجرؤكم على الله عز وجل، أوَلا يعلم المفتي أنه هو الذي يدخل بين الله تعالى وبين عباده.. وهو الحاجز بين الجنة والنار**»[٢].

لأجل هذا يجب الحذر والاحتياط من العالم، وخاصة في الفتيا وفي غيرها.. مما يتعلق بشؤون العباد، وأن يبتعد عن الأهواء والشهوات والمطامع.

ورد في الحديث: «**الفقهاء أمناء الرسل، ما لم يدخلوا في الدنيا..**»[٣].

والآن ونحن في مقام الذكرى لك.. أيها المعلم الكبير، والأستاذ العظيم، أكرر محاولتي لأقول فيك، ما يجعلني مطمئناً إلى أني قد أديت حقاً من حقوقك، وإن كنت لا أستطيع... لأنك ما أعطيت لتأخذ.. ولذلك ستبقى أبعد من حدودنا في عطائك.. ورغباتنا في ثنائك.. وإذا كانت كلماتي لا تصل إلى عالمك، ولا تعبر إلى محرابك، ولا تعبر عما يجب أن يقال فيك، فسأقول ما هو في حدودي أنا.. وسأكرر ما قلته فيك يوم وفاتك.

لقد جئت إلى الدنيا، وجاءت معك الحياة.. والرجال العظام هم الذين يهبون الدنيا الحياة.. لذلك فأنت غني عن التعريف.

غني عن التعريف في فضلك، وغني عن التعريف في تقواك، وغني عن التعريف في ورعك، وغني عن التعريف في علمك، وغني عن التعريف في مواقفك، وغني عن التعريف في جهادك، في جهادك كنت من الذين جاهدوا في الله حق جهاده.. وليس من الضروري أن يكون الجهاد بالمواجهة، والمجابهة

(١) انظر: البحار: ٢/ ١٢٠؛ مصباح الشريعة: ١٦.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) البحار: ٢/ ٢٦ و١١٠.

المسلحة مع العدو، فالجهاد بالكلمة الحقة، وبالعزيمة الصلبة، وبالتصميم القوي، أعظم الجهاد.. ولقد انتصرت في كلمتك، وانتصرت في مواقفك، حيث لم يستطع عدوك أن يحقق ما يريد، وأنت نصرت الله في دينك.. والله تعالى نصرك، حيث يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا الله يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ (محمد: ٧).

وفي علمك كنت الرجل الواسع، الذي شهد له كل عالم بالفضل.. ويكفي أن من تخرج على يديك من العلماء كانوا – ولا يزالون – حلقة متواصلة في كل مكان، وحركة مستمرة في العطاء والإفادة، وبقي معهم فكرك.. وبقيت معهم آراؤك وإفاداتك.. كان همك أن تبقى النجف، بصرحها الضخم، قائمة متحركة.. فآثرت البقاء فيها لتبقى النجف بالرغم مما عانيت، من أذى وضيق، وحرصت على استمرارية الدرس فيها، فلازمت مسجدك الذي هو مَدْرَسَكَ، للدرس والعطاء، لم يثنك عن ذلك مرض ولا تعب ولا شيخوخة.

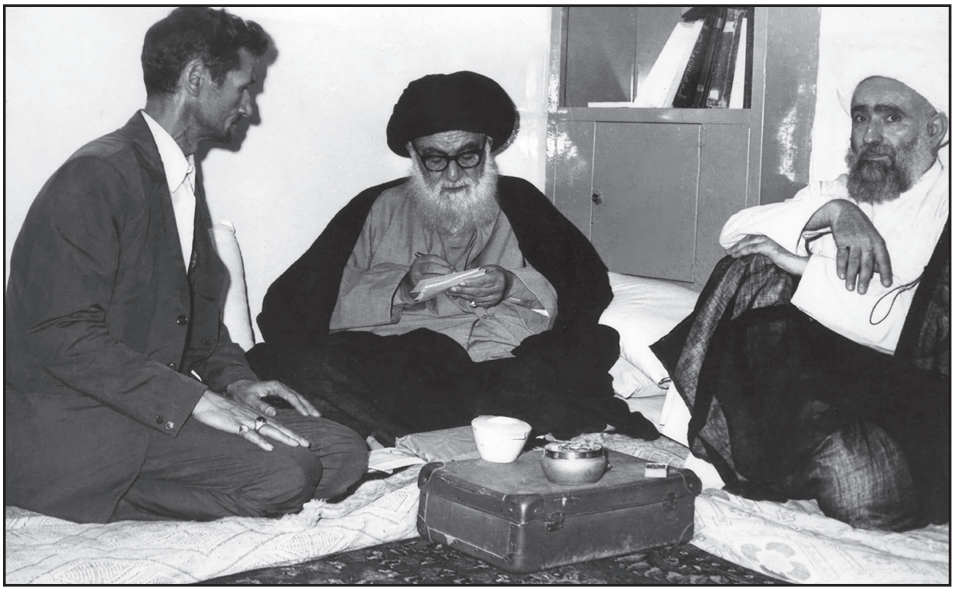
وبرغم هذا كله بقيت تتحمل المسؤولية، بالنسبة للمسلمين في أقطار الأرض، فكنت معهم في كل حادثة وفي كل مناسبة مهمة، بالصغير والكبير.. ورعيت الجميع في كل مكان، في كل ما يمكن أن يصل إليه نشاطك، واهتمامك، فتلك مؤسساتك في أكثر من مكان تحكي رعايتك، وعنايتك، وحرصك على الخير والنفع العام... ومددت يدك بالعطاء لكل أحد بسخاء وسماحة، وفتحت قلبك لكل أحد، بحنان ورأفة.. بحنان الأب ورأفته ومودته.. وكنت في حياتك متواضعاً، وزاهداً؛ لأنك لم تر لها ظلاً مقيماً، ولا عزاً مستدياً.. ورأيت أن الإنسان فيها يسير حثيثاً حثيثاً إلى الموت.. وأنك إلى ربك صائر.. فكان زادك من هذه الدنيا الفضائل، والمكارم، والعلم، والتقوى، حتى ارتفعت بها علماً عظيماً كريماً: ﴿**يَرْفَعْ الله الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ...**﴾ (المجادلة: ١١).

وارتحلت إلى ربك بعد أن أديت ما عليك، ورعيت ما حفظت واستحفظت، صادقاً مخلصاً أميناً وفياً صابراً محتسباً، وفي كتاب الله عنوانك وجزاؤك: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ...**﴾ (فاطر: ٢٨).

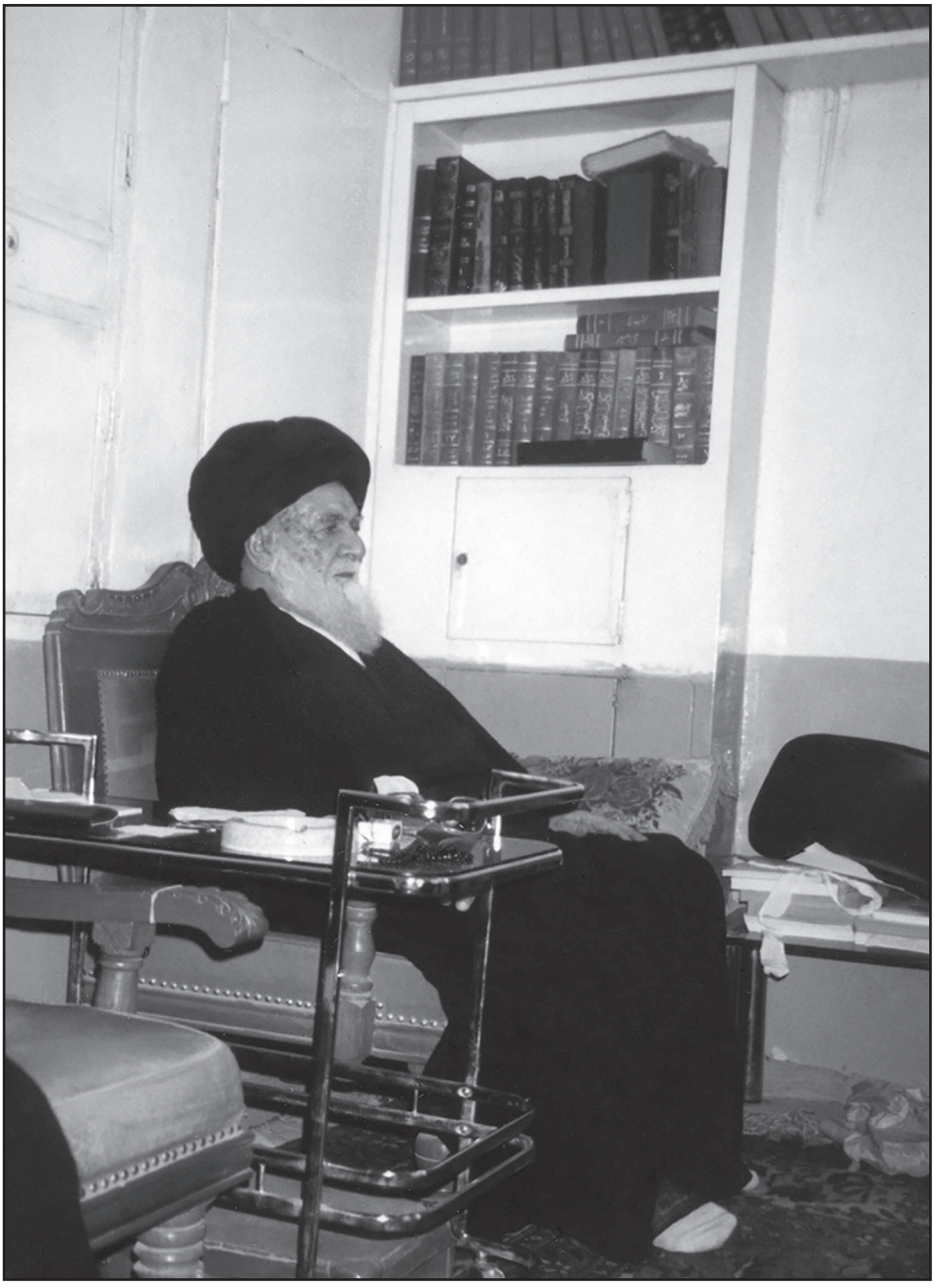
وقال تعالى: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (القصص: ٨٣).

فرحمك الله، وأعظم أجرك، ولا أحرمنا ثوابك.

دمشق - حي الأمين



الإمام السيد الخوئي قدس سره في مجلسه اليومي أثناء تدوين بعض الفتاوى الفقهية



سماحة السيد أبي القاسم الخوئي قدّس في كهولته



دمعة ولد على والد

الشيخ عبد الله الخنيزي

إن اللسان لعلى جسة – في جلل الرزء وعظيم الفادح – فلا يقوى على بيان ليترجم عما في القلب بما فيه من وجيب ورجفان.

وهاتن قاني الدموع مهما وكف فلا يبرد لهبةً، ومن قيد على فوران وغليان!

ولـولا دموعي لاحترقتُ من الجوى ولولا الجوى كنتُ الغريق من الدمع

وذاك وهـذا يحـولان عن النطق والتعبير ليبقى الأسـى ينهش، والحزن يعصف، والألم يرنح، والوجع يطول، فلا تنفيس عن شـيء من ذلك.. ولا ترويح، إلّا حينما نثوب إلى سجسج ظلال القرآن الكريم: ﴿**إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ (البقرة: ١٥٦)، لقد قلت لكم أمس وأنا أنظر صورته التي تمثل شخصه المجسد في قلبي وضميري، إني لا أنظر إليه من جانب نواحيه العلمية وهي على وفر وفير، ولا لعطائه الثر وهو غير مقدور أن يجعل تحت الحصـر في عجالة كهذه وكلها معروفة ومشهورة ومعلومة.. وكل واحدة منها تفرض على المنصف أن ينظر إليه بإكبار وإعجاب.

فثرّ العطاء على جميع الأصعدة وكأنه الشمس يصل إشعاعها الحياتي لكل جزء من أجزاء الوجود، وهو عنصـر الحياة الدائم، قلت: إني وإن كانت نظرتي لهذه الجوانب المعطاءة تفرض عليّ إكبارها وتقديسها وأنا الذي أعلم ببعضها من انبثاق الوجود أو هي بعد فكرة مختمرة لم تدب لها بعد الحياة.

ولكن لي نظرة خاصة بي هي التي اعتصـرت مني الفؤاد، فأدمته، وتكسـرت في الصدر فحشـرجته، وتجمدت في العين فلم تطق الإبصار، لولا أن أسعفها هامي الدمع!

العلقة الخاصة به – عليه رضوان ربه – هي التي عصفت بكياني وهزت مني الوجدان وغمرتني بموج الألم النفسـي وهو على عمق عميق بل والجسدي

حيث سرت الرعشة في رجلي منذ صك سمعي نبأ الصاعقة وكأنه اهتزاز لا قوة معه على ثبات أو قرار.

علقة ولد أقولها معتزاً، علقة ولد بار بوالد حدب وهو - نضَّر الله تربته - لم يبخل أو يضنّ بهذه الأبوة. لقد قلت له: إني لا أعتبر نفسي إلّا ابناً لك.. لأزيل كل الحواجز فيما يشرفني وما ينيط به إليّ من أمور.. فماذا كان أن أتلقى جوابه؟ إنه الجواب العملي وقد ترجمه بما يشبه اللفظ: وهل وجدتني أعتبرك غير ولد؟ ولا أريد أن أزيد على هذا.. فهناك ما هو أعمق.

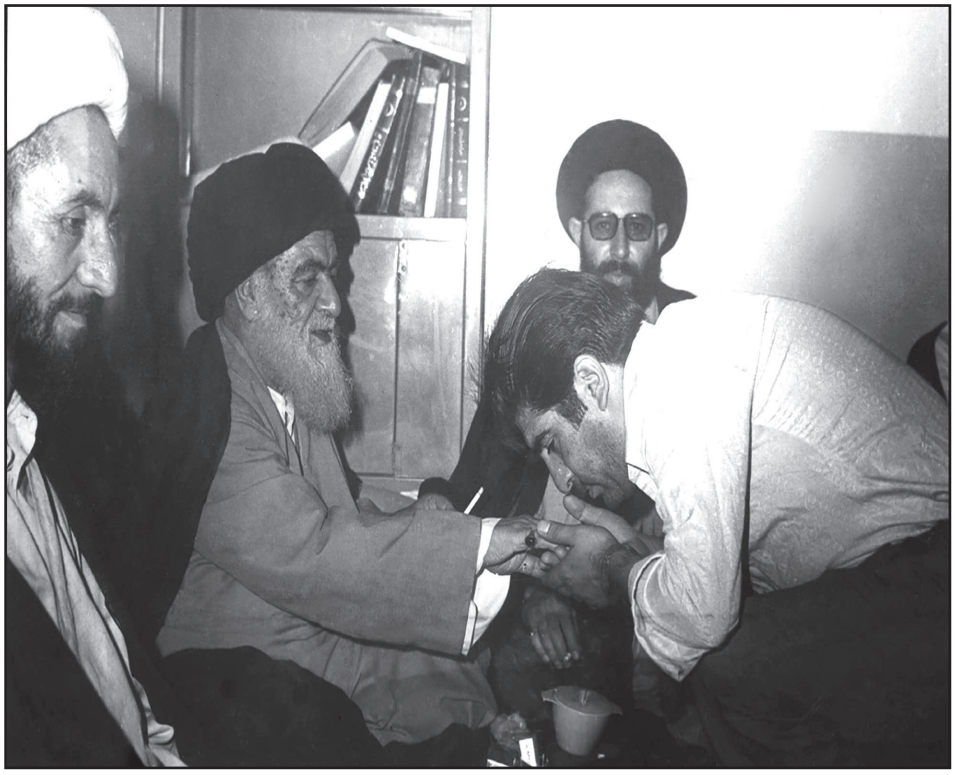
ذكريات عشر من السنين وبضعة من الشهور اغترف من بحر معارفه وأنتهل من ثر عطائه وأعيش حنانه وأتشرف بتقديره ورعايته وتشجيعه وثنائه مما أتصاغر عندما أسمع منه تلك الكلمات.

ودعته عند عودتي للوطن بقصد الزيارة ويداي تطبقان على كفه المعطاءة وهو يقرأ علي دعاء السفر، ويسألني عن مدى فترة غيابي.. فأجيبه: إنها شهر، إن تشرفت بالعمرة وزيارة النبي الأقدس وآله الطهر عليهم صلوات الله، وإلّا فأقل.. فألثم أنامله الشريفة بعد أن زودني بدعواته.

ودعته وأنا لا أعلم أن ذلك هو الوداع الأخير وأنها آخر نظرة تحتضن عيناي فيها شخصه الكريم.. كم كنت أمني الفؤاد أن يتجدد اللقاء وقد ناب عنه في بعض السنين أن أسمع صوته الحنون خلال سلك الهاتف.. وأن أمتع العين بعواطفه ودعواته تنبض بها سطور الرسالة التي تذيل بخاتمه الشريف، حيث أعلم أن يده الكريمة قد لامست تلك الورقة وعينه قد أحاطت بما احتوته من سطور.

ولكن كل هذا قد اختفى إلى الأبد، كل هذا قد ضاع وافتقد... فمتى الملتقى وقد ضاع الأمل والمنى وتحطمت الرجاوات الحلوة وتبعثرت الآمال الخميلة؟

ولا أدري بعد هذا ماذا أقول؟ فقد حان أن أطوي الحديث اللاهث وأخفي الحشرجة المتكسرة ليبقى وجيب القلب على خفقان وهتو... الدمع يهوي على انسكاب... ونستعين بـ ﴿إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦).



الإمام السيد الخوئي قدّس سرّه في مجلسه اليومي وهو يستقبل الزوار والمحبين



أستاذ الحوزات العلمية

الدكتور السيد مصطفى جمال الدين

كلمتي إليكم أيها المؤمنون ليست عزاء نعي لتخفيف هذه المصيبة بمقدار ما هي وفاء من تلميذ لأستاذه الذي أسأل الله تعالى لي ولجميع المؤمنين الصبر على هذا المصاب الجلل، وأن يجعلنا من هؤلاء الصابرين الذين يتلقون بخشوع وإيمان مصيبتنا الكبرى بفقد هذا المرجع الديني الكبير أستاذ الحوزات العلمية، في جميع معاقل مدرسة أهل البيت عليهم السلام في أقطار العالم الإسلامية، آية الله العظمى السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره الذي بذل الوافر من جهده في ثلاث وتسعين من مسيرته الطويلة لإعلاء كلمة الله في الأرض، نعم في كل بقاع المعمورة التي شملها بنتاج جهده العظيم، فلا تكاد تخلو أرض الله الواسعة من أمريكا حتى الفلبين من غرس يعود إليه ثمره، ونبع يفيض بفكره زلاله وما تزال مدرسة جامع الخضراء أكثر من خمسين عاماً تستقبل من أقطار هذه الدنيا الشاسعة نابغة أجيالها ومختلف لغاتها ثم تعيدها – بعد سنوات الجهد والبحث – إلى أصلها الأصيل وقد زهت وربت وانبتت من كل زوج بهيج، ولقد أحصى بعض أساتذتنا الكرام ما يقرب من أربعمائة مجتهد في إيران وحدها وكلهم تخرج في مدرسة هذا الإمام العظيم، ناهيك بمن تخرج في هذه المدرسة من أقطار الهند وباكستان وأندونيسيا والجزيرة العربية والبحرين وسوريا ولبنان وغيرها من بقاع الدنيا.

وأنا إذ أدعي بملء فمي متحملاً مسؤولية ذلك أنه لا يوجد مسجد أو إمام يتحمل هداية المسلمين على مذهب أهل البيت عليهم السلام لم ينتفع بعلم هذا الفقيد انتفاعاً مباشراً بالتلمذة عليه، أو بالواسطة على من تلمذ عليه، ولم يصادف في تاريخ مذهب أهل البيت على مر العصور أن كان مثل هذا العدد الوافر من المرشدين تخرج بمرجع ديني واحد غير شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي وزعيم الحوزة العلمية أبي القاسم الخوئي قدس سره، ليس معنى ذلك إنه لم يمر في تاريخ الشيعة الإمامية علماء أفذاذ كان لهم أكبر الأثر في صقل المذهب وعقائده

أمثال السيد المرتضى والعلامة الحلي والمحققين والمجلسي والوحيد البهبهاني، وصاحب الحدائق وصاحب الجواهر والشيخ الأنصاري، والأخوند وأستاذيه الأصفهاني والنائيني وغيرهم من مصابيح هذه الأمة، الذين كان لهم الأثر العظيم في إعداد سيدنا الأستاذ وصقل مواهبه ونضوج مدرسته، بل ما أردت قوله هو: إن الظروف التي تهيأت لمدرستي شيخ الطائفة وزعيم الحوزة كان لها من السعة والانتشار ما لم يتهيأ مثله في أكثر الظروف والأدوار التي مرت على مدرسة أهل البيت عليهم السلام حتى قيل: إنه لم ينبغ بعد الشيخ الطوسي - ولعله تهييباً له - من يرجع إليه إلّا بعد مائة عام من وفاته، أي في زمن محمّد بن إدريس الحلي، وأحسب أنه لن يتحقق في وقت قصير لزعامة الحوزة العلمية من يملأ مكان السيد الخوئي قدس سره جهداً مثابراً وعملاً متواصلاً ووفرة في الإنتاج.

كان سيدنا الأستاذ يبذل كل جهده في إعداد الأجيال المتعاقبة من حضّار بحثه الفقهي والأصولي والإشراف بنفسه على ما يكتبه طلابه من أمالي بحثه التي سميت بـ «التقريرات» حتى بلغ المطبوع منها فقهاً وأصولاً أكثر من خمسين تقريراً يتجاوز بعضها المجلدات.

وقد أنفق السنوات الطوال من عمره الشريف يقوم بثلاثة بحوث - دروس - في اليوم الواحد بحث في الفقه صباحاً، وبحث في الأصول مساء، وبحث بينهما للخاصة من طلاب حوزته المتقدمين، ولا أزال أتذكر أنه لم يشأ أن يجعل عطلته الأسبوعية في الخميس والجمعة وقتاً للراحة بل انصرف لشغلهما ببحث رابع في التفسير الذي طبعت منه المقدمة الرائعة في أصول التفسير وعلوم القرآن (البيان).

مضاف إلى ذلك إنه كان يرى وجوب الاجتهاد في معرفة الرجال، فبذل قصارى جهده مسخراً له مجموعة من متقدمي طلابه لإخراج موسوعته الرائعة

(معجم رجال الحديث) في أربعة وعشرين مجلداً، وكان – نور الله ضريحه – يقوم بنفسه حتى لتصحيح ملازم الكتب التي يطبعها.

وفي أواخر سنوات عمره الشريف ابتلي بهذا الطاغوت المتربع على قلب العراق، فكان التخطيط الطائفي الغاشم لإذابة الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وتبديد العناصر الوافدة من بقاع الأرض المترامية الأطراف لهذا المنهل العذب، فأبى زعيم الحوزة أن يغادر عرين مرجعيته الخالدة وبقي حيث ضويق أتباعه وطلابه في نفر قليل من الصامدين يكافح ليل نهار ليحفظ شموع الحوزة العلمية في جامعة النجف من لفح أعاصير الدكتاتورية الطائفية، حتى إذا رأى الجماهير المؤمنة غاضبة للإطاحة بالدكتاتورية نظم انتفاضتها الرائعة حرصاً على إنقاذ قبس الإسلام من هذه الحوزة الدينية.

وكان ما تعرفون من عسف الدكتاتور به وبأبنائه وبالكادر الذي يدير أمور مرجعيته وكانت هذه الوقفة الكريمة التي وقفها هذا المرجع الديني الأصيل تحمل الرد المفحم على منتقدي سياسة هذا الإمام العظيم في العشرين سنة الماضية، تغمد الله الفقيد العظيم برحمته ورضوانه وجعل من بركات جده ولهب أنفاسه وهو في ضيق سجنه الكبير نبراساً لأجيال مدرسة أهل البيت عليهم السلام بنوره تهتدي وبعرقه تواصل المسيرة وبإخلاصه لله تحفظ ما بقي لهذه الأمة من آمال، و﴿**إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ (البقرة: ١٥٦).



الإمام الخوئي علامة بارزة

في آفاقنا العلمية

الدكتور الشيخ أحمد الوائلي

منذ أمد بعيد والعزم يراودني على الكتابة في بعض المواضيع التي تتعلق بكتاب الله المجيد وكلما شحذت عزمي ودنوت إلى الموضوع رجعت والرهبة تملؤني مع أني في مسيرة ليست قصيرة أنهل من عطائه في حدود قدراتي المتواضعة، وكم من مرة دفعتني عزيمتي على تناول بعض ما يتصل بالشيعة من المواضيع القرآنية التي نتعرض معها إلى بعض الحملات الظالمة والأقلام غير المسؤولة، والتي أتفاعل معها بصورة مستجدة عندما أستعرض آي من كتاب الله عزت قدرته وأشرح ما ورد فيها من المضامين في بعض محاضراتي، ولكني أعود للتهيب لإدراكي ضخامة المهمة وما تحتاجه من قدرات لا تتأتى إلّا للأساطين والعمالقة، غير أن الذي شجعني على ولوج بعض المداخل ذات الصلة بما استفاده أوعية العلم القرآني للوصول إلى ما أفادوه وفهم ما دونوه، اعتقادي بأن ما أملكه من قدرة في حدودها الضيقة مشمولة بالدعوة للتدبير في القرآن الكريم؛ لأنه كتاب الله تعالى للإنسانية، يفيض على كل قابل بما يمل من قدرة وأدوات وما هو مفروض من جواز الأخذ بظواهر الكتاب الذي هو كتاب عربي، لكي يصل إلى فهم مفرداته وجمله، من عرف اللغة وما يتصل بها من أبعاد، كل هذا دفعني لولوج هذا الباب مستعيناً برحمة الله تعالى ومسترفدا كرمه بأن يسددني في القول، فمنه كل خير وعطاء وعليه التوكل في كل مهم.

المنفذ الذي ألتمسه هنا هو الطريق إلى إخطار مجموعة من أساطين التفسير للتعرف على ما اعتبروه وسيلة لإلقاء الضوء على الأسس التي لابد من فهمها لتوقف كثير من المضامين القرآنية عليها، سواء في الأحكام أو العقائد وقد اعتاد العلماء على وضعها في مقدمة التفاسير لتحقيق الهدف المذكور، وبالتالي للتعرف على مكانة فكر الخوئي قدس سره من هذا الحقل من حقول المعرفة الذي هو أجلها وأكرمها، ومن البداهة بمكان إن هذا المضمار يعرف به السابق من اللاحق، ويتم الكشف فيه عن الوثبات الذهنية خصوصاً مع وحدة الملامح والموسوعية

سيما مع وحدة ما عالجوا مضامينه من عناوين، وقد أخذنا بعين الاعتبار وحدة الزمن عند شريحتين منهم حتى لا يقال إن التفاوت بالزمن له دخل في تنوع وعمق المعلومات، وذلك بالإضافة إلى أن معظم المواضيع التي عولجت ليست من النوع الذي للزمن دخل في طبيعة معالجته من حيث العمق والثروة الفكرية.

ومن الواضح إن الشرائح التي توخيت مقارنتها بما كتبه السيد في البيان هي شرائح منتقاة ومختارة ومراعى فيها النخبة من حيث القدرات العلمية والمهارات المكتبية في حقل القرآن الكريم، والتضلع بالفنون ذات الصلة به، حتى لا تظلم مكانة السيد عن طريق حشره مع من ليس من فرسان هذا الميدان، خصوصاً وهذا المورد قد ازدحم عليه الكثير ممن تتفاوت قدراتهم ومكانتهم في التأهل لمثل هذا العمل، وقد كان من الأولى بمن لا يملكون القوادم وما يزال جناحهم في فترة الزغب أن لا يجشموا أنفسهم عناء التحليق إلى هذه القمة التي تكبر على إمكاناتهم والتي قد ينتهون معها إلى ظلم أنفسهم بتحميلها ما لا تطيق، أو ظلم الكتاب بإخضاعه إلى قدرات بدائية يتعبها هذا التطلع.

وكان أن اخترت شريحتين من المفسرين بينهما زمن فاصل ليس بالقليل ومن أهداف هذا الاختيار التعرف على الفوارق إن وجدت بين العصرين، ثم بين رفقاء العصر الواحد الذي ينتمي السيد إلى فضيلتهم، أما الشريحة الأولى فتتكون من الفخر الرازي صاحب مفاتيح الغيب، والقرطبي صاحب جامع البيان، والطبرسي صاحب مجمع البيان، وهم من مختلف فرق المسلمين، وأما الشريحة الثانية فهم كل من الآلوسي صاحب روح المعاني، والطباطبائي صاحب الميزان، والسبزواري صاحب مواهب الرحمن، وأفراد كل شريحة من عصر واحد والتفاوت قليل بينهم في الزمن، والذي اخترته من مقتطفات مما كتبوه، نموذجان: الأول: المقدمات التي جعلوها توطئة للدخول إلى صلب

موضوع التفسير والتي اعتبروها أموراً لابد من فهمها قبل المرور بمضامين القرآن، عالجوه على سبيل المقدمة باعتباره عنواناً رئيساً، أما الباقي فهو سيمر ضمن معالجتهم التفسيرية، ومن البديهي – كما أسلفت – إننا سنلمح التفاوت في القدرات من خلال استعراض ذلك، والنموذج الثاني: تفسير آية البسملة وما استظهروه في ذلك من عطاء هذه الآية الكريمة، ويعطف على سالفة فيما أشرت إليه من إظهار القدرات عندهم، وسعة المجهود فيما استفادوه منها، وكان كل ذلك في عملية تلخيص شديدة نظراً لسعة ما كتبوه في بعض المضامين مما يخرج عن نطاق هذا البحث الذي حرصنا على أن يكون على نحو الفهرست المختصر، على أن يحقق الهدف المطلوب، أعني إبراز مكانة السيد التفسيرية.

أمران هامان ولابد من الإشارة إليهما قبل الدخول بصلب الموضوع وذلك لاتصالهما بمن كتب وبما كتب:

أ. **فالأمر الأول**: بركة الوقت عند الإمام الخوئي قدس سره، فقد كنت أسمع من مختلف حملة العلم قولهم إن فلاناً قد بارك الله تعالى له في وقته، فلا يتضح لهذا القول معنى واضح في ذهني، وأتساءل ما معنى بركة الوقت عند بعض دون بعض والزمن أجزاء متساوية ومحدودة بالنسبة للجميع، ولكن مع الزمن بدأ يتضح لي أنها الإفاضة منه تعالى على القابل بقدر سعته، وهو عز وجل لا بخل في ساحته ولكنها مساحة القابل، وهذه الظاهرة تبدو وبشكل واضح في حياة كثير من علمائنا الذي لو حسبنا أعمارهم وقسمنا ما أنتجوه على سني حياتهم، بالإضافة إلى ممارساتهم من حيث شؤونهم الخاصة ومن حيث إفادتهم واستفادتهم في الأمور العلمية لاتضح لنا معنى البركة في الوقت، والأدلة على ذلك واضحة في الشيخ المفيد والشيخ الطوسي والعلامة الحلي وأضرابهم، ممن أغنى الساحة العلمية وأثراها بالنتاج الضخم كماً وكيفاً، إن ذلك مما لا نكاد نراه عند الكثير ممن يتصدى للإنتاج، وبوسع الكاتب أن

يكتب وهو مطمئن إلى أن السيد الخوئيﷺ يعد في الرعيل المنتج، الذي هو علامة عاتقه من بواكر حياته ومشت معه حتى وفد على الله تعالى، لقد مرت عليه السنين مثقلة بالإفادة والاستفادة وقاد حوزة علمية من خيرة الفضلاء منذ أيامه الأولى فكان يكتب بالأذهان، ويكتب على الطروس فكتابته بالأذهان تتمثل فيما خرج من تلاميذ نجباء رباهم وغذاهم من مختلف صنوف المعرفة: عقائد، وأصول، وفقه، وتاريخ، وسير، وتفسير وهكذا وبقليل من الالتفات لبحث السيد الخوئيﷺ (الخارج) وعدد من يحضره ونوعياتهم ندرك مقدار الجهد الذي كان يبذل وحجم المعلومات التي تؤلف المادة العلمية، فالبحث يشتمل على تحضير النصوص وحفظها وعرض النظريات ومناقشتها، ثم الانتهاء إلى إقرارها أو رفضها، كما إن نوعية حضار البحث وهم عادة بالجملة فئة فاضلة وموهوبة، يضاعف حجم المهمة حيث يكثر السؤال وتتسع المناقشة حتى يولد مولود فكري جديد من جراء ذلك.

ولا يقف الأمر عند ذلك بل يعرض بعد ذلك ما سجل من البحث، التقريرات عليه ولإقرار أو حذف بعض ما ورد فيه، فالبحث إذن إعداد قبل الشروع فيه، ومناقشته أثناء الشروع وإشراف على الخلاصة بعد ذلك، كل هذا في خط الدروس والتدريس، فإذا رجعنا إلى المرجعية وأعبائها التي لا يعرفها إلّا من يعيش قريباً من أجوائها فسندرك حجم الجهد؛ ذلك أن العلماء في آفاق الشيعة الاجتماعية: جهابذة فتيا، لتغطية الحاجة إلى الأحكام الشرعية والإجابة عن الاستفتاءات، ومدرسون لطلاب الحوزة على صورتين منهجية خلال التدريس، وعامة في سائر أحوالهم، وقضاة للفصل في الخصومات، ومصلحون لحل المشاكل الاجتماعية، وآباء يمسحون جراح أسرتهم الكبيرة، ورصيد مذخور لسد حاجة ذوي الحاجات، فيفترض فيهم أنهم صندوق ضمان لذوي

الخصاصة سواء كانوا في عسر أم يسر، ولعل ما ذكرته لا يؤلف كل فعالياتهم، فهناك الكثير الكثير المطلوب منهم في مختلف المجالات فبعد هذا ليس معجزة أن يتسع وقتهم لإنجاز عمل علمي يتصف بالغزارة حجماً ومضموناً، إننا نعرف إن الجامعات تؤلف لجاناً ومجاميع من العلماء للتوفر على إنتاج موسوعة علمية في حقل من حقول المعرفة، ولكننا نرى الجوامع تصنع الرجل الموسوعة الذي يقوم وحده وبإمكانات محدودة بعمل تعجز عنه الجماعة، والشواهد على ذلك كثيرة.

وبنظرة خاطفة يمكننا التعرف على الأبعاد التي ولجها الإمام الخوئي قدس سره: فمعجم رجال الحديث ومباحث الأصول المتمثلة في تعليقته على ما أفاده الميرزا النائيني قدس سره، وما كتب بخط تلاميذ الخوئي قدس سره: الكوكبي، والفياض، والزنجاني وغيرهم، والبحوث الفقهية المتمثلة في أقلام تلاميذه كالشاهرودي وغيره، وفي مباني المنهاج ومستند العروة الوثقى، عدا الرسائل العلمية والملحقات المتمثلة في المسائل والردود ومستحدثات المسائل، ثم البحوث الفلسفية والكلامية التي سجل السيد لمعاً منها في كتاب (البيان) وغطت معظم البحوث التي خاضها في هذا الكتاب، كل ذلك الذي كان السيد يمنح فيه من نبع لا ينضب يدل على استيعاب وهضم لهذه المعارف وقدرة على الإفادة منها، وتنوع يتصف بالشمولية، ذلك ما يكشف عن معنى الوقت المبارك فيه والذهن الذي منح القدرة على تجاوز الكل، أما الخوئي قدس سره المفسر فهو ما سأتناول إن شاء الله تعالى طرفاً منه.

ب. **الأمر الثاني**: تأكيد السيد في المقدمة على عناوين معينة أكثر من غيرها سأشير إليها، وقبل ذلك أقول: إن كتاب (البيان) درسناه في كلية الفقه – مرحلة بكالوريوس – كمفردة من مفردات المنهج وكان مدرسنا فيه حجة الإسلام التقي الإيرواني مد الله في عمره، وكنت أثناء الدراسة أتساءل

في داخل نفسي عن سر تركيز السيد على عناوين خاصة دون أخرى كنت أتصور أنها أولى بالبحث مثل مذاهب التفسير، أو تصنيف المضمون القرآني إلى حقوله المتنوعة، أو الدعوة إلى توفر ذوي التخصص في العلوم المختلفة على تناول المواضيع التي تتصل بهم وهكذا، وكان سؤال هل إن السيد يتناول ذلك خلال مسيرته في التفسير التي انقطعت مع الأسف الشديد ولم يتسنَّ لها الاستمرار أم ماذا؟ ولقد سألته قدس سره ذات يوم في ديوانه عن سر انصرافه إلى معجم رجال الحديث دون إتمام التفسير، وفهمت من جوابه أن بحث رجال الحديث لاتصاله الوثيق بالمضمون الفقهي يستأثر عنده بأهمية خاصة، خصوصاً وهو يقود الحوزة فقهياً، والحاجة ملحة إلى موضوع المعجم لأمرين: الأول إن الفقه يغطي آيات الأحكام ضمناً باعتبارها مدارك، وثانياً إن باقي مواضيع القرآن الكريم قد كتب فيها الكثير، ثم بعد ذلك وبمرور الوقت عرفت سر تركيز السيد على هذه المواضيع دون غيرها؛ ذلك أنها من نقاط الاحتكاك الشديد بين المذاهب الإسلامية وتشكل قيماً نسبح حولها من مؤاخذات على الشيعة لا وجود لها في الواقع بؤر توتر، وسواء كانت كتابة من كتب الشيعة ناتجة عن شبهة أو قصد سيئ لا سمح الله، أو عن تقليد، فلابد من كشف الحانق وبيان مذاهب الشيعة في ذلك، فمثلاً مما تناوله السيد وأكد عليه حجية ظواهر الكتاب، وتلك مسألة كثر حولها القول ممن رمانا بأننا نصرف القرآن عن ظاهره ونتفرع إلى تفسير باطني وإلى تأويل فاسد، قد دحض السيد هذه الأقوال وأشبع البحث برأينا في ذلك وألمح إلى أنه لو انفرد شخص برأي يمثله هو فلا ينسحب ذلك على أمة بكاملها وآراؤها صريحة في حجية ظواهر الكتاب، ولسنا نتفرد بوجود رأي شاذ فإن كل المذاهب الإسلامية يوجد عندها من يتفرد برأي يخالف المجموع ولا ينسحب ذلك على المذهب كله.

وتعقيباً على إشارة السيدﷺ أذكر نموذجين من ذلك عند أهل السنة:

الأول: ما ذكره إسماعيل حقي في تفسيره (روح البيان) وذكره الحافظ ابن الكلبي في التسهيل في تفسير قوله تعالى: ﴿**كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى...**﴾ (الفتح: ٢٩) قال: أخرج شطأه بأبي بكر، فآزره بعمر، فاستغلظ بعثمان، فاستوى بعلي، وقد حرف الآية عن ظاهرها الذي نصت عليه التفاسير، **والثاني**: ما ذكره الفخر الرازي عن مفسر عند تفسير قوله تعالى: ﴿**وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً**﴾ (النساء: ١٦٤)، أي جرحه بأظفار المحن والخطوب، ولا أريد أن أورد الكثير من ذلك فهو عندهم كثير، أما من يصرف الآية عن ظاهرها عندنا فإنما يفعل ذلك إذا تعذر حملها على الظاهر، مثل قوله تعالى: ﴿**يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾ (الفتح: ١٠)، في صرفها عن الجارحة إلى القوة، ومثل وجود قرينة تصرفها عن الظاهر مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾ (الكوثر: ١)، إن المراد به الحسنان؛ لأن السورة نزلت رداً على المشركين الذين قالوا عندما درج أولاد النبيﷺ بقي محمّد أبتر لا عقب له، فأخبره الله تعالى إنه جعل عقبه في ذرية الحسنينعليهما السلام وهكذا، وعلى العموم فلقد كان تأكيد السيد على ذلك للإسهام في إزالة هذه الشبهة ونظائرها مما يراه من يقرأ ما كتبه في البيان والنحى فيه من الآراء الشاذة وفندها وأوّل بعضها.

ومن بؤر التوتر التي عالجها السيد وأطال فيها بما يتناسب وأهميتها: مسألة وقوع التحريف بالقرآن الكريم أو عدم وقوعه، وهذه المسألة لعبت بها الأقلام والأهواء – وما تزال – دوراً غير مشرف ورجعت بها إلى بعض الكتاب وإلى كتب الأخبار لا إلى كتب الفقه، والمسألة مكانها كتب الفقه؛ لأنها المرتبطة بها عضوياً كما لا يخفى، وقد ألحّ كتاب أهل السنة في نسبة ذلك لنا، مع إننا لو قمنا بإحصاء بسيط لوجدنا في كتب أهل السنة أضعافاً مضاعفة من الروايات

والآراء التي تذهب إلى القول بالتحريف، وكما هي ليس بمعتد بها عندهم كذلك هي عندنا مطروحة ولا يعتد بها وبعضها مؤول بأن التحريف هو عبارة عن صرف مضامين الآيات إلى غير ما نزلت له، لقد استعرض السيد هذه المسألة فذكر أدلة وآراء من يذهب لذلك وفندها ودحض الشبهة التي أوردوها بما لا مزيد عليه من البيان، كما أشار إلى أن جمهور المسلمين يرفضون هذه المقولة واستعرض آراء أساطين الإمامية الذين رفضوا هذا الزعم وبرهنوا على بطلانه، ومنهم الشيخ الصدوق والشيخ الطوسي والسيد المرتضى علم الهدى والشيخ الطبرسي والشيخ جعفر كاشف الغطاء والشهشهاني في العروة الوثقى، والفيض الكاشاني في الوافي وفي علم اليقين والجواد البلاغي في آلاء الرحمن والشيخ المفيد والبهائي والقاضي نور الله إلى غير هؤلاء، كما استعرض آراء بعض فقهاء ومحدثي أهل السنة التي تنتهي إلى القول بالتحريف، كالقول بنسخ التلاوة، كما ورد في كل من صحيحي البخاري ومسلم عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب إنه قال على المنبر: كان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ودعيناها فلذا رجم رسول الله ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فضيلة أنزلها إليه، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال، ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله أن لا ترغبوا عن آبائكم أو إن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم، وقد نص أهل السنة على أن هذه الآية مما نسخت تلاوته، وأخرج الطبراني بسند موثق عن عمر بن الخطاب مرفوعاً: القرآن ألف ألف وسبعة وعشرون ألف حرف، ذكر ذلك السيوطي في الإتقان، بينما القرآن الذي بأيدي المسلمين لا يبلغ ثلث هذا المقدار، وروى عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله قالت: كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمن النبي مائتي آية فلما كتب عثمان المصاحف لم تقدر منها إلّا ما هو الآن، ذكر ذلك السيوطي في الإتقان، كل هذا مجرد نموذج

بسيط ذكره السيد في هذا الباب، وبين يدي من المصادر ما هو أضعاف ذلك ولكن ما ذكرته كان للتدليل.

لقد أطنب السيد في الدفاع عن كتاب الله المجيد وفي صيانته عن التحريف وجاء بأدلة غاية في المتانة، فجدير بالمهوشين – إذا كانوا طلاب حقيقة وهم غالباً ليسوا كذلك – أن يرجعوا إلى هذا البحث وأمثاله ليرتدوا عن رمي أتباع أهل البيت عليهم السلام بهذه التهم الباطلة وما أظنهم يفعلون.

ومن المسائل التي لا تقل أهمية عما سبقها وهي مما كثر فيها التهويش أيضاً: مسألة البداء التي تصدى لها السيد، إنه التغيير الذي يتناول بعض الأمور التكوينية كالأعمار والأرزاق والسعادة والشقاء وغير ذلك مما هو ليس في قسم القضاء المحتوم، وإنما هو من القسم الذي تتعلق مشيئة الله بتغييره من أول الأمر ولكن لا يظهر الله ذلك إلّا في وقته، فهو بمعنى الإبداء وإنما أطلق عليه لفظ البداء بعلاقة المشاكلة وليس بمعنى بدء شيء لم يكن الله تعالى يعلمه ثم علمه، فذلك كفر، والروايات الواردة عن آل محمد عليهم السلام صريحة بهذا المعنى، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «**ما بدا لله في شيء إلّا كان في علمه قبل أن يبدو له**»، **وقال:** «**إن الله يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وعنده أم الكتاب فكل أمر يريده الله في علمه قبل أن يصنعه إن الله لا يبدو له من جهل**»، وقال: «**من زعم أن الله يبدو له في شيء لم يعلمه أمس فابرؤوا منه**»، لقد تناول السيد هذا الموضوع فجلى غوامضه وأحاط بالموضوع من كل أطرافه وتصدى لما يرد عليه من شبه فدفعها وأوضح رأي الشيعة في ذلك: في إمكانه، ووقوعه وذكر إلى جانب قول الشيعة أقوالاً لأهل السنة في ذلك وهي لا تختلف عن رأي الشيعة ومنها ما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة عنه صلى الله عليه وآله إنه قال: «**إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأعمى وأقرع بدا الله عز وجل أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً**...» إلخ الرواية، التي أوردها في باب ما ذكر عن بني

إسرائيل، ومثل الروايات التي ذكرها أهل السنة في أن الدعاء يغير القضاء والصدقة تغير القضاء، كما ذكر ذلك ابن ماجة في سننه في باب القدر، بسنده قال النبي صلى الله عليه وآله: «**لا يزيد في العمر إلّا البر ولا يردّ القضاء إلّا الدعاء وإن الرجل ليحرم الرزق بخطيئة يعملها**»، كما أشار السيد إلى بعض الاستعمالات القرآنية لهذا المعنى كقوله تعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾ (الملك: ٢)، وكقوله تعالى: ﴿**لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً**﴾ (الكهف: ١٢).

وسرّ اهتمام السيد بهذا الموضوع يتضح عند مراجعة تفاسير أهل السنة لأمثال هذه الآيات وتحاملهم على الشيعة وتصويرهم رأي الشيعة بأنهم يعتقدون أن الله يبدو له ما لم يكن يعلمه سابقاً، وهو قول يفضي للكفر أعاذنا الله من ذلك، وقد استشهد السيد بقول الرازي في تفسيره عند تفسير قوله تعالى: ﴿**يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ (الرعد: ٣٩)، قالت الرافضة: إن الله يعتقد شيئاً ثم يظهر له أن الأمر بخلاف ما اعتقده، إضافة لذلك أذكر أني خلال مطالعاتي رأيت الكثير من مثل هذه النسبة، وليس الأمر اقتصر على القدامى الذين أعوزتهم مصادرنا فلعل لهم بعض العذر، ولكننا نرى أن الأمر مطّرد حتى عند المحدثين وعلى سبيل المثال: الدكتور مصطفى زيد وكان رئيس قسم الشريعة في كلية دار العلوم أيام دراستي هناك، قرأت كتابه (النسخ في القرآن) وحينما قسم النسخ إلى تشريعي وتكويني، صور النسخ التكويني بأنه ينتهي إلى استحداث علم لم يكن سابقاً، وقال: إن القائلين بذلك اليهود والرافضة أخزاهم الله! وكانت لي معه مناقشة حول الموضوع لفتُّ فيها نظره إلى خطأ مستنده وذكرت له رأينا وقد قدمت له مصادرنا في ذلك فاعتذر، ووعد بأنه سيغير ذلك في طبعات جديدة، وقد لحق بربه ووفد عليه ولم أر لما وعد به أثراً، ولعله عوجل بالوفاة رحمه الله.

ولابد هنا من لفت النظر إلى أني رأيت كثيراً من أساطين السنة يعالجون الموضوع بنفس منهج وأدلة الإمامية وبوسع القارئ الرجوع إلى ما كتبه كل من السيوطي في الدر المنثور، والقرطبي في تفسيره، والآلوسي في روح المعاني وغير هؤلاء، وذلك عند تفسيرهم الآية المباركة: ﴿**يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ (الرعد: ٣٩)، وسأذكر بعض النماذج هنا ليطلع القارئ على نفس النمط في المعالجة للموضوع، يقول القرطبي: عندما يحدد ما يمحى وما يثبت ذاكراً قول القشيري: قال: يقول القشيري السعادة والشقاوة والخلق والرزق لا تتغير فالآية فيما عدا هذه الأشياء، وعقب عليه القرطبي بقوله: وفي هذا القول نوع تحكم، حتى قال: فتكون الآية عامة في جميع الأشياء وهو الأظهر والله أعلم، وهذا مروي عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وأبي وائل وكعب الأحبار وغيرهم، وهو قول الكلبي، وذكر أن عمر بن الخطاب كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول: اللهم إن كنت كتبتني في أهل الشقاوة والذنب فامحني وأثبتني في أهل السعادة والمغفرة، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب، وكذلك تماماً كان دعاء ابن مسعود، وكان مالك بن دينار دعا لامرأة فقال: اللهم إن كان في بطنها جارية فأبدلها غلاماً، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب، وقد تقدم في الصحيحين عن أبي هريرة قول النبيﷺ: «**من سره أن يبسط له في رزقه ويشاء له في أثره فليصل رحمه**»، واستمر القرطبي يحشد الأدلة على التغيير التكويني إلى أن وصل إلى قوله: إن من القضاء ما يكون واقعاً محتوماً وهو الثابت ومنه ما يكون مصروفاً بأسباب وهو المحو.

وبنفس المعنى كتب كل من السيوطي والآلوسي وغيرهما وهو عين ما كتبه مفسرو الإمامية، والذي يظهر لي أن سوء الفهم جاء من لفظ (البداء) فإنهم فسروه بمعنى الظهور، وهو يعطي معنى الانكشاف بعد خفاء، وقد عرفت ما ذكرناه سابقاً من بطلان هذا التصور، وقد انصب بحث السيد على

هذه النقطة وتجليتها تجلية كاملة.

وآخر ما أريد تقديمه من النماذج التي تناولها السيد وأكد عليها هي **مسألة القول بخلق القرآن** أي قدمه وحدوثه، وقد جاءت معالجتها ضمن بحث صفات الباري تبارك وتعالى، وهي تنقسم إلى صفات ذاتية وأخرى فعلية، بدأ السيد بالإشارة إلى أن هذه المسألة حادثة وقد نشأت من تغلغل الفلسفة اليونانية عند المسلمين، ومن ذلك ذهب الأشاعرة إلى تقسيم الكلام إلى نفسي قائم بالذات، ولفظي يدل على التعيين وانتهوا بعد شرح إلى أن القرآن قديم، بينما ذهب العدلية والمعتزلة إلى حدوث القرآن وإلى أن الكلام منحصر باللفظين، وإن التكلم صفة فعلية، والصفات الفعلية هي التي يمكن أن يتصف بها الله تعالى في حال وينقضها في حال آخر، فالذاتية لا تنفك عنه بحال من الأحوال كالحياة والعلم والقدرة، والفعلية هي مثل الكلام والخلق والرزق، وبالنظر لأهمية هذه المسألة سأستعرض لك آراء فرق المسلمين فيها مع شيء من التعقيب:

الحنابلة: والذي ينقل عنهم أن كلام الله تعالى مؤلف من حروف وأصوات على الترتيب والتعاقب في وجودها وهي قديمة، بل ونقل القول عن بعضهم يقدم جلد القرآن وغلافه، وقد وجه البعض قولهم بأنهم إنما قالوا بقدم القرآن ولم يقولوا بحدوثه حتى لا يذهب الوهم إلى حدوث حتى الكلام النفسي الذي يقول به الأشاعرة، فهم بالوقت الذي يراعون به الأدب في الامتناع عن إطلاق لفظ الحدوث يفوقهم ما يترتب على رأيهم من اللوازم التي منها تعدد القدماء، وهو شرك، كما إن هذا الكلام يصادم البديهة؛ لأن التعاقب يفيد الحدوث، فكيف يجتمع مع القديم.

الكلامية: فهؤلاء يقولون إن كلام الله تعالى حروف وأصوات وهي حادثة قائمة بذات الله تعالى؛ لأنهم يجيزون أن يكون تبارك وتعالى محلاً للحوادث.

المعتزلة: رأيهم أن كلام الله تعالى أصوات وحروف كالرأيين السابقين، ولكنها ليست قائمة بذات الله تعالى بل يخلقها في غيره، فمعنى كونه تعالى متكلماً أن يوجد تلك الحروف والأصوات في مثل اللوح المحفوظ أو الملائكة التي تنقل كلامه أو الأنبياء الذين يقرأون كلامه.

الأشاعرة: وعندهم إن كلام الله نفسي وليس من جنس الأصوات والحروف بل هو قائم بذات الله، يسمى بالكلام النفسي ويدل عليه الكلام اللفظي المركب من الحروف والأصوات.

أما **رأي الشيعة** فسيأتي بقلم الخوئي ولما كان رأي المذاهب السنية بقدم القرآن يستلزم أموراً منها تعدد القدماء؛ لأنه صفة لله تعالى، وحيث إن من البديهي أن الحروف والأصوات الملفوظة والمكتوبة وجودها مترتب فهي حادثة، يضاف لذلك أنها أعراض قائمة بغيرها، ومفتقرة في وجودها وبقائها إلى سبب لذلك، وإلى محل تقوم به مما لا يلتقي بالتوحيد، اضطروا للقول بالكلام النفسي وتركوا القول بقدم الأصوات والحروف، فنلخص ما ذكرناه أن منهم من يذهب إلى قدم الأصوات والحروف، ومنهم من يذهب إلى الكلام النفسي الذي فسروه بالمعنى القائم بالنفس، والذي هو مدلول للكلام اللفظي وكان من أدلتهم قوله تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا الله بِمَا نَقُولُ**...﴾ (المجادلة: ٨)، ويقول الخليفة عمر: كنت قد زرت في نفسي مقالة يوم السقيفة، ويقول الأخطل الشاعر:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

إلى غير ذلك، وقد رأيت لبعضهم رأياً مفاده: إن كلام الله هو الألفاظ التي رتبها الله تعالى في علمه الأزلي بالصفة الأزلية التي هي مبدأ ترتيبها وتأليفها، وقد رد عليهم المعتزلة بأدلة مطولة، وأجابوا على الرد، ونظراً لاتضاح صورة النزاع فلا داعي للإطالة، ومن أرادها فعليه بالمطولات والمصادر الخاصة في ذلك.

ومن تأمل هذه المعاني التي ذكرناها سيرى أن النزاع يعود لأمرين: أمر لفظي وهو إن اتصافه تعالى بالكلام يدل عليه النقل كقوله تعالى: ﴿**وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً**﴾ (الأنبياء: ١٦٤)، وكقوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً...**﴾ (الشورى: ٥١)، كما دلّ عليه الإجماع والعقل؛ لأن التكلم صفة كمال، ولكن هذا الكلام هل هو خلق الكلام ولو بخلقه في جسم من الأجسام، فالأشاعرة يقولون بقيام الكلام به وهذا الكلام قديم لئلا يكون تعالى محلاً للحوادث، أما الشيعة والمعتزلة فيقولون إن المتكلم من صدر عنه الكلام سواء بالوسائط المعدة لذلك المعتادة وغير المعتادة: مثل لسان الملك وشجرة نبي الله موسى عليه السلام (قد قيمت هذه المسألة في تصوير تلبس المشتق بالمبدأ بأي نحو هو).

والحاصل إن الإمامية يذهبون إلى أن الكلام من الصفات الفعلية كالخلق والرزق ومن هنا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إن أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفته توحيده، ونظام توحيده نفي الصفات عنه، لشهادة العقول أن كل صفة وموصوف مخلوق، وشهادة كل مخلوق أن له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف، وشهادة كل صفة وموصوف بالاقتران، وشهادة الاقتران بالحدث، وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من حدثه**»، ومن المؤسف إن هذه المسألة لعبت في تاريخ المسلمين دورة مأساوية، واختلفت الآراء في: هل إنها مجرد انقداح علمي عند مفكري المسلمين وتبنته الدولة لصلته بالوحدانية، أو إنها عملية مصطنعة استغلت لتصفية الخصوم سواء على مستوى الدولة، أم على مستوى الفرق الإسلامية، أم إن هناك قضية تريد السلطة تمريرها فأحدثت هذه الزوبعة لشغل الناس؟ لقد توزعت آراء الباحثين حول ذلك، وقد تعرض بسبب هذه المسألة جماعة للقتل والاضطهاد والسجن والملاحقة وصارت سبة يشتم بها البعض، بل وصل الأمر إلى حد الطرافة: يقول الأبشيهي في المستطرف في باب فضل القرآن: وعن إبراهيم الخواص أنه دعي للقراءة في أذن مصروع

يقول: فكبرت في أذنه وأردت أن أقرأ فسمعت صوتاً يقول: دعني أقتله فإنه يقول القرآن مخلوق، وقد تعرض للاضطهاد جماعة ممن يقول إن قرائتي بالقرآن مخلوقة؛ لأنها حروف متتالية يحدث بها الحرف بعد الآخر، ومن هؤلاء البخاري ومسلم فقد تعرضا للنقد والتجريح لقولهما بذلك، ففيما يخص البخاري قال المناوي في ترجمته في بعض ما قال: زين الأمة وافتخار الأئمة صاحب أصح الكتب بعد القرآن، وقال عنه الذهبي: كان من أفذاذ العالم مع الدين والورع والمتانة، ومع ذلك غلب عليه الغض من أهل السنة وكتب من الكلام لأجل مسألة اللفظ، وتركه لأجلها الرازيان – أي أبو زرعة الرازي وأبو حاتم الرازي – ذكر ذلك صاحب فيض القدير (ج١).

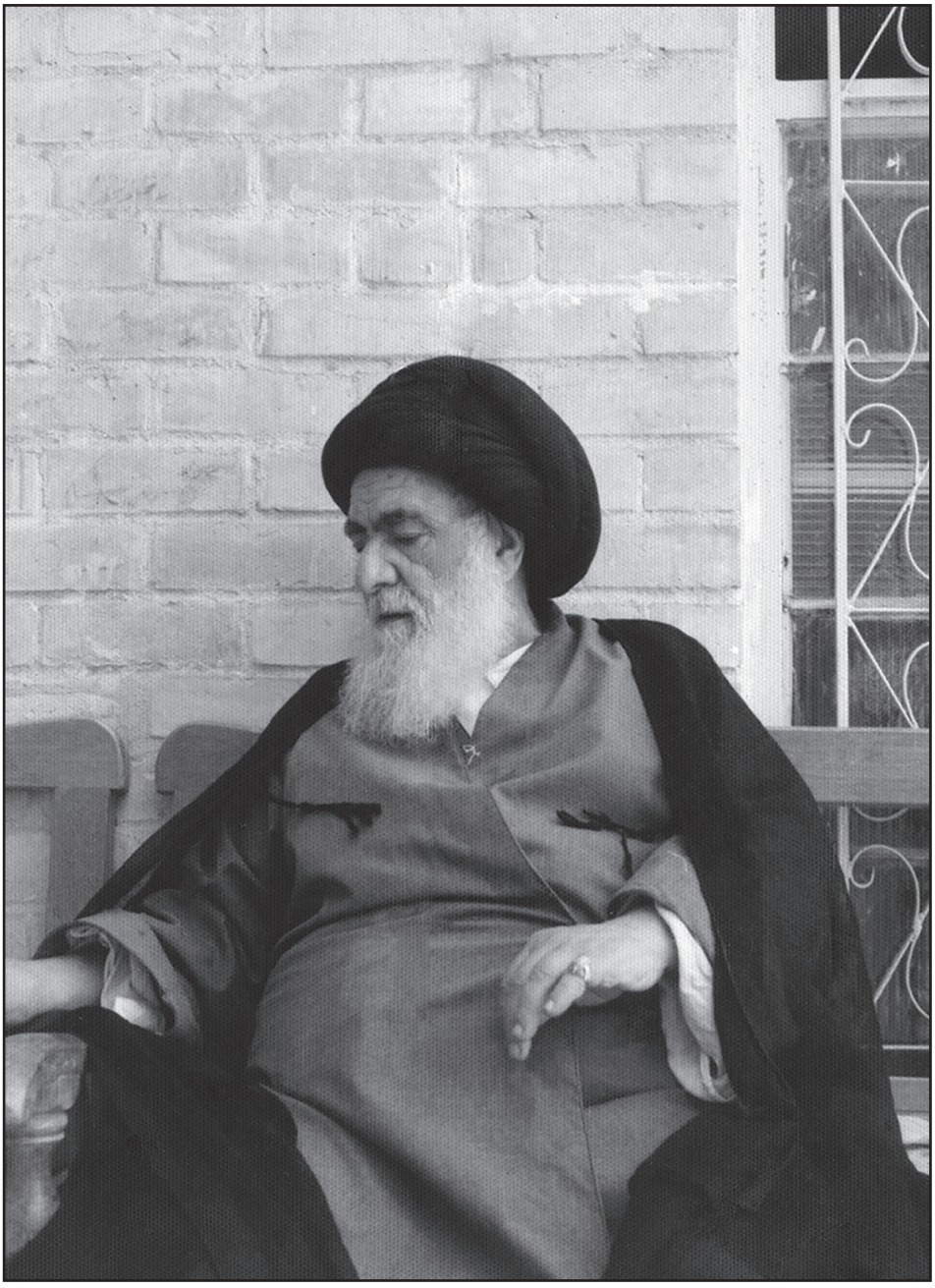
وقال الذهبي نقلاً عن الحاكم: سمعت محمّد بن يعقوب الحافظ يقول: لما استوطن البخاري نيسابور أكثر مسلم بن الحجاج – صاحب الصحيح – الاختلاف إليه فلما وقع بين الذهلي وبين البخاري ما وقع في مسألة اللفظ انقطع عنه أكثر الناس غير مسلم، فقال الذهلي يوماً: ألا من قال باللفظ فلا يحل له أن يحضر مجلسنا، فأخذ مسلم رداءه فوق عمامة وقام، وقال الذهلي محمّد بن يحيى يوماً: لا يساكنني هذا الرجل يعني البخاري في البلد فخشى البخاري وسافر، ذكر ذلك صاحب سير أعلام النبلاء (ج٢)، وصاحب هدي الساري في مقدمة فتح الباري (ج٢).

أما الإمامية فقد خشوا لقولهم بخلق القرآن على النحو الذي سيأتي تصويره بقلم السيد، وممن شتمنا وأرخ لبداية قولنا بذلك الشيخ أبو زهرة، فقد قال فيما قال في كتابه (الإمام الصادق عليه السلام): أول من قال بخلق القرآن بيان بن سمعان التميمي وقتله خالد بن عبد الله القسري والي العراق من قبل الأمويين، والصحيح إن أول من قال وأعلن بذلك الجعد بن درهم فقتله خالد بن عبد الله

المذكور، أما بيان فقد ادّعى النبوة ودعا الإمام الباقر عليه السلام إلى طاعته بالإضافة إلى أفكار مشوشة عنده تتضح لمن يقرؤه فيما ترجم له مثل أعيان الشيعة وغيره.

وسأحاول أن ألخص لك معالجة السيد الخوئي لهذه المسألة وسيرته فيها: لقد استجلى الإمام الخوئي هذه المسألة وأبان غوامضها بالرغم من أن عباراته فيها لا يسهل فهمها إلّا لذوي الفن والمعرفة لهذه الأمور؛ بدأ السيد فقسم الصفات إلى صفات أفعال وصفات ذات وميز بينهما، وسلك الكلام في صفات الأفعال وقسمه إلى نفسي ولفظي وحدد معنى الاثنين، وأكد أن ما يسمى بالنفسي ليس إلّا الصورة الذهنية للكلام التي تسبقه عادة، كما قسم الكلام النفسي المدعي لا تشمله حدود الاثنين، وانتهى إلى نتيجة أن الكلام ليس إلّا المتبادر للذهن وهو الكيفية العارضة للصوت الحاصلة من تموج الهواء والقائمة بالهواء نفسه لا بالمتكلم، لئلا يلزم من كونه تعالى متكلماً إنه محل للحوادث لو كان الكلام قائماً بالمتكلم، وقرب هذا المعنى للذهن فذكر: إن تلبس الذات بالمبدأ المستفاد من الهيئة – هيئة المشتق – هو نحو من أنحاء قيام المبدأ بالذات دون خصوصية ذلك القيام بالذات من كونها حلولية أو إيجادية أو غير ذلك، لأنها غير مأخوذة – أي الخصوصية – في مفاد الهيئة، كما إنها تختلف باختلاف الموارد ليس لها قاعدة كلية، فمثلاً المتلبس بالنوم والعلم لا يعتبر موجداً لهما ولكن مثل النافع والضار موجد للنفع والضر، وانتهى من ذلك إلى أنه لا يلزم عدم صحة إطلاق المتكلم على الله تعالى لشبهة كونه محلاً للحوادث حينئذ، ولذا قالوا بالكلام النفسي للتخلص من ذلك، وبعد أن فند هذا التصور دعم رأيه بالأدلة التي توضح هذا المعنى.





سماحة السيد أبي القاسم الخوئي قدّس في جلسة بيتية



جولة في مكتبة الإمام الخوئي

السيد أحمد الحسيني الأشكوري

بين آونة وأخرى كانت الزيارات تتبادل بين الإمام الخوئي قدس سره والسيد الوالد رحمه الله في المناسبات الدينية أو الاجتماعية والإخوانية المعهودة بين رجال العلم والدين في النجف الأشرف، إذ كانوا يهتمون بهذه المناسبات الودية وقلما نجد مثلها في بقية حواضر العلم التي رأيناها، ونحن الناشئة الجدد على الحوزة العلمية النجفية كنا نعرف الإمام الخوئي شخصية علمية من أفضل المدرسين في المستوى الاجتهادي، له آراء ناضجة في علمي الأصول والفقه بالإضافة إلى اطلاعه الواسع بالعلوم الأخرى ومحاضراته فيها الجديد من الآراء والنظريات يحضرها الكثير من الطلاب البالغين إلى مستوى الاجتهاد أو قريباً من ذلك، هكذا كان يحدثنا أساتذتنا ونحن لا نزال في المرحلة الأولى من الدراسة الحوزوية، ولم نكن ندرك أعماق شخصيته الفذة حق الإدراك؛ لأننا لم تتوفر فينا بعد المعدات التي تؤهلنا للنظر في مثل هذه الأمور المحتاجة إلى كثير من المرونة العلمية والمؤهلات الزمنية.

إن أول خاطرة استرعت انتباهي لمعرفة بعض جوانب عظمته في عمق ثقافته، الجلسة التي حضرها في بيت السيد الوالد راداً بها زيارة والدي للسيد أبيه (المرحوم السيد علي أكبر الخوئي) حينما جاء إلى النجف الأشرف لزيارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، لقد كانت الأحاديث الدائرة في تلك الجلسة شيّقة جداً بالرغم من تشعبها وتناولها الأدب والتاريخ والأديان القديمة والبدع الحديثة، فكان السيد يتحدث فيها كأنه يقرأ في كتاب مفتوح بين يديه أو قد بحث عنها وتعمّق فيها منذ أيام قريبة، هذه الجلسة شدتني إليه وصرت أتردد على مجالسه؛ لأنهل من نميره العذب الفياض واستقي من علمه الغزير.

لم أوفق للحضور في حلقات درس سيدنا الخوئي في الأصول والفقه وإنما وفقت للحضور في محاضراته التفسيرية التي كان يلقيها في مسجد الخضراء

ليالي العطل بعد صلاة المغرب والعشاء.

لغته في المحاضرة اللغة العربية، وكان يستعمل هذه اللغة لإفادة التلامذة الوافدين على النجف من مختلف الجاليات الإسلامية، ولكنه كان مسترسلاً في الإلقاء حسن التعبير، لا تعقيد في كلامه ولا غموض، بل يؤدي ما يريد بأخصر عبارة وأوضحها، بدون إسهاب وتطويل بالرغم من شدة غموض موضوع البحث في حالات كثيرة.

يركز على الموضوع الذي يريد البحث فيه، فلا يبتعد عنه بتكثير الشواهد وإطالة الكلام فيما ليس من صلب المسألة، وبهذا كان يوفر على طلابه في الوقت ويفيض عليهم عطاء علمياً واسعاً في مدة قصيرة، إذ لم تكن محاضراته تتجاوز في أكثر الحالات الخمس والعشرين دقيقة أو نصف ساعة.

لا يفسح المجال للإشكال عليه أثناء المحاضرة - كما هو المعتاد في الدروس العالية للحوزة النجفية - لأنه يرى هذا إضاعة للفرصة على الآخرين في استماع الدرس والاستفادة المتوخاة، بل على الطالب أن يقدم ما عنده من النقد والإشكال بعد انتهاء المحاضرة وحينما يجلس السيد لهذا الغرض وهو يصغي للإشكال ويرد عليه أولاً بالنقض ثم بالحل، محاولاً صقل ذهنه وفتح آفاق جديدة عليه.

أما الصخب الذي يراد منه الجدل وإظهار العلم، فجوابه السكوت والنظر الحاد في وجه المجادل، وإذا استمر القول والتمادي في إضاعة الوقت، فجزاؤه نكتة ظريفة تضحك الآخرين.

رحم الله صديقنا أبا أمين العلامة السيد جمال الدين الخوئي، كانت تضمنا إليه حلقات الأصدقاء في (مدرسة الخليلي الأكبر) حيث كنت طالباً مقيماً بها والسيد الصديق يتردد عليها لدرس له في (كفاية الأصول) يلقيه على جماعة من

تلامذته... كان يكرر قولته: إن والدي لا يعرف إلّا الكتب ويعجبه أن تحوطه من جوانبه، يقرأ في هذا مرة وفي هذا مرة كأنه نسي المرجعية التي هي من حقه وقد أنيطت إلى آخرين، أليس هو أعلى المدرسين في هذا العصر شأناً وأوسعهم علماً وأكثرهم تلامذة؟

صدق أبو أمين، لقد كان أعز الأشياء عند والده هو البحث العلمي والقراءة في الكتب بشتى مواضيعها ومختلف مناحيها، أما بقية الشؤون فكانت عنده في الرتب المتأخرة.

وضمت مكتبة السيد الإمام كتباً لم تعهد النجف وجودها في مكاتب العلماء المشتغلين بالفقه والأصول المنصرفين إلى العلوم الدينية البحتة، فإنهم اعتادوا اقتناء كتب ومصادر خاصة بالتفسير والكلام والفقه والأصول والحديث والرجال وما أشبه هذا مما يتناول الثقافة الإسلامية بالمعنى المعهود بينهم، أما كتب التواريخ المعاصرة والأديان والمذاهب الخارجة عن نطاق الإسلام والتي يعتبر الكثير منها – في عرفهم الديني – من كتب الضلال وهكذا أثار كبار الكتاب المعاصرين ومن يقرب من عصرنا من ذوي الآراء والأفكار الجديدة الداعية إلى انحلال القيود في الدين والأخلاق والأدب والتاريخ والاجتماع.. فهذه كلها لا تسترعي الاهتمام من الفقهاء ورجال الدين.

كشفت هذا السر عند كتبي يدعى محمّد جواد الكتبي في (قيصرية علي آغا) ذهبت حسب العادة إلى هذه القيصرية الخاصة بباعة الكتب، لأرى هل من جديد في عالم المطبوعات، فرأيت عنده مجموعة غريبة أكثر من ثلاثمائة كتاب كلها في العقائد الباطلة بقلم كتاب العصر، وعندما سألته من صاحبها عرفت إنها لسيدنا الأستاذ جيء بها إلى هذا الكتبي للتجليد.

أثارت هذه الكتب دهشتي في حينه، ولكني علمت بعد ذلك أن السيد كان

من تلامذة العلامة الشيخ محمّد جواد البلاغي، وهو معروف بمصنفاته في رد اليهود والنصارى وجملة من الأديان الباطلة المعاصرة، وتلميذه كان ينحو نحوه في تتبع ما يصدر عن الكتب العقائدية التي يكتبها غير المسلمين أو من يدعي الإسلام من المنحرفين المناهضين له، وذلك للرد عليهم ومناقشة مذاهبهم وتزييفها، وعندما توثقت صلاتي بالأستاذ العظيم واطلعت على مكتبته من قريب رأيت أن هذه العناية لم تكن خاصة بكتب العقائد فحسب، بل شملت كتباً تتناول الثقافات الأخرى كما قلت.

وبهذا الصدد أود أن أصارح القارئ الكريم بأنني اطلعت على كتب نادرة الوجود في النجف وقرأتها من هذه المكتبة، بالإطلاع عليها عرفت سر سعة آفاق السيد صاحبها.

تشجيع الطالب من أهم ما يمكن دفعه به إلى الاستقامة في طلب العلم والصمود أمام المشاكل التي تعترض طريقه حين الطلب، فهو إذا لم يشجع تنهار قواه المعنوية بسرعة ويترك الدراسة الجادة لأسباب تافهة يعانيها أو يتصور أنه يعانيها من مشاكل الحياة، وكثيراً ما يصادف أن تشجيعاً ما نحسبه عديم الخطر، يسبب التقدم الباهر لمن يشجع ويبقى أثره المستحسن في نفسه إلى آخر الشوط، والتشجيع ليس بالمادة والمنح والهبات والعطايا المادية وحدها، بل ربما ابتسامة خفيفة في وجه الطالب أو الاستماع الجاد لما يقول أو الإصغاء لما يشتكي من الآلام أو الإجابة الهادئة على ما يسأل.. تبعث فيه روح الجد وتزيل منه الكسل فيندفع إلى مواصلة الليل بالنهار للمزيد من الدرس والبحث والتحقيق.

هذه خصلة ممتازة لمستها عند السيد الأستاذ وخصاله الحميدة وفيرة لا يمكن عدها في هذه السطور، إنه يستمع إلى من يستشكل عليه من تلامذته والناشئة من أهل العلم، يستمع إليهم بكل وجوده ثم يجيب بأعصاب هادئة على

ما استشكلوا من دون برم أو حدة، وتكون أجوبته على الأكثر أولاً بالنقض ثم بالحل، فيبدأ بالنقض ليوسع المجال في القول على المستشكل، ويكون فيه تشحيذ ذهن الطالب وتقويه على المناقشة العلمية وتدريبه على البحث والمناظرة، وبعد ذلك يأخذ في حل الإشكال وإيقاف الشخص على مواضع ضعفه فيما ارتآه.

ما رأيت منذ أن عرفته حتى فارقته شيئاً من الكبرياء والعجرفة كما قد يرى في بعض ضعفاء النفوس من المتسمين بالعلماء، فهو يجالس تلامذته والمستفيدين منه كأنه واحد منهم، لا ميزة بينه وبينهم إلّا ما كان منهم من رعاية جانب احترام الأستاذ وتعظيم مقامه وأخلاقه هذه كانت تحثهم على الانطلاق في السؤال والجواب والمناقشات العلمية، ويشجعهم على أن لا يقفوا عند حد محدود من الطلب والتعلم، ويربيهم عملاً على السلوك الأفضل الذي يجب أن يكون عليه من تولى منهم الزعامة العلمية في مستقبل الأيام.

وحتى الخطباء كان لهم نصيب وافر من هذا النوع من التشجيع، فكم رأيت السيد في مجالس عامة يستمع إلى الخطيب وينظر إليه بملء عينيه كأنه يسمع موضوعاً جديداً وبحثاً شيقاً لم يطرق سمعه، بالرغم من أن الخطيب لم يتكلم إلّا بما هو تكرار للمكرر وإعادة لما قيل مرات ومرات.

التواضع العلمي والاعتراف بالفضل وتقدير الفضلاء من ميزات سيدنا الأستاذ وأخلاقه الحسنة، لم يحاول في وقت من الأوقات بخس مقام إنسان في الفضل والعلم ولو لم يكن ذلك الإنسان ذا مكانة اجتماعية مرموقة، إنه كان يقدر العلم والعلماء خارجاً عن نطاق الاعتبارات المألوفة في عرف الناس، فلو سمع من شخص نظرية علمية طريفة، أو رأى منه جهداً تحقيقياً فيه فائدة أو جدة أو أبدى ملاحظة على موضوع من الأستاذ وغيره.. لم تمنعه مكانته الكبيرة في النفوس ومقامه العلمي الرفيع من التنويه بذلك الشخص وتقدير جهده في

الموضع المناسب.

كم شاهدنا في حياتنا العلمية القصيرة أناساً سرقوا جهود الآخرين ونسبوها إلى أنفسهم، بل استولوا بطريق من الطرق على كتب كاملة التأليف ثم نشروها باسمهم من دون تورع أو وازع أخلاقي، إذا قارنا بين أمثال هذه الطغمة العديمة الوجدان وبين من يعترف لكل ذي فضل فضله، عرفنا مدى طهارة نفوس هؤلاء المقدرين للعلم الموفين حق العلماء.

زرت السيد في بيته عصر ذات يوم، وبعد أن سألني عن أحوالي وعاتبني على قلة زيارته، أبدى رغبته للنظر في رجاله (معجم رجال الحديث) وإعطاء ملاحظاتي في تنظيمه لو كان لي ملاحظة فيه، فاعتذرت من ذلك احتشاماً من مقامه السامي، لكنه أصرّ على ما أمر، فلم يكن مني إلّا الرضوخ لما أراد، جاؤوا بمجلد من الرجال – ولم يكن الكتاب مطبوعاً آنذاك – ولا أنسى أنه كان حرف العين منه، وبعد قراءة فيه طالت دقائق يسيرة أبديت ملاحظتين أثارتا بعض المناقشة، إلّا أنه اقتنع بهما وقال: لقد زدت في عملنا ولابد من إعادة النظر في الكتاب وتلافي ما فاتنا من التنظيم، إن الملاحظتين لم تكونا ذات خطر أو أهمية، وكان بإمكان السيد أن يأخذ بهما من دون أن يصرح بما قال كما يصنعه كثير من معاصرينا، ولكن خلقه الكريم هو الذي دفعه إلى قولته وعلم أن فيها تشجيعاً لتلميذ من صغار تلامذته ربما يكون نبراساً لطريقه في العلم والتحقيق.

إنه لم يقتنع بالتقدير اللساني بل أحب أن يشفع ذلك بالتقدير المادي، فأرسل لي تباعاً أجزاء الرجال إلى إيران حتى الجزء السابع عشر، واحتفظ بتلك الدورة في مكتبتي اعتزازاً بعطف الأستاذ الأبوي.





السيد أبي القاسم الخوئي قدّس سرّه وهو يدوّن ما استجدّ له من مسائل فقهية



المرجعية المتميزة للإمام الخوئي

السيد فاضل الحسيني الميلاني

المرجعية الدينية في المؤسسة الشيعية تمتاز على غيرها من الأنظمة الإدارية، والمؤسسات الاجتماعية، والمعاهد العلمية، وحتى أنظمة الحكم السياسية بأنها ذات طابع فريد، وخصائص مميزة، ولذا فإن الذين يحاولون دراسة هذه الظاهرة الأصيلة من خلال الضوابط والمعايير التي عهدوها دون أن يلموا إلماما دقيقا بجوهر النظام المرجعي، وما يستلزمه من التقليد، يخرجون بنتائج عارية من الصحة أحيانا. من الصعب الاعتراف بأن مسؤولية المرجع الديني الأعلى للطائفة الشيعية تقف عند حد إقامة الحكومة الإسلامية، كما أن من الغبن القول إن المرجع يتولى إدارة الحوزة العلمية فقط.. ناهيك عن الوقوف عند حد كون المرجع وسيطا بين المؤمنين الدافعين لحقوقهم الشرعية من الخمس والزكاة والكفارات والمستحقين لهذه الأموال!

لتحديد موقع المرجعية بالضبط، يجب أن نلقي ضوءا على الاجتهاد من جانب والتقليد من جانب آخر فالاجتهاد هو استفراغ الفقيه وسعه لاستنباط الأحكام الشرعية من أدلتها، والتقليد هو وضع مسؤولية الأحكام الشرعية، والتصرف الفردي والاجتماعي للإنسان قلادة في عنق المجتهد، فالمجتهد في جانب، وآحاد الأمة الذين ألقوا مسؤولية الأحكام الإلهية في عنقه في الجانب الثاني.. والصلة بين المجتهد والأمة يطلق عليه (النظام المرجعي)، والجذر اللغوي لذلك هو (الرجوع) أي الرجوع إلى المجتهد، والالتزام بما يصدر عنه، ولا يعني ذلك – كما أسلفنا – أن هذه المرجعية تتعامل مع الفتوى فقط، بل هي الرعاية الأبوية للأمة في جميع شؤونها، ما دام المجتهد الأعلى الجامع للشروط لا يتمتع بهذه المكانة لنفسه بل باعتباره نائباً عن الإمام الثاني عشر الحجة المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف.

لقد حفل تاريخ المرجعية الدينية للشيعة الاثني عشرية بأسماء لامعة من

الفقهاء والمراجع العظام الذين غطوا مساحة كبيرة من واقع الأمة بدءا بشيخ الطائفة الطوسي، ومروراً بالعلامة الحلي، والشيخ الأنصاري، والسيد أبي الحسن الأصفهاني، والسيد البروجردي وانتهاء بالمرجع الديني الأعلى آية الله العظمى أستاذنا الخوئي رضوان الله عليه، ومن الإنصاف أن نعترف بأن مرجعيته الرشيدة تميزت بخصائص قلما نشهدها في غيره من مراجع الدين وإليك بعض الشواهد:

١. لقد كان الإمام الخوئي رضوان الله عليه أول مرجع يخرج هذا العدد الكبير من الفقهاء والمجتهدين، وهذا أمر لا يقبل النقاش، فلئن لقب منذ خمس وثلاثين سنة بأنه زعيم الحوزة العلمية في النجف الأشرف، فقد اتسع هذا اللقب ليكون زعيم الحوزات العلمية بأسرها، إن الفقهاء الذين تخرجوا في مدرسة الإمام الراحل قدس سره يكونون أكثر من (٧٥٪) من كل فقهاء الشيعة الإمامية في العصر الحاضر، وهم موزعون في كل بقاع الأرض رافعين مشاعل العلم والهداية.

٢. لقد شهد الإمام الخوئي قدس سره ثلاثة أجيال من تلامذته الذين بلغوا رتبة الاجتهاد، وربما كان الكلام في الجيل الرابع من تلامذته في بلوغ رتبة الاجتهاد صادقاً، وهذا ما يميزه عن غيره من المراجع الذين سبقوه أو عاصروه.

٣. كان الإمام الخوئي قدس سره يرعى كل الحوزات العلمية في العالم بالرواتب والمساعدات حتى يتفرغ الأساتذة وطلاب العلوم الدينية لعملهم الفقهي وخدماتهم الدينية الجليلة، فحوزة النجف الأشرف وحوزة كربلاء المقدسة في العراق، وحوزات قم ومشهد وأصفهان وتبريز وغيرها في إيران، والحوزات والمعاهد الدينية في الهند وباكستان وتايلند وحتى في أوربا من الشواهد الحية على ذلك، إن شمول الرعاية هذا يعتبر من مختصات مرجعية الإمام الراحل.

٤. لقد كان الإمام الخوئي قدس سره أول مرجع اهتم بالعمل المؤسساتي، تأسيساً ودعماً، ففي الجانب التأسيسي أمر بتأسيس مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية وهي مؤسسة عالمية قامت في غضون عمرها القصير بمشاريع دينية وثقافية واجتماعية ضخمة ممتازة في شتى بقاع المعمورة، وفي جانب الدعم كان قدس سره يدعم كل مشروع ديني وثقافي للمؤمنين بإعطاء الإجازات السخية لصرف حصة من سهم الإمام الكلية في ذلك المشروع.

٥. وتبحر الإمام الراحل قدس سره في (علم الرجال) أو علم (الجرح والتعديل) وهو العلم الذي يعنى بتحقيق حال الرواة الذين يتوقف على وثاقتهم استنباط الأحكام الشرعية من الأحاديث التي رووها عن المعصومين عليهم السلام.. أمر تفرد به مرجعنا العظيم من بين سائر المراجع.

ولو حاولنا استقصاء جميع ما تفردت به مرجعية الإمام الخوئي قدس سره في المجالات العديدة لاستدعى منا بحوثاً مفصلة لا تتناسب مع شدة المحنة التي نحن فيها أيام ارتحاله، ولكن هذه إشارات عابرة، ومن هذه المنطلقات نجد الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا مات العالم الفقيه ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء**» أصدق تعبير عن الفادحة التي ألمت بالأمة الإسلامية حين رحل الإمام الخوئي قدس سره إلى الرفيق الأعلى.. ولئن غاب بشخصه، فإن مدرسته الفكرية، ومنهجه الأصولي الفذ في الاستنباط، وأسلوبه العلمي التحقيقي الذي دربنا عليه، لا يزال نبراساً لنا يضيء الدرب في متاهات الحياة، وليخلد التاريخ هذا العملاق الذي لا يجارى، والقمة التي تتعب المتسلقين في بلوغ شاهقها والتربع على مجدها..

ملمح في شخصية الإمام الخوئي قدس سره

ملكات فكرية لا تتوفر إلّا للعباقرة

السيد منير الخباز

إن بروز الإنسان كمفكر في أي حقل علمي ليس أمراً قريب المنال بل هو عنوان كبير يحتاج إلى كفاءات ذاتية واكتسابية تجتمع وتتلاحم لتعبد الطريق أمام الإنسان حتى تصل به لقمة المفكرين وهذه الكفاءات منها الذكاء ومنها قوة الذاكرة ومنها النشاط الفكري المتواصل ومنها القدرة والمهارة في إيصال الأفكار للآخرين، وهي كلها توفرت في شخصية سيدنا المقدس قدس سره:

ذكاؤه: لقد بلغ سيدنا الأستاذ من حدة الذكاء ما جعله في مستوى العباقرة والنوابغ فأحاطته بعدة اختصاصات علمية وهي الفقه والأصول والرجال والفلسفة وعلم الكلام وإبداعه فيها دليل واضح على حدة الذكاء.

وسرعة بديهته ونقضه للنظريات العلمية التي يسمعها: دليل آخر أيضاً، لقد روى لي العلامة الأستاذ الشيخ محمّد علي المراغي أن مجموعة من الماركسيين زاروا سيدنا الخوئي قدس سره وعرضوا عليه الأساس في الفلسفة الماركسية وهو أن العالم كله قائم على حركة الصراع بين المتناقضات على الصعيد التكويني وعلى الصعيد الذهني، أنه لا مانع من اجتماع النقيضين خلافاً للفلسفة الإسلامية بل هو أمر لابد منه للحركة التطورية، فانتقل السيد الخوئي قدس سره بكل سرعة إلى نقض الأساس المذكور بقوله: إذا لم يكن هناك مانع من اجتماع النقيضين فكلامنا صحيح وكلامكم صحيح وإن كانا متناقضين إذ لا مانع من اجتماع النقيضين، فتحيروا في المناقشة؛ لأنهم إن قالوا كلام الإسلاميين غير صحيح فهذا اعتراف منهم بكون فلسفتهم ليست حقائق مطلقة.

ومن الشواهد على ذكائه ما نقل عن المرحوم آية الله الشيخ هاشم الآملي وهو من تلامذة المحقق أغا ضياء الدين العراقي المشهور، له كتاب بدائع الأفكار في تقريرات بحث أستاذه العراقي وقد سئل الآملي: لماذا لا تحضرون بحث المحقق النائيني قدس سره؟ فأجاب لأنه محاط بأسود ينقضون كل أشكال يورد على المحقق

وهم السيد أبي القاسم الخوئي والشيخ حسين الحلي (قدس سرهما)، ومن أمثلة ما ذكرنا ما نقل عن المرحوم آية الله الشيخ محمّد طاهر الخاقاني حيث قال: السيد الخوئي سريع النقض بل هو على النقض أقدر منه على البناء.

ونحن وإن لم نوافق الشيخ الخاقاني على تفاوت قدرة السيد الخوئي في مجال النقض والبناء ولكنها شهادة من عالم مجتهد معروف معاصر للسيد في التلمذة على أعلام النجف الأشرف.

ذاكرته: لقد كان سيدنا المرحوم فريداً في قوة الحافظة وحضور الذاكرة الذي صاحبه حتى بلغ سن الشيخوخة ومن الدلائل على قوة الذاكرة عنده ما قاله عن نفسه من أنه كان يحضر بحث الميرزا النائيني ولم تكن في تلك الأوقات مسجلات الصوت متوفرة في النجف ولم يكن يستخدم القلم للكتابة أثناء البحث، بل كان يعتمد على ذاكرته فيحفظ أكثر ألفاظ البحث ونصوصه بمجرد إلقاء الميرزا النائيني له ويقرره بعد الفراغ من جديد على مجموعة من الطلاب الذين لا يستوعبون بحث الميرزا أو لا يجيدون فهم لغته، ولقد تشرفنا بحضور بحثه أوان شيخوخته وابتلائه بمشاغل مرجعيته وكان قليل الاعتماد على كتب الحديث، بل كان يقرأ الروايات والآيات المستدل بها من حفظه دون الاعتماد على كتاب.

ونقل الأستاذ الشيخ مرتضى البروجوردي أنه كان يحضر بحثه في الأصول فجاءت العطلة الرمضانية وبعد انتهاء رمضان كان المفروض أن يبدأ السيد قدس سره بحث (هل يصح أمر الآمر مع علمه بانتفاء شرطه أم لا؟) ولكنه غفله، ولتراكم البحوث بدأ بحث اجتماع الأمر والنهي واستمر في البحث فترة من الوقت والطلاب في خجل أن ينبهوه على موضع البحث، ثم قام أحد الطلاب وقال: إن البحث قبل رمضان قد انتهى لبحث أمر الآمر مع علمه

بانتفاء شرطه لا لبحث الاجتماع، فتوقف السيد لحظات ثم شرع في نفس الوقت في بحث أمر الآمر وكأنه على استعداد وتحضير وشواهد ذلك كثيرة.

روح النشاط: وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام، فقد أبت همته القعساء إلّا الإحاطة والإلمام بكثير من المعارف والحقول فكان يجهد بدنه ويتعب فكره ويستنفد وقته في مختلف البحوث فلم تقتصر أيام دراسته على الحضور عند شخص معين ولا حصر الاستقاء من مشرب واحد ومنهل خاص، بل إنه استقى من المدارس الأصولية الثلاث النائيني والعراقي والأصفهاني واستفاد من غيرهم أيضاً كالميرزا علي الأيرواني وشيخ الشريعة الأصفهاني ولم يقتصر على الفقه والأصول بل تضلع في الفلسفة وعلم الكلام.

فمن ناحية الأصول يقول عن نفسه كما نقل عنه الأستاذ آية الله العظمى السيد علي السيستاني دام ظله بقوله: لكل شيء علة مادية وعلة صورية والعلة المادية لأصولنا أفكار الشيخ الأصفهاني الكمبائي والعلة الصورية له أفكار المحقق النائيني، وكان الشيخ الأصفهاني فخوراً به كما ينقل المرحوم آية الله السيد نصر الله المستنبط أنه حضر بحث الشيخ الأصفهاني فرآه قليل الحضور فسأل المستنبط الشيخ الأصفهاني: لماذا بحثكم قليل الرواد مع عمق أفكاركم ودقة بحوثكم فلو غيرتم مكان البحث إلى مكان عام لربما كثر الحاضرون؟ فأجابه الشيخ الأصفهاني: أن عندي تلميذين كل منهما خير من ألف من الطلاب المحصلين وهما السيد أبي القاسم الموسوي الخوئي والسيد محمّد هادي الميلاني (قدس سرهما)، (الذي كان أيضاً أحد المراجع الأعلام في زمانه).

وإذا نظرنا في الفلسفة فنراه قد أغرق فيها وأحاط بجوانبها وقد سأله السيد السيستاني دام ظله عن حضوره في الفلسفة عند الشيخ الأصفهاني والسيد البادكوبي أستاذ الفلسفة في النجف في زمانه أيهما أقوى في الفلسفة؟ فأجاب

السيد الخوئي بجواب مذهل: أن الفرق بينهما في الفلسفة كالفرق بين صاحب الكفاية وصاحب الحدائق في الفقه والأصول فمع أن الشيخ الأصفهاني كان كلامه الأصولي مبنياً على المصطلحات الفلسفية دائماً حتى قيل في حقه (فقهه أصول وأصوله معقول ومعقوله لا معقول)، لكن كانت نسبة الأصفهاني في الفلسفة للسيد البادكوبي كنسبة صاحب الحدائق؛ لأن الشيخ يوسف البحراني خالص في الفقه وصاحب الكفاية غارق في الأصول.

ونهل سيدنا علم الكلام على يد الشيخ محمّد جواد البلاغي كما يظهر في كتابه (البيان في تفسير القرآن)، ومن دلائل نشاطه العلمي وروحه المتوهجة بعشق العلم والمعرفة أنه يدرس أيام التحصيل وأيام التعطيل وكان يحاضر في اليوم الواحد في الفقه والأصول والتفسير فترة طويلة من حياته، ونقل عنه الأستاذ السيد السيستاني دام ظله أنه قال له: لا أعتقد أن أحداً من تلامذتي تعب مثل تعبي أيام دراستي إلّا ثلاثة وحتى بعد وصوله مقام المرجعية وابتلائه بأعمالها ومهام الزعامة الروحية للعالم الشيعي ما ترك البحث والتدريس، فقد رأيناه شيخاً كبيراً جاوز التسعين من عمره لا يقدر على الوقوف وحده إلّا في صلاته، وإذا أمسك القلم رجفت يداه إلّا في كتابة البحوث العلمية كما يقول عن نفسه.

وكان مصاباً بضيق التنفس ومع ذلك لا يترك البحث فكان يأتي معتمداً على رجلين يمسكان به ويرقى المنبر ويؤدي وظيفة التدريس بلا ملل أو ضجر وما هجر القراءة ولا التأمل والتفكير حتى بعد إصابته بالنوبة القلبية ولم يترك مجلس الاستفتاء والإجابة عن الفتاوى حتى في مرضه الذي توفي فيه، حيث ينقل نجله العلامة السيد محمّد تقي الخوئي حفظه الله: أنه في يوم الجمعة أي قبل وفاته بيوم واحد كان مجهداً متعب القلب فجاءت لجنة الاستفتاء ومنهم الشيخ مرتضى

البروجردي فأشفقوا عليه مما هو فيه، لكنه أبى الإجابة عن الاستفتاءات، فقرأ الشيخ البروجردي سؤالاً مفاده: هل يجوز للإنسان العبث بجهازه التناسلي مع وثوقه بعدم الإنزال أم لا؟ فأجاب قدس سره بالجواز، فأشكل عليه نجله السيد محمّد تقي: بأنكم ذكرتم في بحوثكم في معنى قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ**﴾ (المؤمنون: ٥-٦) بأن المراد بالحفظ الإقلاع عن جميع التصرفات والتقلبات إلّا مع الزوجة فكيف تجوزون العبث بالفرج؟ فأجابه وهو في شدّة مرضه: أن الآية أمرت بالحفظ والحفظ إنما يكون عن الغير لا عن النفس، فإن ذلك لا يسمى حفظاً عرفاً.

بيانه: بالرغم من كون السيد قدس سره تركياً فارسياً ولكنه كان عربي البيان حسن الأسلوب سلس الألفاظ، ينحدر في البيان الواضح بلا توقف، وكان بحثه مرتباً مبوّباً واضح الملامح والزوايا يقوم التلميذ منه وهو مستوعب لأطراف البحث وإن كان دقيقاً حتى قيل في حقه: «أنه يجسم المعقولات»، وأحياناً يقرأ التلميذ البحث الفقهي في كتاب الجواهر أو المستمسك فلا يراه واضحاً تماماً أو يقتنع ببعض الآراء المطروحة دون غيرها، وبمجرد أن يحضر بحث السيد قدس سره فإن ذلك التشويش والغموض يزول تماماً من ذهنه، ويبدو المطلب جلياً لا غبار عليه، وتتبدل قناعته ومعتقده لقناعة أخرى فيرى أن مختار السيد قدس سره من الأقوال بديهي لا يقبل الشك والريب لقوة البراهين المسوقة عليه وحسن العرض له.

مسيرة المرجعية المتطورة

من خلال تحرك الإمام الخوئي

العلمي والاجتماعي

الدكتور السيد محمّد بحر العلوم

مدرسة أئمة أهل البيت عليهم السلام في الإسلام – والمعروفة بخط الإمامة – نحت نحواً جماهيرياً إصلاحياً من يوم وجودها، وبالتحديد من عهد الإمام علي عليه السلام وحتى هذا اليوم.. هذه المسيرة الطويلة عبر الزمان والمكان حددت الواقع الإيماني، والتحرك النضالي والعمل الاجتماعي لهذه الشريحة الكبيرة من الأمة الإسلامية دون أن تكون لها قواعد (مؤسساتية) ترعى هذه المسيرة وتخطط لها من أجل التطوير في المسلكية التجسيدية نحو عملية التوسع والتغيير التي ينشدها المصلحون من هذه الأمة، وضحت في سبيلها الغالي والنفيس لتملك ناصية السلطة، وتوجيه الأمة نحو مستقبل يرتضيه الله، ورسوله والمؤمنون.

إن جماهير مدرسة أئمة الهدى من آل بيت المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وضحت فيهم المزايا العديدة عبر مسيرتهم الطويلة ولعل من أبرزها:

الإخلاص في العمل، والنزاهة في السيرة، والإيمان بالمبادئ، والصدق في التعامل، والكفاءة في الفاعلية ومن هذا المنطلق النبيل والفذ، أصبحت موضع اهتمام وحذر من قبل السلطات الطاغوتية الحاكمة في كل زمان ومكان.

الاهتمام: لأنها الأمة الملتزمة عقائدياً بقيمها الأساسية، وفي سبيلها تهون عليهم التضحية والفداء.

والحذر: لأن هذه المقومات قد تكمن من جراء الضغوط الهائلة عليها، والمتصفة في غالبيتها بالقمع والدم، والتعذيب، والتشريد والسجن والإرهاب بصفة عامة، ولاشك في أن ذلك يفجر (الانتفاضات) بكل أنواعها ضد السلطات المنحرفة، التي حكمت المسلمين – باسم الإسلام – طيلة هذه السنوات الطوال، وحيث لم تجد السلطات سبيلاً لإخضاعها عن طريق القبول والموافقة، فإنها كانت تعمد – في الأعم الأغلب – إلى طريق القمع والإبادة، والتصفيات الجسدية، وما شابهها من أساليب حكام الظلم والجور.

والمشكلة الرئيسية لهذه القضية المصيرية – الوجود أو لا وجود – ليس الأساس أن تكون المسيرة الحياتية متروكة للظروف الزمنية، وعوامل الساحة الآنية ومدى فاعليتها في هذا المضمار الحي، الذي يتطلب جهداً فكرياً وعملياً في إرساء المسيرة على الطريق الصحيح، بمعنى آخر: أن نتحرى الهدف، أو الأهداف التي تطمح لها هذه الأمة في مسيرتها الحياتية، ونعرف تحديدها، حتى نتمكن من تجسيد هذه الأهداف وطبيعة تحركها على الأرض ودون تلكؤ، ودون وجل ودون مجاملة.

من هنا تنشأ أهمية دور العمل المرجعي الذي يستبطن قوة فاعلة من تهيئة كوادر تستطيع أن تخطط، وتهيئ عوامل التجسيد، والتحرك والتنشيط لما يمكن تحقيقه وتفعيله للوصول إلى الأهداف السامية، هذا العمل البناء في إطار المرجعية ما كان بمستوى الواقع المعاش في كثير من العهود الغابرة، والحديثة إلى عهد قريب، مما سهل الانقضاض على المرجعية الرشيدة، وإجهاض عملها ومحو مخططاتها الإصلاحية، وبالتالي التخلص منها وبأي وسيلة كانت، في حين نرى في الجانب الآخر توفر كل هذه الوسائل التي تضمن ديمومتها، حتى وإن كان عن طريق غير شرعي، فالشرعية أمر ثانوي في تلك الأعراف.

إن يومنا هذا يختلف عن أمسنا، قد يكون اختلافاً كلياً من حيث الثقافة والسياسة والاجتماع، وبدأ الوعي بالفكر الإمامي يتنامى نمواً محسوساً لدى الجماهير الإسلامية الشيعية، بحيث أخذت نداءاتها تتصاعد – إن لم نقل تتفجر – بين آونة وأخرى في المطالبة الجادة بأن تكون مسيرتنا العامة على مستوى الأحداث التي تفاجئ هذه الطائفة، وهذا الوعي إن لم يتدارك بتلبية بعض طموحاته – إن لم يكن كلها – فسينفجر نقمة وغضباً على القيادات المفروضة عليه، أو الفارضة نفسها على الساحة الإسلامية الشيعية، أو المتصدية

للعمل السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي أو الديني وحينها يصعب رتق الفتق ومعالجة المشكلة.

مما لاشك فيه أن على المرجعية الرشيدة للمسلمين الشيعة القسط الأكبر من هذه المسؤولية الأساس لحياة الأمة، باعتبارها القوة الأكبر، والأكثر إمكانات للعمل في خلق، أو إحياء المؤسسات البناءة، والفاعلة في تطوير أو تجسيد العمل المقدم لهذا الاتجاه الحيوي للأمة، وتطوير معالمها الناطقة بالحركة المثمرة.

ولم تخف هذه النقطة المركزية على المرجعية منذ منتصف القرن الماضي الهجري، فأعطيت الأولوية والأهمية في مرجعية الإمام الراحل آية الله العظمى السيد محسن الحكيم قدس سره ولكن ما إن أعطت مسيرة المرجعية زمامها ليد سيدنا المرجع الديني الأعلى الإمام السيد أبي القاسم الموسوي الخوئي قدس سره حتى أولاها الاهتمام الكبير، وهي الأجواء الملائمة للمشاريع التنموية على الصعيدين الفكري، والاجتماعي.

حيث نسلط الأضواء على مسيرة مرجعية الإمام الخوئي الرائدة من خلال إنجازه العلمي، وتحركه الاجتماعي، نستطيع أن نلمس تطوراً مهماً في مسيرة المرجعية العامة، ويمكن أن نجسد ذلك في خطين واضحي،ن من خلالهما نستنتج ما ندعيه وبصورة لا تدعو إلى الشك:

الأول: الإنجاز العلمي:

يعتبر الإمام الراحل المغفور له السيد أبي القاسم الموسوي الخوئي، أحد أبرز مراجع الشيعة في العالم الإسلامي، قضى قرابة ثمانين عاماً في خضم علوم الشريعة، وذلك من حيث وصوله إلى النجف الأشرف، الجامعة الدينية للشيعة الإمامية في ١٣٣٠هـ-١٩١٢م، وكان من أبرز أساتذته العلماء الأعلام،

وآيات الله العظام، الذين التحق بدوراتهم التدريسية من عام ١٣٣٨هـ-١٩٢٠م هم الشيخ فتح الله، المعروف بـ (شيخ الشريعة الأصفهاني)، والشيخ مهدي المازندراني، والشيخ أغا ضياء الدين العراقي، والشيخ محمّد حسين الأصفهاني، والشيخ ميرزا حسين النائيني، وهذان الأخيران أكثر من تتلمذ عليهما فقهاً وأصولاً، وأكمل على كل منهما دورة كاملة في الأصول، وعدة كتب في الفقه، واستمر خلال أكثر من خمسة عقود يرفد المدرسة العلمية في النجف الأشرف بالنتاج العلمي، حيث كان إنجازاً مهماً، يمكن إيجازه بالآتي:

١. **الفقه**: حاضر الإمام الراحل طيلة ستة عقود على طلاب حوزته الفقهية - والذين تجاوز عددهم المئات - في بحثه الخارج دورة كاملة في بحوث الفقه الإسلامي من العبادات والمعاملات، وكانت على الوجه التالي:

أ. حاضر دورتين كاملتين لكتاب (المكاسب) وهو يضم بحوث المرحوم شيخ الفقهاء الشيخ مرتضى الأنصاري المتوفى سنة ١٢٨١هـ-١٨٦٤م في المكاسب المحرمة وقد جعله أصلاً لبحثه، ودار حوله تحقيقاً وشرحاً واسعاً.

ب. بحث في موضوع الصلاة دورتين كاملتين استعرض آراء الفقهاء السابقين وناقشها، وأضاف عليها تحقيقاً واسعاً في هذا الباب من مواضيع الفقه.

ج. كما أنه جعل كتاب (العروة الوثقى) للفقيه الكبير المرحوم السيد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي المتوفى عام ١٣٣٧هـ-١٩١٩م أساساً لبحثه الفقهي العام ولعله المرجع الوحيد الذي أنهى البحث في هذا الكتاب الفقهي القيم، والذي أصبح موضوع تدريس وتأليف لكثير من العلماء الأعلام من بعده.

د. بحوث فقهية متنوعة في العبادات والمعاملات كانت بمثابة تكميل مع ما

سبق من بحوثه الفقهية لدورة فقهية تضم كل أبواب الفقه الإسلامي من العبادات والمعاملات.

وكانت حصيلة البحث الفقهي، مما حرره هو مباشرة أو محاضرات له دوَّنها تلاميذه ونشرت تباعاً، وهي:

أ. مؤلفاته:

١. تكملة منهاج الصالحين مجلد واحد.
٢. تهذيب وتتميم منهاج الصالحين مجلدان.
٣. مستحدثات المسائل مجلد واحد.
٤. رسالة في اللباس المشكوك مجلد واحد.
٥. تعليق على المسائل الفقهية مجلد واحد.
٦. تلخيص المنتخب مجلد واحد.
٧. مناسك الحج (فارسي) مجلد واحد.
٨. مباني تكملة منهاج الصالحين مجلدان.
٩. المسائل المنتخبة مجلد واحد.
١٠. تعليق على العروة الوثقى مجلد واحد.
١١. منتخب الرسائل مجلد واحد.
١٢. تعليق على توضيح المسائل مجلد واحد.
١٣. مناسك الحج (عربي) مجلد واحد.
١٤. تعليق المنهج لأحكام الحج مجلد واحد.

ب. ما دونه طلابه من محاضراته في الفقه:

١٥. تنقيح العروة الوثقى (٩) مجلدات.
١٦. دروس في فقه الشريعة (٤) مجلدات.
١٧. مستند العروة (٣) مجلدات.

١٨. فقه العترة مجلدان.
١٩. تحرير العروة مجلد واحد.
٢٠. مصباح الفقاهة (٣) مجلدات.
٢١. محاضرات في الفقه الجعفري مجلدان.
٢٢. الدرر الغوالي في فروع العلم الإجمالي مجلد واحد.
٢٣. مباني العروة الوثقى (٤) مجلدات.

هذه الكتب الفقهية المطبوعة سواء من تأليفه، أو محاضراته وهي تؤلف أكثر من (٤٠) مجلداً، وأما المخطوطة منها بأقلام تلاميذه فهي كثيرة وتتجاوز المائة مجلد، ولعلّ الزمن يجود بطبعها، ورفد المكتبة الفقهية بها.

٢. **الأصول**: يعتبر فكر سيدنا المغفور له الأصولي من أروع ما وصل إليه علم أصول الفقه في عصرنا اليوم، ولم يكن من المبالغة إذا قلنا أن أحداً من أعلام المحققين لم يسبقه في هذا المضمار، فقد درس وحاضر عدة دورات كاملة في هذا الحقل، وتشير المصادر المختصة إلى أنه أكمل ست دورات وشرع في الدورة السابعة ولم يكملها بسبب تراكم مسؤوليات المرجعية الدينية العامة التي اضطلع بها، واعتقادي بأن كتابه (أجود التقريرات) من أروع كتب الأصول الحديثة، وقد ضمن فيه آراء أستاذه المحقق الميرزا حسين النائيني المتوفى عام ١٣٥٥هـ-١٩٣٦م مع تلاقح الأفكار الأصولية في هذا الحقل وقد صدرت له عدة كتب، قد تتجاوز (٢٠) كتاباً أذكر منها:

١. أجود التقريرات مجلدان.
٢. محاضرات في أصول الفقه (٥) مجلدات.
٣. مصباح الأصول مجلدان.
٤. مباني الاستنباط مجلدان.
٥. دراسات في الأصول العملية مجلد واحد.

٦. مصابيح الأصول مجلد واحد.
٧. جواهر الأصول مجلد واحد.
٨. الأمر بين الأمرين مجلد واحد.
٩. الرأي السديد في الاجتهاد والتقليد مجلد واحد.

وقد طبعت هذه الكتب واعتبرت مصدراً رائعاً في علم أصول الفقه، وهناك عدد كبير من التقريرات التي لازالت مخطوطة ولم تنشر.

٣. **القرآن الكريم**: وقد شرع رضوان الله عليه في تفسير القرآن الكريم واهتم بذلك، وتحدث عن مقدمة رائعة مركزة على التفسير كمدخل لتفسير القرآن، ثم بدأ في سورة الفاتحة، وأصدر ذلك في كتاب أسماه (البيان في تفسير القرآن) وطبع عدة طبعات وبلغات مختلفة، كان موضع اهتمام الباحثين لما فيه من مواضيع هامة جلاها كأحسن ما يقتضي ذلك، وقد حالت ظروفه القاسية دون إكمال هذا المشروع.

٤. **علم رجال الحديث**: ونظراً لما لمعرفة رجال الحديث الشريف من أهمية في بناء الأحكام الشرعية، فقد بذل الإمام الراحل جهداً كبيراً في دراسة رواة الحديث، مع ترجمة بسيطة لكل واحد منهم، تبين مدى وثقافته، وموقعه من الاعتماد عليه في نقل الرواية، وأسماه (معجم رجال الحديث) وفرغ من تأليفه عام ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م ويقع في (٢٤) مجلداً طبع عدة مرات.

الثاني: الإصلاح الاجتماعي:

لقد أعطى الإمام الراحل اهتماماً كبيراً إلى الجانب الإصلاحي الاجتماعي والثقافي وأولاه عناية خاصة في حياته، فالمشاريع الدينية والثقافية والتربوية والإنسانية التي أمر بتشييدها وأنجزت، أو التي في دور الإنجاز، والتي قامت بها (مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية) كلها من تخطيطه، ورسمه وتوجيهه، وهي بمجموعها تدل على نظرة قيادية رائدة لم تقتصر على مكان معين، أو فئة معينة،

إنما أكدت على شمولية أوسع وتوجه أكبر لكل طوائف العالم الإسلامي الشيعي في شتى بقاعهم، وأماكن تواجدهم، وأوليات احتياجاتهم سواء أكانت دينية، أم ثقافية أم تربوية أم اجتماعية نظراً لما لها من تأثير فاعل على بناء الإنسان المسلم الذي يعيش اليوم غربة في عقيدته وقيمه الأصيلة أمام هذا الزخم الكبير من الإغراءات والمدنية والحديثة التي أثرت تأثيراً هاماً في تفتيت الواقع العقائدي في الإنسان نتيجة عدم توفر المقومات والإمكانات البناءة في تسليح الفكر الإنساني الإسلامي وحمايته من الانحراف.

ولقد تمكنت هذه المؤسسة من قطع شوط كبير في مسيرتها الإصلاحية، وسجلت لها مواقع جيدة في دائرة العمل الفاعل في هذا المضمار، ونستطيع أن نوجز تلكم المشاريع بما يلي:

أ. **في بريطانيا:** كان لها السهم الأكبر في هذا العمل فقد تمت أربعة مشاريع هامة مترابطة تسد بمجموعها ثغرة كبيرة كانت أمتنا بحاجة ماسة إليها منذ زمان طويل هذه المشاريع هي:

١. جامع كبير واسع كامل المرافق، تحتاج إليه الطائفة في شتى مناسباتها الدينية والإرشادية.

٢. مدرسة ابتدائية للبنين وأخرى للبنات تتوسع وتتطور مع المراحل الدراسية، وكانت الحاجة تقتضي إيجاد مثل هذه المدرسة، والتي يمكن بواسطتها صيانة أولادنا وبناتنا من الانحراف في تيار الحرية الشخصية الواسعة التي يعيشها طلاب المدارس في الغرب وعلى كل المستويات تبعاً للتحديث الذي أوجدته في أوربا البطالة والتمادي في التحرر من الأخلاق والقيم.

٣. المؤسسة الثقافية: والتي تأخذ على عاتقها نشر الفكر التربوي، والثقافي لمدرسة أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولتحقيق هذا الغرض أصدرت مجلتين

(النور) باللغة العربية والإنجليزية ومجلة (دايلوك) باللغة الإنجليزية وقد ترجمت ونشرت في مجموعة كتب تعريف بمذهب أهل البيت عليهم السلام في أكثر من مائة وعشرين مجلد باللغة الإنكليزية بما يخدم الإنسان المسلم الذي يعيش في العالم غير الملتزم.

٤. تأسيس مكتب للعلاقات العامة التي من خلالها تطرح مشاكل المسلمين الشيعة بالشكل الواقعي وبيان مظلوميتهم.

هذه أهم المشاريع الإصلاحية التي تبنتها المؤسسة الفتية في لندن، إلى جانب عدد من المشاريع الدينية الاجتماعية في بريطانيا، والموجهة بترشيد العاملين في المضمار الديني، وتهيئة ذي الكفاءة للقيام بمهام التبليغ الإصلاحي الديني ورفع مستواهم العملي.

ب. **في إيران**: أنجز معهد ديني باسم (مدينة العلم) في مدينة قم، وهذا المعهد الإسلامي خصص لتدريس العلوم الإسلامية على مختلف المستويات، مع أقسام المبنى في خمسمائة منزل والعمل جار في الوقت الحاضر لخمسمائة أخرى على أحدث طراز ينسجم ومتطلبات العصر من الناحية الصحية والمكانية، كما أنجز بناء مدرسة لطلاب العلوم الدينية في مشهد الإمام الرضا عليه السلام بخرسان، وقد هُيِّئت فيها كافة الوسائل المقتضية لطلاب المعرفة ورواد العلم.

جـ. **مركز الإمام الخوئي الإسلامي في نيويورك**: وقد أعد للاستفادة الدينية والثقافية، وهو يستقبل المسلمين كل أسبوع بتنظيم برامج دراسية في مختلف المستويات والمحاضرات الأسبوعية، والمناسبات العامة والخاصة، كما هُيِّئت فيه مكتبة إسلامية يستفيد منها رواد الفضيلة والعلوم كما تضم مدرسة عصرية على غرار مدرستي لندن.

د. **مشروع إنشاء مدينة جامعية في بومباي**: مع بيوت سكن لطلاب العلوم،

ويقدر أن يتم هذا المشروع الديني الضخم خلال أربع سنوات، ويكون فريداً في وجوده بالشرق، مهيأ ليستوعب أعداداً كبيرة من رواد العلم.

هـ. **المركز الإسلامي في تايلاند:** وقد تأسس منذ عدة سنين، ومهمته التبليغ الإسلامي في تلك الجهات.

و. **مشروع مركز ديني لطلاب العلوم الإسلامية في إسلام أباد - باكستان:** وضع أساسه في هذا العام.

ز. **مشروع مدرسة على اختلاف مراحلها للطلاب المسلمين الشيعة في ديربورن - مشيغان:** ومدينة ديربورن تسكنها جاليات إسلامية كبيرة لبنانية وعراقية ويمنية.

وهناك مشاريع متعددة لها أهميتها أما في دور الإعداد أو التنجيز، تقوم بها مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية لا يسع هذا المجال لحصرها الآن.

إن هذه المشاريع الهامة تحتاج إلى قدرات عالمية وإمكانات مالية، وكفاءات جيدة، لإدارة هذه المهام في الساحة الإسلامية، والثورة الثقافية للصحوة الإسلامية في عالمنا اليوم.

من هذا كله نستطيع أن نضع خلاصة لما تقدم في المضمارين العلمي، والإصلاح الاجتماعي وهو:

١. إن الإمام الراحل رفد المدرسة العلمية الإمامية بعمل ضخم في الفقه وأصوله والتفسير، وعلم الرجال ولاشك أن هذه الوفرة العلمية سيكون لها أثرها في تقويم المدرسة الفكرية الإسلامية الإمامية.

٢. إنه استطاع بمثابرته ومواكبته في هذا المضمار طيلة العقود الستة التي مثلت عمله العلمي أن يخرج عدداً كبيراً من الأعلام انتشروا في العالم الإسلامي لأداء المهمة الرسالية الإسلامية، سواء بشخصياتهم العلمية، أم بنتاجهم الثر.

٣. اهتماماته الكبيرة للجاليات الإسلامية في العالم الإسلامي والعمل الجاد على تهيئة الإمكانات الثقافية لهم بما يرفع من شأنهم وقدراتهم العلمية، وعلى كل المستويات.

ولاشك أن المسيرة الحياتية للمسلمين الشيعة في وقتنا الحاضر أكدت على حقيقتين مهمتين لا يمكن التغاضي عنهما:

الأولى: أن تكون مسيرة المرجعية من خلال مرجعية الإمام الخوئي﵀ يعرب عن واقع جديد فرضته الظروف المستجدة للأمة الإسلامية، وأنه أمر لابد من أخذه بنظر الاعتبار.

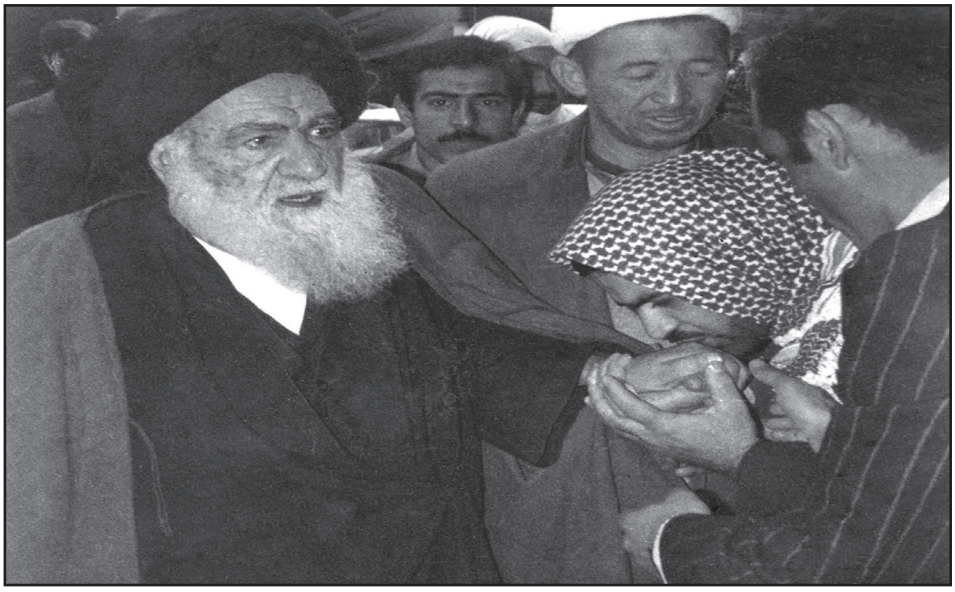
الثانية: أن التطور لابد من أن يكون في الشكل والمضمون في إطار التحرك العملي لمسيرة المرجعية وهذا ما تبناه الإمام الخوئي﵀ في مسيرته الفكرية والإصلاحية والاجتماعية.

كما أن علينا كافة أن نتعايش مع هذا التطور، وننسجم معه، ونتجنب التخلف عن الركب الحضاري، والانصهار في تياره ليمكن دفع العمل البناء إلى الأمام، فالأزمة الخانقة التي يعيشها المسلمون في كل مكان، وفي هذا العصر بالذات، تركت سلبية وحذراً في تفكير وسلوك الإنسان الشيعي يوسمه بصفات غير إنسانية وأخلاقية طارئة مما أدت إلى الحذر منه، وهي ليست منه، كما أنها ليست من طباعه، ففي كل الطوائف والشعوب صالح وطالح، وليس من الإنصاف أن تحمل مشاكل البعض على الكل، فإن الاختلاف في الاتجاهات الفكرية، أو التباين في الخطوط، أو التعارض في المبادئ الثانوية طبيعي في البشر، وعلينا أن نقيم الأمر بأسلوب موضوعي، دون تحيز وانعطاف في الأهواء.

إن هذه المشاريع التي أسسها إمامنا الراحل الإمام الخوئي﵀ لابد من أن نحتضنها بكل جهدنا، ونهتم بها ونجل كل القائمين على تنفيذها وفي مقدمتهم

الأخوان الجليلان حجة الإسلام والمسلمين السيد محمّد تقي الخوئي وحجة الإسلام السيد عبد المجيد الخوئي نجلا الإمام الراحل ونشد على أيديهما بأن يحققا آمال الأب العظيم، الذي كرس حياته لأمته، وذهب لربه عظيماً كريماً، وبما يساعدهما على ديمومة المسيرة الإنسانية وتحقيق ما توخاه إمامنا الراحل منهما، والله المسدد للصواب.





الإمام السيد الخوئي قدس سره بعد خروجه من مسجد الخضراء في النجف الأشرف



الإمام السيد الخوئي قدس سره في مجلسه اليومي بين بعض تلامذته ومقلديه



خطوات رائدة في

مسيرة الإمام الخوئي العلمية

الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي

من أهم خصائص العلوم الإسلامية أن تظافر فيها المنهج النقلي والمنهج العقلي في وحدة تكاملية احتفظت لها بأصالتها الإسلامية، وطبعتها بطابع العمق في البحث، والاستقلالية في الرأي، فكان بروز الشخصية العلمية لدى الباحث المسلم أن يتحرك داخل هذا الإطار، فيحافظ على هذه العناصر الثلاثة: الأصالة، العمق، الاستقلال؛ ليبقى للفكر الإسلامي وجوده المميز، هذا هو البعد الثابت للفكر الإسلامي، منه ينطلق العالم المسلم والباحث المسلم، وعليه يعودان عندما يتحركان في عالم متغيرات الفكر.

والمعيار الثابت في تحديد الشخصية العلمية لكل منهما، وفي ظهورها على الإنتاج العلمي يتمثل في المحافظة على هذا (البعد الثابت) وفي (الإضافة في المتغير).

وهذا الشيء في مجال النظرية من الوضوح بمكان، ولكن في مجال التطبيق قد تغيم معالمه فيكون الانزلاق والانحراف.

وقد لا يسلم من هذه الغفلة في مجال التطبيق إلّا الوعاة من العلماء واليقظون من الباحثين، من هنا لا يجوز أن يضاف عنصر (المعاصرة) للفكر الإسلامي، وهي – أعني المعاصرة – من المتغير، إلّا بعد الالتزام بالمحافظة على الأصالة التي هي من الثابت.

ومن هنا إذا أردنا أن نتعرف على واقع شخصية علمية هل هي بمستوى قضية التطور الفكري المعاصر نتلمس وجوده في الثابت والمتغير معاً، لا أن نتلمس وجوده في المتغير فقط، ولخطورة الموقف في هذه الحدود الفاصلة، ولصعوبة تثبيت الأقدام بشكل متوازن، ذهب الكثير منا في هذا التيه الفكري الذي سميناه بالضياع وراح البعض منا في تذبذب متعب، مرة في الثابت وأخرى في المتغير، حتى فقد الاثنتين: الأصالة والمعاصرة.

في ضوء هذا كنت أتلمس عن قرب، وبطريقة الملاحظة، في شخصيات علمية عرفت بالعطاء العلمي، عاصرتها وتتلمذت عليها، منها شخصية أستاذنا المغفور له الإمام الخوئي.

كان قدس سره ذا نظرة حدية وحادة في فهم الفاصل بين الثابت والمتغير، فكان يتحرك وهو يهدف إلى إعطاء الجديد، في جائرة الإضافة في المتغير فقط، وبه برزت شخصيته العلمية بصفته عالماً إسلامياً جدّد في الفكر الإسلامي علمياً وفنياً.

ولأذكر هنا لقطات انطباعية تشهد لهذا، وتمثل دور ريادته في قضايا كان على الواقع العلمي والدراسي في الأوساط الحوزوية أن تكون فيه... منها:

١- **التوسع الأفقي في الإطلاع على الإضافات في المكتبة الإسلامية**: رأيته قدس سره عندما كان يحاضر في التفسير ليلتي الخميس والجمعة من كل أسبوع يتابع في الإطلاع على ما أضيف في مكتبة القرآن الكريم من إصدارات تراثية ومعاصرة، وأتذكر أني أوصلت إليه - كواحد من كثيرين - (في ظلال القرآن) و(التصوير الفني في القرآن) و(مشاهد القيامة في القرآن) وكلها للسيد قطب، و(القصص القرآني) للدكتور خلف، و(مذاهب التفسير الإسلامي) للمستشرق كولد سيهر.

٢- **الرجوع في تحديد الموضوع العلمي إلى حقل معرفته**: ونرى هذا عنده قدس سره في مثل دراسته وحدة الأفق في مسألة الهلال، المنشورة في رسالته العملية.

٣- **التأكد من اعتبار المصدر**: فقد سمعته - وهو يحدد اعتبارية كتاب (الفقه على المذاهب الأربعة) للجزيري - يقول: «إن الكتاب لم يحرر كل ما فيه»، ويقصد من هذا أنه لم يراجع كله لتوثيق ما فيه، وعندما التقيت المرحوم سماحة الشيخ عبد الوهاب الفضلي إمام جامع السيف في البصرة ومفتي أهل السنة فيها، وذكرت له قول أستاذنا الخوئي، أكّد صحة قوله، وحدد

القسم المحرر منه والقسم الذي لم يحرر.

٤- **توثيق النص المنقول**: وقد أشار إليه بنفسهﷺ في مزايا موسوعته الرجالية القيمة الموسومة بـ (معجم رجال الحديث) يقول: «كل ما نقلنا في الكتاب عن أحد، فإنما نقلنا عن أصل المصدر، وقد يتفق أنه لا يوجد فيه، أو نحن لم نجده فيه، أو لم نراجعه، فننقله عمن نقله عن المصدر، مع التصريح بذلك... ولا ننسب شيئاً لأحد اعتماداً على حكاية ذلك في كتب الرجال أو غيرها، فإن ذلك يوقع في الاشتباه كثيراً، كما وقع ذلك لغيرنا، ولاسيما في بعض كتب المتأخرين».

٥- **تحديد الموضوع**: من أهم الأعمال في الدرس الفقهي من ناحية منهجية أن يحدد الموضوع قبل البحث عن حكمه، أو كما يعبر في لغة الفقه أن ينقح الموضوع ثم يبين الحكم، ولكن الظاهرة التي تكاد تكون شبه عامة عند الفقهاء في مجال الدرس الفقهي الاستدلالي ذكر الموضوع دون محاولة توضيحه بتبيان مفهومه وأبعاده، عدا ما رأيته عند أستاذنا السيد الخوئي في درسه الفقهي الاستدلالي على كتاب العروة الوثقى للسيد اليزدي، فإنهﷺ كان يبدأ أولاً بتعريف الموضوع وتجلية مفهومه وتحديد أبعاده، ثم ينتقل بعد هذا إلى عرض أقوال الفقهاء وآرائهم في الحكم، فاستعراض دليل كل رأي، ومن بعد يقوم بالموازنة بين الأدلة والمحاكمة لها، لينتهي إلى ما ينهيه إليه البحث، وأذكر مثالاً لهذا: مسألة تنجيس المتنجس من كتاب الطهارة، فالكثير ممن قرأتهم من الفقهاء يكتفون بذكر عنوان المسألة ثم يبحثون أدلة حكمها، بينما رأيتهﷺ لم يكتف بذكر عنوان المسألة، وإنما يتعدى إلى إيضاح موضوع المسألة ببيان أن المراد من هذه المسألة: المتنجس الذي قد زالت عنه عين النجاسة ثم جفت بعدها، ولاقاه وهو في هذه الحالة جسم طاهر رطب رطوبة مسرية، أن المتنجس ترطب بسائل طاهر رطوبة مسرية أيضاً، وهذا يعني الالتزام الدقيق والواعي بمنهج البحث

الفقهي؛ ذلك أنه في حالة عدم اتضاح الموضوع قد يفهم أن الموضوع يؤخذ على إطلاقه، والمسألة فقهياً ليس كذلك؛ لأن الملاقي للمتنجس مع وجود عين النجاسة فيه أو رطوبتها المسرية يكون ملاقياً للنجاسة لا للمتنجس، وفرق بين المسألتين.

٦- **مباشرة التطبيق**: وكذلك هي الأخرى من الخطوات المنهجية التي قلما أعطيت الاهتمام المناسب لها، فالكثير من مدرسي الفقه يعتمدون على ما هو مباشرة الإنسان لأفعاله الإرادية هي من الإنسان نفسه وبتمام اختياره وكمال حرية إرادته إلّا أن القوة أو الطاقة التي تمده لممارسة الحركة هي من الله تعالى، ومثّل قدس سره لهذا بالمصباح الكهربائي كيف يصدر النور بتأثير الطاقة الموجودة في المولد الكهربائي.

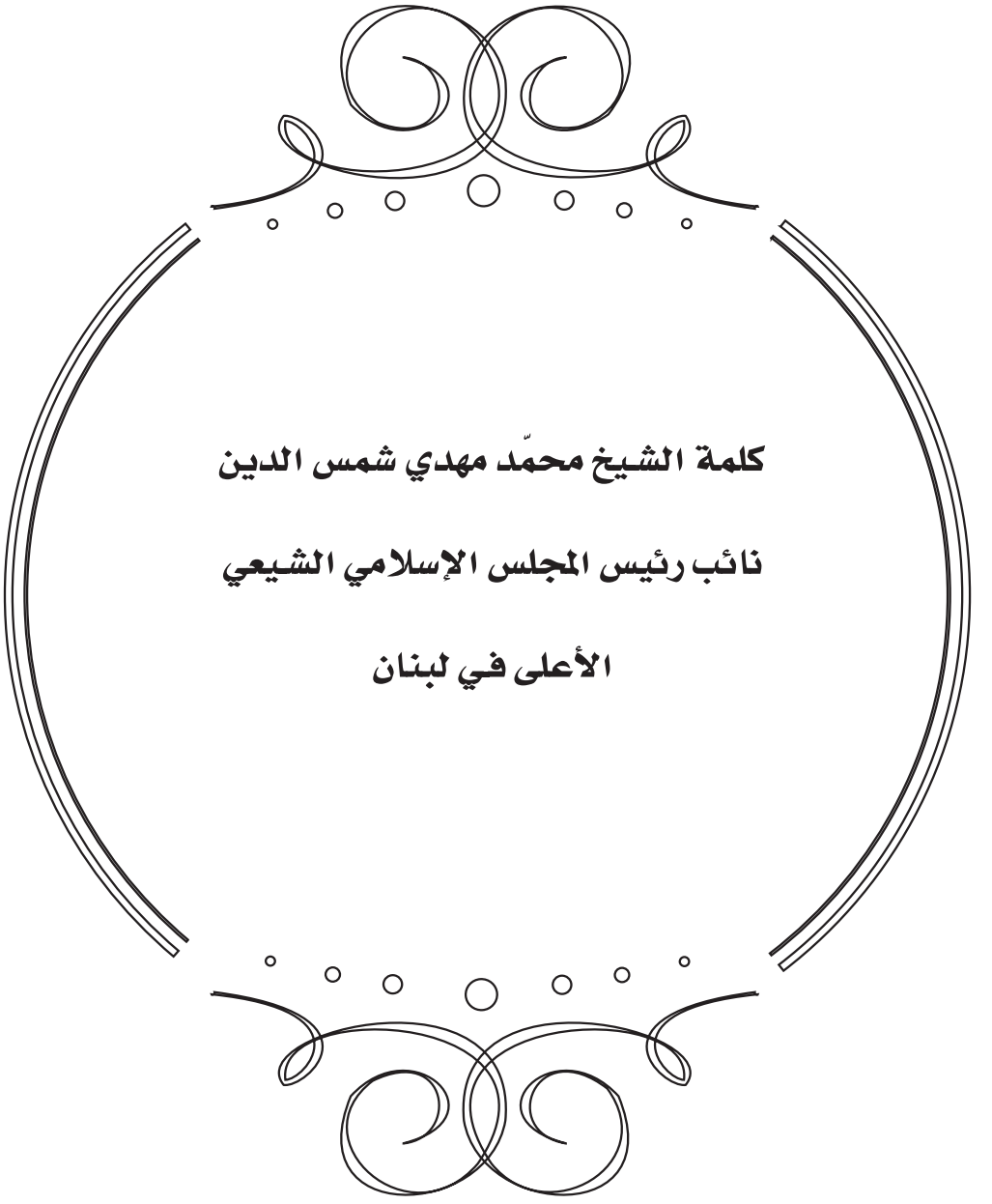
٧- **المرونة العلمية**: كان قدس سره يشيد في درسه الأصولي كثيراً بالتقسيم الثلاثي النحوي للكلمة العربية، وهو تقسيمها اسم وفعل وحرف، والمذكور في أول كتاب سيبويه وفي إحدى الروايات التاريخية التي ترجع وضع النحو إلى الإمام علي عليه السلام، ولكنه قدس سره بعد اطلاعه على ما كتبه النحاة المحدثون من العرب في موضوع هذا التقسيم وما أبدوه عليه من ملاحظات علمية تتسم بالموضوعية والجدية، غيّر من موقفه، وطوى ذكر المسألة فيما تلاه من دورة جديدة لدرس الأصول إلى أخريات مهمات.



الإمام السيد الخوئي قدس سره بين تلامذته وزوّاره في صورة نادرة بمسجد الخضراء



الإمام السيد الخوئي قدس سره في بيته في النجف الأشرف



كلمة الشيخ محمّد مهدي شمس الدين

نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي

الأعلى في لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد ﷺ وآله الطيبين الطاهرين، ونتوجه بالسلام والترحم إلى روح الأستاذ الأكبر لجيلي من كبار العلماء في العالم الإسلامي ولصاحب رؤية ونهج في العمل المرجعي العام للمسلمين الشيعة في العالم في زمن عاصف لم نعهد في العصور الأخيرة أشد عصفاً منه وأشد نكراً في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وهو سيدنا الأستاذ العظيم المقدس الإمام الخوئي رضوان الله عليه وأبقى الله ذكره في الخافقين.

في هذه الذكرى الأربعينية للإمام الخوئي رضوان الله عليه ونأمل أن تكون في الناس بقية من وفاء وبقية من عرفان لا أن تكون هذه هي الأربعين الأخيرة وإنما تكون محطة ومرحلة من مراحل التواصل والتذكر لهذا الإمام العظيم نستعيدها ونتصل بها في كل حين؛ لأن نهجه كما أثبتت الأحداث وكما أثبتت التجارب كان النهج الأكثر صدقاً بحسب الظروف والملابسات التي أحاطت به وعصفت بالناس من حوله وبقي هو صخرة ثابتة لا تلين ولا تتلون ولا تتزحزح، في حياة سيدنا الأستاذ قدس سره جوانب شتى منها جانبه العلمي وهو الجانب الأكثر بروزاً في حياته وحياة غيره، وهو كما قلت أستاذ الأجيال من العلماء وفي حدود معرفتي لا أتذكر أنه منذ الشيخ الأعظم الشيخ الأنصاري قدس سره تخرج على يديه بعدد وبنوعية من تخرج على يدي غيره من ساداتنا ومراجعنا في الماضي وقد حباه الله سبحانه وتعالى بنفحة كبيرة من توفيقاته؛ فكان خريجوه إلّا ما ندر أعلاماً في كل موقع شغلوه وفي كل مهمة قاموا بها في شؤون المجتمع، هذا الجانب عريض من جوانب حياته الشريفة والمديدة.

البعد الآخر والذي يتصل بهذا الجانب يتعلق بفكره وبفقهه وهو رؤيته كما فهمناها وكما تعلمناها لأسلوب العمل العام إن كان عملاً في المجتمع اجتماعياً

أو كان عملاً في المجتمع سياسياً، في المبادئ والأسس كان أصولياً إلى حد أنه في بعض الحالات اتهم بالمزيد من الحذر والاحتياط وكان في الوقت نفسه وهو حذر أشد الحذر ومحتاط أكبر الاحتياط حينما يصل الأمر إلى الدماء والفروج والأموال العامة، كما أحدث في الوقت نفسه تغييراً جذرياً أيضاً لم يكن كما يتوهم بعض من لا يعرفه أو لا يعرف فقهه أو فكره محايداً ولا سلبياً تجاه الأحداث التي عصفت بالمسلمين من حوله، سواء أكانت في العراق أم في خارج العراق، وإنما كان يستجيب لها بطريقته الخاصة وكان طلابه يستجيبون لها بطريقته الخاصة، وحينما استجاب لها بعض بطريقتهم الخاصة وقعوا في محاذير كثيرة عافى الله منها من التزموا في نهجهم وسلوكهم طريقته هو رضوان الله عليه، وكانت طريقته مباركة ميمونة، ربما تنكر لها البعض في بعض الحالات وربما لم يفهمها البعض في حالات أخرى ولكنها - وأنا أتكلم من صميم التجربة اليومية في لبنان وخارج لبنان - أثبتت في النهايات الكبرى للأحداث أنها الطريقة الأكثر سداداً في البلاد التي نقيم بها أو نتعامل معها أعني العالم العربي، وربما في مواطن أخرى خارج العالم العربي ولكني أتكلم بمسؤولية عن العالم العربي، هذا جانب آخر من جوانب هذه الشخصية ويا ليت أن من زملائنا وإخواننا من طلابه وأتباعه ومريديه من يتفرغ لأجل أن يستخلص الفكرة السياسية والرؤية السياسية من فقهه قدس سره ولعلّ آخر ما صدر عنه في هذا الشأن منذ سنتين أو يزيد قليلاً هو كتابه في الجهاد، وإن كان هناك بعض ما للطالب الصغير تجاه أستاذه الكبير بعض الأنظار الصغيرة التي قد نختلف فيها معه قدس سره ولكنه في هذا الكتاب أنا ممن فوجئت بالجرأة الفكرية والفقهية والرؤية المتحركة لمسألة الجهاد في عصرنا الحاضر.

أقول لعلّ الله سبحانه وتعالى يقيض لهذا الفكر ولهذه الرؤية من يستخلصهما من فقه في كتابات تحليلية رصينة ليظهر مدى أصالة هذا الفكر ومدى صلته

الحميمة بنهج أئمة أهل البيت عليهم السلام حينما كانوا يواجهون العواصف من حولهم ويديرونها بحكمة مسددة من الله تعالى فيها بركات أهل العصمة وفيها خصوصيات أهل العصمة عليهم السلام.

جانب ثالث من جوانب هذه الشخصية الجليلة والعظيمة هي الجانب الاجتماعي، ولعلّ غيرنا في خارج لبنان من اطلع اطلاعاً مباشراً على هذا الجانب من جوانب شخصيته قدس سره ولكني أتكلم عن تجربتنا معه في لبنان، وكانت الأحداث عندها في أول أمرها ولم تكن تشير أو تنذر بأنها ستبلغ ما بلغته فيما بعد من عسر ومن نكر وما بلغته من فظاعة ومن فجاجة ولكنه في السنة الأولى لهذه الأحداث، وما أزال أتذكر كيف أنه مع أخي ورفيقي وتلميذه الإمام السيد موسى الصدر، ما أزال أتذكر كيف أنه وبواسطة ولده المقدس السيد جمال الدين قدس سره وبعض معاونيه وأعوانه كيف جاء إلى لبنان وكيف سأل عن الحاجات الآنية، وعن الحاجات المستقبلية، وكيف أنشأ منذ ذلك الحين مؤسّسته الجليلة والكبيرة والتي ما تزال قائمة وتعطي أطيب الثمرات وكيف أنه خارج هذه المؤسسة وهذه المبرة وفي أقنية كثيرة جداً، كان بره موصولاً وتفقده دائماً لهذا البلد والمنكوبين من المسلمين وخاصة من شيعة أهل البيت عليهم السلام ولم تكن الأحداث في حينه لتشير أو تنذر بأنها ستبلغ ما بلغته فيما بعد، ولكنه بحدسه أو بتسديد الله له أوجد إحدى المؤسسات وإحدى المناهج الأساسية في ضمان جوانب كثيرة من ضحايا النكبة ومن بلاياها، وسدت مداخلته في هذا الشأن ثغرات كبيرة فيما يتعلق بحاجاتنا ومصائبنا وبويلاتنا في لبنان.

هذه الجوانب المتكاملة في شخصية سيدنا الأستاذ قدس سره علمه ونهجه في رؤية العمل العام ورؤيته في الشأن الاجتماعي ولا يفوتني في هذا المجلس ونحن نتشرف بحضور بعض كبار الزملاء والمعاونين في شبه القارة الهندية ومن

أماكن أخرى حيث يستطيعون أن يفيضوا أكثر مني في هذا الشأن.

هذه الجوانب الثلاثة التي تمثل الأبعاد الكبرى والأساسية في شخصية الغائب الحاضر كما قلت أرجو أن تكون فينا جميعاً وفي غيرنا بقية من وفاء وبقية من عرفان، لا نعتبر أن هذا الزعيم العظيم قد غادرنا وأن قوة الحياة تنسينا الأحياء وهو من أقواهم حياة رغم أنه قد اصطفاه الله إليه سبحانه وتعالى.

هذه الجوانب المتكاملة في شخصية الأستاذ الجليل: علمه ونهجه ورؤيته الاجتماعية لم تكن جوانب مصطنعة، ولم تكن جوانب منفصلة عن بعضها وإنما كانت تعبر عن جوانب الشخصية الإسلامية العلوية الهاشمية المحمدية المتكاملة، التي ترى الحياة كلاً واحداً يكمل بعضها بعضاً، فلا يلهيها العالم والفكر عن ما يعانيه المجتمع وما تعانيه الأمة من ويلات ولا يلهيها الاستغراق في الفكر السياسي أو في النهج السياسي عن الحاجات الآنية للمجتمع التي تعالج القضايا الصغيرة والمحدودة للأفراد والأسر فيما يتعلق في حالات اليتم أو حالات العوز أو حالات التشرد بوجه من الوجوه على الإطلاق.

هذه الشخصية تعبر عن تكاملها من خلال الأبعاد التي هي شرط أساس في كل قيادة كبرى تتولى الشؤون العامة للمسلمين في هذا العصر كما في جميع العصور، هذا التكامل في هذه الأبعاد هو موسم حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ما وسم حياة أئمتنا المعصومين الاثني عشر عليهم السلام وما وسم حياة البارزين من مراجعنا وأئمتنا الكبار في قيادتهم الأمة وفي حفظهم الحوزة وفي تشخيصهم إطار المرجعية الكبير الذي كان دائماً هو الحصن الذي تحصنت به الأمة منذ عصور الغيبة الكبرى وإلى زماننا هذا.

ماذا بقي عن شخصية الإمام السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره، شخصية الإمام الخوئي ليست منفصلة أيضاً عن زمنها وعن عواصف هذا الزمن حيث

نعلم جميعاً ماذا حلّ بالعراق وماذا حلّ بالعتبات المقدسة وماذا حلّ بالنجف أمّنا وأبينا، وماذا حلّ بالعمران منها وفي الإنسان في التاريخ منها وفي الحاضر وماذا أريد وماذا يراد لمستقبلها أيضاً، ونحن عايشنا بعض الأهوال في النجف وفي هذا المجلس الشريف من عايش أكثر مني ربما بعض الأموال في النجف وفي العراق، نسأل الله أن يعصم منها كل مسلم وكل مؤمن في لبنان وما أكثر ما كانت النفوس تضعف وما أكثر ما كانت الآمال تنقطع وما أكثر ما كان المؤمنين ينزلون بحيث تأتي أفكار الهجرة وتأتي أفكار التخلي عن القضية وتأتي أفكار المحافظة على الذات وعلى المقام وعلى العائلة وعلى الأهل والولد، هذه النقطة أريد أن أركز عليها وآمل أن تعالج أيضاً وكما قلت آمل أن لا تنتهي من الإمام الخوئي بأربعينية.

كثيرون يعلمون أنه قد أتيحت لهذا القائد العظيم فرص كثيرة ليستريح وأتيحت له فرص كثيرة ليخرج من النجف وهو معذور في خروجه منها لينجو بنفسه وبآله وبخواص صحبه، ولعلنا في بعض أوقات الضعف وأقول لعلنا لست وحدي، أنا وكثيرون في بعض حالات الضعف، كدنا أن نسقط في هذا الفخ وكدنا أن نقول لتخرج المرجعية من النجف وليخرج المرجع من النجف ونحن بالنسبة إلى السيدﷺ أو كثير منا كنا بالنسبة إليه أكثر من طلاب وأكثر من تلاميذ كانت لنا بنوة عنده وكانت له أبوة علينا تتجاوز شؤون الأستاذ وتلميذه إلى شؤون العاطفة والقلب الكبير، ولكنهﷺ والكل يعلم الآن لأن الكل يعلم خلال العشر أو الخمس عشرة سنة الأخيرة من حياته الشريفة كيف كابدها وكيف تحملها مما لو قسم على العشرات من أمثاله لربما ناؤوا به أو ناء به بعضهم، أصرّ كما علمنا على أن يبقى وعلى أن يكابد الأهوال يوماً بعد يوم وليس أسبوعاً بعد أسبوع أو شهراً بعد شهر.

المكابدة كانت يومية بالساعات وفي الليل والنهار مكابدة متصلة ومريرة في نفسه وفي ولده وفي خاصة أهله وخاصة أصحابه، وكان قادراً على أن يخرج كريماً وأن يخرج عظيماً وأن يستقر حيث يشاء عظيماً ولكنه شاء أن يبقى وأن يضحي.

يقال لم يمت الإمام الخوئي رضوان الله عليه على المؤمن بالله اتكل، أن يتعرض لألف موتة في اليوم أشهى من أن يعيش الإنسان مئة سنة، لعلّ امتداد حياة الإمام الخوئي في هذه المكابدة لم تكن نعمة رحيمة من الله إليه، وإنما كانت تكريماً بلائياً من الله له؛ فليس سهلاً أن يعيش الإنسان في الأجواء التي كان يعيش فيها هذا العظيم وعاش فيها لا من أجل نفسه ونحن نعلم ذلك عاش فيها من أجل أن يحفظ النجف التي هشمت وحطمت، أن يحفظ رأسها مرفوعاً وأن يحفظ قلبها خافقاً، وكان قلبها ورأسها، وأن يبقي هذه الجذوة التي تأسست منذ سلفه العظيم الشيخ الطوسي قدس سره أن يبقيها مضيئة حية واعدة بالآمال كما نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يحقق للمسلمين فيها هذه الآمال.

وسيكتب التاريخ أن الذي حفظ هذه النجف الذي حفظ هذه الخرائب وفي أكوام الجثث وفي آلاف الأرامل والأيامى واليتامى وفي عشرات الآلاف الفزعين والقلقين والخائفين الذي حفظ هذا المركز الإسلامي العظيم حياً واعداً لا يزال حاملاً لمشروع المستقبل بالنسبة للأمة الإسلامية هو الإمام الخوئي.

شبّه بالإمام موسى بن جعفر عليه السلام ربما كان سجيناً مثله ودام سجنه سنين وهو من أبنائه ولكن الخصوصية التي تميز بها السيد الخوئي رضوان الله عليه فيما يتصل بحياته المباشرة وحياة المسلمين المباشرة ونحن نرى الأمور والشواخص تتهاوى من حولنا وهو يبقى راسخاً وثابتاً، هذه الميزة الأخلاقية الروحية العظيمة ميزة تميز بها الإمام الخوئي قدس سره وهي تكشف عما ذكرته لكم

من هذه الشخصية التي لم تكن تضاريساً، لم تكن أجزاء متباينة، وإنما كانت كلاً واحداً متكاملاً علماً وفقهاً وسياسية واجتماعاً ومجتمعاً ورؤية لحركة الأمة ولمسارها في المستقبل، ولمرتكزها الذي هو النجف التي مثلت في ضميرنا وفي تاريخنا وفي فكرنا المرتكز الأعظم لهذه الأمة منذ الغيبة الكبرى ومنذ الشيخ الطوسي قدس سره تحديداً.

الآن لا أستطيع أن أفيض في جوانب أخرى تتصل في هذه الجوانب الثلاثة ولكني أقترح على مؤسسة الإمام الخوئي أو على المؤسسات المماثلة وأقترح على زملائي وإخواني خريجي الإمام الخوئي ويشرفني أن أكون شريكاً لأي منهم في أن نتجاوز لوعة القلب وأن نتجاوز حسرة النفس وأن نقول ليت الله أطال بقائه ويشهد أن لوعة القلب وحسرة النفس حارتان لا نعلم متى يطفئها الله سبحانه وتعالى؛ لأننا فقدنا فيه أباً كبيراً أن نتجاوز هذا وأن نلتقط من الزمان المتدفق هذه الحقائق وتسجل في دراسات وفي أبحاث تظهر الجوانب التي حفلت بها هذه السيرة المباركة التي استمرت ما يقرب من ثلاثة أرباع القرن وهي من أطول السير المباركة في تاريخ المسلمين الشيعة بوجه خاص.

وأعتقد أن هذا ليس تعبيراً عن الوفاء لهذا الكبير فقط، وإنما هو تعبير عن حاجة لنا في أن نتمعن وأن نستفيد من دروس هذه السيرة ومن وقائعها بحيث تشكل دليلاً مرشداً لكل من يعمل في حقل المرجعية أو في حقل العمل العام في إطار المسلمين عامة وفي إطار المسلمين الشيعة خاصة، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظكم جميعاً وأن يحفظ علماءنا الأعلام وأن يعوضنا مما أخذه في الراحل الكبير ما يسد الثغرة وما يبقي هذا الراحل منارة في تاريخنا وفي وجودنا والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مرجعية الإمام الخوئي قدس سره

السمات والمعالم

آية الله الشيخ باقر الأيرواني

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

بالنسبة إلى مرجعية السيد الخوئي قدس سره بعد التحاق السيد الحكيم قدس سره بالرفيق الأعلى، اتسعت تلك المرجعية ومن الطبيعي كانت هناك مرجعية للسيد الخوئي قدس سره قبل ذلك إلّا أنه حصلت طفرة في مرجعيته، كانت له تلك المرجعية ثابتة في الجملة، ولكنها أخذت بالاتساع بعد ارتحال السيد الحكيم قدس سره ونتمكن أن نقول: أن المرجع الأعلى للشيعة بعد وفاة السيد الحكيم قدس سره هو السيد الخوئي.

والسبب في سعة هذه المرجعية وقبل المرجعية العليا للشيعة يعود إلى جملة من الأمور:

١- أحدها أن السيد الخوئي قدس سره كما أشرت كان معروفاً بالمرجعية سابقاً إلّا أنه كان غريباً عنها، فوفاة السيد الحكيم صارت سبباً لاتساع تلك المرجعية التي كانت ثابتة له سابقاً.

٢- العامل الثاني أنه قدس سره كان معروفاً بالتدريس وكثرة التلاميذ، فقلما تجد طالباً من طلاب العلوم الدينية لم يتتلمذ عنده قدس سره، هذا سبب من أسباب اتساع مرجعيته قدس سره.

٣- العامل الثالث: شهادة كثير من أهل الخبرة من الفضلاء العظام، على ما أتذكر بعد وفاة السيد الحكيم وقع تساؤل كثير عمن هو الأعلم بعد السيد الحكيم قدس سره، ومن الطبيعي أنه لابد من أن نعرف شيئاً هو أن مسألة التقليد تحتاج إلى كون المجتهد أعلم من غيره وهذه الأعلمية إنما يشخصها أهل الخبرة أما غير أهل الخبرة لا يتمكنون من هذا التشخيص، وأهل الخبرة عبارة عن الفضلاء الكبار والمجتهدين في هذا المجال، وقد صدر بيان وقعه كثير من الفضلاء الكبار شهدوا بأعلمية السيد الخوئي قدس سره بالنسبة إلى غيره

من المجتهدين الذين كانوا موجودين في تلك الفترة، وهذه الشهادة كانت سبباً في تسليمه المرجعية العليا بعد ارتحال السيد الحكيم قدس سره.

نعم، نال السيد الخوئي قدس سره لقب زعيم الحوزة العلمية حتى في حياة السيد الحكيم قدس سره وقد سمعت من بعض المشايخ في زمان السيد الحكيم قدس سره أن السيد الحكيم كان يشهد في حق السيد الخوئي بأنه بحق زعيم الحوزة العلمية والشهادة كما قلت من نفس السيد الحكيم قدس سره وهذه لها قيمتها الكبيرة، وأنا أشهد كما قلت أنه بحق زعيم الحوزة العلمية، والسبب في ذلك يعود إلى كثرة تلاميذه فدرسه كان يحوي كماً كبيراً من الفضلاء وكان درسه مستمراً وليس منقطعاً كما أن درسه كان في الفقه والأصول وقبل ذلك كان في التفسير أيضاً، وكانت له تدريسات في العطل الصيفية أي ما يعبر عنه بالدرس التعطيلي.

وكان من درسه مضافاً إلى اشتماله على العمق يشتمل على سلاسة البيان، هذه أسباب صارت داعية إلى أن يكثر تلاميذ المرحوم السيد الخوئي قدس سره وكما قلت قلما تجد طالباً من طلاب العلوم الدينية لم يتتلمذ على كرسيه ومنبر درسه لأجل هذه السعة في التلاميذ ولأجل العمق في بحثه قدس سره ولأجل استمرار درسه حتى أنه قد وفق تقريباً إلى تدريس دورة فقهية كاملة وهذا لم يوفق إليه غيره من الفقهاء، قلما يوفق فقيه إلى ذلك، كما أنه درس الأصول عدة دورات، هذه أسباب أهلته إلى أن ينال هذا اللقب المبارك لقب زعيم الحوزة العلمية الذي يعني الكبير في الحوزة العلمية والذي ترجع إليه أمور الحوزة العلمية وكما نعرف أن أمور أي ظاهرة ترجع إلى كبير في تلك الظاهرة؛ حيث إنّ الكبير في الحوزة العلمية في مجال التدريس والتلاميذ هو المرحوم السيد الخوئي؛ لذلك نال هذا اللقب بحق بالرغم من حياة السيد الحكيم؛ لأن السيد الحكيم قدس سره انشغل في آخر حياته بأمور المرجعية؛ لأن سعة مرجعيته حالت دون مواصلة البحث والتدريس ولذلك تفرد السيد الخوئي بالتدريس ونال هذا اللقب المبارك.

ونأتي إلى تواضع السيد الخوئيﷺ أنا شهدت ذلك منه من قرب يعني كانت حياته أشبه بحياة عادية لطالب العلم من حيث الملابس إذ نشاهد ملابسه ملابس عادية كسائر طلاب العلوم الدينية من هذه الناحية لا يفترق عن غيره.

ومن حيث السيرة إذا جلسنا أو تحدثنا معه هو ذلك الصديق السابق ماوجدناه قد تغير في حياته وحياته العادية أيضاً في بيته وفي مكان مراجعة الناس إياه تجده مسترسلاً في حياته، والذي يشاهده لا يشاهد شيئاً غريباً عما يشاهده عن بقية طلاب العلوم الدينية فمن هذه الناحية نتمكن أن نقول هوﷺ لم يتميز في حياته العادية عن غيره ولئن كان هناك امتياز فهو امتياز في درجته العلمية وأما من حيث تواضعه واسترساله فهو كبقية رجال الدين وفضلاء الحوزة العلمية.

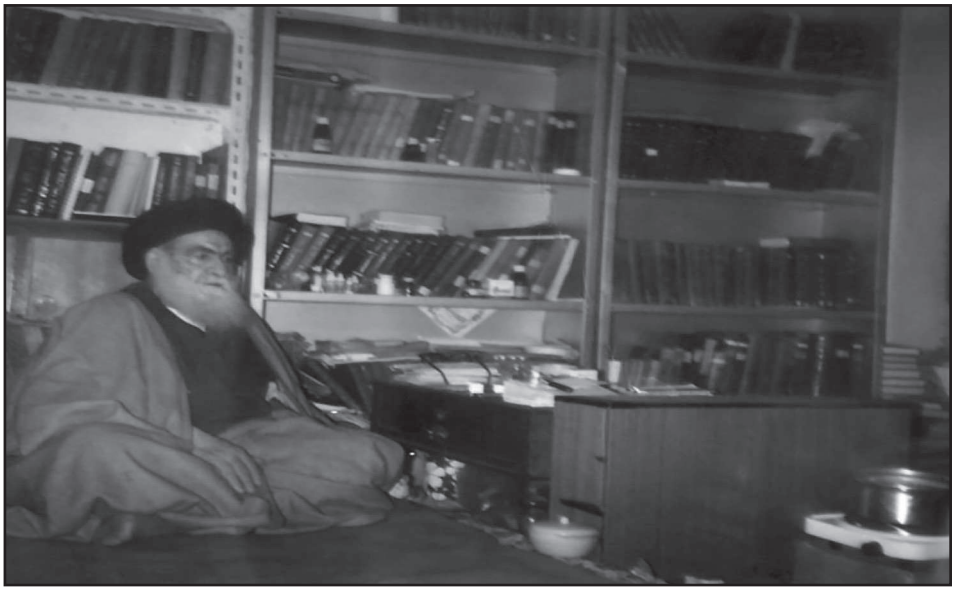
نعم، تعتبر مدرسة السيد الخوئيﷺ امتداداً لمدرسة شيخه النائيني وحيث أنهﷺ تميز كثيراً عن آراء أستاذه النائيني وأكثر مناقشاته منصبة على أستاذه الشيخ النائينيﷺ ومن الطبيعي كان يتعرض لمباني الشيخ الأصفهاني وكانت له مناقشات لكن الطابع العام على درسهﷺ منصب على آراء الشيخ النائيني ففي كثير من الأحيان يختار تلك الآراء وفي بعض الأحيان الأخرى يناقش تلك الآراء.

وامتازﷺ أيضاً بتوضيح تلك المباني فربما الشيخ النائيني له بعض المباني ولكن فيها شيء من الخفاء فهو يأخذﷺ ببيانها وتوضيحها بأسلوب سلس وأيضاً نتمكن من أن نقول: إن مدرسة الشيخ النائيني تمتاز عن مدرسة الشيخ العراقي في نقطة، وهي أن مدرسة الشيخ العراقي من حيث أفكارها هي أقرب إلى الدقة منها إلى الذوق العرفي فهي دقيقة قبل أن تكون عرفية بينما مباني الشيخ النائيني هي على العكس فهي في الحقيقة عرفية قبل أن تكون دقيقة ولا أقصد من هذا الكلام معنى أن مباني الشيخ النائيني كانت عرفية بمعنى أنها بسيطة

- لا - هي عميقة لكن العمق تارة يلتئم مع النظرة العرفية ومع الذوق العرفي وأخرى يفترض أنه يكون بعيداً - المبنى - عن الذوق العرفي ويكون قريباً من الدقة والعمق، فمباني الشيخ النائني غالباً ما هي كذلك يعني في نفس الوقت التي هي عميقة لا يأباها العرف والذوق العرفي لو تفهمها، من هنا مباني السيد الخوئي ومدرسته قدس سره تمثل فيها هذا الطابع أيضاً فهي نتمكن أن نقول عرفية في نفس الوقت التي هي عميقة وليست دقيقة وغريبة عن الذوق العرفي، وهناك نقطة مهمة بالنسبة لفهم الروايات فإن من يعيش المصطلحات العلمية ويعيش المباني الأصولية والقضايا العلمية قد يؤثر ذلك على طريقة فهمه للروايات من حيث لا يشعر، فربما يفهم الرواية على طبق تلك المباني وعلى طبق تلك الآراء غفلة منه في الوقت الذي هو يفرق أن الرواية لابد من أن تفهم على طبق الذوق والفهم العرفي وبقطع النظر عن تلك المباني ولكن سيطرة تلك المباني يحول دون فهم الرواية على طبق ما يفهمه الإنسان العرفي، فهذه نقطة مهمة لابد من أن يأخذها الفقية بعين الاعتبار.

وإذا لاحظنا السيد الخوئي قدس سره لا نجد هذا المعنى قد سيطر عليه أي المباني الأصولية والآراء العلمية لم تؤثر عليه من حيث فهمه للروايات ففهمه للروايات كان في الغالب فهماً عرفياً وموافقاً للذوق العرفي.





الإمام السيد الخوئي قدس سره في مكتبته



الإمام السيد الخوئي قدس سره وهو يهمّ بالخروج من مسجد الخضراء حيث يظهر في الصورة نجله الأكبر السيد جمال الدين الخوئي واقف في الخلف مع ثلة من تلامذته وزوّاره



الإمام السيد الخوئي

سيرة وذكريات

الحاج حسين الشاكري

الإمام الراحل السيد أبي القاسم ابن آية الله السيد علي أكبر الخوئي ابن السيد هاشم ابن السيد علي أصغر، إلى أن ينتهي نسبه إلى الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام.

ولد في ليلة النصف من شهر رجب سنة ١٣١٧هـ، الموافق ١٩/ ١١/ ١٨٩٩م، في مدينة خوي من إقليم آذربيجان.

هاجر مع عائلته إلى النجف الأشرف عام ١٣٣٠هـ، الموافق ١٩١٢م، للالتحاق بوالده الذي هاجر إليها قبل ذلك، وهو في الثالثة عشرة من عمره الشريف كان شاباً ذكياً لوذعياً.

قرأ على كبار الأساتذة والمراجع العظام بحوثهم (الخارج) أمثال الآيات العظام:

١- الشيخ فتح الله شيخ الشريعة.
٢- الشيخ مهدي المازندراني.
٣- الشيخ ضياء الدين العراقي.
٤- الشيخ محمّد حسين الغروي.
٥- الشيخ محمّد حسين النائيني.

وقرر أبحاثهم، وكان النائيني آخر أستاذ لازمه، وله في الحديث إجازات من مشايخه للرواية عن طريق أهل البيت عليهم السلام، وسرعان ما تحول الطالب المجد إلى أستاذ بارع يلتف حوله الطلبة، حتى تفرد بمنبر الدروس العليا لمدة تزيد على ستين عاماً حيث كان يمتاز بمنهج علمي وأسلوب وبيان خاص به في البحث والتدريس يسهل على الطالب فهم المطالب الدقيقة بيسر مع عمق التحقيق والتدقيق، وكان يطرح أبحاثه الفقهية والأصولية العليا موضوعاً، يجمع كل ما قيل من الأدلة حوله ثم يناقشها دليلاً دليلاً بعيد الغور في الاستدلال.

ولا تقتصر أبحاثه على الفقه والأصول، بل هو الفارس المجلى في علم الرجال أو (الجرح والتعديل) وموسوعة (معجم رجال الحديث) (٢٤) مجلداً خير شاهد على قدرته في علم الرجال.

أما في التفسير فقد انفرد بأسلوب علمي رصين (سهل ممتع) لم يبلغه من جاء بعده، أهدى لي بخطه الشريف المجلد الأول من البيان في تفسير القرآن، وقال بالحرف الواحد: أنا أعلم أني لا أستطيع إكمال هذه الموسوعة ولا عمري يساعد على ذلك ولكني جعلت في هذا الكتاب الأسس في تفسير القرآن الكريم ليسير عليه من بعدي من يريد تفسيره.

تخرج على يديه مئات المجتهدين، وقلما تجد من علماء الطائفة ومجتهديها وأساتذة الحوزات العلمية اللامعين في عصرنا الحاضر وفي مختلف نقاط العالم إلّا وهو تلميذ له أو لأحد تلامذته، وكل واحد منهم يعتبر نجماً لامعاً في منطقته، نذكر على سبيل المثال بعض الأعلام منهم:

- الشهيد محمّد باقر الصدر.
- الشهيد السيد عبد الصاحب الحكيم.
- آية الله السيد علي بهشتي.
- آية الله السيد علي السيستاني.
- آية الله الشيخ محمّد تقي الجعفري.
- آية الله الشيخ حسين وحيد الخراساني.
- آية الله الشيخ محمّد إسحاق الفياض.
- آية الله السيد علي مكي، وغيرهم.

طبعت رسالته العملية لبيان الأحكام الشرعية للمقلدين بلغات عديدة، وتجاوز تكرار طبع بعضها إلى أكثر من ثلاثين مرة في آلاف النسخ.

ألف كتباً عديدة وفي مختلف الحقول العلمية أهمها الفقه والأصول والتفسير وعلم الرجال، وكذلك تقريرات بحوثه التي تعتبر اليوم من أهم المصادر التي يعتمد عليها طلبة العلوم في بحوثهم والأساتذة في محاضراتهم.

قلده المؤمنون من مختلف أنحاء العالم إبان تصديه للمرجعية بعد وفاة المرحوم آية الله العظمى السيد أبو الحسن الأصفهاني، وازداد توجه المؤمنين إليه بعد وفاة المرحوم آية الله العظمى السيد حسين البروجردي، حتى قلده الملايين وقلدته الحوزة العلمية زعاماتها، والمرجعية العليا للطائفة الشيعية في العالم قيادتها بعد وفاة المرحوم آية الله العظمى السيد محسن الحكيم عام ١٣٩٠هـ، الموافق ١٩٧٠م.

لم تتعرض المرجعية الدينية في تاريخها وحوزتها العلمية منذ تحولها من بغداد إلى النجف الأشرف عام ٤٠٦هـ على يد شيخ الطائفة الإمام الطوسي قدس سره إلى ظرف قاهر مشابه كالذي مرت به خلال مرجعية الإمام الخوئي، إذ تزامنت مرجعيته مع حكم ديكتاتوري متعسف جائر جعل من الشيعة والتشيع هدفاً لطغيانه وإرهابه، حتى ظن الكثيرون بأن دور الحوزة العلمية في النجف الأشرف قد انتهى، فخلال تلك الظروف الصعبة كانت مهمة المرجع الأعلى مضاعفة من عدة جهات وخصوصاً بعد الثورة الإسلامية في إيران وما آلت إليه أوضاع الشيعة في العالم، فكان عليه تحمل كل تلك الصعاب للمحافظة على دور الحوزة واستقلاليتها لمتابعة المهام العلمية والدينية من جهة، والحرص على استمرار دور المرجعية العليا لإدارة شؤون الطائفة في العالم بصورة عامة.

فعمل بحكمة وحنكة بالغة حتى اعتبرت مرجعيته (المرجعية الرشيدة)، وزعامته وإمامته ليست بالمحافظة على الدور البارز لحوزة النجف العلمية فحسب، وإنما بالتجديد والتطوير الذي حصل في زمانه ومن مختلف النواحي

العلمية والاجتماعية حتى لقب بـ (الإمام المجدد).

ولا شك في أنه تحمل في أداء ذلك الواجب الكثير الكثير من العناء والصعاب من الأعداء وأحياناً من بعض القريبين الجهلاء، لقد كانت المرجعيات الدينية السابقة تبني بنيانها وترعاه، حتى إذا توفي المرجع توقف النمو وتراجع تدريجياً، وفي ضمن الأعمال التجديدية أمر سماحته بتأسيس مؤسسة خيرية عالمية مسجلة رسمياً (Al- Khoei Foundation) لإحساسه بضرورة إرساء قواعد مؤسسات قوية قادرة على تقديم خدماتها مستمرة للمؤمنين، ولها فروع كثيرة في بلاد مختلفة.

كما قام بتأسيس مشاريع ضخمة لرفاه طلاب العلوم من سكن ومدارس وغيرها كما قام في إيران وباكستان وأوربا وبقية الأماكن التي يتواجد فيها المؤمنون.

قامت السلطة في بادرة إجرامية بالاعتداء على منزل نجل الإمام الأكبر المغفور له السيد جمال الدين في محاولة لقتله عام ١٩٧٩م، والذي اضطر من جرائها مغادرة العراق إلى سوريا ثم إيران حيث توفي هناك عام ١٩٨٤م.

قامت السلطات باعتقال مجموعات كبيرة من رجال الدين وتلامذة ومساعدي الإمام الخوئي في الحوزة العلمية ووكلائه في المحافظات والمدن الأخرى وأعدمت الكثيرين منهم.

قامت السلطات بتفجير سيارة الإمام الخاصة وهو في طريقه من الكوفة إلى جامع الخضراء لأداء صلاة الظهر، وقد نجا الإمام من تلك الحادثة بأعجوبة بالغة عام ١٩٨٠م.

اغتال النظام صهر الإمام آية الله السيد نصر الله المستنبط بوساطة زرقه

حقنة سامة عام ١٩٨٥م في داره.

هدمت السلطات مدرسة الإمام الخوئي (دار العلم) والتي كانت مقر الحوزة العلمية عام ١٩٩٠م.

اعتقلت السلطات نجل الإمام السيد إبراهيم وصهر الإمام السيد محمود الميلاني وأكثر من مائة من أفراد أسرته ومعاونيه ومساعديه من العلماء الأفاضل وما زالوا جميعاً مجهولي المصير منذ انتفاضة شعبان المجيدة ١٤١١هـ.

بعد قمع انتفاضة شعبان من قبل القوات العسكرية للنظام في رمضان ١٤١١هـ، اعتقلت السلطات سماحته مع أفراد أسرته ونقلتهم إلى بغداد حيث اقتيد إلى مقابلة رأس النظام الدكتاتوري، واضطرت إلى إرجاعه إلى النجف الأشرف بعد ثلاثة أيام إثر الاستنكارات والضغوطات الشعبية والرسمية العالمية.

رحل الإمام إلى باريه تعالى في ٨ صفر ١٤١٣هـ الموافق ٨/ ٨/ ١٩٩٢م عن عمر ناهز الخامسة والتسعين ودفن في مقبرة الأسرة في جامع الخضراء في النجف الأشرف، ولم تسمح السلطات العراقية بتشييع جثمانه أو إقامة مجلس العزاء والفاتحة على روحه الطاهرة، وكانت آخر الأعمال الإجرامية بحق الإمام بعد وفاته، هو منع المؤمنين من زيارة مرقده الشريف وغلق أبواب مسجده (جامع الخضراء) بحجة الترميمات، كما اغتالت أيادي النظام الشريرة نجل الإمام الشهيد العلامة السيد محمّد تقي الخوئي بحادث سير مدبر على طريق كربلاء – النجف في ليلة الجمعة ١١ صفر ١٤١٥هـ، الموافق ٢١/ ٧/ ١٩٩٤م وسيلي تفصيل ذلك.

إصدارات تاريخية:

بيان الإمام السيد أبي القاسم الخوئي بعد الانتفاضة الشعبانية:

الحفاظ على بيضة الإسلام ومراعاة مقدساته واجب على كل مسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

أبناءنا الأعزاء المؤمنين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد الله على نعمه وآلائه والصلاة والسلام على أفضل أنبيائه محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وبعد، لا شك أن الحفاظ على بيضة الإسلام، ومراعاة مقدساته أمر واجب على كل مسلم، وإنني بدوري إذ أدعو الله تبارك وتعالى أن يوفقكم لما فيه صلاح الأمة الإسلامية، أهيب بكم أن تكونوا مثلاً صالحاً للقيم الإسلامية الرفيعة برعاية الأحكام الشرعية رعاية دقيقة في كل أعمالكم، وجعل الله تبارك وتعالى نصب أعينكم في كل ما يصدر عنكم، فعليكم الحفاظ على ممتلكات الناس وأموالهم وأعراضهم وكذلك جميع المؤسسات العامة؛ لأنها ملك الجميع والحرمان منها حرمان الجميع، كما أهيب بكم بدفن جميع الجثث الملقاة في الشوارع ووفق الموازين الشرعية لا المثلة بها؛ لأنها ليست من أخلاقنا الإسلامية، وعدم التسرع في اتخاذ القرارات الفردية غير المدروسة التي تتنافى والأحكام الشرعية والمصالح العامة.. حفظكم الله ورعاكم لما يحب ويرضى، إنه سميع الدعاء.

١٨ شعبان المعظم ١٤١١

الخوئي

الإمام السيد أبي القاسم الخوئي يوجه نداءه إلى العراقيين بشأن أحداث شعبان ١٤١١هـ:

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين، وصلى الله على محمّد وآله الطاهرين.

وبعد، فإن البلاد تمر في هذه الأيام بمرحلة عصيبة تحتاج فيها إلى حفظ النظام واستتباب الأمن والاستقرار والإشراف على الأمور العامة والشؤون الدينية والاجتماعية تحاشياً من خروج المصالح العامة عن الإدارة الصحيحة إلى التسيب والضياع، من أجل ذلك نجد أن المصلحة العامة للجميع تقتضي منا تعيين لجنة عليا تقوم بالإشراف على شؤونها بحيث تمثل رأينا وما يصدر عنها يصدر عنا، وقد اخترنا لذلك نخبة من أصحاب الفضيلة العلماء المذكورة أسماؤهم أدناه ممن نعتمد على كفاءتهم وحسن تدبيرهم، على أبنائنا المؤمنين اتباعهم وإطاعتهم والانصياع إلى أوامرهم وإرشاداتهم ومساعدتهم في إنجاز هذه المهمة، أسأل الله عز وجل أن يوفقهم لأداء الخدمة التي ترضيه سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ إنه ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١- السيد محيي الدين الغريفي.
٢- السيد محمّد رضا الموسوي الخلخالي.
٣- السيد جعفر بحر العلوم.
٤- السيد عز الدين بحر العلوم.
٥- السيد محمّد رضا الخرسان.
٦- السيد محمّد السبزواري.
٧- الشيخ محمّد رضا شبيب الساعدي.
٨- السيد محمّد تقي الخوئي.

ملحوظة: نود إضافة السيد محمّد صالح السيد عبد الرسول الخرسان إلى اللجنة المذكورة.

٢١شعبان المعظم ١٤١١هـ

الخوئي

سبق أن ذكرت ترجمة سماحته في المجلد الثالث من ذكرياتي الصفحة (٥٣) فصل مع الآيات العظام.

تشرُفي بزيارته:

كنت أتشرف بخدمة سماحته ضحى كل جمعة في داره بالنجف الأشرف أو الكوفة بعد التشرف بزيارة أمير المؤمنين عليه السلام، وبمجرد أن أدخل عليه يجلسني إلى جنبه وعلى فراشه ويعطل أعماله التي بين يديه والتي لا تنتهي، حتى المقربون الذين يكتبون ما يملي عليهم يستريحون، يحدثني عن ذكرياته عندما كان شاباً ورغبة والده في إرساله إلى أمريكا أو ألمانيا لدراسة الهندسة؛ لأنه كان ذكياً لوذعياً وضليعاً بها.

وكان ينشرح أكثر عندما كنت أزور سماحته بمعية ممثله في بغداد الشيخ محمّد حسين المؤيد، وإذا انقطعت عن زيارة سماحته أكثر من أسبوعين، يعتب علي، فأقول لسماحته: وقتكم يا سيدي أثمن من أن أشغلكم عن أعمالكم، قال سماحته: بالعكس، عندما تأتي أرتاح وتغير عليّ الجو، وأجد متنفساً، وفي بعض الأحيان كان يدعوني لتناول الغداء على مائدته، فأستجيب لدعوته وأرحب بها، لأني أنتهزها فرصة للتشرف بخدمته أكثر، وأما نظام غذائه فكان بسيطاً جداً بدون مقدمات ولا سلطات.

وأتذكر مرة تشرفت بزيارته، وبعد أن ارتشفت فنجان الشاي ومكثت عنده حوالي ربع الساعة، وأردت الانصراف قال سماحته ملاطفاً: كيف علمت بوصول علبة كز من أصفهان؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: قم وافتح الديلاب الذي على رأسي تجد علبة كز مختومة، وفعلاً قمت وأخرجت العلبة وقدمتها، فقال لي: افتحها، وحاولت فتحها، أخذها من يدي وأخرج سكينة صغيرة من جيبه وفتحها، وقال: هكذا تفتح، وأخرج منها قرصاً كبيراً وكسره بالسكينة

بعد أن أزال عنه (الطحين) الدقيق وقدمها لي، وهكذا كان يبقيني عنده حتى لا أنصرف، وكان ينظر إلي رضوان الله عليه كأحد أولاده.

عيادته في مدينة الطب:

وعندما رقد سماحته في مدينة الطب ببغداد في صيف سنة ١٩٧٨م تمهيداً لسفره إلى لندن للعلاج خصص له جناح، وما كان يزوره إلّا الخاصة والمقربون منه، وقد جعلوا سرادقاً كبيراً في الحديقة التي أمام مبنى المستشفى وعلى نهر دجلة لاستقبال العائدين له، ولا يسمح لهم بالمواجهة.

وكنت أزوره شخصياً كل يوم وأدخل عليه بدون استئذان؛ لأني أعتبر نفسي من خاصته، وكان يوصيني بالاهتمام في تشييد أكاديميته، التي كلفني الإشراف على تشييدها، والتي سبق أن ذكرتها مفصلاً في المجلد الأول من ذكرياتي الصحفة (١٢٣) بعنوان: (أكاديمية السيد الخوئي).

الشهيد السعيد السيد محمّد تقي الخوئي (١٩٥٨-١٩٩٤م):

ولد العلامة السيد محمّد تقي الخوئي نجل الإمام الراحل السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره في النجف الأشرف بالعراق حيث مثوى إمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام سنة ١٣٧٨هـ-١٩٥٨م.

ترعرع في أحضان والده الإمام الخوئي، وعنى بتربيته عناية خاصة، وقد أراد له أن يكون عالماً بارزاً من أعلام الأمة الإسلامية لما لمس فيه منذ طفولته من علامات النبوغ، وترسم فيه الطموح وحب العلم والفضيلة، فمنحه الكثير من عطفه ورعايته وإرشاداته، كما منحه في حداثة سنه الكثير من ثقته.

لقد ورث الشهيد من الوالد العظيم النباهة والسؤدد، كما غذته والدته الطاهرة بتربية منزوعة من ورعها وتقاها، فاجتمعت فيه الخصال الحميدة، التي صنعت منه مثال الطالب المهذب المجد.

شيوخه:

تتلمذ الشهيد الغالي رحمه الله على يد نخبة من أساتذة الحوزة العلمية في جامعة النجف الأشرف ونهل من نميرها الصافي، في دار الحكمة للعلوم الدينية التي أنشئت بأمر المرجع الديني الراحل الإمام السيد الحكيم قدس سره حيث توفرت فيها المكانة العلمية وأجواء التحصيل للدروس الأساسية في مقدمات الفقه والأصول وفروعها.

وتدرج في دراسته على يد أساتذة قديرين واختص به الشهيد العلامة السيد عبد الصاحب الحكيم قدس سره بوافر عنايته، فانصقلت شخصيته العلمية، توجيهاً وأداء، حتى أكمل دروس المتون العالية في الحوزة واستعد لمرحلة البحث الخارج ثم التحق ببحث الخارج على والده الإمام الراحل في جامع الخضراء، ثم انتقل إلى مدرسة دار العلم التي أنشأها الإمام الراحل والده ونقل منير دروسه إليها، وقد تسلق مدارج العلياء وحلق في فترة وجيزة ما كان يصبو إليه سابقاً أقرانه ومدوناً تقريرات دروس والده ويعرضها عليه ليبدي ملاحظاته عليها.

وهكذا جد واجتهد حتى عرف في الحوزة العلمية أستاذاً بارعاً يقصد مجالس درس الأفاضل من طلبة العلوم الدينية، وصدرت له عدة مؤلفات إلى المكتبة الفقهية نماذج جديدة من الفكر المتجدد، منها:

١ - كتاب النكاح، جزأين - تقريرات بحوث والده.
٢ - كتاب المساقاة، جزء واحد - تقريرات بحوث والده.
٣ - كتاب المضاربة، جزء واحد - تقريرات بحوث والده.
٤ - كتاب الشروط، أو الالتزامات التبعية في العقود، ثلاثة أجزاء - بحث مقارن.

وله عدة كتب مخطوطة لم تطبع بعد.

نال الشهيد الغالي شهادات علمية وإجازات شرعية من لدن والده ومن العلماء الأعلام في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف منهم: والده الإمام

الخوئي، وآية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني وغيرهم، وكان دوره في الانتفاضة الشعبانية سنة ١٤١١هـ دوراً قيادياً وكان أحد قادتها الذين عينهم السيد الخوئي.

شهادته:

وبعد وفاة والده الإمام الخوئي تعاظم دور الشهيد لإدارة شؤون الحوزة والأمة داخل العراق والمؤسسات خارج العراق، وبالنظر لحساسية مركزه ونشاطه في حياة والده وبعدها، ركزت السلطات البعثية على تحجيمه كما حاولت تحجيم السيد مهدي الحكيم من قبله، حيث استدعت الشهيد الخوئي إلى بغداد عدة مرات لاستجوابه وهددته إن لم يوقف نشاطه الإسلامي داخلاً وخارجاً فستتخذ إجراءات صارمة ضده، وحاول السفر إلى الخارج عدة مرات غير أنه منع منه واستدعاه محافظ النجف قبل اغتياله بأسبوع وهدده وتوعده مشيراً إلى أن الحكومة قادرة على إلحاق الأذى به متى شاءت وبطرق مختلفة رغم وجود الحماية الدولية له.

وهكذا امتدت يد الغدر والخيانة، حيث نصب له كمين على الطريق بين كربلاء والنجف، وبعد عودته من زيارة جده الإمام الحسين عليه السلام ليلة الجمعة اعترضته شاحنة مملوءة بالحجر وقفت فجأة أمام مسير سيارته في ظلام الليل الدامس فاصطدمت بالشاحنة وتحطمت وقتل أو جرح من كان فيها جروحاً بليغة وترك حتى الصباح ينزف دماً حتى استشهد، وكان مع الشهيد صهره السيد أمين الخلخالي وطفله الذي يبلغ من العمر ست سنين والسائق.

وفي الحال تم تطويق الحادث بقوات من الجيش والأمن، كما تم تطويق مدينة النجف ومحاصرتها، ومنع أهل الضحايا من رؤية الجثث، وعجل النظام بدفن الجثث في اليوم نفسه، دون تشييع أو مراسيم معروفة أو إقامة أي تأبين أو مراسم عزاء.

وهكذا فجع العالم الاسلامي باستشهاده، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

والمجزرة السعودية:

عندما حصلت المجزرة الرهيبة من قبل القوات السعودية سنة ١٤٠٨هـ، والاعتداء الصارخ على الحجاج الإيرانيين ومن كان معهم من الحجاج غير الإيرانيين، لإعلان البراءة من المشركين ومن حلفائهم الأمريكان والصهاينة، وعلى الرغم من حصول الموافقة مسبقاً من السلطات السعودية هذا العام والأعوام التي سبقتها.. وعند وصول طلائع المسيرة إلى الحجون أمام مقابر قريش وصاروا تحت الجسر العام، هجمت عليهم القوات السعودية المكثفة والمدججة بأفتك الأسلحة تسندهم السيارات المدرعة على الحجاج الإيرانيين العزل بكل وحشية، وكان ذلك عصر يوم الجمعة ٨ ذي الحجة الحرام من سنة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، راح ضحيتها أكثر من خمسمائة حاج بما فيهم النساء والأطفال والشيوخ والعجزة، بالإضافة إلى هتك الأعراض، وكان منهاج المسيرة المتفق عليه مع مسؤول البعثة والحكومة السعودية التجمع أولاً أمام مقر البعثة الإيرانية بالمعابدة مروراً بالحجون، ثم إلى الحرم الشريف، وتنتهي باشتراكهم بالجماعة القائمة في الحرم الشريف بصلاة المغرب، وقد استنكر العالم الإسلامي والإنساني هذا التصرف الشاذ والهجوم الوحشي، وقد منعت الجمهورية الإسلامية الإيرانية رعاياها من أداء مناسك الحج ثلاث سنين متتالية هي ١٤٠٩ و١٤١٠ و١٤١١هـ.

ومن الصدف كنت في ذلك الوقت في مقر بعثة السيد الخوئي قدس سره في المعابدة، ولما خرجت قاصداً الحرم شاهدت الحادث أمامي، وضحايا المجزرة مطروحين على الأرض وتنقلهم سيارات الإسعاف.

ومن ذكرياتي:

بعد منع الحكومة الإيرانية رعاياها من أداء فريضة الحج ثلاث سنين - كما

سبق ذكره – قصدت سوريا سنة ١٤١٠هـ قبل موسم الحج، وتوفقت من الحصول على جواز مرور حج صادر عن الأوقاف السورية باسمي الكامل، وطرت على متن الخطوط الجوية السورية إلى جدة في الرابع من ذي الحجة الحرام، وكان قد منع الحجاج من السفر إلى المدينة المنورة لضيق الوقت، أحرمنا من الجحفة، ودخلنا مكة المكرمة.

وبعد أداء مناسك عمرة الحج قصدت زيارة بعثة الإمام السيد الخوئي في المعابدة في اليوم الثاني، فلما دخلت صالة الاستقبال، وبمجرد أن رآني الشهيد السيد محمّد تقي الخوئي، قام من مجلسه إلى الباب وعانقني مرحباً بقدومي، وأجلسني إلى جنبه كما كان يفعل المغفور له والده، وبعد الاستراحة استفسر عن صحتي وقال: من أين جئت وكيف؟ لأنه كان يعلم أني ساكن في إيران، ولما حدثته بالتفصيل وأني جئت وحدي، قال رأساً: تفضل عندنا السكن جاهز والطعام وافر، امتنعت في بدء الأمر وقلت: التحق بكم في عرفات إن شاء الله، قال: لا الآن أنقل أمتعتك وتسكن معي في غرفتي، وأنت حر في ذهابك وإيابك، وكان الوقت ضحى، فقلت: نعم، أجيب دعوتك وسأعود بعد صلاة الظهر.

وفعلاً بعد خروجي من الحرم المطهر ذهبت إلى محل سكني، ثم استأجرت سيارة تكسي ونقلت أمتعتي وسكنت في مقر البعثة إلى نهاية الموسم، وقبل عودتي إلى سوريا ودعته وشكرته على حسن استقباله وكرم ضيافته.

هذا ما كان من ذكرياتي مع الشهيد السعيد، ولي معه ذكريات كثيرة لم يسع المجال عرضها.

بلاغة التراكيب والأساليب

في كتاب (عليٌّ إمامُ البَرَرة)

منظومة السيد الخوئي

أ.م.د. أركان رحيم جبر

غفران فاضل زناد

ملخص البحث:

لقد شُغِفَ الأدب العربي في مراحله جميعاً بمآثر الأمجاد التي سطرها قادة الاسلام عبر حركتهم الإلهية، فكان الإمام علي عليه السلام يمثل الإشعاع النيّر الذي جذب قريحة الأدباء والمفكرين منذ القرن الأول الهجري الى يومنا هذا وسيبقى حتى يرث الله الأرض ومَنْ عليها، ومِن الذين شُغِفَوا حبّاً بتلك السيرة الحاضرة أستاذ الفقهاء السيد أبي القاسم الخوئي إذ برز شغفه به عبر منظومة دونَ فيها خلجات نفسه وكشف به عن بلاغته فكان كتابه (عليٌّ إمامُ البَرَرة) سفراً ساطعاً يجدر بالباحث الوقوف عنده ورصد بلاغته إذ لم يتطرق أيُّ باحث إلى دراسته فالموضوع يتسم بالجِدة، ويكشف عن تراث أدبي يرفد اللغة العربية ومكتباتها وطلابها، ولما كان لابدَّ للبحث العلمي من مرتكز يرتكزُ عليه وخطة يسير عليها، فقد جعلنا توطئة للتعريف بالكتاب ومؤلفه ونبذة عن بلاغة المستوى التركيبي، ثم قسمناه إلى مبحثين الأول: وعنوانه تراكيب الجمل وضمَّ (التقديم، التأخير، الذكر والحذف، التعريف والتنكير، والقصر)، أما الثاني فكان عنوانه: الأساليب البلاغية، وضمَّ (الأمر، الاستفهام، النفي والتكرار).

توطئة:

١- كتاب (عليٌّ إمامُ البَرَرة):

يعد كتاب (عليٌّ إمامُ البَرَرة) آخر مؤلفات السيد الخوئي رحمه الله وهو كتاب بثلاثة مجلدات، كتبه في سنة ١٤١٠هـ وتوفي سنة ١٤١٣هـ وطبع بعد وفاته، كلّف السيد الخوئي رحمه الله تلميذه السيد محمّد مهدي الخرسان رحمه الله بشرح هذه الأرجوزة فحين يذكر السيد الخوئي في منظومته مثلاً آية التطهير وأنها نزلت في عليّ أو أهل بيت العصمة عليهم السلام وعليّ أحدهم يشرح السيد محمّد مهدي الخرسان آية التطهير موثقاً شرحه بالمصادر، وضع آية الله العظمى السيد علي البهشتي رحمه الله

مقدمة كبيرة لهذا الكتاب بطلب من السيد الخرسان لاعتبارات عدة منها كونه محل ثقة السيد الخوئي وعلى شاكلته ولمكانته العليا عنده، ولكونه أيضاً مواكباً لمسيرة الشرح منذ البداية[١].

٢- حياة السيد أبي القاسم الخوئي رحمه الله:

أبي القاسم بن علي أكبر بن هاشم الموسوي الخوئي، ولد في منتصف شهر رجب من عام ١٣١٧هـ الموافق التاسع عشر من شهر تشرين الثاني من عام ١٨٩٩م في بلدة خوي التابعة لأذربيجان الغربية، ونشأ بها مع والده وإخوانه، وأتقن القراءة والكتابة وبعض المبادئ في صغره، وعندما هاجر والده إلى النجف الأشرف التحق به السيد أبي القاسم سنة ١٩١١م برفقة أخيه الأكبر السيد عبد الله الخوئي[٢].

وجاء في تسمية (أبي القاسم) أن والده السيد علي أكبر الخوئي جاءه في مدينة مشهد أحد طلابه وهو من فضلاء مدينة خوي ومن المؤمنين، فقال للسيد الخوئي: رأيت في المنام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وحملني رسالة إليك، وقال عليه السلام الحمل الذي في بطن زوجتك ذكر، اجعل اسمه أبا القاسم وسيكون له شأن، وقد ذاع صيت هذا المنام في سيرة السيد وعند تلامذته فيما بعد وصار دليلاً على كراماته[٣].

يرجع نسبه إلى الشجرة العلوية المباركة النبوية الشريفة، إذ يتصل بالامام

(١) عليٌّ إمامُ البَرَرة: نظم زعيم الحوزة العلمية: آية الله العظمى السيد أبي القاسم الموسوي الخوئي رحمه الله، قدّم له آية الله العظمى علي الحسيني البهشتي، شرح السيد محمّد مهدي السيد حسن الموسوي، الخرسان، دار الهدى: ١: ٨.

(٢) سيرة وحياة الإمام الخوئي: أحمد الواسطي، دار الهادي للطباعة والنشر، ١٩٨٨م، ص١١.

(٣) الإمام الخوئي رحمه الله زعيم الحوزة العلمية: طراد حمادة، دار النور للطباعة والنشر، لندن، ٢٠٠٤م، ٣٦-٣٨.

الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام[١].

٣- بلاغة المستوى التركيبي:

علم المعاني من المصطلحات التي أطلقها البلاغيون على مباحث بلاغية تتصل بالجملة وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير، أو ذكر وحذف، أو تعريف وتنكير، أو قصر أو فصل ووصل، أو إيجاز وإطناب[٢]، فهو علم تعرف به أصول اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال[٣]، وعلم يعلمنا كيف نركب الجمل العربية لنصيب بها الغرض المعنوي الذي نريد[٤]، وهذا يعني أن وظيفة النحو لا تقتصر على رفع الكلمات ونصبها وجرها بل تتعداها إلى بناء العلاقات بين أجزاء الجمل مما يتيح للشاعر مرونة في التصرف تساعده في إنتاج المعنى الحسن في اللفظ الحسن[٥].

وبذلك لا يمكن دراسة بلاغة الكلام دون دراسة النحو[٦]؛ لأن ذلك يؤدي إلى فساد التركيب والذي هو ناجم عن عدم توخي معاني النحو وأحكامه

(١) الإمام الخوئي رحمه الله زعيم الحوزة العلمية: ٣٨.

(٢) أساليب بلاغية (الفصاحة – البلاغة – المعاني): د. أحمد مطلوب، ساعدت جامعة بغداد على نشره، وكالة المطبوعات: ص٦٧.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع: الخطيب القزويني جلال الدين محمّد بن عبد الرحمن (٣٧٩هـ)، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، ص٢٣.

(٤) البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني: بكري شيخ أمين، دار الثقافة الاسلامية، بيروت، ص٥١.

(٥) الإيضاح: ص٤.

(٦) صلة النحو بالبلاغة: فرح طهير، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة أبو بكر بلقايد، (١٤٣٩هـ-٢٠١٧م)، ص٥٦.

بين الكلمات، فعبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) يجعل من النحو والبلاغة علمين متلازمين ولا يمكن الفصل بينهما حيث قال في كتابه دلائل الإعجاز: «واعلم أن ليس النظم شيئاً إلّا توخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم»[١]، وليس النظم «إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل بشيء منها»[٢].

فعلوم البلاغة كانت في أول الأمر وحدة شاملة لمباحثها الثلاثة (علم المعاني، البيان، البديع) بلا تحديد، وخير شاهد على ذلك كتب المتقدمين من علماء العربية، ففيها تتجاوز علوم البلاغة ويخلط بعضها ببعض من غير فاصل بينهما[٣]، حتى جاء السكاكي (٦٢٦هـ) وقسّم البلاغة إلى معان وبيان ومحسنات، فهو أول من أطلق على الموضوعات المتعلقة بالنظم مصطلح (علم المعاني) وعلى الموضوعات التي تبحث في الصورة الأدبية التشبيه والاستعارة والكناية مصطلح (علم البيان) وسمى غيرها من البحوث (محسنات)[٤].

أما عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) فهو واضع أصول علمي (المعاني والبيان) ومؤسسهما في العربية وقد جعل من مباحث كلا العلمين وحدة يمكن النظر إليهما نظرة شاملة[٥]، فوضع نظرية علم المعاني في كتابه (دلائل الإعجاز)

(١) دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمّد (٤٧١هـ)، قرأه وعلّق عليه: محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة: ٥٢٥.

(٢) المصدر السابق: ص٨١.

(٣) ينظر: علم المعاني: د. عبد العزيز عتيق، ط١، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)، ص٢٥.

(٤) الحد البلاغي (الإشكالات والتطبيقات حتى نهاية القرن التاسع الهجري): جعفر فرحان عذيب، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب – جامعة بغداد، (١٤٣٦هـ-٢٠١٥م)، ص١١٠.

(٥) علم المعاني: عبد العزيز عتيق: ص٢٥.

ونظرية البيان في كتابه (أسرار البلاغة)[١].

ويشمل علم المعاني (الخبر والإنشاء) ويدرس الخبر من زاوية الإسناد بطرفيه في مختلف أحوالهما (الحذف، الترتيب، التنكير والتعريف والفصل والوصل) وغيرها[٢]، كما له أهمية كبيرة في الكلام، ومن بين أغراضه الجلية هو الكشف عن أسرار الجمال في القرآن الكريم ومعرفة إعجازه وما خصه الله من جودة السبك وحسن الرصف، وبراعة التركيب ولطف الإيجاز، وما اشتمل عليه من سهولة التركيب وجزالة كلماتها، وعذوبة ألفاظه وسلامتها[٣].

وعند استقراء كتاب (عليٌّ إمامُ البَرَرة) تبين أن لعلم المعاني أثره الواضح في المنظومة وهو الأكثر شيوعاً وهذا بطبيعته يتعلق بطبيعة النص الذي عمده الناظم وفقاً لأغراضه التي أرادها.

المبحث الأول

تراكيب الجمل

١- التقديم والتأخير:

التقديم والتأخير ضرب من ضروب البلاغة القائم على أساس تقديم ما حقّه التأخير، وتأخير ما رتبته التقديم، فقد عمد المبدع إلى هذا الضرب من الأسلوب فيرتب الألفاظ على غير ما يقتضيه الترتيب، وذلك من أجل تحقيق أبعاد نفسية معينة تنبع من طبيعة التجربة الشعورية والمعنى المراد نقله، أو الانفعال الذي

(١) المصدر السابق: ٢٥.

(٢) علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني): محمّد أحمد قاسم ومحيي الدين ديب، ط١، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ٢٠٠٣م، ص٢٥٩.

(٣) المصدر السابق: ٢٥٩-٢٦٠.

يراد إحداثه في نفس المتلقي على أن لا يكون سبباً في إفساد المعنى وإبهامه[١].

فالتقديم من (قدَّم) أي وضعه أمام غيره، والتأخير نقيض ذلك[٢]، وقد يؤتى به للدلالة على الفصاحة والملكة، وقد أشار الزركشي إلى ذلك بقوله: «هو أحد أساليب البلاغة، فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم من الفصاحة، وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق»[٣] فهو وسيلة من الوسائل التي يلجأ إليها الفنان ليُكسِبَ نصّه روعة وإيقاعاً وجاذبية تتحرك لها النفوس، خاصة بعد أن انتبه النقاد العرب إلى أن الايقاع الموسيقي قد ينجم عن التقديم والتأخير وإن شغف العرب لم يعد منحصراً في موسيقى الألفاظ وجمال وقعها وحلاوة نغمها، بل تعدى شغفهم واهتمامهم إلى العبارات التي تؤلف نغمة موسيقية تطرب له الأذن وتقبل عليه النفس[٤]، فهو «باب كثير الفوائد جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعه، ويقضي بك إلى لطيفه، ولا تزال يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه، ثم

(١) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: د. مجيد عبد الحميد ناجي، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ساعدت وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في الجمهورية العراقية (اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري) على طبعه، (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م)، ١١٤-١١٥.

(٢) لسان العرب: أبو الفضل جمال حمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (٧١١هـ)، حققه وعلق عليه: عامر أحمد حميد، راجعه: عبد المنعم خليل، ط١، منشورات محمّد علي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٣: مادة (قدم، أخّر).

(٣) البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمّد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة (١٣٧٦هـ-١٩٥٧م)، ٣: ٢٣٣.

(٤) القيم الجمالية للتقديم والتأخير في شعر أبي الطيب المتنبي (دراسة في أسلوب تقديم المفعول به على الفاعل)، م.د. ساهر حسين ناصر، كلية التربية، جامعة ذي قار، م.د. إبراهيم جبر محمد، كلية الآداب، جامعة ذي قار، مجلة آداب ذي قار، ع(٢)، مج(١)، كانون الأول ٢٠١٠م، ص١١٥.

تنظر فتجد سبب أن راقك ولَطُفَ عندك، أن قُدّم شيء وهو اللفظ من مكان إلى مكان»[١]، فأسلوب التقديم والتأخير يبعث في نفس المتلقي الحرص على مداومة النظر في التركيب بغية الوصول إلى الدلالة الكامنة وراء هذا الاختلاف أو الانتهاك[٢]، «ولو كانت مواقع الكلمات غير قابلة للتغيير لكان ذلك عيّاً في اللغة وعجزاً قاهراً في اللسان يحبس أنبل ما تشعر به النفس الإنسانية من حس دقيق واختلاج خفي لا سبيل إلّا أن تركب على متن الكلمات وأن تبتلعها في داخلها وتفصح عنها في الأداء»[٣].

والوقوف عند نظم أبي القاسم الخوئيﷺ يكشف قدرته على توظيف هذا الفن وفقاً للغرض الذي أراد بيانه، ومن ذلك قوله[٤]:

أنـــت وزيـــــري وأمـــــير أمـتـي عـلى الـعـصـاة المـارقـين حُـجّـتـي

قدم الخبر (على العصاة) على المبتدأ (حُجتي) تأكيداً بأن المراد بالحكم هم (العصاة المارقين)، وكان استعمال السيد الناظم (على العصاة المارقين حجتي) يوحي بأنّ علياًعليه السلام حجة الله ورسوله على من تخلف عن طاعة الله ورسولهصلى الله عليه وآله وسلم فقط، أو أن مقام الإمامعليه السلام عند رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم ووقوفه في حرب المشركين والخارجين عن أوامره اقتضى ذلك، فعليّعليه السلام حجة محمدصلى الله عليه وآله وسلم على هؤلاء وبه (كونه حجة لا شك فيها) ينتصر، وقد عمد الناظم إلى عدم تكرار المبتدأ في الشطر الأول، وذلك تجنباً للتكرار في غير محله، وليشد ذهن المتلقي للخبر المقدم، فضلاً عن حسن توظيف النغم الموسيقي الحاصل نتيجة لهذا الانزياح

(١) دلائل الإعجاز: ١٠٦.

(٢) بنية اللغة العربية: جان كوهن، ترجمة: محمّد الولي ومحمد العمري، ط١، دار توبقال للنشر والتوزيع، المغرب، ١٩٨٦م، ص١٥.

(٣) دلالات التركيب، دراسة بلاغية: محمّد أبو موسى، ط٢، مكتبة وهبة، ١٩٨٧م، ص١٧١.

(٤) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ١: ١٠٥-١٠٧.

التركيبي، فاللغة المتكلمة تحرصُ على ائتلاف الجرس[١].

ولعلّ من المفيد أن الناظم رحمه الله قد برع في تصيد الألفاظ إذ جاء بلفظ (حجتي) ولم يقل (أمير، وزير) انسجاماً مع (على العصاة المارقين) ليدلل على معنى لزوم طاعة الإمام علي عليه السلام على أولئك المارقين.

ومنه أيضاً قوله[٢]:

وآيـــة الـتـطـهـير فـيـكـم نـزلـت ... وسُـنّـة الهـــادي بـكـم قـد نـطـقـتْ

إن ميدان البلاغة لا يقف عند حدود اللعبة اللغوية، بل يتجاوزها إلى سياقاتها النصية؛ إذ إن نسق التقديم الحاصل في الجار والمجرور (فيكم)، على الفعل (نزلت) أسهم في إضفاء جو مفعم بالأهمية على ذلك الممدوح (آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) فكان بإمكان الناظم القول (وآية التطهير نزلت فيكم) لكنه قدّم وأخّر بغية تثبيت المعنى في ذهن المتلقي والتأثير فيه، ولا يخفى أنه نظر إلى قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[٣].

ونلحظ أيضاً تقديم شبه الجملة (بكم) على الفعل (قد نطقت) والترتيب يقتضي (وسنة الهادي قد نطقت بكم) وعلى ضوء هذ الحقيقة الثابتة المسلمة عند الصحابة والتابعين وأعلام المسلمين نظم كثير من الشعراء النظم الرائع لذلك الواقع الذائع الشائع، فقد سبقوا الناظم في بيان منزلة (آل البيت عليهم السلام)[٤].

(١) النقد الأدبي: د. سهير القلماوي، ط٢، دار المعرفة بالقاهرة، ١٩٥٩م، ص٨٧.
(٢) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ١: ٣٧١.
(٣) سورة الأحزاب: ٣٣.
(٤) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ١: ٣٩٠.

فصفي الدين الحلي[١] في ديوانه (آخر قصيدة له) يمدح الإمام عليه السلام قائلاً[٢]:

إنـما الله عـنـكـم أذهـب الـرجـ ـس فـرُدّت بـغـيـظـهـا الحُـسّـادُ

ذاك مـدح الإلـه فـيـكـم فـإن فُـهـتُ بـمـدح فـذاك قـولٌ مُـعـادُ

وإليهم أيضاً أشار في البردة (البوصيري)[٣] قوله[٤]:

قد حققتْ سورة الأحزاب ما جحَدتْ أعـداؤهـم وأبـانـتْ وجـهَ فضلهم

ومن حسن توظيف هذا الباب – التقديم والتأخير – قول السيد الخوئي[٥]:

وفي الجـنـان سـيـدا شـبـابـهـا الحـسـنـان يـمـلـكـان بـابـهـا

تمكن الناظم من إضفاء قيمة فنية على نصه عبر وجود تركيبة انزياحية تتمثل بتقديم الخبر (وفي الجنان) على المبتدأ (سيدا شبابها) الأمر الذي أظهر دواخل الناظم في جذب المتلقي وشدّ انتباهه والتشويق لمعرفة ما في الجنان، ثم يفاجئه بـ (سيدا شبابها)، فقد خصّ الناظم ممدوحيه بهذا التخصيص مقدماً الخبر على المبتدأ في محاولة منه لإضفاء معالم التشويق عند المتلقي، فضلاً عن حرصه على تناغم الإيقاع، «فللإيقاع الشعري أثره في النفس، من حيث قدرته على إثارة الانفعال المناسب وإحداث الاستجابة المطلوبة لاتخاذ الموقف المراد من التجربة

(١) صفي الدين الحلي (١٣٣٩م): هو أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا بن نصر الطائي، ولد سنة ١٢٧٦م، نظم الشعر في جميع أغراضه، وهو أول من نظم البديعيات، توفي سنة ١٣٤٩م.

(٢) ديوان صفي الدين الحلي: صفي الدين الحلي، دار صادر، بيروت، ص٨٩.

(٣) البوصيري (٦٩٦هـ): محمّد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري، شاعر صنهاجي اشتهر بمدائحه النبوية، أشهر أعماله البردة المسماة «الكواكب الدرية في مدح خير البرية».

(٤) قد وقع تنازع على البيت فقد ذكر في ديوان ابن معتوق الموسوي أنه لابن معتوق، وذكر السيد المحقق أنه للبصويري وليس البحث بصدد التحقق منه بقدر الاستشهاد.

(٥) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ٢: ٢٩٤.

الشعرية؛ لأنه يساعد على إحداث التخييل اللازم لإثارة انفعال النفس»[١].

ومن جميل قدرته البلاغية وتحكمه في هذا الفن قوله[٢]:

بسيفك الاسلامُ قام واستوى والكفر ولّى مدبراً ثم هوى

النص مفعم بالإبداع إذ يطالعنا في صدره بتقديم الجار والمجرور (بسيفك) ليرجعنا إلى الأحداث التاريخية التي قصت لنا ملاحم ذلك السيف الإلهي الذي قال به جبريل عليه السلام: «**لا فتى إلّا عليّ ولا سيف إلّا ذو الفقار**»[٣] فيجعل المتلقي مسلّماً لما سيأتي بعده من معنى أراده الناظم في وصفه وهو (قيام الاسلام واستواء أمره به).

ولا يبعد عن ذلك كثيراً عجز البيت إذ قدّم (والكفر) وجعله المبتدأ في الجملة تأكيداً على الإدبار والهروب من ذلك السيف الإلهي، ثم زاد في المعنى نفسه إيغالاً بحسن الاتيان باللفظ (هوى)، فالنص مفعم أيضاً بالاستعارات التي سنقف عليها في محلها وإلى جانب ذلك كله فلغة الناظم جاءت بألفاظ سهلة ورائعة «فالشعر كلام منسوج ولفظ منظوم وأحسنه ما تلاءم نسجه ولم يسخف وحسن لفظه ولم يهجن»[٤].

ومن توظيفاته أيضاً قوله[٥]:

(١) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ص٥٦.

(٢) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ٣: ٧٥.

(٣) كنز العمال: المتقي الهندي، شركة التراث للبرمجيات، ٢٠١٥م، ٥: ٧٢٣.

(٤) كتاب الصناعتين (الكتاب والشعر): أبو هلال الحسن بن سهل العسكري (٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمّد البجاوي، محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الباجي الحلبي وشركاؤه، (١٣٧٢هـ-١٩٥٢م)، ص٥٧.

(٥) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ٢: ٨٠.

كـم مـــرةٍ قـــال الـنـبـيُّ مُـعـلـنـاً مـنّـي عـــليٌّ واعـلـمـوا مـنـهُ أنـا

يؤدي التشكيل اللغوي للنص أثره الفاعل في تعميق الدلالة، فهو يبرز الترابط الموجود في النص من حيث المعنى والتركيب إذ عمد الناظم إلى خلخلة النظام التركيبي المألوف إلى تركيب مختلف يظهر دلالات جديدة فنلحظ في النص الشعري قدم الخبر، ففي قوله (مني عليٌّ) أراد إضفاء التكريم على أمير المؤمنين عليه السلام بانتمائه إلى سيد الخلق محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومحققاً الأثر البالغ لدى المتلقين، فالمرء ينشد شوقاً إلى ذكر سيد الرسل صلى الله عليه وآله وسلم مؤدب أمير المؤمنين عليه السلام وقائده، ثم أردف بتكريم آخر حينما جعل انتماء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليه السلام بلباقة وذكاء في جذب المتلقي وشدّ انتباهه، والحقيقة أن الناظم لم يكن مبالغاً ولا موغلاً في المعنى الذي قصده فقد أسند نصه الشعري إلى قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[١] وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنه مني وأنا منه**»[٢].

ومن التقديم قوله[٣]:

أنـــت الإمـــام الـفـائـزون شيعتُك أنـجـتـهُـمُ مـن الـعـذاب بـيـعـتُـكْ

التقديم حصل في (أنجتهم من العذاب بيعتك) إذ قدّم الجار والمجرور على الفاعل (بيعتك) مراعاة لتوازن الجملة «الذي يشد النفس للنص الشعري ويشوقها ويجعلها أكثر قبولاً للفن القولي بطبيعتها وتقع من موقع

(١) سورة آل عمران: ٦١.

(٢) المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمد عبد المجيد السلفي، القاهرة: ١: ٣١٨.

(٣) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ١: ١٣٠.

الاستحسان»[١].

فيقول ابن الأثير: «وإذا كانت مقاطع الكلام معتدلة، وقعت في النفس موقع الاستحسان وذا لا مُراء فيه لوضوحه»[٢]، فضلاً عن الهدف الأساس وهو التخصيص وإثارة ذهن السامع ومفاجأة وعي المتلقي بالذي ينجّيهم من العذاب ألا وهو البيعة، وفي هذا إشارة منه رحمه الله إلى ما صحّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم من قوله لعلي عليه السلام: «**يا علي إنك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين ويقدم عليه عدوك غضابٌ مقمحين**»[٣].

أما مقتضى الكلام وتركيب الجملة أوجب تقديم المفعول به (هم) في (أنجتهم) على الفاعل (بيعتك) ليحقق هذا نغماً موسيقياً، فبذلك يكون النص أسهل حفظاً وأثبت في الذهن من غيره، وبذلك بيّن الناظم أنه قادر على تنظيم حركته الشعورية وفقاً لذبذبات إيقاعه، فضلاً عن مراعاة القافية التي أضافت للنص جمالية تجذب المتلقي عند سماع النص.

ومن توظيفاته أيضاً قوله[٤]:

ولايــــة الـــــوصيّ عـنـهـا يُـسـألُ قـابـلُـهـا ممـــنْ ســـواه يُـفـصـلُ

يبرز أمامنا في النص تقديم وتأخير نال حظاً واسعاً وافراً تمثل في تقديم الجار والمجرور على الفعل في (عنها يُسأل) فالسيد الناظم قد كسر الترتيب بتقديمه

(١) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ٦٢.

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين ابن الأثير، نصر الله بن محمّد (٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد شوقي، بدوي طبانة، دار النهضة، مصر، الفجالة، القاهرة، ١: ٢٧٢.

(٣) المعجم الأوسط: أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، (١٤١٥هـ-١٩٩٥م)، ٤: ١٨٧: ح ٣٩٣٤.

(٤) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ١: ١٢٥.

هذا وهو «تركيب يقتضي ترتيباً معيناً ليس من السهل كسره»[١]، والكسر هنا قد جاء لغرض الاهتمام بالتقديم وإبرازه ومراعاة لنظم الكلام كما قال ابن الأثير: «إن التقديم قد يكون لغرض مراعاة نظم الكلام وذلك أن يكون نظمه لا يحسن إلّا بالتقديم، وإذا أخّر المقدّم، ذهب ذلك الحسن»[٢]، فقد قدّم المتعلق الجار والمجرور (عنها) على الفعل المضارع (يُسأل).

٢- الذكر والحذف:

الأصل في الكلام الذكر والحذف خلافه، ونحن حين نقول الذكر فإننا نعني ما ذكر في الكلام ويمكننا الاستغناء عنه، وعند الحديث عن الحذف فالمراد: «أن للجملة العربية نظاماً يقوم على وجود ركني الجملة، مع الفضلة التي لابد منها، فما لم يذكر من ذلك سميناه محذوفاً، ولا يعني أنه كان موجوداً في الكلام فيعمد أحدهم إلى حذفه»[٣].

فالحذف من الأساليب المؤثرة في بلاغة النص الأدبي وفنيته «وعلى الشاعر أن لا يعمل على حذف جمل أو أجزاء منها إلّا إذا جعل هناك قرائن حالية أو مقالية تدل على تلك الأجزاء»[٤]، وبذلك «لا يخل بمعنى التراكيب ويكون في

(١) المصباح: مجلة فصلية محكمة تعنى بالدراسات والأبحاث القرآنية تصدر عن الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة، ع٢٠، سنة (٥)، شتاء (١٤٣٦هـ-٢٠١٥م)، تأملات في سورة الكوثر المباركة: أحمد حسين خشان: ٢٧٤.

(٢) المثل السائر: ٢: ٤٠.

(٣) فنون بلاغية في المدائح النبوية: عبد الرحيم البرعي (٣٠٨هـ)، د. حيدر حسين عبيد، ط١، مكتب شمس الأندلس، ٢٠١٧م، ص٧١.

(٤) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: د. ظاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د.ت، ص١٧.

ذهن المتلقي علم بها»[١]، لذا فللحذف أهميته وفقاً للغرض المراد، كونه ينطلق من إحساس الشاعر بضرورة تغييب ذلك اللفظ لدواع بلاغية شبهها الجرجاني بالأمر العجيب والسحر إذ قال: «هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك بها ترى الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيدُ للإفادة، ونجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبيّن»[٢].

والحذف هو أحد نوعي الإيجاز[٣]، «وأنه قمة البلاغة لاحتياجه إلى فضل تأمل وطول فكرة»[٤].

وقد وظّف السيد الخوئي الذكر والحذف توظيفاً بلاغياً حافظ فيه على جودة السبك وتماسك النظم فمن قوله[٥]:

يعسوبُ ديني وإمامُ الأمة ... للمتقينَ قائدٌ وقمّهْ

عمد الناظم إلى عدم ذكر يعسوبه وأميره وهو علي بن أبي طالب عليه السلام أمير المؤمنين ويعسوبهم، ويبدو أنه عمد إلى ذلك لاعتقاده أن هذه الألقاب إذا ما ذكرت فإن المتلقي سوف لا يجد محيصاً عن توجهها إلى الإمام علي عليه السلام فالذكر هنا يشدّ المتلقي عن غرضه، ويصرفه عن الوصف وقد نجح الناظم حينما جعل مطلع نظمه بلفظة (يعسوب) لافتاً المتلقي إلى هذه الأوصاف الجميلة فهو يغتنم فرصة إقبال المخاطب لذكر أكثر عدد منها.

(١) فن بلاغة النظم العربي: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: عبد العزيز عبد المعطي عرفة، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م، ١: ٢٢٣.

(٢) دلائل الإعجاز: ص٣٦.

(٣) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ص١٢٦.

(٤) المثل السائر: ٢: ٢٧٦.

(٥) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ١: ١٤٩.

ومن لطيف توظيفاته أيضاً قوله[١]:

رمـــوه بـالـسـحـر وقـــالـــوا سـاحـرٌ أو أنّـــــهُ ذو جِـنَّـــةٍ أو شـاعـرُ

عمد الناظم إلى حذف المبتدأ (وقالوا ساحر) والأصل: وقالوا: هو أو قالوا محمدﷺ (ساحر) فالمبتدأ والخبر هما طرفا الإسناد في الجملة الإسمية[٢]، إذ يتحقق الإسناد بذكر الطرفين (المبتدأ والخبر) ولكن قد يحذف المبتدأ من السياق وذلك شائع في كلام العرب[٣] يكثر في مواضع تم تحديدها منها: وقوعه بعد الاستفهام أو بعد الفاعل أو بعد القول[٤]، وقد لجأ الناظم إلى حذف المبتدأ (هو) من أجل عدم إطالة الكلام وإيصال فكرته بأسرع وقت للمتلقي، فضلاً عن مراعاة الوزن الشعري والتناغم الموسيقي الذي طالما حرص عليهرحمه الله في منظومته، ومما يلفت النظر أن الناظم قد وظف (ذو)، في التركيب (ذو جنّة) معتمداً على قول طائفة من المشركين، إذ لم يكتفوا برمي النبيﷺ بالسحر، ولا يفوتنا أن الناظم كثيراً ما يجنح إلى جعل البيت الأول مصرعاً.

ومنه أيضاً قوله[٥]:

خـلـيـفـتـي مـن بـعـد مـــوتي لـلـورى طـاعـتُـهُ فـــرضٌ عـلى أهـــل الـثـرى

إذ حذف المبتدأ في (خليفتي من بعد موتي) والأصل هو: خليفتي من بعد

(١) المصدر السابق: ١: ٧٢.

(٢) معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي، ط١، دار السلاطين، الأردن – عمان (١٤٣١هـ-٢٠١٠م)، ١: ١٥.

(٣) شعر الأرجاني: دراسة بلاغية: أنوار جاسم عويد، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد)، ٢٠١٢م، ص٨٥.

(٤) شرح ابن عقيل: بهاء الدين عبد الله بن عقيل (٧٦٩هـ)، ط٢٠، دار التراث، القاهرة، دار مصر للطباعة، رمضان (١٤٠٠هـ-١٩٩٠م)، ١: ٢٥٤-٢٥٥-٢٥٦.

(٥) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ١: ٧٢.

موتي أو علي عليه السلام، والغرض هنا سرد تلك الميزات العظيمة التي يتمتع بها أمير المؤمنين عليه السلام، فالناظم يغتنم فرصة إقبال المخاطب إليه لإيصال غايته فالمقام هنا ليس في سياق الحصر.

وله رحمه الله في الحذف أيضاً قوله[١]:

يحكم عدلاً ويقول فضلاً وعنده الصعب يكون سهلاً

أضمر السيد الناظم الفاعلين في (يحكم، ويقول) للإشارة أنه عليه السلام يحكم بالعدل ويفصل في القول وهنا أفاد حرف العطف بيان قصد الناظم لدلالته على مطلق الجمع[٢]، فلا فاصل زمني بين الحكم والنطق به، ولا مسوغ لذكر الفاعل فهو واحد لا ثاني له ومعلوم لا مجهول فلا داعي لإطالة الأمر على المتلقي، فضلاً عن مراعاة الإيقاع وجماليته.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن الحذف كشف المعنى وعززه في ذهن المتلقي، فالحذف قائم على إسقاط شيء من الكلام، على أن لا يكون مخلاً بالمعنى[٣]، فقد يأتي الحذف لدواعي شعورية وجدانية وموسيقية يرغب الشاعر في بثها وتضعيفها على منحى دلالي[٤].

وإذا وقفنا على بعض شواهد الحذف فيجدر الإشارة إلى مواطن الذكر وبيان مقاصد الناظم فيها ومن ذلك قوله رحمه الله[٥]:

(١) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ١: ٢٣٤.

(٢) معاني النحو: ٣: ٨٧.

(٣) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ص١٢٦.

(٤) شعر ابن منير الطرابلسي: دراسة أسلوبية، رسالة ماجستير، زمن حسين محمد، كلية الآداب – الجامعة المستنصرية (١٤٣٩هـ-٢٠٠٧م)، ص١٧١.

(٥) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ٢: ٨٠.

هـــذا عـــليٌّ هـــو مـــني وأنـــا مـنـه فـلا فـضـلٌ يـكـون بيـننـا

(هو مني) الناظم في مقام بيان منزلة الامام علي عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، استناداً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «... **إنه مني وأنا منه**...»[١]، هنا أراد الناظم التخصيص لا التعميم تلذذاً منه بذكر تلك المنزلة الرفيعة لعليّ عليه السلام فضلاً عن جمال الإيقاع وأثره على سمع المتلقي.

وقوله[٢]:

سـيـدة الـنـسـاءِ فـاطـمٌ أتـت صـديـقـةٌ طـاهـرةٌ قـد عُـصـمـتْ

كان باستطاعة الناظم هنا عدم ذكر اسم سيدة النساء (فاطمة عليها السلام) لتعاهد الذهن وانصرافه إليها حينما يطلق لقب (سيدة النساء) الصديقة، ولكنه جاء به دلالة على التأكيد وطلباً للتبرك لما لهذا الاسم من خصوصية، وكذلك يمكن القول فيه لما ورد في المنظومة من قوله رحمه الله:

قـال الـنـبـيّ هـذا عـليٌّ وارثـي قـاضٍ لديني كـاشـفُ الـكـوارثِ[٣]

إذ إن لاسم أمير المؤمنين علي عليه السلام مكانة يتبرك بها الناظم والمتلقي.

٣- التعريف والتنكير:

المعرفة ما دلّ على شيء بعينه والنكرة ما دلّ على شيء لا بعينه[٤]، التعريف والتنكير من الأساليب الخاصة بالاسم من دون غيره، ومما يدل عليه الاسم في

(١) تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك: أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف بمصر، ١: ٥١٤.

(٢) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ٢: ٢٣١.

(٣) المصدر السابق: ١: ٧٢.

(٤) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها (عربي - عربي): د. أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، ص٣٨٢.

حال التعريف لا يدل عليه في حال التنكير تبعاً للمتكلم والمقام والموضوع[١].

فالتعريف بحد ذاته يفيد توكيداً؛ لأن التعريف والتنكير أمران نسبيان بالإضافة إلى النفس، فالتعريف يفيد الشيء المعروف توكيداً ويزيده وضوحاً؛ لأن النفس تكون أكثر تقبلاً وتفاعلاً مما سبق لها وإن أدركته[٢].

فيدخل التعريف على المسند إليه؛ لأن الأصل فيه أن يكون معرفة؛ لأنه المحكوم عليه، والحكم على المجهول لا يفيد، ولذلك فإنه يعرّف لتكون الفائدة أتم[٣].

وينكر المسند لعدم الموجب لتعريفه؛ وذلك لقصد إرادة العد أو الحصر نحو: أنت أمير، وهو وزير، ولاتباع المسند إليه في التفكير، نحو: تلميذ واقف في الباب، ولإفادة التعميم، نحو: ﴿هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾ ولقصد التحقير، نحو: ما خالدٌ رجلاً يذكر[٤].

وبذلك يكون الفارق الأساس بين التعريف والتنكير هو أن التنكير لا يعرف بأداة معينة إنما يكون اللفظ مطلقاً من قيود التعريف، فالتنكير مطلق والتعريف يأتي ليقيد ذلك الإطلاق ويحدّد وجوه اللفظ في دلالته واستعماله[٥].

فالتنكير هو كل اسم لا يفهم منه ولا يقصد بالتعيين فهو مطلق ومتحرر من

(١) ينظر: مجلة جامعة زاخو، مقاصد التعريف والتنكير للألفاظ المتماثلة من القرآن الكريم: أ.م.د. فيصل مرعي حسن، د. إدريس سليمان مصطفى، د. حازم ذنون إسماعيل، كلية التربية – جامعة الموصل، العراق، مج١، ع١، ٢٠١٣م، ص٢٤٧.

(٢) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ص١١٨.

(٣) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ص٣٨٢.

(٤) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد الهاشمي، ط١، دار إحياء التراث، بيروت – لبنان، ص١٥٢.

(٥) مقاصد التعريف والتنكير للألفاظ المتماثلة من القرآن الكريم: ص٢٤٧.

التخصيص[١]، ومن توظيفاته ﷺ في هذا المجال قوله[٢]:

هـــذا عـــليٌّ والـــغـــديـــرُ يـشـهـدُ بـأنـه المـــولى الإمـــامُ الأوحـــدُ

الأصل في اسم الإشارة (هذا) أن يستعمل للإشارة إلى القريب الحاضر المشاهد بالعين، والناظم لم يكن عند شخص الإمام عليه السلام كما لم يكن عند مقامه الشريف، لكنه استعمل (هذا) تعظيماً لدرجته بالقرب وإعلاماً لنا بأن الناظم كأنه يرى الإمام حاضراً شاهداً بعيني رأسه، قريباً منه، إنما هو قرب الروح من الروح، والقلب من القلب[٣]، فليس بين الأرواح حجبٌ إذا صحت المودة ثم أن في الإشارة من المحب للحبيب باستعمال ما يستعمل للقريب إشعاراً بتلذذه ولفتاً للأنظار إليه.

ومن التعريف بالإضافة قوله[٤]:

أهـكـذا يـكـونُ ديـــنُ المصطفى أعـــوذُ بـــالله عـلى الـدنـيـا الـعـفـا

في قوله ﷺ (دين المصطفى) تعريف بالإضافة، وإنما جاء به لغرض التعظيم، تعظيم الدين بانتسابه إلى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم الذي اختاره ربُّ العُلا رسولاً ومبلغاً لتعاليم ذلك الدين، ولابد من الإشارة إلى أن الناظم قد بدأ النص الشعري بالاستفهام الإنكاري أي: إنكارهم ما حدث للمسلمين من بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فابتعاد الناس عن تعاليمه وإرشاده صلى الله عليه وآله وسلم جعل الناظم يستفهم، وقد أشار إلى

(١) في جمالية الكلمة، دراسة جمالية بلاغية نقدية: أ.د. حسين جمعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢م، ص١٥٩.

(٢) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ١: ٢٤٢.

(٣) الفنون البلاغية في المدائح النبوية: ص٨١.

(٤) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ٣: ٣٦٢.

ذلك بقوله[١]:

قـــال أنـــاسٌ مـــات هـــادي الأمـــة مـــن دون مـــا يـــوصي ولم يهـمّـه

فـ (هـادي) قد عرفت بالإضافة إلى (الأمـة) أيضاً، ومن الجدير بالذكر حسن توظيف الضمير (الهـاء) في (يهمه) في إرجاعه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحذف فاعله الذي ارتكز في ذهن المتلقي وهو (أمر الدين والوصية) لعلي بن أبي طالب وأولاده عليهم السلام.

ومن التعريف بالضمائر:

أنـــت مـــع الـــقـــرآن لم تـفـتـرقـا إلى ورود الحـوض يـوم الملتقى[٢]

وأنـــت يـــوم الحـشر حـامـل الـلـوا لـــواءِ حمـــدٍ تحـتـه أهـــل الـــولا[٣]

استعمل السيد رحمه الله الضمير (أنت) لما فيه من تمني أن يلتقي بأمير المؤمنين عليه السلام؛ لأن الضمير (أنت) ضمير للمخاطب فالناظم يتلذذ بذكر (الضمير) دلالة على قربه وعلاقته المتينة مع الإمام عليه السلام، وهو هنا بصدد بيان ما خصّ به الله تعالى علي ابن أبي طالب عليه السلام، وأنه حامل اللواء يوم القيامة، والمتتبع للنص يحسّ بمتعته الفنية، وهو ما امتاز به صوت الألف الطويلة، فهو لا يلبث أن يعطي النص رونقاً وإبداعاً.

ومن توظيفاته أيضاً قوله رحمه الله[٤]:

عـــليٌّ الـــفـــاروق أقـــضى أمـتـي ووارثـــــي مـنـفـذٌ وصـيـتـي

(١) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ٣: ٣٤٧.
(٢) المصدر السابق: ١: ١٦٥.
(٣) المصدر السابق: ١: ١٧٢.
(٤) المصدر السابق: ١: ١٤١.

عرف السيد الناظم المسند إليه بالعلمية، تلذذاً بذكر اسمه الشريف وتبركاً به وإيقاعاً لهيبته في النفوس، كأنه كنى عنه في الأبيات التي سبقته وأشار إليه بالضمائر أو بذكر صفاته ومنها قوله[١]:

أنــت الإمــام الـفـائـزون شيعتُك أنـجـتْـهُـمُ مـن الـعـذاب بـيـعـتُـكْ

ثم صرّح به هنا (عليٌّ الفاروق)، لما ورد في الحديث: «**عليٌّ أول من آمن بي، وأول من يصافحني يوم القيامة، وهو الصديق الأكبر (وهو) الفاروق يفرق بين الحق والباطل**»[٢]، حيث أراد الناظم بيان منزلته عليه السلام وقربه منه صلى الله عليه وآله وسلم، وكل ذلك جاء بذكاء ولباقة وعلمية، حيث جاء بالمبتدأ والخبر معرفتين لنفع الفائدة المقصودة، والفائدة هي التي يحسن الوقوف عليها في الموقف[٣]، فضلاً عن استعماله اسم التفضيل (أقضى) المضاف إلى معرفة وأراد به التفضيل المطلق[٤]، حيث نجح في استعمال هذه الصيغة لإيصال غرضه، وتظهر براعته رحمه الله مرة أخرى في عجز البيت حيث اختار اسم الفاعل دونها من المشتقات (وارثي، منفذ) كون اسم الفاعل مشتقاً من الفعل يدل على الثبوت[٥]، فكان رحمه الله جاداً في

(١) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ١: ١٦٨.

(٢) فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم عليهم السلام: إبراهيم بن محمّد بن المؤيد بن عبد الله بن علي بن محمّد الجويني الخراساني (٧٣٠هـ)، تحقيق: محمّد باقر المحمودي، ط١، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، بيروت – لبنان (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م)، ١: ٣٩.

(٣) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: أبو العرفان محمّد بن علي الصبان الشافعي (١٢٠٦هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ط٣، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ١: ١٩٤.

(٤) مجلة العلوم الاسلامية للبحوث الإنسانية: صيغة أفعل التفضيل في القرآن الكريم. دراسة نحوية: د. أحمد إبراهيم الجديدة، د. بسام حسن مهرة، مج٢٠، ع٢، ص٢٥٦.

(٥) تفسير الفخر للرازي: محمّد الرازي فخر الدين ضياء الدين عمر (٥٤٤-٦٠٤هـ)، ط١، دار

إيصال غرضه إلى المتلقي، ولا يخفى الإيقاع وجماليته والتي طالما حرص عليه الناظم في منظومته.

ومن التعريف بالعلمية قوله[١]:

إنّي أبي القاسم لستُ شاعراً ولستُ في النظم خبيراً ماهراً

هنا يتبرك السيد الخوئي بذكر اسمه وهو كنية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في إشارة لطيفة لتوضيح كونه ليس شاعراً ولا خبيراً في النظم، وإنما ما دفعه للكتابة ونظم الشعر، حُب محمدٍ والعترة المطهرة عليهم السلام، وقد صرح ذلك بقوله[٢]:

لكنَّ حبَّ العترة المطهرة دعا إلى نظمٍ وربي يسَّرَه

ومن توظيفاته رحمه الله في التنكير قوله[٣]:

لا ينكر الغدير إلّا جاحدٌ مكابرٌ منافقٌ معاند

إن توالي النكرات (جاحد، مكابر، منافق، معاند) وهي ألفاظ قرآنية[٤] ألبسها الناظم بعداً زمنياً؛ إذ إن الشاعر يعي حقيقة حب أمير المؤمنين عليه السلام وموالاته ممتدة لا تنحصر في زمان ومكان، فهو لم يحدد شخصاً معيناً وإنما أراد من تلبس بهذه الصفات، فالجحود: «نفي ما في القلب إثباته، وإثبات ما في القلب نفيه»[٥]

الفكر، لبنان - بيروت (١٤٠١هـ-١٩٨١م)، ٢٥: ٢٩.

(١) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ٣: ٤١٦.

(٢) المصدر السابق: ٣: ٤١٦.

(٣) المصدر السابق: ١: ٢٤٣.

(٤) سورة الأعراف: ٥١، النحل: ٢٩، الأحزاب: ٢٤، يس: ١٠.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن: أبي القاسم الحسين بن محمّد (الراغب الأصفهاني ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط٤، دار القلم، الدار الشامية، (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)، ص١٨٧.

وهو نقيض الإقرار كالإنكار والمعرفة[١].

والكبر هو: «الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره»[٢]، والنفاق هو: «إظهار الخير وإسرار الشر»[٣]، أو هو: «إظهار الإيمان باللسان، وكتمان الكفر بالقلب»[٤]، ومما جاء في العناد: «الإصرار على شيء معين بحيث يسحق تعليمات العقل والمنطق تحت قدمه من أجل ذلك»[٥].

وللتنكير دلالة لا تقل ثراء عن دلالة التعريف، ولعلّ المزية في التنكير كفيلة بإظهار جماليات لا نحصل عليها إلّا فيه[٦].

وقوله[٧]:

قال أناسٌ مات هادي الأمّة من دون ما يُوصي ولم يهمّه

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ص٤٤٥.

(٢) المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، ١: ٥٤٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، تحقيق: مصطفى السيد محمد، وجيه محمّد السيد، مؤسسة قرطبة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الجيزة – مصر، ص١٥.

(٤) التعريفات: علي بن محمّد بن علي الزين الشريف الجرجاني (٨١٦هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٠٣هـ، ١: ٢٤٥.

(٥) الأخلاق في القرآن (فروع المسائل الأخلاقية)، ناصر مكارم الشيرازي بالتعاون مع مجموعة من الفضلاء، ط٢، مطبعة سليمان زادة، الناشر: مدرسة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قم، ١٤٢٦هـ، ٢: ١٨١.

(٦) التنكير وجماليته البلاغية في نهج البلاغة، دراسة «بعض الحكم» نموذجاً: سيد محمّد مير حسين، علي أسودي، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، ع٢٦، الربيع ١٣٩٢هـ، ش/ ٢٠١٣م، ص٢٩-٤٢.

(٧) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ١: ٣٤٧.

عمد الناظم إلى لفظ (أناس) تنكيراً، كما هو دأبه في عدم التخصص بغية الاحاطة وعدم الوقوف عند زمن ومكان محدد، إذ إنه لم يرد جيلاً معيناً مفيداً من مغايرة قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾[١].

فمفهوم التنكير يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمدى معرفة المتكلم والمخاطب بموضوع الحديث، فالمتكلم يختار من الوسائل التعبيرية ما يراه دالاً على نقل ما يريد إلى مخاطب يفترض فيه العلم بالشيء المراد أو الجهل به[٢].

وقوله[٣]:

ضربته في خندق أفضل من جميع ما يأتي به أنس وجن

في تنكير (خندق) دلالة للتهويل ولاسيما أن حادثة الخندق لا تفتقر إلى التعريف الذي يُلجئ الناظم إلى تعريفه، وإنما جاء به معظماً لما كان لذلك الموقف «فللنكرة من النفس لها فخامة وتكتسي منها وسامة»[٤].

٤- القصر:

القصر ركن من أركان البلاغة، وضرب من ضروب الإيجاز، ويراد به (لغة): الحبس وتقول: قصرت نفسي عن الشيء إذا حبستها[٥]، أما اصطلاحاً:

(١) سورة آل عمران: ١٧٣.

(٢) التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل: د. محمود أحمد نحلة، دار التوني للطباعة والنشر، الاسكندرية، ص٨١.

(٣) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ١: ٣٤٧.

(٤) التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن: ابن الزملكاني، تحقيق: د. أحمد مطلوب، د. خديجة الحديثي، ط١، مطبعة العاني، بغداد، (١٣٨٣هـ-١٩٦٤م)، ص٥٠.

(٥) لسان العرب: مادة: (قصر).

فهو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص[١].

وتكمن القيمة البلاغية للقصر في أن جملته تقوم مقام جملتين مع الإيجاز ويدفع الشك، ويمكن الكلام في الذهن، بمعنى أنه ليس إلّا تأكيداً على تأكيد[٢].

وعلى هذا فإن (إيجاز القصر) يقوم ببناء الكلام على اللفظ الوجيز المتضمن معاني كثيرة من دون إسقاط أو حذف فيكون قادراً على إثارة نشوة نفس المتلقي وطربها وذلك لتقديمه المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة[٣].

وقد شكل أسلوب القصر عند السيد الخوئي قيمة فنية جديرة بالرصد عبر النص الشعري، وكان لأسلوب التقديم النصيب الأوفر ثم القصر بالنفي والاستثناء، ومن توظيفاته في هذا المجال قوله[٤]:

وسائرُ المواقف المشتهرة لقد روتها العلماء المهرة

وللنبي كنت فيها عضداً وناصراً له وعيناً ويداً

تقدم هنا المتعلق الجار والمجرور (للنبي) على المتعلق به وهو الفعل (كنتَ) وأراد بذلك رحمه الله حصر مواقف الإمام عليه السلام في دفاعه عن الاسلام التي حضرها حصراً مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فلو قال (كنت للنبي عضداً) لتبادر إلى ذهن المتلقي أنه كان عضداً للنبي وغيره ولا يخفى حسن توظيفه (فيها) و(له) أيضاً تقدما

(١) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: د. أبو حامد أحمد بن علي بن الكافي بهاء الدين السبكي (٧٧٣هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م)، ١: ٣٩٣.

(٢) دروس في البلاغة: معين دقيق العامري، المركز العلمي للدراسات الاسلامية، د.ت، ص٢٨٨.

(٣) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ص١٢٨.

(٤) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ٣: ٩٧.

على (عضد) و(عين ويد) والتقديم يفيد الحصر والتخصيص.

ومنها أيضاً[١]:

وكلّهم عند الصراط يوقفُ ... ليسألوا عن أمرهم ويعرفوا

ولاية الوصي عنها يسألُ ... قابلُها ممن سواه يفصلُ

ذا فائقٌ مسكنُهُ الرضوان ... وخاسر ذاك له النيران

النص مفعم بالألفاظ والتراكيب القرآنية، والذي بصدده البحث هو عجز البيت إذ فيه جملتان اسميتان (خاسر ذاك) و(له النيران) فـ (خاسرٌ) قصرت على اسم الإشارة (ذاك)، وألصقه (الخبر) (خاسر) وكذلك الحال في جملة (له النيران).

ومن توظيفاته في (القصر) أيضاً قوله[٢]:

باهى بك الإله أملاكَ السما ... لما رآهم يكرهون العَدَما

فقد قدّم الناظم الجار والمجرور (بك) وفصل بهما بين الفعل والفاعل لغرض حصر المباهاة على (علي عليه السلام) فقط وبذلك أراد أيضاً حصر انتباه المتلقي فلا يشتت ذهنه، أما القصر بالنفي والاستثناء فكان له نصيب في المنظومة، ومنها قوله[٣]:

لا ينكر الغدير إلّا جاحدٌ ... مكابرٌ منافقٌ معاند

هنا تبرز عبقرية السيد الخوئي في انتقائه الألفاظ لغرض إيصال مبتغاه إلى

(١) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ١: ١٢٥.

(٢) المصدر السابق: ٣: ٢٨٠.

(٣) المصدر السابق: ١: ٢٤٣.

المتلقي دون عناء، فقد وظف اللفظتين (النكران والجحود) لتقارب المعنى بينهما، فالنكران خلاف المعرفة وعدم الاعتراف بالحقيقة[١]، والجحود جحود المتكبرين المنافقين المعاندين فالجحود الإنكار مع العلم بالشيء[٢]، وما أشد العلاقة بين (النكران والجحود)، لاسيما في إنكار عيد الغدير الذي تواتر نقله عند المسلمين[٣]، وقد أعطى الناظم قوة لنصه حين جعل أسلوب القصر وعاء لتلك الألفاظ حين قصر الجحود على المنكرين، فاقتصار المرء على ما يفي بحاجته من الألفاظ إيجاز بليغ بغض النظر عن حجم الألفاظ التي تستدعيها الحاجة، مادام المتكلم قد تجنب الفضول من القول[٤].

ومن توظيفاته أيضاً قوله[٥]:

وأنـــت لم يـعـرفـك غـــيرُ الخـالـق ومـــن هـــو المُـــرســـلُ لـلـخـلائـق

فقد وظف الناظم أسلوب القصر الذي أبدع فيه رسول الله ﷺ بقوله: «**يا علي ما عرف الله إلّا أنا وأنت وما عرفني إلّا الله وأنت وما عرفك إلّا الله وأنا**»[٦] وبذلك أوجز الناظم حديث الرسول ﷺ دون إخلال وصولاً للغرض والمعنى

(١) لسان العرب: مادة (نكر).

(٢) مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، مادة (جحد).

(٣) موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب: الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، قدم له: باقر شريف القرشي، تحقيق: مركز الأمير لإحياء التراث الاسلامي، مراجعة وتصحيح: مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، بإشراف: محمود الهاشمي الشاهرودي، ط١ (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، ١: ٦٥، وينظر: تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير)، (مفاتيح الغيب)، ١٢: ٥٣.

(٤) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ص١٢٦.

(٥) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ١: ١٠٢.

(٦) المختصر: الحسن بن سليمان الحلبي، ط١، الحيدرية، ص٣٨.

بأقصر عبارة وبذلك حافظ الناظم بكلامه الموجز على نشاط المتلقي وابتعد به عن السأم والملل وهذا يكمن وراء قدرة الكلام الموجز[١].

وقوله[٢]:

فلم يجد غير العنيد الجاحد إلّا علياً مفخر الأماجد

اعتمد الناظم في صياغته للنص على أسلوب القصر بالأداتين (غير، إلّا) إذ يرى العناد والجحود صفة بعيدة كل البعد عن (علي عليه السلام) مفخر الأماجد حين قام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يدعو لدعوته فلم يجد إلّا علياً عليه السلام فقد فصل بين الفعل (يجد) والمفعول به (علياً) ذلك كان له الأثر في تسليط الضوء على الممدوح، ومنحه حيزاً كبيراً من الأهمية.

المبحث الثاني

الأساليب البلاغية

١- الأمر:

أسلوب من أساليب الإنشاء الطلبي، فهو من الأساليب المهمة التي اعتادها الشعراء قديماً وحديثاً، ليعبروا عما يجول في خاطرهم سواء أكانت في مجال فرض إرادتهم على من هم دونهم أم على سبيل المجاز لمن هم أعلى مقاماً منهم أم على سبيل الدعاء أم الإقبال والتنبيه[٣].

ورأى بعض الباحثين أن الأمر والنهي رأس ضروب الإنشاء وأصدقها دلالة

(١) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ص١٢٧.

(٢) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ١: ٧٢.

(٣) شعر ابن منير الطرابلسي: ص١٣٨.

عليه[١]، وعند البلاغيين هو: «طلب الفعل على وجه الاستعلام والإلزام»[٢]، أو كما قال العلوي: «هو صيغة تستدعي الفعل أو القول يبنى على استدعاء الفعل من جهة الغير بلا جهة استعلاء»[٣].

وأسلوب الأمر يكون تابعاً للحالة الانفعالية لدى الشاعر فيوظفه للتعبير عن أغراض قصيدته وجوها، فالأمر بوصفه انشائياً طلبياً تنحى عن باب الفعل؛ لأنه ليس فعلاً حقيقياً، إذ لا يدل على حدث بقدر ما يدل في الأصل على القيام بحدث[٤].

والأمر عندما ينتقل من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي يحقق شعرية عالية؛ لأنه ينتقل من هدف تحقيق الفعل إلى هدف الانفعال أياً كانت دلالته بشكل أعمق وأدق[٥]، ويبدو أن السيد الناظم كان شغوفاً في توظيف هذا الأسلوب إذ شغل حيزاً واسعاً في مطلع منظومته مع قصدية اللجوء إلى أسلوب الخطاب المباشر تارة وأسلوب الخطاب غير المباشر تارة أخرى، أما ما يخص استخدامه صيغ أسلوب الأمر فقد استخدم الأمر بفعل الأمر، ومنها قوله[٦]:

أرجـــو إلهـــي صـانـعـي وخـالـقـي ومـالـكـي ومَـلـجـئـي ورازقـــي

(١) نحو المعاني: د. عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد (١٤٠٣هـ-١٩٨٧م)، ١: ٣٣٢.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ص١٥١.

(٣) كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، مراجعة وضبط وتحقيق: عبد السلام هارون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (١٤١٥هـ-١٩٩٥م)، ٣: ١٥٥.

(٤) خصائص الأسلوب في الشوقيات: محمّد مهدي الطرابلسي، منشورات الجامعة التونسية (د.ط)، ص٣٥.

(٥) شعر ابن منير الطرابلسي: ص١٣٨.

(٦) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ١: ٢١.

غـفـران ذنـبـي فـهـو أهـل الـعـفـو ما كـان مـن عـمـدٍ أتـى أو سهو

وظّف السيد الناظم هنا الغرض الثانوي، إذ خرج أسلوب الأمر (أرجو) من الحقيقي إلى المجازي لغرض الدعاء «وهو طلب من الأدنى إلى الأعلى على سبيل التضرع والخشوع»[١] وفي هذا التوظيف مزية خطابية بينت لنا حقيقة لجوء الناظم إلى الباري عز وجل لغفران ذنبه ومدى رأفته جلّ وعلا بالمؤمنين حينما تداهمهم الخطوب، وتكمن براعة النص في أنه ضم إلى جانب الدعاء صفات الباري جل وعلا، (صانعي، خالقي، مالكي، ملجئي، رازقي) الذي أضفى وقعة موسيقية، وهذا يذكرنا بقوله تعالى: ﴿**هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[٢].

ومن توظيفاته أيضاً قوله[٣]:

إن الـغـديـر أمـره قـد اشـتـهـرْ رواه أربـاب الحـديـث والـسـيَر

راجـعْ كـتـابـاً لـلأمـيـنـي كـي تـرى أن الحـديـث جـاوز الـتـواتـرا

خرج أسلوب الأمر من الغرض الحقيقي إلى الغرض المجازي متمثلاً في الفعل (راجعْ) وقد تعاضد أسلوب الأمر مع أسلوب التوكيد لتقوية المعنى ولإيصال الفكرة بصورة تدريجية للمتلقي بدلالة وجود (إنّ)، فقد جاء السياق الأمري منسجماً مع السياق العام للنصين الشعريين فضلاً عن التماثل الناجم عن المفردات (اشتهر، السير، كي ترى، تواتر) حيث ازداد حسن أداء الكلام

(١) البلاغة الاصطلاحية: عبدة عبد العزيز قلقيلة، ط٣، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر، (١٤١٢هـ-١٩٩٢م)، ص٢١.

(٢) سورة الحشر: ٢٤.

(٣) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ١: ٢٤٣.

لمعناه بتأثير الرنين الصوتي وحسن الكلمة من حيث أداؤها لمعناها[١]، حتى بدت سلسلة موسيقية متناغمة.

ومما يثير الانتباه والاهتمام أن الناظم استعمل الفعل (راجعْ) ولم يقل (انظر أو اقرأ) لأن الفعل رجع في مدلوله يتوافق ومضمون النص فالرجوع يكون للشيء المنكر سابقاً[٢]، وقد جاء في قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمْ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾[٣].

٢- الاستفهام:

الاستفهام أسلوب من الأساليب البلاغية المميزة التي تمد النص بتجليات عدة لا يراد به الجواب بقدر ما يراد به البحث عن الجواب، فهو يبحث عن الصورة الذهنية والايمائية ومدى تأثيرها في الآخر، فهو يرتبط بتجليات الذات الحائرة وانفعالاتها الداخلية المتغيرة[٤].

والاستفهام عند المعجميين: «هو طلب الفهم، واستفهامه: سأل أن يفهمه، وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمته تفهيماً»[٥].

أما عند البلاغيين فلم يذهب بعيداً عما ذهب إليه المعجميون إذ يقول عبد القاهر الجرجاني: «الاستفهام استخبار، والاستخبار هو طلب من المخاطب أن

(١) علم البديع: د. محمود أحمد حسن المراغي، ط١، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، (١٤١١هـ-١٩٩١م)، ص١١.

(٢) لسان العرب: مادة (رجع).

(٣) سورة المؤمنون: ٩٩-١٠٠.

(٤) شعر الأرجاني: ص٢٩.

(٥) لسان العرب: مادة (فهم).

يخبرك»[١].

والاستفهام طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، وهو الاستخبار: أي طلب خبر ما ليس عندك وهو بمعنى الاستفهام، أي طلب الفهم[٢].

وقد تنوعت أساليب الاستفهام ودلالاته عند أبي القاسم الخوئي وكله غير حقيقي، بسبب طبيعة بنية الشعر كونه ليس أسلوباً للحوار، فقد وجدنا لمسات بلاغية له، ومنها ما أورده في سياق ذكر فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام ومنها قوله[٣]:

هـــذا عـــلي صـــاحـــب الـــلـــواء قـــد خـصـــه الـــنـــبـــي بـــالإخـــاء

يـكـفـيـه هـــذا شرفـــاً ومـفـخـرا أبـعـد هـــذا شـبـهـةٌ؟ مـــاذا تـــرى؟

هنا يشير الناظم إلى منقبتين عظيمتين اختص بهما الامام علي عليه السلام لم يشاركه فيها أحد:

الأولى: فضيلة حمل لواء النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

الثانية: المؤاخاة إذ أخاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

والسيد الناظم لا ينتظر إجابة فالاستفهام مجازي غير حقيقي خرج لمعنى التعجب، فقد استعمل الأسلوب الرمزي في التعبير عن الفكرة التي يروم إيصالها عبر استفهامه المتضمن لأداتي الاستفهام (الهمزة وماذا) وقد جاء ذلك منسجماً مع فحوى النص المعبر عن حبه ورغبته رحمه الله في بيان منزلة الإمام علي عليه السلام، وقد ساعده في ذلك أيضاً حسن توظيفه أسماء الإشارة فقد اختار (هذا) وهو

(١) دلائل الإعجاز: ص١٤٠.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ص١٠٩.

(٣) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ١: ٢٤٥.

للمفرد المذكر القريب[١] ومنها قوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً**﴾[٢]، فكأن الإمام واقف أمامه وهو غاية ما يتمناه ودليل متانة العلاقة بينه ﷻ وبين الأمير علي عليه السلام فالقرب من القلب لا العين.

ومن أبيات أبي القاسم الخوئي نعطف على أبيات لأمير المؤمنين علي عليه السلام أنشدها (متفاخراً بتلك المؤاخاة) في حضرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسمع وقد ذكرت في طيات المنظومة المعنى بدراستها فيقول عليه السلام[٣]:

أنا أخو المصطفى لاشك في نسبي ... رُبيت معه وسبطاه هما ولدي

جدي وجد رسول الله منفردٌ ... وفاطم زوجتي لا قول ذي فند

صدّقته وجميع الناس في بُهمٍ ... من الضلالة والإشراك والنكدِ

الحمد لله شكراً لا شريك له ... البرّ بالعبد والباقي بلا أحدِ

وبعد الأبيات المعطرة بعطر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نعود إلى منظومة أبي القاسم الخوئي وحديث المنزلة وآية المباهلة، وتوظيف أسلوب الاستفهام لهذا الغرض:

أليس يكفينا حديث المنزلة ... أن علياً سيكون الأمر له[٤]

أليس يكفي آية المباهلة ... أن علياً نفس طه الفاضلة[٥]

خرج الاستفهام من عالمه الوظيفي المعياري إلى عالم التجربة الأدبية المجازية،

(١) معاني النحو: فاضل السامرائي، ١: ٩٠.

(٢) سورة الإسراء: ٩.

(٣) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ١: ٢٥١.

(٤) المصدر السابق: ١: ٢٥٣.

(٥) المصدر السابق: ١: ٤٢٥.

لتحقيق معانٍ بلاغية، لا يراد بها السؤال بقدر ما يراد بها الغرض المجازي الذي خرج إليه السؤال، والذي يكمن هنا في الإقرار والتسليم بحديث (المنزلة وآية المباهلة)، فقد وظّف السيد الخوئي رحمه الله حرف الاستفهام (الهمزة) التي دخلت على أداة النفي (ليس) توظيفاً رائعاً يدل على فهمه رحمه الله هذا الأسلوب وخصائصه، فحرف الاستفهام (الهمزة) بدخوله على أداة النفي أريد به التقرير لا النفي تقرير ما بعد الأداة (ليس)، فدخلت الهمزة على ليس فأضحت أليس، وهنا أصبح إلزاماً للمخاطب على الاعتراف بموضوع استقر لدى المتكلم مما حمل المخاطب على الاعتراف والإقرار[١]؛ لأن حرف الاستفهام يضارع حرف النفي ونفي النفي إيجاب[٢].

وقد جاء الاستفهام للتكثير بقوله[٣]:

كم مرة قال النبي معلناً ... مني عليٌّ واعلموا منه أنا

فقد استعمل اسم الاستفهام (كم) للتكثير[٤]، وهو وإن كان دالاً على التكثير إلّا أن لاستعماله علاقة بأصل وضعه للاستفهام، وكأن الناظم يسأل حقاً مع علمه بحقيقة الأمر (عددها وكميتها)، فلا يجد جواباً شافياً يحصيها، أو كأنه يستعمل لفظ الاستفهام ليستحضر الأحاديث التي أقرّ فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة علي عليه السلام منه فيحاول الإجابة لكنه يحجم عن الإجابة، لكثرة تلك الأحاديث، فحين يشعر المتلقي بذلك العجز وقع في نفسه من الهيبة والتبجيل ما لا يوصف لتلك المكانة وليزيد الناظم الفكرة جودة في السبك فإنه استهل

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ص١١٤.

(٢) دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الاستفهام البلاغي في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: هيثم الثوابية، مج٤١، ملحق (١)، ٢٠١٤م، ص٥٠٣.

(٣) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ٢: ٨٠.

(٤) معاني النحو: ٢: ٣٣٨.

استفهامه بالجملة الاسمية التي تفيد الثبوت[١]، فمنزلة علي عليه السلام من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثابتة حتى قيام الساعة، ومنها قوله أيضاً[٢]:

شبّهك النبيُّ بالسفينة سفينة لنوحٍ القديمة
مراعياً حال العقول القاصرة لم يدركوا ما لا تراه الباصرة
شبّه بالمشكاة في القرآن نور الإله الخالق المنّان
ما قيمةُ الفلك تجاة المرتضى أفضل من يأتي وخير من مضى
هذي تنجّيك من الموت وذا أتاك من نار الجحيم منقذا

لا يريد الناظم هنا من أسلوب الاستفهام (ما قيمة الفلك) الحصول على جواب ما، بقدر ما يريد توجيه النظر لما يريد بيانه من حقيقة، «ليولد بذلك أبعاداً تأويلية ودلالات شتى تعطي النص دفقاً حيوياً كاشفاً عبر تقييم إبداعي خلّاق»[٣]، فهنا يخرج الناظم بالاستفهام من مساره الحقيقي إلى (أسلوب النفي الضمني)، «وهو من أساليب الإيجاز في البلاغة العربية؛ لأنه يحتوي على فحوى متضمنة قد يحتاج التصريح بها إلى كلام كثير»[٤]، فهو هنا يمدح الإمام علياً عليه السلام عن طريق التساؤل المطروح في نص (ما قيمة الفلك تجاه المرتضى؟) محاولاً أن يعرج على حقيقة كون آل البيت عليهم السلام سفينة النجاة، تنجي من نار جهنم باتباعهم والاقتداء بهم، فهي سفينة معنوية تنقل الإنسان من بحر الظلمات والضلال إلى مرفأ الأمان، وهنا أبدع الناظم في نقل الصورة المادية (الفلك)

(١) معاني النحو: ١: ١٦.
(٢) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ١: ٣٢٨.
(٣) شعر الأرجاني، دراسة بلاغية: ص٤٦.
(٤) التراكيب اللغوية دراسة وصفية تطبيقية: هادي نهر، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٧٨م، ص٣٤٩.

إلى صورة معنوية بلباقة وذكاء، والحقيقة أن الناظم أخذ فكرة نصه الشعري من (حديث السفينة)، ومما يلحظ في النص تكثيف دلالي، فضلاً عن تكثيف إيقاعي واقعي أحدثه لفظة (القرآن، المنّان) فضلاً عن تقنيات أخرى أسهمت في رفد الدلالة والإيقاع منها أسلوب الطباق في (يأتي، مضى) ونوعه طباق إيجاب، كما جانس بين اللفظين (القاصرة، الباصرة) في ثنائية تضادية، فالقصور صفة نقص وبعبارة أخرى أن نسب الصفات الخلقية السلوكية للإنسان تتفاوت بين ارتفاع وانخفاض من شخص لآخر... «وهو ما يصلح وضعه في نهايتي المعيار المتدرج من التقابل التدريجي وما بينهما من تقابلات»[1]، ولم يكن السيد الخوئي بدعاً في توظيف حديث سفينة نوح عليه السلام، وإن كان قد تميز بأسلوبه وبلاغته إلّا أن أدبنا العربي يحدثنا عن أبيات لعمرو بن العاص إذ يقول[2]:

بآل محمّد عرف الصواب ... وفي أبياتهم نزل الكتابُ

وهم حجج الإله على البرايا ... بهم وبجدّهم لا يُستراب

ولا سيما أبو حسن علي ... له في المجد مرتبةٌ تُهابُ

إذا طلبتْ صوارمُهُ نفوساً ... فليس لها سوا نعمٍ جواب

طعام حسامه مُهجُ الأعادي ... وفيض دم الرقاب لها شراب

وضربته كبيعته بخم ... معاقدها من الناس الرقاب

إذا لم تبرأ من أعدا عليٍّ ... فما لك من محبته ثوابُ

هو البكّاء في المحراب ليلاً ... هو الضحاك إذا آن الضرابُ

(١) البحث الدلالي عند المفسرين أبو السعود «أنموذجاً»: زينب عبد الحسن السلطاني، ط١، دار الميمنة – الأردن، ٢٠١٦م، ص٢٣.

(٢) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ١: ٣٣٤-٣٣٥.

هـو الـنـبـأ الـعـظـيـم وفـلـكُ نـوحٍ وبـــاب الله وانـقـطـع الجـــواب

٣- النفي:

جاء في مقاييس اللغة في معنى (النفي)، لغة: «النون، الفاء، والحرف المعتل أصيل يدل على تعرية شيء وإبعاد منه»[١].

ومنها ما جاء في لسان العرب لابن منظور: «نفاه أي نحّاه وينفوه أيضاً»[٢]، ومنها أيضاً ما جاء في القاموس المحيط: «ونفى الشيء نفياً جحده»[٣]، وبهذا لا يخرج معنى النفي عن الطرد والإخراج والطرح جانباً[٤]، أما اصطلاحاً: «يقال نفيتُ الشيء أنفيه نفياً ونفاية إذا رددته»[٥]، أو «هو عبارة عن الأخبار عن ترك الفعل»[٦].

والنفي عكس الإيجاب، فالنفي قلب أحكام الجملة أو الكلام ويكون بدخول إحدى أدوات النفي، وكل نفي ينفى بعد أن كان موجباً، والنافي إذا كان صادقاً يسمى كلامه نفياً ولا يسمى جحداً، وإن كان كاذباً يسمى جحداً

(١) مقاييس اللغة: مادة (نفى).

(٢) لسان العرب: مادة (نفي).

(٣) القاموس المحيط: مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمّد نعيم العرقسوسي، ط٨، الناشر: مؤسسة الرسالة.

(٤) أساليب النفي والتوكيد في شعر رثاء شهداء انتفاضة الأقصى، دراسة وصفية تحليلية: جمال محمّد النحال، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية، غزة، (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، ص٢.

(٥) تهذيب اللغة: أبو منصور محمّد الأزهري (٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٥: ٤٧٥.

(٦) التعريفات: ص٣١٤.

ونفياً[١]، وأسلوب النفي أوسع أساليب العربية استعمالاً[٢]، وأدواته: ليس، ما، إن، لات، لم، لما، لن، لا، غير[٣]، فأدوات النفي كثيرة وأصل النفي (لا) ولهذا كان ينفى بها في أثناء الكلام[٤]، لذلك يقول الجرجاني عند تعريفه «هو ما لا ينجزم بـ لا»[٥].

أما نفي منظومة أبي القاسم الخوئي، فإننا نجد (النفي) الصريح حاضراً وبشكل واضح المعالم فقد تنوعت أدوات النفي بين (لم، ليس، لا، ما، لن) إلّا أن الحظ الأوفر كان لأداة النفي (لم) ولم يغب النفي الضمني في المنظومة، ومن توظيفاته للنفي قوله[٦]:

إنّ النبيَّ قد دعا عشيرته ... ليسلموا أو يقبلوا نصيحته

لكنهم قد انكروا نبوّته ... غير علي لم يلبّ دعوته

استخدم الناظم أداة النفي لم، في قوله: (لم يلبّ) فالنص تحدث عن فضل أمير المؤمنين عليه السلام في سرعة استجابته للدعوة الإسلامية، وقد كان الناظم بارعاً وحذقاً في اختياره أداة النفي (لم) وذلك «لأن الفعل إذا أراد تأدية دلالته في السياق يحتاج إلى إضاءة للمعنى لمعرفة المغزى أكثر»[٧]، فالنفي بـ (لم) المقترن

(١) أساليب النفي في القرآن الكريم تركيبها ودلالتها: صلاح رمضان عبد الله، مجلة جامعة البحر الأحمر، ع٥، يونيو ٢٠١٤م، ص١٠٦.

(٢) الاتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط١، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، ١٣٨٧هـ، ٣: ٣٩٣.

(٣) معاني النحو: ٣: ١٦٢.

(٤) البرهان للزركشي: ٢: ٣٧٨.

(٥) التعريفات: ص٣١٤.

(٦) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ١: ٧٢.

(٧) أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة: فاضل مصطفى الساقي، تقديم: د. تمام

بالمضارع يعطي البعد الزمني في التحول إلى المضي دلالة على الثبوت.

فدلالة حرف النفي (لم) مع اسم الاستثناء (غير) ساعد في تقوية المعنى وتأكيده، فعلاقة النفي بالاستثناء أشبه ما تكون «علاقة جزء بكل»[١]، ومن توظيفاته أيضاً قوله[٢]:

قـــام الـنـبـي خـاطـبـاً ومـعـلـمـا مـا كـــان أمـــري إنـــه أمـــر الـسـمـا

عمد أبي القاسم الخوئي في منظومته إلى بسط فضائل الإمام عليّ عليه السلام وقد ختم الفضيلة هنا بحقيقة مدويّة في سماء النكران والجحود بقوله: «ما كان أمري إنه أمر السما»، فقد أجاد رحمه الله في اختيار ما يوصل إلى غرضه «إذ الغرض يحرك نشاطه ويعينه على الإصغاء»[٣]، فقد اختار حرف النفي (ما) دون غيره من حروف النفي لتوضيح وترسيخ فكرته، كونه حرفاً فيه توكيدٌ وجوابٌ[٤]، ونافياً للماضي القريب من الحال[٥]، «ولا غرابة عندما أرى مهمة الصوت اللغوي في الأداء وما تشكله من قيمة للدلالة»[٦]، وهذا ما اعتدنا عليه في منظومة أبي القاسم الخوئي، «فالصوت وسيلة من وسائل التعبير وهو يحمل رعشات الطرب واضطرابات الفزع وهمسات لا يفسرها غير سماعها»[٧]، فصوت الميم

حسان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م، ١٩٧-١٩٨.

(١) التراكيب اللغوية، دراسة وصفية تطبيقية: ص٣٥٤.

(٢) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ٢: ٤٦.

(٣) الخطابة العربية في العصر العباسي الأول، دراسة موضوعية: د. عبد الحسين عبد العال اللهيبي، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، جامعة الكوفة، دراسة وبحث، ص١٠٤.

(٤) الإتقان في علوم القرآن: ١: ١٧٦.

(٥) معاني النحو: ٤: ١٦٥.

(٦) الصوت اللغوي في القرآن: د. محمّد حسين الصغير، ط٢، دار المؤرخ العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٧٦.

(٧) تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية: د. مهدي صالح السامرائي، ط١، المكتب الاسلامي،

في (ما كان أمري إنه أمر السما) لا يخلو من الدلالة على التأكيد والتشديد ودلالته أقوى من المعاني الحسية وترتفع منزلتها لقطع الرأي والإصرار على العزيمة[١]، وبروز صوت الراء ودلالته تسفر عن الاستمرارية والتلازم لاستمرار مرور الهواء فيه ويدل على الملكة وشيوع الوصف بسبب التكرار وعما يحدث من هزّة الوجدان وجودة الترعيد عند النطق[٢]، وليس للجاحد والمعاند إلاّ الاسفار عن الحقيقة العابثة للبواطن.

ومن توظيفات النفي الضمني قوله[٣]:

أهكذا يكون دينُ المصطفى أعوذ بالله على الدنيا العفا

تحاشى الناظم التصريح بالنفي؛ إذ إنه وجد في أسلوب الاستفهام المتضمن معنى النفي باباً يحقق مقاصده وطريقاً للوصول إلى جذب المتلقي وشدّ ذهنه إليه مع حسن توظيف الألفاظ عبر التركيب (أعوذ بالله على الدنيا العفا)، فالعفاء هو ترك الشيء مما يؤدي إلى خفائه بمرور الأيام أو هو ترك التراب عليها حتى يغطيها مما يؤدي إلى هلاك الشيء وزواله[٤] وبذلك أفهم المتلقي ما يريده من غرض وقصد، فالناظم يشير إلى الانحراف الذي حدث نتيجة الإعراض عن وصايا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تعيين خلفائه المهديين، فلم يذكر حرفاً من حروف النفي؛ لأن النفي الضمني «ما يفهم من الجملة دون أن ينص عليه حرف من حروف

ساعدت جامعة بغداد على نشره، ١٩٧٧م، ص٢٥٦.

(١) التغير الصوتي في الفواصل القرآنية ودلالاته: ابتسام عبد الحسين سلطان القصير، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٤م، ص٥٤.

(٢) المصدر السابق: ص٥٧.

(٣) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ٣: ٣٦٢.

(٤) مقاييس اللغة: مادة: عفو.

النفي»[١] فالعبارات المنفية ضمنياً قد تحوي على معنى زائد يكون هو الغالب أحياناً فيحجب المعنى المنفي ويحتاج إدراكه إلى نباهة وذكاء[٢]، «إنه استشراف النفي واستشعاره بقرائن لغوية وصوتية وسياقية خاصة دون الاستناد إلى أداة نفي»[٣]، ونلحظ في النص تقديمًا للخبر (على الدنيا) على المبتدأ (العفا) وساعد ذلك التقديم في تأكيد المعنى وترسيخه في ذهن المتلقي، فقد قدم الناظم (على الدنيا) ليشوق المتلقي في معرفة ما الذي حصل لها، «فللتقديم والتأخير أثره في أن يكون المعنى أسبق من اللفظ في الذهن»[٤].

٤- التكرار:

التكرار لغةً: الرجوع إلى الشيء بعد المرة الأولى[٥].

أما اصطلاحاً: «هو عبارة عن الإثبات بشيء مرة بعد الأخرى»[٦]. و«هو أبلغ من التأكيد وهو من محاسن الفصاحة»[٧]، فالتكرار ظاهرة من الظواهر البارزة في النص، فهي ترتبط بعلاقة ما مع صاحب النص لتأكيد فكرة تسيطر على خياله وشعوره ليترك أثره الانفعالي في نفس المتلقي؛ ولذلك لابد أن يركز

(١) النواسخ الفعلية والحرفية (دراسة تحليلية مقارنة): أحمد سليمان ياقوت، دار المعارف، مصر، ١٩٨٤م، ص٢٠٩.

(٢) النفي في النحو العربي – منحى وظيفي وتعليمي، القرآن الكريم – عينة: توفيق جمعات، رسالة ماجستير في الأدب العربي تخصص لسانيات اللغة العربية وتعليميتها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة قاصدي مرباح ورفلة، ٢٠٠٥م، ٣١-٣٢.

(٣) في النحو العربي أسلوب في التعليم الذاتي: فارس محمّد عيسى، ط١، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٤م، ص٢٣١.

(٤) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ص١١٤.

(٥) مقاييس اللغة: مادة (كر).

(٦) التعريفات: ص١١٣.

(٧) الإتقان في علوم القرآن: ٣: ١٩٩.

الشاعر في تكراره كي لا يصبح مجرد حشو، «فالشاعر إذا ما كرر وألحّ فقد أظهر للمتلقي أهمية ما يكرره مع الاهتمام لما بعده تتجدد العلاقات وتثري الدلالات وينمو البناء الشعري»[١].

والتكرار محمود إذا جاء في الموضع الذي يقتضيه وتدعو الحاجة إليه[٢]، وأما ما عابوه من التكرار فإنه يكون على نوعين[٣]:

١- مذموم ما كان مستغنياً عنه ولم يستفد منه؛ لأنه يكون فضلاً من القول ولغواً.

٢- ترك التكرار في أمور مهمة لتعظيم العناية، مثلاً، وبتركه يقع الغلط والنسيان والاستهانة بالكلام.

إن التكرار من أهم عناصر الانسجام الموسيقي في الإيقاع الداخلي فهو ظاهرة إيقاعية دلالية قد لا تقتصر على الشعر وحده «فالزخرفة ظاهرة بصرية تعتمد التكرار أيضاً»[٤]، فهو «تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير بحيث تشكل نغماً موسيقياً يتقصده الناظم في شعره أو نثره»[٥]، فالتكرار يؤدي وظيفتين، إحداهما دلالية لتأكيد المعنى وترسيخه في ذهن المتلقي، والأخرى موسيقية لتشكيل الإيقاع الداخلي ومنح المعنى طاقة موسيقية[٦].

---

(١) الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي: مدحت سعيد الجبار، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٩م، ص٤٧.

(٢) معجم المصطلحات: ص١٤٠.

(٣) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني) في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، حققها وعلّق عليها: محمّد خلف الله، د. محمّد زغلول سلام، ط٣، دار المعارف بمصر، ص٥٢.

(٤) النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق (دراسة)، عدنان بن دربل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (د.ط)، ٢٠٠٠م، ص٣٦.

(٥) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: د. ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م، ص٢٣٩.

(٦) شعر ابن منير الطرابلسي: ص٧٣.

وبهذا يكون الغرض من التكرار تقوية المعنى وتوكيده، وشدّ انتباه المتلقي إلى الفكرة المراد إيصالها، وقد أكّد ذلك (فاليري) بقوله: «إن تكرار كلمات بعينها عند كاتب ما يعني أنها ذات رنين عنده وأنها ذات قوة إبداعية ملموسة أقوى كثيرة من الاستعمال الجاري»[١]، أو يمكن القول: «إنها جزء من الهندسة العاطفية التي يحاول الشاعر فيه أن ينظم الكلمات بحيث يقيم أساساً عاطفياً من نوع ما»[٢].

وقد يلجأ الشاعر إلى التكرار بدوافع شعورية لتعزيز الإيقاع في محاولة منه لمحاكاة الحدث الذي يتناوله، وربما جاء الشاعر به عفواً دون قصد[٣].

وبما أن الشاعر يملك الفسحة في تشكيل نصّه الشعري، لذا نرى التكرار من السمات البارزة في منظومة أبي القاسم الخوئي، منها تكرار الحرف الذي يحدث جرساً موسيقياً مميزاً لارتباطه بدلالة المعنى، وتكرار اللفظ الذي يمنح النص طاقة إيقاعية تسهم في هندسة البيئة الإيقاعية لمفردات النص، ومن ثم تربطها بالسياق الدلالي، إلّا أن تكرار الأداة كان الأقل حضوراً وكذلك تكرار الجمل.

أ- **تكرار الحرف**: وهو التكرار الذي ينتج عنه تكرار صوتي، فالحرف يعد المادة الرئيسة التي تثري الإيقاع الداخلي للنص بلون خاص، حيث يُحدث تكرار الحرف جرساً موسيقياً مميزاً لارتباطها بدلالة المعنى «فيحمل في ثناياه قيمة دلالية، فيضيف إلى موسيقية العبارة نغمات جديدة»[٤]، ومنها ما جاء في

(١) الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي: د. شفيع السيد، دار الفكر، ١٩٨٦م، ص١٧٠.

(٢) قضايا الشعر العربي المعاصر: نازك الملائكة، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان: ص٢٧٦-٢٧٧.

(٣) لغة الشعر العربي المعاصر، عمران خضير، ط١، الكويت وكالة المطبوعات، ١٩٨٢م، ص١٤٤.

(٤) المؤثرات الإيقاعية في لغة الشعر، ممدوح عبد الرحمن، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،

المنظومة[١]:

أمـــتـــهُ أمـــــةُ خـــير أُخْـــــرتْ تـنـهـى عـن المـنـكـر فـيـما أُمِـــرتْ

يؤكد الناظم جمالية أسلوبه والذي تمثل بالتكرار، تكرار حرف (التاء) والذي اتخذ منه وسيلة في التعبير عما يختلج ذاته من فخر وزهو، حيث أعطى حرف (التاء) النص نغماً موسيقياً داخلياً دلالياً، لما له من وقع في الأذن والأسماع، وكذلك أضفى حرف (الهاء) الذي تكرر مرتين تأكيداً للمعنى المقصود بكونه يمتاز بالاهتزاز والاضطراب[٢]، فيترك صداه وأثره في ذهن المتلقي، ولحرف الميم أثره فعند نطقه إيحاءً بقطع الرأي والإصرار على العزيمة ففيه تأكيد وتشديد ودلالته أقوى من المعاني الحسية[٣]، ومنها ما جاء في تكرار حرف (القاف) قوله[٤]:

دلالـــةُ الـتـذكـير (عـنـكـم) حقّـقـتْ شراكـــةُ الـغـير لـكـم قـد أخـفـقـتْ[٥]

قد وظّف حرف (القاف) أربع مرات وبشكل متقارب، فهو صوت انفجاري مهموس[٦]، يخرج من «أقصى اللسان وما فوقه من الحنك»[٧]، فلهذا

١٩٩٤م، ص٩٤.

(١) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ١: ٤١.

(٢) خصائص الحروف العربية ومعانيها: دراسة: حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٨م، ص٢٦.

(٣) التغير الصوتي في الفواصل القرآنية ودلالته: ص٥٤.

(٤) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ١: ٣٧١.

(٥) أضيف إلى الأرجوزة.

(٦) الأنساق الصوتية في سورة الإنسان المباركة «دراسة لغوية في ضوء اللسانيات المعاصرة»: بشائر علي جاسم المعموري، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية العلوم الاسلامية، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م)، ص٦٠.

(٧) التحديد في الإتقان والتجديد: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي، تحقيق: د. غانم

الحرف دلالة تكمن في قوته وامتزاجه باشتداد المشقة وضخامة الجرس الموسيقي وطلاقته[١]، وهذا يتفق ودلالة النص الذي أراد به الناظم إظهار حقيقة آل البيت عليهم السلام، فضلاً عن وجود التضاد (حققت، أخفقت) فالتضاد به دلالة على جودة السبك في النظم والتأليف عندما ينسج على وتيرة سهلة عذبة[٢]، فوجود التضادات المتنوعة الإيقاع يترتب عليها قوة من النبر وشدة عند النطق، وهذا يوقظ الشدة الدلالية للشدة الصوتية[٣]، فضلًا عن أنه وجد حركة تصاعدية بين التحقيق للغرض والإخفاق مشيراً إلى حركة التأريخ في بيان أوجه الاحتمالات لهذه الآية المباركة التي استطاع الناظم وبلباقة وذكاء توظيفها كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[٤].

وفي شطري البيت نلاحظ تركز المعالم الإيقاعية للحروف حول التضاد، وهذا ما حققه من تمظهره وتوقد أثره في الشاهد، ويبدو أن هذه الحروف كانت على صلة بدلالة المعنى المرتبط بنشوة الناظم وفخره، فقد جاء النص ممتلئ بتكرار بعض الحروف ليدل على الحالة الانفعالية للبوح بما يراد، «فاشتراك الكلمات في حرف واحدٍ أو أكثر له فائدة موسيقية عظيمة وقيمة نغمية جليلة تؤدي إلى زيادة ربط الأداء بالمضمون»[٥].

قدوري الحمد، ط١، دار عمّار، عمان، ٢٠٠٠م، ١٠٦-١٠٧.

(١) التغير الصوتي في الفواصل القرآنية ودلالته: ص٦٨.

(٢) أثر التعبير القرآني في خطب العصرين العباسيين (الأول والثاني) من (١٢٢-٣٣٤هـ)، دراسة فنية: رسالة ماجستير، نازك محسن المحمداوي، كلية العلوم الاسلامية – جامعة بغداد، ٢٠١٦م، ص١٣٣.

(٣) الصوت اللغوي في القرآن: ص١٦٧.

(٤) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٥) أبو فراس الحمداني الموقف والتشكيل الجمالي: النعمان القاضي، مصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، دار التوفيق النموذجية للطباعة والجمع الآلي، ١٩٨١م، ص٥٠١.

ولحرف (الياء) نصيب من التكرار في المنظومة حيث يقول أبي القاسم الخوئي[١]:

أرجـــو إلهـــي صـانـعـي وخـالـقـي ومـــالـــكـــي ومـلـجـئـي ورازقـــي

غـفـران ذنـبـي فـهـو أهـــل الـعـفـو مـا كـــان مـن عـمـدٍ أتـــى أو سهو

وهو حرف يوحي بالحركة، فالناظم يرجو من الله أن يمنّ عليه بالمغفرة والرحمة، فشخوص (الياء) على وتيرة واحدة (إلهي، صانعي، خالقي) يقرب الأسماع من هذا العطف الرحماني.

ب- **تكرار اللفظة**: يكون هذا النوع من التكرار ناتجاً عن أهمية هذه المفردة وأثرها في إيصال المعنى، فضلاً عما تقوم به من إيقاع صوتي داخل النص الشعري، فالكلمة تتكون من أصوات وطاقة، وعلى الناظم أن يحسن استعمال الكلمات المكررة ليضفي على النص حُلية إيقاعية ودلالية موحية، فالقاعدة الأساسية في التكرارات أن اللفظ المكرر يؤكد الارتباط بالمعنى، وإلّا كانت لفظية متكلفة لا سبيل إلى قبولها، «كما أنه لابد من أن يخضع لكل ما يخضع له النص عموماً من قواعد ذوقية وجمالية»[٢]، فلذلك «يعدّ نقطة ارتكاز لتوالد الصور والأحداث وتنامي حركة النص[٣].

وهذا ما نجده في منظومة أبي القاسم الخوئي[٤]:

مـــا عـــرف الله ســـواك وأنـــا تـعـرفـنـي أنـــت ومـــن أنـشـأنـا

(١) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ١: ٢١.

(٢) لغة الشعر العربي المعاصر: ص٣٢١.

(٣) حركة الإيقاع في الشعر العربي المعاصر: حسن الغرفي، المغرب، أفريقيا الشرق، ٢٠٠١م، ص٨٤.

(٤) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ١: ١٠٢-١٠٥.

وأنـــت لم يـعـرفـك غـير الخـالـق ومـــن هـــو المـرســل لـلـخـلائـق

أنـــت وزيـــــري وأمـــــير أمـتـي عـلـى الـعـصـاة المـارقـين حُـجّـتـي

جَنحَ الناظم إلى التكرار بغية الإيجاز وإحالة المتلقي إلى دلالات مكثفة تضمنها تضمينه معنى الحديث الشريف: «**يا علي ما عرف الله إلّا أنا وأنت، وما عرفني إلّا الله وأنت، وما عرفك إلّا الله وأنا**»[١] عبر التركيز على أمير المؤمنين عليه السلام مستعيناً بالضمير (أنت)، فيبدو أن الناظم استعان بهذا الضمير ليبين مكانة أمير المؤمنين عليه السلام من نفسه إذ جعله قريباً مخاطباً ولا غرو في ذلك فهو حي عند ربه، فاكتفى بتكرار الضمير (أنت)، ثلاث مرات، وأكمل الصورة بذكر الضمائر (الكاف) في (سواك، يعرفك)، و(الياء) في (تعرفني، أمتي، حجتي) فضلاً عن الضميرين (أنا، هو) فالناظم كان مكتفياً بالقناعة التي تولدت من استغراق المتلقي جمالياً وعقلياً من دون الحاجة إلى تكرار المعنى كاملاً.

وأيضاً قوله في تكرار اللفظ[٢]:

نـبـيُّـــنـا لـلـكـون كـــان غـايـة مـــن مـبـدأ يـــسري إلى الـنـهـايـة

نـبـيـنـا أفـضـل مـــن كـــل الـــورى مـن كـلّ مخـلـوق يُـرى أو لا يُـرى

فالبيتان في سياق المدح، ويبدو أن الناظم يبحث عن المفردة المنسجمة مع نصه صوتاً ودلالة في إطار التجانس الإيقاعي والدلالي، فجاءت المفردة (نبينا) ودلالاتها المرتبطة بإيقاع ونغم هادئ، «فالتكرار ذو وظيفة – ثنائية صوتية، وهو بهذا يتجاوز الوظيفة التكوينية المحددة ليحقق دوره الفاعل في نتاج النص

(١) صحيفة الأبرار: محمّد تقي التبريزي، تحقيق: عبد الرسول الأحقاقي الحائري، ط٢، دار المحجة البيضاء، لبنان – بيروت، ١٤٣٥هـ-٢٠٠٤م، ١: ٤٠٢.

(٢) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ١: ٥٧، ٦٣.

وشحنه»[١]، ومما اجتمع فيه تكرار الحرف واللفظ قوله:

إنّ عـلـيـاً لـولـيـد الـبـيـت ولـيـس ذا لمـن مـضى أو يـأتي[٢]

.....

إن عـلـيـاً وأنـا مـن شـجـرة وغـيـرنـا مـن شـجـر مـا أكـثـره[٣]

.....

إن عـلـيـاً كـان نـوراً وأنـا وآدم وزوجـه لم يُـقـرنـا[٤]

إذ أتى السيد عليه السلام بالحرف (إنّ) المشبه بالفعل توكيداً لمراده وكرر اسم الإمام عليّ عليه السلام محققاً دلالة الإقرار بفضله، فضلاً عن التبرك باسمه المبارك والإيقاع الموسيقي.

ج- **تكرار الجملة**: «تكرار الجملة في السياق له أثر كبير في توافر الجانب الموسيقي، لما له من قيمة سمعية أكبر مما هو لتكرار الحرف الواحد»[٥]، إذ يعمل على ربط أجزاء القصيدة وتماسكها ضمن دائرة إيقاعية واحدة وكأنها قطعة فنية متكاملة في نسق شعري متناسق، فيؤدي خدمة فنية ثابتة على مستوى النص تعتمد بنحو أساس على الصدى أو الترديد فيعبر الشاعر عما يريد.

«ومن هنا جاءت الحاجة إلى تكرار الجمل في الكلام لما فيها من توكيد

(١) شعر الخوارج، دراسة أسلوبية: د. جاسم محمّد الصميدعي، ط١، دار دجلة، الأردن، ٢٠١٠م، ص١٨٧.

(٢) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ١: ١٨٥.

(٣) المصدر السابق: ١: ١١١.

(٤) المصدر السابق: ١: ١١٥.

(٥) التكرير بين المثير والتأثير: عز الدين السيد، ط٢، عالم الكتب، ١٩٨٦م، ص٨٠.

للمعنى أي توكيد الحكم في نفس المتلقي»[١].

والمتتبع لأرجوزة السيد الخوئي﵀ بوصفها منظومة متسلسلة ذات مغزى ومعنى لتراكيب يمكن أن تشكل جملاً أعطت دلالات تصيدها الناظم وحققت موسقة تداعبُ سمع المتلقي في جرسها ووقعها ومن ذلك قوله:

قال النبيّ قوله قد اشتهر حب علي للأنام مختبر[٢]

قال النبي أنا نورٌ وعليّ ينزل في الجنة جنب منزلي[٣]

قال النبي خلفاء أمّتي من أهل بيتي ورعاة سُنتي[٤]

فتكرار تركيب (قال النبيﷺ) حقق أكثر من غرض، ففضلاً عن التبرك بذكر سيد الرسلﷺ نلمس جذب مشاعر المتلقي لما سيقوله مهيمناً على مسامعه ليصل إليه مراده، ومما لا يخفى أن لهذا التركيب المتكرر أهميته، فثبوت الكلام الدال على المضي والمنسجم لأبعاده المستقبلية غذت النص بزخم من الدلالات في بيان مكانة الإمام عليّ﵇، ولم أجد تكراراً للجملة في منظومته سوى هذه المقطوعة ومقطوعة أخرى[٥].

الخاتمة:

بعد البحث والاستقراء والتحليل في كتاب (عليٌّ إمامُ البَرَرة) تبيّن:

١- المكانة العلمية لمضمون الكتاب؛ إذ إنه صدر عن عالم شهدت له الساحة

(١) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ص١٤٠.

(٢) عليٌّ إمامُ البَرَرة: ١: ٩٣.

(٣) المصدر السابق: ١: ٤٠٩.

(٤) المصدر السابق: ٣: ٣٠٣.

(٥) المصدر السابق: ٣: ٤١٩.

المعرفية بالنجف الأشرف وسائر البلاد الاسلامية، إذ كشف عن قريحة شاعر إلى جانب كونه فقيهاً وأصولياً ومفسراً، ومما زاد في أهمية هذا الكتاب المتغني بمآثر أمير المؤمنين عليه السلام أنه قد احتوى على مقدمة لعالم كبير من علماء النجف السيد البهشتي وعُني بالشرح والضبط والتحليل من أحد الأعلام المحققين الذين شهدت لهم الساحة العلمية وهو السيد محمّد مهدي الخرسان.

٢- على مستوى التركيب البلاغي، أن السيد الناظم قد أجاد في تحكمه بأساليب التركيب من تقديم وتأخير، حذف وذكر، تعريف وتنكير وقصر، فقد وظّف هذه التراكيب والأساليب في بيان مكانة الإمام عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومكانة آل الرسول عليهم أفضل الصلاة والسلام، ودور الإمام عليّ عليه السلام في نصرة الإسلام متغنياً بسيفه ذي الفقار.

Abstract:

Imam Ali represented the radiant light that attracted the attention of writers and thinkers from the first century AH to the present day and will remain until God inherits the earth and from it. Among those who loved this biography is the professor of jurisprudence, Mr. Abu alQasim al-Khoei. His passion was expressed through a system without the requirements of himself and revealed his message. His book (Ali in front of al-Barra) was a shining book. Is characterized by novelty and reveals a literary heritage that feeds the Arabic language and its libraries and students. The scientific research must be based on a foundation and

a plan that follows. We have made the introduction to the definition of the book and its author and an explanation of the eloquence of the structural level and divided it into two sections: Good, mention and delete, definition and reasoning, and minors. The second was entitled: rhetorical methods, and included (order, question, negation and repetition).



في طريقه تدثّل الى مسجد الخضراء لأداء صلاة الجماعة في بداية ثمانينيات القرن الماضي

المصدر: مجلة كلية العلوم الإسلامية: مج١، ع٥٧، جامعة بغداد – ٢٠١٩م، ص٢٧٠.

المحور الفكري والتجديد الأصولي

عند السيد الخوئي ومدرسته

سلام رزاق حسون

الملخص:

قاد سفينة الشريعة بعد غيبة الإمام الحجةﷺ طائفة من العلماء الأعلام كالشيخ المفيد والطوسي والعلامة الحلّي وغيرهم، وكذلك برز في القرن الماضي علماء وفقهاء مجدّدون من أبرزهم أستاذ الفقهاء والمجتهدين المحقق أبي القاسم الموسوي الخوئيقدس سره تصدّى للمرجعية العامة مدة تزيد على عشرين سنة، فاحتل موضع الصدارة في العالم الشيعي، فكان كالبحر الزخار علماً وتحقيقاً وحكماً وأخلاقاً عبر تأليفاته، ومصنفاته المتنوعة أم موقفه المشرّف في قيادته الإنتفاضة الشعبانية المباركة الى أن عرجت روحه الزكية فدفن الى جوار مرقد أمير المؤمنينعليه السلام، وخلّف وراءه تراثاً عظيماً في الفكر والعقيدة والفقه والأصول والتفسير والرجال وفي تسيير شؤون الدولة من سياسة واقتصاد وقانون وثقافة، وأبرز علومه في الجانب الأصولي من خلال بيان علاقة الفقه بالأصول واللغة كمسألة الوضع والمسألة الأصولية، وتوضيح البناء الأصولي وقواعده في تنقيح الرجال، وظهور ملامح الاتجاه العقلي بتحديد موضوع الأصول، وأنه ذوات الأدلة فتدخل فيها مباحث الألفاظ، وبين ميزات المحور الفكري والأصولي والخلاف فيه ومن ثم مراحل نشوء المدارس الأصولية، ونظريته المعروفة (قبح العقاب بلا بيان)، وكذلك ذكر في مبحث مقدمة الواجب أن وجوب المقدمة وجوب شرعي لا عقلي، وأسس لنظام الحجية والاعتبار بطريقة خاصة به، وكيفية تنظيره وتدوينه القواعد الأصولية وأدوات الاستنباط وتطبيقها على مواردها، والاستفادة منها في الاستنباط، وأيضاً برز الأصول العملية، فكان التجديد الأصولي بان واضحاً في فروعه كدلالة القيد في القضية على المفهوم الوصفي والوجوب الشرعي للمقدمة، ورفضه مبنى أصالة العدالة للقدماء في الاستنباط وغيرها من موارد التجديد في عطائه ومن الله التوفيق.

المقدمة:

قاد سفينة الشريعة بعد الغيبة علماء وفقهاء وهم حجج الله على عباده، ومن أبرزهم في القرن الماضي المحقق أبي القاسم الموسوي الخوئي قدس سره الذي تصدى للمرجعية العامة في جامعة العلم الكبرى النجف الأشرف فأسندت إليه زعامتها، وألقت بين يديه مقاليدها، فقام بالعبء خير قيام وتربى على يديه الكريمتين جيل بعد جيل من الأفاضل الأعلام، عاش زعيماً وكبر قائداً ورحل مجاهداً شهيداً تاركاً وراءه تراثاً عظيماً وفكراً واسعاً ثرياً، امتاز بمنهجه القويم واستقامته في الفكر ودوره في التطبيق والشمولية في تنظيم شؤون الحياة، وبذل جهوداً عظيمة من أجل المحافظة على الحوزة العلمية، وتنشيط البحث العلمي ونجح في إبقاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام حية متجددة على مرّ الزمن، رغم الصعوبات التي رافقتهم من جراء النظام الجائر المستبد، فطرح نظريته في إدارة البلاد، وكذلك موارد الدفاع عن الوطن من كونه بيد الفقيه غايته يجب أن يستعين بأهل الخبرة من السياسيين والعسكريين في إعلان الجهاد.

وكذلك برز الحكم في تحصيل الموضوعات من خلال الاستعانة بأهل الخبرة في كافة المجالات، وهكذا في موارد الحياة المختلفة، ومن هنا أبرز الباحث مواضيع أصول الفقه بأتقن المباني تنقيحاً وتوضيحاً وتعبيراً، وموضوعاً، فأصبحت محوراً أساسياً للدراسات الأصولية في كتابيه (مصباح الأصول) و(أجود التقريرات) وغيرهما، ولذا برز الباحث الجانب الأصولي وتنظيره للقواعد الأصولية والاستفادة منها في مجال استنباط الحكم، من خلال تمهيد يشمل: علاقة الفقه بالأصول والعصور وتطوره، والمبحث الأول: البناء الأصولي وقواعده عند الفقهاء ومراحل نشوء المدارس الأصولية، والمبحث الثاني: ميزات المحور الفكري والأصولي عند السيد الخوئي، والمبحث الثالث: التطبيقات الفقهية والأصولية والمعرفية عند المحقق الخوئي، وإبراز دوره في

التجديد الأصولي الذي امتاز به، ثم ذكر لأهم نتائج البحث والمصادر التي اعتمد عليها الباحث.

التمهيد: علاقة الفقه بالأصول وعصر النشأة لهما:

التفاعل بين الفكر الأصولي والفكر الفقهي أمرٌ طبيعيٌ للعلاقة الوثيقة في المنشأ بين الفقه والأصول، وقد نشأ هذا التفاعل منذ بدايات الحاجة الى الحكم والفتوى، فأول من دون علم الأصول هو الشيخ المفيد﵀ برسالة أوردها المحقق الكراجكي﵀ في كنز فوائده ويقابلها رسالة الشافعي عند مدرسة الجمهور، ولكن من الواضح أن هذا لا يعني أن هذا المحقق﵀ هو المبتكر لهذا الفن، بل أن الفكر الأصولي وقد وضعت دعائمه منذ عصر الأئمة﵈ بل منذ عصر النبيﷺ وما في الروايات التي تبين القواعد الأصولية كقاعدة الاستصحاب المستنبطة من صحيحة زرارة[١] وغيرها إلّا دليل على ذلك، وبالمقابل كان الغزالي بكتابه (المستصفى) يمثل مرحلة مهمة في تاريخ علم الأصول، إذ به اكتمل بناء هذا العلم واستوى على سوقه بالنسبة للمتكلمين، فهو يمثل المنطق بالنسبة إلى علم الفقه، لذا لجأ الأصوليون الى وضع النظريات العامة عن طريق تحديد العناصر المشتركة لعملية الاستنباط، ليأتي علم الفقه ليمارس تطبيق تلك النظريات والعناصر المشتركة على العناصر الخاصة التي تختلف من مسألة إلى أخرى[٢].

وفي ذلك أفاد السيد الصدر أن هذا الترابط الوثيق بينهما يفسّر لنا التفاعل المتبادل بين الذهنية الأصولية وبين الذهنية الفقهية على مستوى البحث العلمي

(١) الكافي: الكليني، ٣: ١٣٥.

(٢) المعالم الجديدة للأصول: محمّد باقر الصدر، ١: ٤٤.

النظري ومستوى البحث العلمي التطبيقي معاً[١]، وهذا التفاعل المتبادل بين الذهنيتين والفكرين لعلم الأصول وعلم الفقه يؤكده تاريخ العلمين على طول الخط، فكانوا منذ العصر الأول يفتون بمقتضى ظواهر النصوص فيستندون إلى حجية الظواهر، ويعتمدون في الروايات على أقوال الثقات، ويعالجون تعارض العام والخاص من طريق التخصيص ويعملون بالمفاهيم كمفهوم الشرط وغيره، والتعارض بين الظاهر والأظهر يقدمون الثاني على الأقل، ويقدمون الدليل القطعي على الظني وإلى غير ذلك من أشباهه[٢]، ومن هنا توسّع علم الأصول تدريجياً تبعاً لتوسع البحث الفقهي لوضع الحلول المناسبة بإعمال العناصر المشتركة في علم الأصول، فانعكس ذلك على مجال التطبيق سعة ودقة، كظاهرة التفاعل المتبادل بين الفكر العلمي إطلاقاً والفكر المنطقي العامي الذي يدرس النظام الأساسي للتفكير البشري، إذ كلّما اتسع نطاق المعرفة البشرية وتنوّعت مجالاتها تجددت المشاكل والابتلاءات فتنوعت مناهج الاستدلال، وحينئذ يتولى المنطق تذليل تلك المشاكل وتطوير نظرياته وتكميلها بالشكل الذي يحتفظ لنفسه بقوة التوجيه والتنظيم العليا للفكر البشري[٣].

كما أنه لا إشكال في أن علم الأصول كان سابقاً مجرد قواعد بسيطة جداً كقاعدة الاستصحاب وغيرها ويقابلهما قاعدة لا ضرر ولا ضرار في الفقه، غير مدونة متفرقة مأخوذة من كتاب الله والسنة المطهرة، ويلقيها العلماء في كل زمان إلى تلامذتهم لتعليمهم طرق الاستنباط، ولذا صرّح أئمة أهل البيت عليهم السلام بأن: «**علينا إلقاء الأصول وعليكم التفريع**»[٤]، وعن الباقر عليه السلام: «**اجلس في مسجد**

(١) دروس تمهيدية في علم الأصول: الصدر، ١: ١٥.

(٢) أنوار الأصول: ١: ٥-٢١.

(٣) دروس تمهيدية في علم الأصول: ١: ١٦.

(٤) وسائل الشيعة: العاملي، ٢٧: ٦٢، بحارالأنوار: ٢: ٢٤٥.

المدينة وافتِ الناس فإني أحبّ أن يرى في شيعتي مثلك»[١]، فكانت مراحل نشوء علم الأصول وتطوره تبعاً للعصر والحاجة إليه هي:

١- **عصر النبوة والأئمة**عليهم السلام: وقد وجدت في السنّة المطهّرة كثير من القواعد العامة الأصولية وكذلك كتب بعض أصحاب الأئمةعليهم السلام حيث وجدت فيها بعض الأبحاث الأصولية.

٢- **عصر التدوين في أصول الفقه**: كابن عقيل وابن الجنيد والمفيد والمرتضى كمختصر في أصول الفقه للمفيد، ذكره الكراجكي في كنز الفوائد، ومن المرتضى الذريعة إلى أصول الشريعة.

٣- **عصر اختمار تلك البذور**: فأثمرت وتحددت معالم الفكر الأصولي وانعكست على مجالات البحث الفقهي كالشيخ الطوسي وابن إدريس الحلي وغيرهما من أعلام الأصوليين.

٤- **عصر الكمال العلمي**: ظهرت فيه مدرسة جديدة على يد الوحيد البهبهاني فقُدِّمَت جهود متضافرة في الميدانين الأصولي والفقهي لأفكار مدرسة الوحيد البهبهاني تعاقبت عليه أجيال ثلاثة من الرجال، **فالجيل الأول** تمثل بالسيد بحر العلوم الطباطبائي، و**الجيل الثاني** محمّد تقي الأصفهاني صاحب هداية المسترشدين، و**الجيل الثالث** كاشف الغطاء ومرتضى الأنصاري، ولا يزال علم الأصول والفكر العلمي في الحوزات العلمية يعيش عصر مدرسة الوحيد البهبهاني والأنصاري.

(١) مستدرك الوسائل: ١٧: ٣١٥.

المبحث الأول

البناء الأصولي وقواعده عند الفقهاء

ومراحل نشوء المدارس الأصولية

تعد أبحاث السيد الخوئي الأصولية وأفكاره ثمرات شجرة طيبة ودرر كلمات قيمة عند صراف نقود العلم بأفكاره الباكرة العميقة، وغواص بحار الفضل بأنظاره العالية الدقيقة في مباحث أصول الفقه للحوزات العلمية، ومحوراً أساسياً للدراسات الأصولية كما في مصباح الأصول وغيره؛ إذ إن طبيعة الأحكام على نوعين: منها ما هي أحكام ضرورية أو قطعية فيعلمها كل مسلم من دون حاجة الى مؤونة الإثبات والاستدلال، وأخرى تتوقف معرفتها وتمييز موارد ثبوتها عن موارد عدمها على البحث والاستدلال من خلال معرفة قواعد ومبادئ، وتكون نتيجتها معرفة الوظيفة الفعلية وتشخيصها في كل مورد، وهذه القواعد تعرف بـ (القواعد الأصولية) تمييزاً لها عن القواعد الفقهية[1]، فهي مبادئ تصديقية لعلم الفقه المتكفل لتشخيص الوظيفة الفعلية في كل مورد بالنظر والدليل، ووظيفة علم الأصول هي تشخيصها وبيانها فتكفلت مباحثه الأصولية لمعرفة هذه القواعد وتنقيحها ومعالجة المستجدات والابتلاءات، وارتقت ظاهرة التفاعل المتبادل بين الفكر الفقهي والفكر الأصولي الى أعلى مداها، وأهم ما يمكن تصنيفه في كتاباته وأبحاثه الأصولية ما يلي:

(١) أحكام عامة فقهية تجري في أبواب مختلفة وموضوعاتها وإن كانت أخص من المسائل الأصولية إلّا أنها أعم من المسائل الفقهية فهي كالبرزخ بين الأصول والفقه؛ حيث إنها إما تختص بعدة من أبواب الفقه لا جميعها، كقاعدة الطهارة الجارية في أبواب الطهارة والنجاسة فقط، وقاعدة لا تعاد الجارية في أبواب الصلاة. ينظر: القواعد الفقهية:مكارم الشيرازي، ١: ١٣.

١- تعامل مع النصوص بشكل مختلف عمّن سبقه، فقد أدخل عوامل أخرى مؤثرة كسيرة العقلاء في الاستدلال الفقهي وألغى عوامل أخرى كانت سائدة في الزمان الماضي كالشهرة وجبر الخبر الضعيف.

٢- أسّس لنظام الحجّية والاعتبار طريقة خاصة به، وعُدّ ابتكارٌ أصوليٌ توسّع مفهومه بعد أن كان محدوداً عما سبقه.

٣- برز الأصول العملية في مدرسته، ونظريته المعروفة قبح العقاب بلا بيان في المنهج البارز في فكر السيد الخوئي مقابل نظرية حق الطاعة لغيره.

٤- اعتماده القواعد الأصولية في المنهج الرجالي، كالقول بحجّيّة خبر الواحد طبقاً لما ذكره في مصباح الأصول في أن سيرة العقلاء استقرت للعمل بخبر الثقة في جميع الأمور ولم يردع عنها الشارع، كما تعد مباني الرجالية عنده واضحة كمبنى توثيق رواة تفسير القمي وتوثيق رواة كامل الزيارات، مما كان لها أثرٌ واضحٌ في الاستدلال الفقهي والبحث الأصولي، فبرز الجانب الأصولي واضحاً عنده من خلال فكره الأصولي وتنظيره للقواعد الأصولية في مجال الاستنباط[1].

المطلب الأول

البناء الأصولي والمدارس الأصولية

عند الفقهاء والمحقق الخوئي

أولاً: البناء الأصولي عند الفقهاء وكيفية نشوئه:

غالباً ما يتحدث الفقهاء عن البناء الأصولي والمبنى الأصولي الذي يسير عليه الفقيه في مجال عمله الفقهي والفتوى، وغالباً ما نرى عند مجموعة من الفقهاء مبنى خاصاً بهم فيشار لهم بالمدرسة الأصولية الخاصة، تمييزاً لهم عن

(١) أبي القاسم الخوئي: مصباح الأصول، ١: ٢٢٩.

غيرها كالمدرسة التراثية التي تميل أكثر الى الأصول الاجتهادية التي قررها متقدمو العلماء، فتأخذ تلك الأصـول ثوابت في الأعـم الأغلب وتنطلق عبرها، وأحياناً نرى في المدرسة نفسها قد يتمسك الأصولي بتفاصيل الأصول المعتمدة عنده، وتارة أخرى على مستوى بعض هذه الأصول وبشكل محدود نسبياً، إذن فالمدرسة الأصولية مجموعة أسس تعتمد الفكر في ترشيد مسيرة تلك الأصول نحو تكامله في تحقيق الهدف المراد من دراستها، وأركانها المباني والآليات والنتائج المتوخاة منهما، فغالباً ما يقع الخلاف بين أفراد مدرسة ما اعتماداً على الآراء المتبعة فيها، فاختلافها ناشئ من الاختلاف في المباني الكلية والأفكار الكلامية المتبناة، فحينئذ وصلت البحوث الأصولية إلى مستوى يؤهلها للاستقلال بعد أن كانت أحياناً تخلط ببحوث أصول الدين والكلام، كما يشير إلى ذلك المرتضى بقوله: «قد وجدت بعض من أفرد لأصول الفقه كتاباً وإن كان قد أصاب في سرد معانيه وأوضاعه ومبانيه ولكنه قد شرد عن أصول الفقه وأسلوبها وتعداها كثيراً وتخطاها، فتكلم على حد العلم والنظر وكيف يولد النظر والعلم ووجوب المسبب عن السبب إلى غير ذلك من الكلام الذي هو محض صرف خالص الكلام في أصول الدين دون أصول الفقه»[1]، ووجدت بذرة التفكير الأصولي لدى الفقهاء أصحاب الأئمة عليهم السلام منذ أيام الصادقين عليهما السلام على مستوى تفكيرهم الفقهي، وروت كتب الأحاديث أسئلة عن الرواة ترتبط بجملة من العناصر المشتركة للاستنباط للإمام الصادق عليه السلام وغيره من الأئمة عليهم السلام وتلقوا جوابها منهم تكشف عن وجود هذه البذرة عندهم واتجاههم إلى وضع القواعد العامة وتحديد العناصر المشتركة.

ويعزز ذلك أن بعض أصحاب الأئمة عليهم السلام ألّفوا رسائل في بعض المسائل الأصولية، كرسالة في الألفاظ لهشام بن الحكم وغيرها في علاج النصوص

(١) الذريعة: المرتضى، ١: ٤٥.

المعارضة، وفي حجية خبر الثقة، وفي أصالة البراءة وغيرها.

ثم استقل وانفصل علم أصول الفقه بوصفه علماً للعناصر المشتركة في عملية استنباط الحكم الشرعي وانفصاله عن سائر العلوم الدينية، ولعبت فكرة العناصر المشتركة للاستنباط دوراً فعالاً في التمييز بين طبيعة البحث الأصولي وطبيعة البحوث الفقهية، وبالتالي قيام علم مستقل باسم (علم أصول الفقه) إلّا أنه ليس استقلالاً كاملاً، بل بقيت فيه رواسب فكرية يرجع تاريخها إلى عهد الخلط بينه وبين علم الكلام كمباحث العلة، وظلت تلك الرواسب مصدراً للتشويش، فمن تلك الرواسب على سبيل المثال الفكرة القائلة بأن أخبار الآحاد وهي الروايات الظنية التي لا يعلم صدقها فلا يمكن الاستدلال بها في الأصول؛ لأن الدليل في الأصول يجب أن يكون قطعيّاً فمصدر هذه الفكرة هو علم الكلام، حيث قرر العلماء أن أصول الدين تحتاج إلى دليل قطعي[١]، وفي نفس الوقت نرى عناصر مشتركة أدخلت في الاستنباط كتحكيم العرف[٢] والفهم العرفي، مختلفة في منشئها بين كثير من المدارس الأصولية كمدرسة المحقق النائيني، أو مدرسة المحقق العراقي وغيرهما، فهم جميعاً كانوا عرفيين يستندون الى تشخيص العرف في تعيين موضوع الحكم ويسلمون بالقواعد العرفية في المحاورات ويتعاملون مع الروايات على أساس الفهم العرفي.

وإذا كان هناك اختلاف وتفاوت فأكثر ما ينشأ من عرفية أصحابها، فمثلاً المحقق النائيني أكثر عرفية من المحقق العراقي في عرض المباحث وتنقيحها؛ لأن الأخير يتعامل مع المباحث بالدقة العقلية، وإن كان فيها أيضاً نوع من

(١) المعالم الجديدة للأصول، الصدر، ١: ٤٤.

(٢) المعروف والمعتاد، والمصطلح عليه من لغة أو فعل ما، فما جرت عليه عادة قوم فهو عرف لهم، سواء كان خطأً أم صواباً، حقاً أم باطلاً، حسناً أم قبيحاً يسمى كل ذلك عرفاً. ينظر: البيان المأمول في علم الأصول: ١: ١٥١.

التعامل العرفي، ولكن أنسه بالمباحث العقلية يسبب ضعفاً في استخدامه الذهن العرفي، في حين نجد السيد الخميني أكثر عرفيةً في تعامله فكان يعتمد على الفهم والقواعد العرفية في أبحاثه وتحليلاته.

أما المحقق الخوئي فخلافاً لبقية الأصوليين فإنه ومدرسته يعملون الدقة العقلية في البحث والتحليل، والعرفية والعملية، والتعامل مع النصوص بدقة، وبرز نظام الحجية وبراءة الذمة والأصول العملية وغيرها، ولعلّ نظرية قبح العقاب بلا بيان هي المنهج البارز عنده مقابل نظرية حق الطاعة للسيد الصدر فضلاً عن المباني الرجالية كمبنى توثيق رواة تفسير القمي ورواة كامل الزيارات، واعتماده على القواعد في المنهج الرجالي والقول بحجية الخبر الواحد[١]، فسيرة العقلاء استقرت للعمل بخبر الثقة في جميع الأمور ولم يردع عنها الشارع، وحافظ على هذا المبنى لحجية خبر الثقة في علم الأصول وعلم الرجال وعلم الفقه، وكذلك رفضه نظرية الوهن والجبر للخبر المعتبر والضعيف[٢].

وفي الجانب المقابل عند مدارس الجمهور نجد أنه قد استفاد علماء أصول الفقه الاسلامي نظرية حجية التقرير من أدلة حجية السُّنة، فكانت حجية التقرير مذهب جمهور العلماء[٣] – التي تبتني أصولياً على مقولة عقلانية المشرع[٤] بمعنى أن المشرع عندما يواجه موقفاً يخاف منه على الشريعة فالمشرع لا محالة يتصدى لمواجهته، وإلّا يعد نقضاً للغرض، فمن الناحية العقلائية يفترض أن يبادر الى تحديد الموقف تجاه الواقعة المخوفة – أو على أساس مبدأ العصمة، كما أفاد ابن

(١) أبي القاسم الخوئي: مصباح الأصول، ١: ٢٢٩.
(٢) المصدر السابق: ٢: ٢٣٥-٢٣٦.
(٣) عبد الكريم النملة: المهذب في أصول الفقه المقارن، ٢: ٨٣٥.
(٤) دروس في علم الأصول: الصدر، ح٢، ١٥٨-١٥٩.

العربي[١]، أو على سائر أدلة حجية السنة النبوية كما تبناه الجمهور.

ثانياً: المدارس الأصولية وعلماؤها ومراحل نشوئها:

شهد تاريخ علم الأصول في مراحله المختلفة نشوء مدارس أصولية عديدة ومتنوعة من حيث المبنى والتطبيق، وذلك بعد الصراع الطويل بين مدرسة الرأي ومدرسة الحديث في مجال تحديد الحكم الشرعي، فمدرسة الرأي بدأت شرارتها من بعض الصحابة الذين منعوا من تدوين السنة لما يقارب أكثر من قرن من الزمان لأهداف سياسية معينة، ونتيجة ذلك ذهب أتباع أبي حنيفة لحجية القياس والاستحسان والتزموا بالنقد الداخلي للأحاديث بمقارنتها مع الأصول العامة في الإسلام فالتزموا من السنة ما ثبت ثبوتاً قطعياً[٢]، فيما نشأت مدرسة الحديث كردّ فعل لامتداد مدرسة الرأي وتجسدت في المذهب الحنبلي والمالكي فأفرطت في الاعتماد على الحديث بمجرد كونه خبر ثقة من دون ملاحظة القواعد العامة، ومن هذا المنطلق اتجه علماء الشيعة لمواجهة مدرسة الرأي ومدرسة الحديث، فكتبت رسائل في عدم حجية القياس وفي الحديثين المختلفين لعلماء بني نوبخت وغيرهم، وذكر الشيخ الطوسي في الفهرست والسيد المرتضى في الانتصار معارضات حادة لمنهج ابن الجنيد[٣]، وكتب الشيخ المفيد رسالة في بطلان القياس وكتاب مقابيس الأنوار في الرد على أهل الأخبار[٤].

وهذه الرسائل أعطت الفكر الأصولي نضجاً وتطوراً ملحوظاً فجاء في

(١) القاضي أبو بكر بن العربي: المحصول في أصول الفقه: ١١٢.
(٢) شرح المعتمد في أصول السنة، الحبش محمد، ١: ٢٢.
(٣) الفهرست: ١٣٤: ٦٠١، الانتصار: ٨، نهاية الأصول: ٢٩٥، مناهج الوصول: ٢: ٢٩٨.
(٤) ينظر: الفهرست: ١٥٧: ٧٠٦، رجال النجاشي: ٣٩٩: ١٠٦٧.

كتاب العدة للطوسي ليمثل نمو الفكر الأصولي في أعقاب تلك البذور وتلبية لحاجات التوسع في البحث الفقهي إلّا أنه سرعان ما نشأ معها الصراع الفكري بين المدرسة الأصولية والإخبارية، وسببه تصوّر بعض علماء الشيعة أن القواعد الأصولية المساهمة في استنباط الحكم الشرعي تعتمد على الفكر الكلامي والفلسفي مما أدى الى ابتعاد الحكم الشرعي عن مصادره الصافية وهي روايات أهل البيت عليهم السلام؛ لأن الدراسات الكلامية كانت منتشرة وذات نفوذ كبير على الذهنية العامة لعلماء المسلمين، حين بدأ علم الأصول يشق طريقه إلى الظهور، ومثال ذلك النظرية الكلامية نظرية الحسن والقبح العقليين[1].

ومن هنا بدأ الصراع الفكري بين المدرستين، فاستمر الإبداع الأصولي على يد زعماء المدرسة الأصولية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، فكان الأنصاري من أبرزهم بعد عصر الوحيد البهبهاني، وجاء القرن الرابع عشر الهجري جالساً على مائدة الفكر الأصولي بالمحقق الخراساني الذي له تأثيرٌ على الفكر الأصولي بكتابه الكفاية بنظرياته وآرائه التي جمعت بين الدقة والمتانة والإبداع.

وبلغت ذروة الكمال في عصر المحققين النائيني والأصفهاني والعراقي، إذ فتحت على أيديهم آفاق جديدة من مسائل هذا الفن وقوي استحكام مبانيه، فشهد القرن الأخير نضجاً أصولياً فذّاً وآراء ونظريات أصولية عملاقة كشفت عن عبقرية العقل الأصولي في المدرسة الإمامية، ومن جملة المحققين ودورهم

(١) العقل الانساني يدرك بصورة مستقلة عن النص الشرعي قبح بعض الأفعال كالظلم وحسن بعضها كالعدل والوفاء، فإن هذه النظرية استخدمت أصولياً في العصر الثاني لحجية الاجماع، أي إن العلماء إذا اتفقوا على رأي واحد فهو الصواب، بدليل أنه لو كان خطأ لكان من القبيح عقلاً سكوت الإمام وعدم إظهاره الحقيقة، فقبح سكوت الإمام عن الخطأ هو الذي يضمن صواب الرأي المجمع عليه.

البارز في خدمة هذه المدرسة الأصولية وتطوير نظرياتها، المحقق الخوئي، فقررت آراؤه وأبحاثه في الفقه والأصول من قبل جملة من كبار تلامذته ضمن دورات عديدة كالسيد علي الشاهرودي.

المطلب الثاني

بدايات الاستناد الى القواعد الأصولية وعصرها

ودور المحقق الخوئي

أولاً: زمن الاعتماد على القاعدة الأصولية ونوعها:

يؤكد الفقهاء بأن علماء الشيعة بدأوا بالاستناد الى قواعد أصول الفقه في الاستنباط منذ عصر الحسن بن علي بن أبي عقيل صاحب كتاب (المستمسك بحبل آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم) وهو من مشايخ جعفر بن محمّد بن قولويه، وهو أول من هذّب الفقه واستعمل النظر وفتق باب البحث عن الأصول والفروع في ابتداء عصر الغيبة الكبرى، وإن كانت كتب مؤلفة سابقة لعهده كـ (مباحث الألفاظ) المنسوب الى هشام بن الحكم، ثم جاء ابن الجنيد الإسكافي أستاذ المفيد ثم وصل الدور الى محمّد النعمان المفيد وكتابه (التذكرة بأصول الفقه)، حيث كان الاجتهاد يدور على فهم النص وتطبيقه على موارده ومصاديقه، فضلاً عن الإبداع الفكري والنقد العلمي الذي كان مرافقاً لعملهم العلمي، فهذا المفيد قد أكثر النقد على الصدوق لا سيما في تصحيح الاعتقاد مع كون الاتجاه الجديد الجامع بين الحديث والعقل هو السائد، وأخذ بالتطور مع تضمن عناصر القوة والإبداع والدفاع العلمي عن حقانية المذهب والرد على شبهات أصحاب اتجاه العقل واتجاه الحديث وفقهاء الجمهور، وكذلك أكثر ابن إدريس الحلي (٥٨٩هـ) من النقد على الطوسي، فأقام مجلس البحث والنقد، وألف في الفقه

الاستدلالي كتاب (السرائر الحاوي لتحرير الفتاوى)، حتى أنه يحاول أن يجعل ما يورده الطوسي في نهايته مجرد رواية لا الاعتقاد بها أو الفتوى، ويكرر هذا الأمر مرات ومرات[١]، ثم المحقق الحلي (٦٧٦هـ)، فالعلامة الحلي ألّف كتباً في علم الأصول فصارت كتبه محط أنظار العلماء ومدار البحث والتحقيق الى زمن الشهيد الثاني (٩٦٥هـ)، فازدادت مسائله وتشعبت فروعه وتعددت مباحثه، ولقد منح أعلام الطائفة خلال مصنفاتهم وعملهم الاستدلالي للعقل مركزاً وأهمية، وتمكنوا من إرساء منهجية مغايرة لغيرهم من مفكري المسلمين في علم الكلام وأصول الفقه وغيرها.

واستمر هذا الاتجاه الى القرن العاشر الهجري حيث جاء الاسترابادي المتوفى سنة (١٠٣٣هـ) فحاول أن يقعد الاتجاه الاخباري ويقنن مناهج البحث وطريقة التفكير وأساليب الاستدلال في (الفوائد المدنية)، ونشأ صراع فكري مع الاتجاه العقلي الذي انعكس على حركة التأليف والكتابة إلّا أنه سرعان ما عاد الاتجاه الأصولي ليأخذ دوره في مجال الاستنباط.

ثانياً: الإفراط في الاتجاه العقلي وإعماله في دائرة الأحكام وأثره:

تمادى جملة من الفقهاء الأصوليين في الاتجاه العقلي خصوصاً وأن التراث الحديثي والروائي يدعو في بعضه الى تحريك العقل في الدائرة الأحكامية كظاهرة (علل الأحكام)، وملاكاتها وبيان طرق متنوعة جديدة في بيان الحكم الفقهي الملاكي وبيان بعض الحيثيات العقلانية في المجال التشريعي للبعض الآخر، كالاشارة الى ملاكات الأحكام وعللها والحكمة من تشريع بعضها، والتي تطورت فيما بعد على يد فقهاء أهل السنة الى نظرية المقاصد[٢]، فكان أثره أن

(١) ينظر: السرائر: ١: ٢٦٩، ٣٠٩، ٣٨٢، ٣٩٤، ٢: ٤٤، ٥٣، ٥٤، ٨٠، ٣: ٣٢، ١٣١.

(٢) د. سلام رزاق الزبيدي: رسالة ماجستير، ملاكات الأحكام في البحث الفقي، المبحث الأول، ٨٧-١١٣.

ولّد رد فعل عند جملة من فقهاء الإخبارية، وتجلت في قبول الأخبار والاعتماد عليها بشكل كبير وتقليص دائرة العقل، أو عدم فسح المجال للعقل في مجال الاستنباط ما دامت النصوص موجودة، فزاد الاهتمام بجميع الأخبار وتدوين الموسوعات وإلغاء التصنيف الرباعي، بل الإعتقاد بقطعية صدور الأخبار فيها ووضوح مضامينها، بل ذهب البعض كالبحراني الى عدم حجية النصوص القرآنية من دون تفسير لها من الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، ومن هنا نشأ فريقان إخباريان اتجاه أحدهما يميل الى الاعتدال وآخر يميل الى الإفراط في قبول الأحاديث، والتفريط في الاعتماد على العقل والكتاب العزيز، وكلاهما يتفقان على ما يلي:

١- الاعتماد على كل ما جاء في الكتب الأربعة فضلاً عن غيرها كعيون أخبار الرضا، وبحارالأنوار ووسائل الشيعة والوافي.

٢- مناقشة جملة من المباحث الأصولية وإلغاء مجموعة من النظريات التي اعتمدها جملة من الفقهاء والأصوليين.

٣- مناقشة حجية الأخبار وحجية الإجماع، فضلاً عن حجية القرآن الكريم وغيره من المباحث الأصولية وإنكارها.

٤- تقليص دائرة استخدام العقل في الاستنباط بعد إلغاء حجية الدليل العقلي، وحصره في دائرة محدودة، واعتباره مجرّد أداة ووسيلة لفهم النص النقلي، والحظر عليه في التحرك في الدائرة القرآنية وممارسة عملية فهم النص القرآني وتقييده في دائرة الحديث والرواية.

٥- التشدد في إجراء أصالة الاحتياط في الشبهة البدوية مع إلغاء أصالة البراءة فيها.

٦- تحديد دلالات الدليل كمفاد صيغة الأمر أو البحث عن حجية المفهوم من

خلال سرد عدد من الروايات والنصوص[١]، بالرغم من أن تعيينها هي من شؤون العرف وأمر راجع للعقلاء.

٧- صرّح البعض[٢] منهم من أن قواعد العربية المذكورة في فن المعاني والبيان قواعد ظنية وليست قطعية فلا يعتنى بها.

وعليه آلى الباحث على أن يتناول دور القواعد الأصولية في عملية الاستدلال عند فقيه العصر الرابع وهو المحقق الخوئي، ووفقاً للتجديد العقلي[٣] الذي رافق هذا التطور المعرفي والاستدلالي.

ثالثاً: ملامح الاتجاه العقلي وأثره عند السيد الخوئي:

أهمّ ما يميّز ملامح الاتجاه العقلي ومباحثه عند السيد الخوئي ومدرسته، ومن ثم الأثر الفقهي في مجال الاستنباط الفقهي جملة من الأمور تمثلت بما يلي:

١- الاهتمام البليغ بتحديد موضوع الأصول من خلال تدوين القواعد الأصولية وتوفير أدوات الاستنباط وتطبيقها على مواردها، وتنقيح مباحثها وتوظيفها في الاستنباط، ولذا أفاد المحقق الخوئي في موضوع علم الأصول أنه لو كان لموضوع الأدلة الأربعة بعد الفراغ عن دليليتها كما عليه المحقق القمي فإن مباحث الحجج الكلية تخرج بالكلية عن مباحث علم الأصول؛ لأن البحث فيها عن نفس الدليلية لا عن عوارضها وتدخل في المبادئ[٤] لعدم كون البحث فيها عن الأدلة وتدخل في مبادئ الأحكام، فينحصر علم الأصول في مباحث الألفاظ وإلّا فتلك مباحث استطرادية فلا تبقى لعلم

(١) البحراني: الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، ١: ٥٢-٥٥، ٥٨-٥٩.

(٢) محمّد أمين الاسترآبادي: الفوائد المدنية، ٩٢.

(٣) التجديد العقلي: دور العقل وأثره في هذا التطور المعرفي وإزاحة العوائق للفكر الاسلامي عموماً والنضج الإمامي وفقاً لدور العقل فيه.

(٤) أجود التقريرات: ١: ١١.

الأصول مسألة أصلاً، لذا فمبناه أن الموضوع ذوات الأدلة فيدخل فيها مباحث الألفاظ ومباحث حجية الكتاب والعقل، وأما بقية المباحث فهي خارجة لا محالة كمباحث حجية الخبر الواحد والشهرة ونحوهما فلعدم البحث فيها عن ذوات الأدلة الأربعة.

٢- التشدد في قبول الأخبار المنقولة في كتب الحديث عنده مع تقويم الحديث من خلال أدواته المتمثلة في مصادر التوثيق الرجالية ومن خلال دراسة السند والدلالة معاً، وقد أثمر هذا التشدد في تبني اتجاه أخبار الآحاد على أساس علمي بخلاف من أنكر حجيتها والأخذ بالإجماع وغيره.

٣- التشدد في ظاهرة تربيع الأحاديث[١] في مجال الحجية وتقسيمها الى الصحيح والحسن والموثق والضعيف اعتماداً على مجموعة كتب رجالية من اختيار معرفة الرجال ورجال النجاشي والفهرست لغرض إكمال عملية التوثيق لرجال الحديث بعد تبني حجية أخبار الآحاد فكان معجم رجال الحديث، وقد أفاد المحقق الخوئي في مفاد آية النبأ بقوله: «سلمنا أن المفهوم إنما استفيد من الدلالة اللفظية وأن الحكم بوجوب التبين ردع عن ترتب آثار الارتداد بالكلية إلّا أنه نقول أن الأخبار عن الارتداد ليس قيداً مأخوذاً في القضية وإنما هو مورد لها، وعليه فيكون الحكم بعدم وجوب التبين عند أخبار العادل حكماً كلياً ثبت تخصيصه في قسم مخصوص من النبأ من الخارج، ولازم ذلك هو تقيد العام بالقياس إلى هذا القسم من النبأ لا مطلقاً»[٢].

ومثّل على ذلك فيما إذا ورد أكرم العلماء وعلم بخروج زيد النحوي عن العموم لكونه فاسقاً، فإن غاية ما يقتضيه العلم بخروج هذا الفرد هو تقيد وجوب إكرام العالم النحوي بغير الفسق لا مطلقاً، فيبقى عدم وجوب التبين

(١) الوافية في أصول الفقه، الفاضل التوني عبد الله بن محمّد الخراساني (١٠٧١هـ)، تحقيق محمّد حسين الرضوي الكشميري، مجمع الفكر الاسلامي، قم، ط١ (١٤٢١هـ).

(٢) أجود التقريرات: ٣: ٢١٥.

في أخبار العادل على إطلاقه في غير مورده، وأفاد أيضاً أنه: «بعد تمامية دلالة الآية المباركة على حجية خبر العادل بمفهومه يظهر لك تمامية دلالتها على تمام أقسام الخبر التي يستدل بها المتأخرون في الكتب الفقهية من الصحيح والحسن والموثق والضعيف المنجبر بالشهرة، أما الصحيح فبالمفهوم وأما البقية فبالمنطوق لا باعتبار أن المنطوق لم يمنع عن العمل بخبر الفاسق مطلقاً وإنما أناط جواز العمل به على التبين»[1]، والخبر الضعيف المنجبر بالشهرة في الرواية.

وكذلك يحصل بتحقيق حال نفس الراوي من معرفة كونه ثقة متحرزاً عن الكذب ولو كان غير إمامي أو معرفة كونه إمامياً ممدوحاً في كتب الرجال، وإن لم يكن عدلاً، بل باعتبار أن المراد من الفسق في الآية بمناسبة الحكم والموضوع ليس هو المرتكب للمعاصي مطلقاً حتى يكون إناطة قبول الخبر بالعدالة لأجل احترام العادل وتوهين الفاسق بل خصوص غير المتحرز عن الكذب لعدم موضوعية للعدالة والفسق في المقام، وإنما اعتبارهما لأجل الطريقية من جهة عدم حصول الأمن عند إخبار الفاسق دون العادل.

وعلى ذلك يكون مقابل الفاسق كل من كان متحرزاً عن الكذب وإن كان فاسقاً من جهات أخرى، فتدل الآية بمفهومها على حجية الخبر الصحيح والموثق والحسن وبمنطوقها على حجية الخبر الضعيف المنجبر بالشهرة، فيكون تمام أقسام الخبر حجة بضم المنطوق إلى المفهوم مطابقاً لما أفاده الأنصاري فيثبت من آية النبأ منطوقاً ومفهوماً حجية الأقسام الأربعة[2].

٤- التطور الملحوظ في مقام العمل بأخبار الآحاد التي تتكون منها معظم الأدلة الفقهية للأحكام الشرعية من خلال التشدد في قبول الشهادة بوثاقة الرواة

(١) أجود التقريرات: ٣: ٢١٥.

(٢) فرائد الأصول: ١: ١٥.

عند المحقق الخوئي، وانسحب هذا التشدد الى مجال الدلالة، وبالجملة فملاك حجية أخبار الآحاد وثاقة رواتها، والمناط في عدم حجيتها عدم وثاقتهم[١]، والمعروف أن خبر الواحد لا يكون حجة في الموضوعات، وذهب جماعة إلى حجيته فيها كما هو حجة في الأحكام، والدليل على اعتباره في الموضوعات هو الدليل على حجيته في الأحكام، والعمدة في ذلك «السيرة العقلائية القطعية؛ لأنهم لا يزالون يعتمدون على أخبار الآحاد فيما يرجع إلى معاشهم ومعادهم، وحيث لم يردع عنها في الشريعة المقدسة فتكون حجة ممضاة من قبل الشارع بلا فرق في ذلك بين الموضوعات والأحكام»[٢].

٥- إبراز ظاهرة تقعيد القواعد ونظرية المعرفة[٣] للحاجة الشديدة لهما مما يُقَصِّدُ الشارع تقصيداً شرعياً في تفسير النصوص الكلية لاستيعاب المفهومات الجديدة للمصالح والمفاسد والحقوق بما ينضبط إلى أحكام الشريعة، وكذلك بما يرتبط في التعريف للعناوين الأصولية، ففي تعريفه للاستصحاب ذكر قائلاً: «إذ قل ما يوجد في الكتب العلمية تعريفاً حقيقياً يكون جامعاً ومانعاً من كل الجهات وليعلم قبل ذلك أن البحث عن الحجية قد يكون بمعنى أن موضوع الحجية أمر موجود خارجي مفروغ عن وجوده فيبحث عن حجيته كالبحث عن حجية خبر الواحد والشهرة ونحوهما، وقد يكون بمعنى أن موضوع الحجية أمر لو كان موجوداً لكان

(١) مصباح الفقاهة: ١: ٨.

(٢) كتاب الطهارة: السيد الخوئي، ١: ٣١٥.

(٣) وضع ابن حزم أسس نظرية المعرفة التي قام بها (كانط) بعده بثمانية قرون، وابن خلدون بسط فلسفة الاجتماع قبل منتسكيو ونادر بخمسة قرون، وبراهين الغزالي للدفاع عن الإيمان سبقت نظرات القديس توما الأكويني بعشرة قرون. ينظر: سلسلة دراسات إسلامية معاصرة، العدد (٢٦)، نظرية التطور بين الدين والعلم والعقل، أنور الجندي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

حجة لا محالة»[١]، فكان البحث عن حجيته بحث عن أصل وجوده لعدم إمكان التفكيك بينهما خارجاً، وبهذا فهو يشمل البحث عن حجية المفاهيم ونحوها بينما البحث عن حجية الأصل العلمي كالاستصحاب فهو عبارة عن تعبد الشارع بأحد طرفي الشك تعييناً أو تخييراً، فلا يكون ملحقاً بالقسم الأول وهو واضح ضرورة حتى يبحث عن حجيته ولا بالقسم الثاني؛ لأنه ليس مفروض الوجود في ظرف الشك وإن كان أقرب إليه؛ إذ إن موضوع الحجية فيه - كدلالة اللفظ على المفهوم - أمر مغاير للحجية مصداقاً وإن كان لا ينفك عنها خارجاً لا عقلاً وهذا بخلاف البحث عن الحجية في الأصول العملية، فإن الحجية فيها عين التعبد الشرعي وغير قابل للتفكيك عنه ولو عقلاً.

٦- أفاد السيد الخوئي الى ضرورة استنباط الأحكام من الكتاب والسنة من خلال معرفة المباحث الأصولية كمبحث الأوامر والنواهي والعموم والخصوص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين، ومباحث الحجج والأصول العقلية والشرعية والتعادل والترجيح وتنقيحها والتوجه الى القرآن الكريم ليضمن أسس التشريع بعموماته ومطلقاتها، مع الاهتمام بآيات الأحكام[٢]، والتسامح والتساهل في إلزام المكلفين بتكاليف كان سائر الفقهاء يرون ضرورة الالتزام بها لوجود نصوص روائية تتضمنها مما يعد تخصيصاً للعمومات وتقييداً للمطلقات.

٧- التقلص الواضح في كمية الأحاديث المعتبرة والمعتمدة في الحكم الشرعي كما يبدو واضحاً في (منتقى الجمان) لنجل الشهيد الثاني الذي ميز بين نوعين من الأحاديث الصحيحة، العدل الإمامي والمنصوص عليه بالتوثيق، وتأييد الوثاقة بشاهدين عدلين أي غضّ الطرف عن مجموعة كبيرة من حسان

(١) أجود التقريرات: ٤: ١٧٨.

(٢) مصباح الأصول: ١: ٤٨٧.

الأحاديث وموثقاتها وصحاحها والاكتفاء بقدر قليل من الأحاديث، وهي الصحاح المؤيدة رواتها بشاهدين عدلين، وتوسع الفقهاء في الاستنباط من خلال اكتشاف موارد التطبيق، وإرجاع الفروع الى الأصول بموازين علمية تبتني على أصول التفاهم العرفي والأصول العقلية المنطقية، ولكن تقليص مصادر الاستنباط دفعت البعض الى إعطاء الظن بشكل عام دوراً مهماً في مجال الاستنباط وأخذ يقترب من اتجاه الرأي والقياس والاستحسان الذي شجبته المدرسة الإمامية، ويمكن ملاحظة بذرة هذا الاتجاه نحو حجية الظن المطلق بعد التشدد في قبول الأخبار بشكل خاص، وكل هذه التغيرات والاتجاهات المتنوعة تعد تجديداً في البناء الفقهي الاستنباطي للفقيه في مجال الاستنباط.

المبحث الثاني

ميزات المحور الفكري والأصولي عند السيد الخوئي

جمع السيد الخوئي عمق الفكرة ودقة النظر والقدرة العالية على الاستنباط فضلاً عن جمال البيان والتعبير، وامتازت حركته العلمية بقسميها الفكري والأصولي حيث تطورت الحركة العلمية في زمنه فكان قطب رحاها، بعيد الغور عميق الأثر، وامتاز بالمهارة العالية والنبوغ الفكري من خلال عرضه المسائل الصعبة والعويصة والقواعد المعقدة نظرياً وتطبيقياً، وحلّها بحلّ دقيق وجواب متقن رصين، وأبدى المقدرة العليا والمهارة الفائقة بجودة إدراكه ودقة استيعابه المسائل كافة إثباتاً ونفياً، وأبدع وتألق في نظريات أصولية وفقهية، وتعد مرجعاً للأخذ منها، ومن نتائج ذلك العدد الهائل من أعلام الفضل وقادة الفكر في الفقه والأصول فكانت بحوثهم تدور حول آرائه الفقهية والأصولية التي يتبناها وسنتناول ذلك في ما يلي:

المطلب الأول

تنوع الإبداع العلمي والمعرفي في فكر السيد الخوئي قدس سره

شمل الإبداع العلمي محاور مختلفة شملت الفقه والأصول وعلم الرجال واللغة والدلالة ونظريات أخرى ساهمت في التطور المعرفي للفكر الإمامي، وعودة على ما سبق من نمو واتساع الأصول والفقه طيلة قرون عديدة[١]، فقد نشطت الحركة العلمية في عصر ابن إدريس وازدادت ثراءً فبرز نوابغ كبار كالمحقق الحلي (٦٧٦هـ)[٢] فظهرت بعض من القواعد الأصولية كقاعدة الاستصحاب وقاعدة الاحتياط وغيرهما، ودونت كتب الأصول كالعدة للطوسي والذريعة للمرتضى فساهما في تطور أصول الفقه ففسح المجال لمن جاء بعدهما ليبدع ويساهم في حركة وتطور أصول الفقه ومن ثم حركة الاجتهاد، فكان المحقق الخوئي ممن أبدع في عملية الاجتهاد[٣]، ومن هنا كانت الغزارة في المصنفات والنوعية في الأسلوب والبيان والقدرة على المحاججة والاستدلال واضحة في رصيده العلمي، وتعد مؤشراً منطقياً على حيوية العقل الفقهي والأصولي الإمامي، فمن المعلوم هناك مبادئ ومراجع فقهية يلجأ إليها الفقيه لبيان الحكم

(١) فهما يسيران في خطين متوازيين ولا يتخلف أحدهما عن الآخر تخلفاً كبيراً، لما بينهما من تفاعل وعلاقات على الصعيدين الفقهي والأصولي.

(٢) مؤلف كتاب شرائع الإسلام الذي أصبح بعد تأليفه محوراً للبحث والتعليق والتدريس في الحوزة بدلاً عن كتاب النهاية للشيخ الطوسي.

(٣) تتطلب عملية الاجتهاد الخبرة بالقواعد الفلسفية والبلاغية والاطلاع على القرآن الكريم وعلومه والعلم بكل ما يرتبط بالنصوص وتحقيقها وسلامة الرواة ومعرفة المرجحات والخبرة في علوم اللغة وأساليب البلاغة والظرف الذي وردت فيه النصوص والقرائن المصاحبة.

تتعلق بتغير الأحكام بتغير العناوين فيضمن بهذا الاتجاه حركية الفقه أو ما يعرف تبعية الأحكام للعناوين، فكانت العناوين الثانوية والركون إليها لتكيف الحياة مع متطلباتها واقتضاءاتها، وتناولت عمومات الشريعة وإطلاقاتها كقواعد كلية تنطبق على جميع الموارد وعلى طول الزمان، وولاية الأمر فهي من القوانين الى المقررات وإعطاؤه صلاحيات إجرائية تطبيقية، ومرجعية أدلة التشريع العليا المساعدة لحل أزمة المتغيرات وشاملة لكل الوقائع والأحداث وقادرة على تغطية جميع متطلبات الحياة، ومن جوانب الإبداع عند الخوئي هي:

أولاً: قاعدة قبح العقاب بلا بيان: بتقريب أن العقل حاكم استقلالاً فلو التفت عبد إلى حكم فعل من أفعاله وشك في وجوبه الواقعي وعدمه أو في حرمته وعدمها وتتبع وتفحص فلم يجد دليلاً على الحكم فترك مشكوك الوجوب وفعل مشكوك الحرمة كان عقاب المولى ومؤاخذته عليه قبيحاً، وهذا هو المشهور، ودليل الأصل العقلي هو «قبح عقاب الحكيم بلا بيان ومؤاخذته بلا برهان»[1].

واشتهرت القاعدة بين الأصوليين منذ عهد الوحيد البهباني (١٢٠٦هـ) وهي تعني حكم العقل بعدم استحقاق المكلف العقاب تجاه الحكم الواقعي المجهول ما لم يصل بيانه إليه بوصول قطعي للخلاف بشأن كون البيان المقصود منه هل هو البيان الواقعي فحسب أو الأعم منه ومن الحكم الظاهري المثبت للتكليف عند الشك، والاصل الأولي في ذلك عند الشك في التكليف هو البراءة العقلية في قبال نظرية حق الطاعة للشهيد الصدر الشاملة للتكاليف القطعية والظنية والاحتمالية رعاية الحق طاعته عز وجل ما لم نحرز الترخيص لترك

(١) اصطلاحات الأصوليين: المشكيني، ١: ٤٢.

الاحتياط تجاه حكم محتمل أو مظنون[١].

وقال المحقق الخوئي: «فلا ينبغي الشك في تمامية قبح العقاب بلا بيان، على القول بالتحسين والتقبيح العقليين، كما عليه العدلية والمعتزلة، فإنه من الواضح أن الانبعاث نحو عمل أو الانزجار عنه إنما هو من آثار التكليف الواصل، وما يكون محركاً للعبد نحو عمل، أو زاجراً له عنه إنما هو العلم بالتكليف لا وجوده الواقعي، فإذا لم يكن التكليف واصلاً الى العبد كان العقاب على مخالفته قبيحاً عقلاً، إذ فوت غرض المولى ليس مستنداً الى تقصير من العبد، بل الى عدم تمامية البيان من قبل المولى، فنفس قاعدة قبح العقاب بلا بيان تامة بلا شبهة وإشكال، ومسلمة عند الأصولي والإخباري»[٢] وموردها الشبهة بعد الفحص واليأس عن الحجة على التكليف، فهي متوقفة على تحقق موضوعها أعني عدم البيان، فكما أنها لا تجري مع بيان التكليف لا تجري مع بيان عدم التكليف[٣].

ثانياً: زيادة في أقسام الاستصحاب وأماريته: أبدع السيد الخوئي قسماً رابعاً من أقسام الاستصحاب الكلي في مقابل المشهور: «ما إذا علمنا بوجود فرد معين وعلمنا بارتفاع هذا الفرد، ولكن علمنا بوجود فرد معنون بعنوان يحتمل انطباقه على الفرد الذي علمنا ارتفاعه، ويحتمل انطباقه على فرد آخر، فلو كان العنوان المذكور منطبقاً على الفرد المرتفع، فقد ارتفع الكلي، وإن كان منطبقاً على غيره فالكلي باق»[٤]، فالظاهر أنه لا مانع من جريان الاستصحاب فيه لتمامية أركانه من اليقين والشك، مقابل من حصر أقسامه في ثلاثة، ولهذا الأمر آثار عملية في أبواب الفقه، وبنى الأصوليون على أن الاستصحاب إذا كانت

(١) دروس في علم الأصول: ٢، ح٣، مسلك حق الطاعة.
(٢) مصباح الأصول: تقرير عن الخوئي، البهسودي، ١: ٢٧٩.
(٣) مصباح الأصول، تقرير بحث الخوئي: ١: ٢٩١.
(٤) المصدر السابق: ١: ١٠١.

حجيته على أساس الروايات، فيكون أصلاً عملياً، وأكد السيد الخوئي على أن: «الاستصحاب أمارة»[١] على الرغم من أن حجيته كانت على أساس الروايات، وليس اصلاً عملياً، غاية الأمر أن أماريته في طول سائر الأمارات لا في عرضها، ومن هنا تتقدم عليه الأمارات كافة، وقد ذهب الى ذلك على أساس أن مفاد أدلة حجية الاستصحاب هو: «التعبد ببقاء اليقين السابق في ظرف الشك»[٢]، لا التعبد بالعمل بالشك في ظرفه، وفرق بين التعبيرين؛ حيث الأول تعبير عرفي عن موقع الاستصحاب كأمارة، فيما الثاني تعبير عرفي عن موقعه كأصل عملي، وأما كونه من أضعف الأمارات فهو بملاك أن التعبد ببقاء اليقين السابق في ظرف الشك تعبد عملي لا حكائي.

المطلب الثاني

ميدانه الأصولي التجديدي في النظريات الأصولية كمباحث الوضع وغيرها

أ- نظرية التعهد[٣] ومسألة الوضع اللغوي:

تعد مسألة الوضع من أهم المسائل الاجتماعية في كل مجتمع عقلاني، وكذلك التعهد سبباً «لكون الظواهر كواشف عن المداليل وكونها مرادة للمتكلم»[٤] على أساس أن الانسان منذ بداية نشوئه كان بحاجة الى استخدام ظاهرة اللغة

(١) المصدر السابق: ١: ٢.

(٢) المصدر السابق: ١: ٣.

(٣) التعهد لغة التحفظ بالشيء، وتجديد العهد به، ينظر: القاموس الفقهي: سعدي أبو حبيب، ١: ٣٦٤، واصطلاحاً هو: التوصل والتمهيد للعلاقة الراسخة بين اللفظ والمعنى. ينظر: الرافد، تقرير بحث السيستاني، ١: ١٧٦.

(٤) مصباح الفقاهة: ٨: ٣٥.

في حياته وسيلة للتفاهم مع الآخرين وإبراز مقاصده ونقلها إليهم، وبما أن حياة الانسان قد تطورت وتكاملت وتعمقت عصراً بعد عصر وتوسعت قرناً بعد آخر من مختلف جهاتها، فبطبيعة الحال يتطلب الأمر تطور ظاهرة اللغة وتكاملها وتوسعها؛ لأنهما مترابطان بترابط متبادل، ولما رأى السيد الخوئي أن الوضع في ضوء تفسير المشهور لا ينسجم مع مكانة هذه المسألة وأهميتها لدى العقلاء، أبدى نظرية عقلانية جديدة متكاملة كماً وكيفاً، وهي نظرية التعهد على أساس أنها بنفسها نظرية عقلانية تتناسب مع مكانة هذه المسألة، فحقيقة الوضع التعهد والالتزام بأنه متى ما أراد المتكلم تفهيم معنى يجعل مبرزه لفظاً مخصوصاً وعليه فليس شأن اللفظ إلّا أنّه علامة للمعنى ولا مانع من جعل علامة واحدة لشيئين مع القرينة، وتتميز غيرها[1] بما يلي:

أولاً: أنها عبارة عن التلازم بين اللفظ الخاص والمعنى المخصوص المحقق للدلالة بقضية شرطية يتعهد بها العقلاء في كل مجتمع، وطرفاها النطق باللفظ، وقصد إفهام المعنى؛ وعلى أساسه ينفي المحقق الخوئي وجود أي داع آخر للنطق باللفظ سوى قصد الإفهام.

ثانياً: أن الدلالة الناتجة عن الوضع على أساس هذه النظرية دلالة تصديقية عقلائية، لا تصورية محضة؛ لأن اللفظ يكشف بعد التعهد المذكور كشفاً تصديقياً عن قصد المتكلم لإفهام المعنى، وأما الدلالة التصورية بين اللفظ والمعنى فهي لا تستند الى الوضع بالمعنى المذكور، بل هي نتيجة للأنس الذهني بينهما.

ثالثاً: أن كل مُستَعمِل يصبح واضعاً حقيقياً في ضوء هذه النظرية؛ لأن الوضع عبارة عن التعهد، والفرض تعهد كل مُستَعمِل بأن لا ينطق باللفظ إلّا عند إرادة إفهام معنى خاص قائم بنفسه، وذهب السيد الخوئي الى أن: «حقيقة

(١) أجود التقريرات: ١: ٨٢.

الوضع ليست إلّا عبارة عن التعهد والالتزام النفساني»[١] وذلك بعد بطلان الدلالة الذاتية، التي هي وضعية محضة، وفساد كون حقيقة الوضع حقيقة واقعية، وبطلان تفسيره الوضع بل الغرض الباعث على الوضع، هو الرجوع الى الوجدان والتأمل، فالإنسان بما أنه مدني بالطبع يحتاج في تنظيم حياته – المادية والمعنوية – الى آلات يبرز بها مقاصده وأغراضه، ويتفاهم بها وقت الحاجة، ولما لم يمكن أن تكون تلك الآلة الإشارة أو نحوها لعدم وفائها بالمحسوسات فضلاً عن المعقولات، فلا محالة أن تكون هي الألفاظ التي يستعملها في إبراز مراداته من المحسوسات والمعقولات، وهي وافية بهما، ومن هنا خصّ الله تعالى الإنسان بنعمة البيان بقوله عز من قائل: ﴿**خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾[٢]، ومن هنا فالغرض منه قصد التفهيم وإبراز المقاصد بها.

فظهر: «أن حقيقة الوضع هي التعهد والتباني النفساني، فإن قصد التفهيم لازم ذاتي للوضع بمعنى التعهد، وإن شئت قلت: إن العلقة الوضعية – حينئذ – تختص بصورة إرادة تفهيم المعنى لا مطلقاً، وعليه يترتب اختصاص الدلالة الوضعية بالدلالة التصديقية»[٣]، فما يتوقف على العلم بالوضع إنما هو التعهد الشخصي الفعلي الثابت في مرحلة الاستعمال، دون التعهد الكلي النفساني المتعلق بذكر طبيعي اللفظ عند إرادة تفهيم طبيعي المعنى بنحو القضية الحقيقية.

فحقيقة الوضع: عبارة عن ذلك التعهد أو هي التعهد والإقرار وكون الاستعمال «جعل اللفظ علامة للمعنى وجعل اللفظ علامة لإبراز ما قصد المتكلم تفهيمه»[٤] ومن الظاهر أنه لا يتوقف على شيء، فالتوهم ناشئ من خلط

(١) محاضرات في أصول الفقه: ١: ٥٠.

(٢) الرحمن: الآيتان ٣-٤.

(٣) محاضرات في أصول الفقه: تقرير بحث الخوئي، ١: ٥١.

(٤) منتقى الأصول تقريراً لأبحاث محمّد الحسيني الروحاني: عبد الصاحب الحكيم، مطبعة

المتوهم بين التعهد في مرحلة الاستعمال والتعهد في مرحلة الوضع، والذي يتوقف على الثاني هو الأول دونه.

وأفاد قائلاً: «وبتعبير آخر: أن حال الألفاظ حال الإشارات الخارجية، فكما قد يقصد بها إبراز المعنى الذي تعلق القصد بتفهيمه مثل: ما إذا قصد إخفاء أمر عن الحاضرين في المجلس، أو قصد تصديق شخص، أو غير ذلك فيجعل مبرزه الإشارة باليد أو بالعين أو بالرأس فكذلك الألفاظ، فإنه يبرز بها أيضاً المعاني التي يقصد تفهيمها، فلا فرق بينهما من هذه الناحية. نعم، فرق بينهما من ناحية أخرى، وهي: أن الإشارة على نسق واحد في جميع اللغات والألسنة دون الألفاظ وعلى ضوء هذا البيان تبين: أن كل مُستَعمِل واضع حقيقة، فإن تعهد كل شخص فعل اختياري له، فيستحيل أن يتعهد شخص آخر تعهده في ذمته، لعدم كونه تحت اختياره وقدرته. نعم، يمكن أن يكون شخص واحد وكيلاً من قبل طائفة في وضع لغاتهم ابتداء لمعانيها، فيضعها بإزائها - يعني: يجعلها مستعدة لإبرازها عند قصد تفهيمها - ويتعهد بذلك، ثم إنهم تبعاً له يتعهدون على طبق تعهداته»[1].

ب- نظرية الإبراز ومسألة الإنشاء:

الإبراز هو: «الاعتبار اللفظي لأمر واقعي لا جعلي اعتباري»[2]، والاعتبار كما يمكن تعلقه بأمر فعلي يمكن تعلقه بأمر متأخر مقيد بقيود، فليس جعل الحكم وإنشاؤه إلّا عبارة عن اعتبار شيء على ذمة المكلف في ظرف خاص[3]، فالمتكلم

الهادي، ط٢ - ١٤١٦هـ، ١: ٢٩٧.

(١) محاضرات في أصول الفقه: ١: ٥٣.

(٢) تنقيح الأصول: تقريرات العراقي، ١: ٣٢٨.

(٣) مصباح الأصول: ١: ٢٨٦.

بمقتضى تعهده والتزامه يكون اللفظ الصادر منه مبرزاً لاعتبار من الاعتبارات القائمة بنفسه وأنه هو الداعي لإيجاده، فالإنشاء هو القول الذي يوجد به مدلوله في نفس الأمر[١]، ومن هنا فالجملة الخبرية يكون اللفظ دالًا عليها بالدلالة الوضعية على قصد الحكاية وكان مبرزاً له عن الخارج، والجملة الانشائية تكون دالة على اعتبار خاص ويكون مبرزاً، فهيئة أفعل بمقتضى التعهد تكون مبرزة لاعتبار الوجوب وكون المادة على عهدة المخاطب، فالإخبار والإنشاء يشتركان في تحقق الإبراز بهما، والفرق بينهما هو أن المبرز في الاخبار عبارة عن قصد الحكاية وهو متصف بالصدق أو الكذب، فالجملة تتصف بأحدهما أيضاً لا محالة بالتبع وهذا بخلاف المبرز في الإنشاء فإنه اعتبار خاص لا تعلق له بوقوع شيء ولا بعدمه، ومنشأ انتزاع هذه الأحكام الاعتبارات العقلائية، فالانشاءات وإن كانت موضوعات لتلك الاعتبارات إلّا أنها مترتبة على قصد المعاني بها، فقال: «الجملة الإنشائية والإخبارية تشتركان في أصل الإبراز والدلالة على أمر نفساني، وإنما الفرق بينهما في ما يتعلق به الإبراز، ففي الجملة الإنشائية أمر نفساني لا تعلق له بالخارج، ولذا لا يتصف بالصدق أو الكذب، بل يتصف بالوجود أو العدم، وفي الجملة الخبرية أمر متعلق بالخارج، فإن طابقه فصادق، وإلّا فكاذب»[٢]، فالمتصف بالصدق والكذب إنما هو مدلول الجملة لا نفسها، واتصاف الجملة بهما إنما هو بتبع مدلولها وبالعرض والمجاز فلو أمكن فرضاً الحكاية عن شيء بلا دال عليها في الخارج لكانت بنفسها متصفة بالصدق أو الكذب لا محالة، فظهر: أنه لا فرق في إبراز الحكاية بين اللفظ وغيره من الإشارة أو الكتابة أو نحوهما، فإن كل ذلك بالإضافة الى إبراز الحكاية في الخارج على

(١) ينظر: نضد القواعد الفقهية: ١: ٢٠٤، القواعد والفوائد، العاملي (٧٨٦هـ)، ١: ١٩٨، منشورات مكتبة المفيد، قم، تحقيق عبد الهادي الحكيم.

(٢) محاضرات في أصول الفقه: ١: ٩٨.

نسق واحد، كما أنه لا فرق في ذلك بين الجملة الاسمية والفعلية.

فالإنشاء حقيقة هو إبراز أمر نفساني باللفظ غير قصد الحكاية فلا معنى للاتصاف بالكذب والصدق من ناحية المدلول؛ حيث إنّ الدلالة بما هي كذلك لا تتصف بشيء منهما مطلقاً سواء كانت الجملة خبرية أم إنشائية ويترتب على ذلك أمور[1]، وحيث كان تفسير المشهور للإنشاء عبارة عن إيجاد المعنى باللفظ، ورآه السيد الخوئي ناقصاً غير تام؛ فأبدى نظرية جديدة تناسب مكانة المسألة وأهميتها لدى العقلاء وآثارها الاجتماعية أيضاً، وهي نظرية الإبراز، فالانشاء إبراز الأمرالاعتباري النفساني بمبرز ما في الخارج من قول أو فعل، وتتميز عن نظرية الإيجاد بأن الأولى مدلول تصديقي للفظ، والثانية مدلول تصوري، وتترتب على هذه النظرية آثار مهمة:

الأثر الأول: أن مدلول الأوامر والنواهي عبارة عن إبراز الأمر الاعتباري النفساني، دون الوجوب والحرمة، فإن الحاكم بهما في مواردهما هو العقل بملاك صدورهما من المولى بعنوان المولوية؛ إذا لم تكن قرينة على الترخيص.

الأثر الثاني: إمكان الالتزام بالشرط المتأخر كالأغسال الليلية المعتبرة في صحة صوم المستحاضة في اليوم السابق على أساس أن الحكم الشرعي في ضوء هذه النظرية أمر اعتباري لا واقع موضوعي له، ما عدا اعتبار من بيده الاعتبار، فلا مانع من اعتباره مشروطاً بشرط متأخر، كما يعتبره مشروطاً بشرط مقارن.

الأثر الثالث: عدم المضادة بين الأحكام الشرعية بأنفسها وذواتها؛ لأنها أمور اعتبارية لا واقع لها لتتصور المضادة بينها، فتنحصر المضادة بين ملاكاتها في مرحلة الملاك، ومرحلة الامتثال، أما في مرحلة الجعل فلا.

الأثر الرابع: تقتضي هذه النظرية عدم اعتبار كون المبرز لفظاً أو صيغة

(١) أجود التقريرات: ١: ٣٩.

خاصة، فإن كان ذلك فهو بحاجة الى دليل، وإلّا فمقتضى القاعدة كفاية كون المبرز إشارة أو فعلاً، بينما مقتضى نظرية المشهور اعتبار اللفظ، وأما كفاية غير اللفظ في بحاجة إلى دليل السيرة أو نحوها.

ج- نظرية وضع الحروف لحصة خاصة:

بعد انتقاده سائر النظريات للوضع انتقاداً موضوعياً أبدع المحقق الخوئي نظرية التحصيص فيها أو وضع الحروف وكونها موضوعة للدلالة على إرادة تفهيم تحصيص المفاهيم الاسمية وتضييقها، وتتميز هذه النظرية عن تلك النظريات في أن مدلول الحروف في ضوئها يكون تصديقياً لا تصورياً فحسب، فلا محالة يتعهد الواضع ذكرها أو ذكر توابعها عند قصد تفهيم حصة ما[١]، وأما في ضوء سائر النظريات فهو تصوري لا تصديقي، ولذلك تعتبر هذه النظرية من حلقات نظرية التعهد، وترتبط بها ارتباطاً وثيقاً.

د- نظرية عدم جريان الاستصحاب في الشبهات الحكمية مطلقاً:

رفض السيد الخوئي جريان الاستصحاب في الشبهات الحكمية حتى لو كانت جزئية، على خلاف نظرية المشهور التي ترى جريانه فيها مطلقاً[٢] عبر التفاتة كريمة منه الى مسألة دقيقة تبررها، وهي أن الاستصحاب في الشبهات الحكمية «معارض باستصحاب عدم سعة الجعل»[٣]، فيسقط من جهة المعارض، ومن هنا غيرت هذه النظرية مجرى تاريخ الاستصحاب في الشبهات الحكمية وتركت لذلك تأثيرات كبيرة على أبواب الفقه كافة.

(١) محاضرات في أصول الفقه: ١: ٨٦.

(٢) كفاية الأصول: ٧٤.

(٣) أجود التقريرات: ٢: ١٨٩-١٩٠.

هـ- نظرية التعارض ومسألة الواجبات الضمنية:

عمد مشهور الأصوليين الى تطبيق قواعد باب المزاحمة، فيما لو لم يتمكن المتكلف من الجمع بين اثنين منها، لكن المحقق الخوئي انتقد هذه النظرية مبدئياً بنظرية أخرى[1] وهي نظرية التعارض فيما إذا لم يتمكن المكلف من الجمع بين الواجبين الضمنيين باعتبار أن الأمر الأول سقط جزماً بسقوط متعلقه، فإذا قام دليل على جعل أمر آخر كما في باب الصلاة، فإن عين متعلقه فهو، وإلّا فمردد بين الفاقد لهذا الجزء أو ذاك، وعليه تقع المعارضة بين إطلاق دليلي الجزأين.

و- نقد نظرية الشهرة الفتوائية على مستوى الجبر والوهن:

المعروف بين الأصوليين أن الشهرة الفتوائية[2] إذا قامت على خلاف رواية معتبرة، وكانت في متناول أيديهم، فإنها تكشف من عدم حجيتها وخروجها عن دليل الاعتبار، وإن كانت مستندة الى رواية ضعيفة فيها، فإنها تكشف عن حجيتها وصدورها عن المعصوم عليه السلام وقد جرى عملهم على أساسها في ممارساتهم الاستنباطية والتطبيقية في المسائل الفقهية على طول التاريخ، أما السيد الخوئي فطرح انطلاقاً من نبوغه الفكري نظرية جديدة أكثر شمولية ودقة وعمقاً، في ضوء نقطتين: إحداهما بمثابة منع الصغرى، والأخرى بمثابة منع الكبرى.

أما **الأولى**: فلأن الشهرة الفتوائية في المسألة التي تصلح أن تكون جابرة فيها تارة لنقاط ضعف الرواية، وكاسرة تارة أخرى لنقاط قوتها، واشتهرت الشهرة الفتوائية بين قدماء أصحاب عصر الأئمة عليهم السلام سواء علم استنادهم

(١) محاضرات في أصول الفقه: ٣: ٢٣١.

(٢) هي اشتهار الفتوى بحكم في مسألة من المسائل مع عدم استناد المفتين بها إلى رواية، إما لعدم وجودها أو لإعراضهم عنها ويبحث عن حجيتها في باب حجية الأمارات، وهي من الصفات العارضة للحكم الشرعي دون الخبر. ينظر: اصطلاحات الأصول: المشكيني، ١: ١٣٤.

في ذلك إلى رواية فيه[١] وحملة الأحاديث، لا الفقهاء المتأخرين؛ حيث لا قيمة للشهرة بينهم، إلّا أنّه لا طريقة لنا قط الى إحراز إعراض المتقدمين عن رواية على الرغم من صحتها واستنادهم الى رواية فيها من الضعف مما لا يخفى؛ لأن الطريق الى ذلك منحصر بالرجوع الى كتبهم الاستدلالية الفقهية الواصلة إلينا يداً بيد، والمفروض عدم وجود كتاب منهم عندنا، أم أنه كان ولكنه لم يصل إلينا، فإذاً لا أصل لهذه النظرية.

وأما **الثانية**: فلأن الشهرة الفتوائية ليست حجة بنفسها، وعليه فأقصى ما تفيده التأثير بالكشف عن صدور الرواية إذا كانت مستندة إليها، وعدم صدورها إذا كانت مخالفة لها، لكن الواضح عدم إناطة حجية الإخبار بالظن بالصدور بل منوطة بالوثوق النوعي، ولا ينافيه الظن الشخصي بعدم الصدور[٢]، فتختلف هذه النظرية عن نظرية المشهور اختلافاً جوهرياً، وتترتب آثار مهمة في عملية التطبيق والاستنباط.

ز- نظرية انفصال الإطلاق عن الدلالة اللفظية:

ذهب السيّد الخوئي الى نظرية خاصة في مسألة الإطلاق، فاعتقد أن الإطلاق غير داخل في مدلول اللفظ؛ بل الحاكم به إنما هو العقل ببركة مقدمات الحكمة، فيكون في نهاية المطاف مدلولاً لتلك المقدمات، فلا يكون لفظاً وكلاماً حتى يكون كتاباً أو سُنّة، بل هو دلالة ناشئة عن السكوت في مقام البيان، وتترتب على هذه النظرية نتائج:

النتيجة الأولى: إنّ الرواية المخالفة لنظرية الكتاب لا تكون مشمولة لما دلّ من النصوص على أن المخالف للكتاب زخرف أو باطل، حيث لا ينطبق

(١) أجود التقريرات: ٣: ١٩٥.

(٢) مصباح الأصول: ١: ٢٣٨.

عليها عنوان المخالف له، على أساس أن الإطلاق ليس مدلولاً للفظ لكي يكون المخالف له مخالف للكتاب، بل هو مخالف لحكم العقل.

النتيجة الثانية: إن الروايتين المتعارضتين إذا كانت إحداهما موافقة لإطلاق الكتاب والأخرى مخالفة له، لا تكونان مشمولتين لما دلّ على ترجيح الموافق للكتاب على المخالف له، على أساس أن إطلاق الكتاب ليس من الكتاب، فلا يكون الموافق له موافقاً للكتاب لكي يكون مشمولاً له.

النتيجة الثالثة: إن التعارض بين الروايتين إذا كان بالإطلاق فلا مجال للرجوع الى مرجحات باب المعارضة، بل لا موضوع لذلك؛ فإن ما دلّ من النصوص على الترجيح بها، إنما هو في مورد تكون المعارضة فيه بين مدلولها لفظاً، وأما إذا لم تكن معارضة بينهما، بل بين إطلاقيهما، فلا تصدق المعارضة بين الروايتين، لكي تكون مشمولة لتلك النصوص، ولهذا يسقط كلا الإطلاقين معاً من جهة المعارضة في المسألة، فالمرجع هو العام الفوقاني إذا كان، وإلّا فالأصل العملي.

ح- نظرية مثبتات الأمارات والأصول:

المعروف بين الأصوليين أن مثبتات الأمارات حجة دون الأصول[1]، بلا فرق في ذلك بين أنواع الأمارات، في حين قدم المحقق الخوئي تحليلاً رأى فيه أن الموضوع لا يقع اعتباطاً، بل يقوم على أساس أن الأمارات حيث تنظر الى الواقع وتحكي عنه، نرى أنها كما تحكي عن مدلولاتها المطابقية تحكي عن مدلولاتها الالتزامية بالواسطة على أساس الملازمة بينها ثبوتاً وإثباتاً على خلاف الحال في الأصول العملية، حيث لا تنظر الى الواقع ولهذا لا تثبت إلّا مدلولاتها المطابقية في مقام الظاهر دون لوازمها لأجل قيام السيرة القطعية من العقلاء على ترتيب

(١) اصطلاحات الأصول: ١: ٥٤.

اللوازم على الأخبار بالملزوم ولو مع الوسائط الكثيرة[١].

وعلى أساس ذلك يظهر أن حجّية مثبتات الأمـارات ليست من لوازم أماريتها بل من لـوازم حكاياتها عن الواقع، وعليه فلا بد من التفريق بين أنواع الأمارات أيضاً، فما يكون لسانه لسان الحكايات عن الواقع والنظر إليه تكون مثبتاته حجة، أما ما لا يكون كذلك فلا تغدو مداليله الالتزامية حُجّة، كالاستصحاب، وقاعدتي الفراغ والتجاوز، وأصالة الصحة ونحو ذلك فتكون حال هذه الأمـارات حال الأصول العملية، بلا فرق بينهما وعليـه لا تتمـيز الأمارات عن الأصول بذلك[٢].

ط- نظرية المعيار في تمييز المسألة الأصولية:

المسألة الأصولية هي: «ما تقع نتيجتها في طريق استنباط الحكم الفرعي بحيث لو انضم إليها صغراها أنتجت حكماً فرعياً»[٣]، ويرى السيد الخوئي أن انتماء مسألة ما الى أصول الفقه رهين بوجود الخلاف وإبداء النظر والرأي فيها؛ فإذا كانت المسألة مسلمة واضحة لدى الكل لدرجة أنه لم يعد فيه مجال لإبداء النظر لم تكن أصولية؛ لأن علم الأصول وضع لتحديد النظريات العامة، فالأصول يعد نظرياً والفقه تطبيقياً، وعلى أساس ذلك ذكر المحقق الخوئي أن مبحث حجية الظواهر ليس من المسائل الأصولية، وكذلك أصالة الطهارة في الشبهات الحكمية؛ لأن المسألتين من المسائل الواضحة عند الجميع، بدرجة لا مجال معها لإبداء النظر وإعمال الرأي، ولهذا لم ينطبق عليهما ضابط المسألة الأصولية ومعيارها بقوله: «والوجه في عدم التعرض له في علم الأصول هو ما

(١) مصباح الأصول: ١: ١٤٨، ١٥٢.

(٢) فوائد الأصول: محمّد حسين الغروي النائيني، محمّد علي الكاظمي الخراساني (١٣٦٥هـ)، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم (١٤٠٤هـ).

(٣) مصباح الأصول: ١: ٣.

ذكرناه من كونها من الأمور المسلمة التي لا نزاع فيها ولا خلاف»[١].

ي- نظرية السلب الجزئي في مفهوم الوصف:

بنى السيد الخوئي على دلالة القيد في القضية على المفهوم، «وإنما يثبت فيما إذا لم يرد الوصف مورد الغالب، وإلّا فلا مفهوم له»[٢]، فظهور الوصف في المفهوم إنما يثبت خصوصاً الوصف الغير المعتمد على الموصوف[٣]، لكن لا بمعنى دلالته على انتفاء سنخ الحكم بانتفائه، بل بمعنى أنه يدل على أن موضوع الحكم في القضية ليس هو الطبيعي على نحو الإطلاق، بل حصة خاصة منه، على أساس أنه لو لم يدل على ذلك لكان لغواً محضاً، فيكون وسطاً بين القول بمفهوم القيد والقول بعدمه، وتترتب على ذلك آثار فقهية، وهذا معنى السلب الجزئي لا الكلي، وكذلك في مبحث مقدمة الواجب حيث ذهب السيد الخوئي أن وجوب المقدمة وجوب شرعي لا عقلي، لكن على نحو الوجوب الاندماجي المستبطن في نفس وجوب ذي المقدمة، فكأن كثرة حمل وجوب المقدمة وتعليقه على مورد وجوب ذيلها وربطه به أنتج اندكاك الوجوب الغيري في النفسي على نحو الوجوب الواحد إثباتاً، وكذلك في بحث خيار الغبن الذي أرجعه السيد الخوئي إلى خيار تخلف الشرط لوجود شرط ضمني ارتكازي عند العقلاء وهو عدم نقصان ما قبض عمّا دفع في المالية[٤].

(١) المصدر السابق: ١: ٢٤٦.

(٢) مصباح الفقاهة: ٤: ٣٢٤.

(٣) أجود التقريرات: ٢: ٢٠٣.

(٤) الرافد في علم الأصول: ١: ١٤٣.

المبحث الثالث

التطبيقات الفقهية والأصولية

والمعرفية عند السيد الخوئي

الحديث عن ميدان التجديد يحتاج الكثير من الوقت للخوض في موارد هذا الميدان المتعددة، ولكننا سنقتصر في مجالي متن الحديث وفقهه في الممارسة الفقهية عنده وعلم الرجال، وإنْ كان التأسيس الأصولي عنده هو الأهم باعتبار نظرياته وآرائه الأصولية ومدرسته التي تباناها من جاء من بعده، كالقول بحجية الخبر الواحد[١] وغيرها حيث قال: «فإن سيرة العقلاء قد استقرت على العمل بخبر الثقة في جميع أمورهم، ولم يردع عنها الشارع فإنه لو ردع عن العمل بخبر الثقة لوصل إلينا كما وصل منعه عن العمل بالقياس»[٢] فركّز على ما تثبت به الوثاقة أو الحسن في معجمه وفتاويه، وسنبين ذلك في ألسنة الروايات وتطبيقاتها:

أولاً: ما نهجه السيد الخوئي في مجال استنباط الروايات منهجاً[٣] خاصاً من خلال ملاحظة الألسنة الخاصة لهذه الروايات التي تخضع للظهور، باعتبار أن للروايات ظهورات مختلفة كظهور صيغة الأمر في الوجوب أو صيغة النهي في التحريم أو غير ذلك، وهذه الظهورات تخضع للتبدل باختلاف القرائن التي

(١) أبي القاسم الخوئي: مصباح الأصول: ١: ٢٢٩.

(٢) أبي القاسم الخوئي: مصباح الأصول: ١: ٢٢٩.

(٣) المنهج لغة: الطريق الواضح، مشتقة من الوضوح والاستبانة، واصطلاحاً هو الوضوح والكشف عن الحقيقة، ومن هنا عُدّ الإسلام منهجاً تقوم عليه حضارة القرآن. ينظر: مختار الصحاح، محمّد بن أبي بكر الرازي، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ص٥٤٦.

قد تحتف بالكلام، ككون بعض الروايات ذات لسان أخلاقي، والأخرى ذات لسان استحبابي، كما في كون الأمر يحمل على الوجوب لكن مع وجود القرائن فإنها تغير من ظهور الدلالة الى الاستحباب، وفي مقام التطبيق ما يلي:

١- **مجال الحكم الأخلاقي**: هناك روايات خاصة به الى جنب روايات الأحكام في التشريع الذي يحمل نظاماً تشريعياً ويحمل نظاماً أخلاقياً، فالروايات التي جاءت لبيان الحكم الأخلاقي تخضع الى استظهار الفقيه بمساعدة القرائن لتحديد الظهور في الأمر الأخلاقي من قبيل ما ورد عن جابر قال: جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله إن أبي يريد أن يستبيح مالي، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**أنت ومالك لأبيك**»[١]، فيرى السيد الخوئي أن الرواية هذه تحمل على بيان الحكم الأخلاقي لكونها قضية شخصية لم ترد لبيان الحكم الشرعي[٢]، وقال: إن الولد الحر غير قابل لأن يكون مملوكاً لأحد، بل الأب لا ولاية له عليه فضلاً عن أن يكون مالكاً له، ومن هنا يحمل ذيل الرواية على بيان الحكم الأخلاقي فقط[٣]، ويذكر قرائن أخرى مؤيدة لهذا الحمل برواية أخرى عن الحسين بن علاء عن أبي عبد الله عليه السلام ما يحل للرجل من مال ولده؟ قال: «**قوته بغير سرف إذا اضطر إليه**» قال: فقلت له: فقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للرجل الذي أتاه فقدم أباه فقال له: «**أنت ومالك لأبيك**» فقال عليه السلام: «**إنما جاء بأبيه الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله هذا أبي وقد ظلمني ميراثي من أمي، فأخبره الأب أنه قد أنفقه عليه وعلى نفسه، وقال: أنت ومالك لأبيك، ولم يكن عند الرجل شيء أو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحبس الأب للابن**»، وغيرها من الموارد التي جاءت فيها الروايات لبيان أمر أخلاقي، وليست في مقام بيان الحكم الشرعي.

(١) المتقي الهندي: كنز العمال، ١٦: ٥٧٩، ح ٤٥٩٣٣.

(٢) الخوئي: كتاب الحج، ١: ٢٠٧.

(٣) الخوئي: كتاب النكاح، ١: ٣٤١.

٢- **مجال الميدان العقائدي**: لاحظ السيد الخوئي في عملية الاستنباط في كون الفقه ليس موضوعاً مستقلاً، بل لابد من كونه لا يتنافى مع العناصر الثابتة عقائدياً بعد كون الأخير يقوم على القطع واليقين، من قبيل ما ورد في رواية العرزمي عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «صلى علي عليه السلام بالناس على غير طهر وكانت الظهر ثم دخل فخرج منادياً أن أمير المؤمنين عليه السلام صلّى على غير طهر فأعيدوا، وليبلغ الشاهد الغائب»[١]، وأجاب السيد الخوئي من أنها مضافاً لضعف سندها فإن مضمونها غير قابل للتصديق لمنافاته العصمة وعدم انطباقه على أصول المذهب[٢]، وهكذا في غيرها من الموارد التي فيها مخالفة قطعية لأصول المذهب وقواعده العامة.

كما أن المحقق الخوئي يرى أنه لا يعتمد كذلك على الروايات التي فيها منافاة للعنصر التاريخي، كإخبار بعضها بوجود أخ للحُجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف مسمى بموسى وأن إبراهيم بن مهزيار قد رآه وقت تشرفه بخدمة الصاحب عجل الله تعالى فرجه الشريف، فيرى أن هذا مما لا يمكن تصديقه، مع جلالة قدر ابن مهزيار ووثاقته وعلو مقامه ومع ذلك فترفض الرواية؛ لأنه مما لا يمكن تصديقه أبداً[٣].

ثانياً: ما يخص علم الحديث والرجال فكان السيد الخوئي رائداً فيهما، وكانت موسوعته الكبيرة في الرجال دليلاً على مقدرته وبراعته في ذلك، وأهم ما يدون في هذا المجال ما يلي:

١- ركّز في عمله في باب التوثيقات العامة والخاصة على عنوان (ما تثبت به الوثاقة أو الحسن) فيكون قد حافظ على المبدأ الأصولي وهو حجية خبر الثقة في العلوم الثلاثة وهي: الأصول والرجال والفقه، وقوله بحجية خبر

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة، ١: ٢٦٥، ح٨.

(٢) الحر العاملي: وسائل الشيعة، ٨: ٣٧٣، ح٩.

(٣) أبي القاسم الخوئي: كتاب الصلاة (٥)، ق ٢: ٣٦١-٣٦٢.

الواحد بعد قيام سيرة العقلاء على العمل بذلك.

٢- اعتمد في موسوعته على الأخبار الحسنة في كتابه (التنقيح) في مجال الاستنباط ومراده من الحسن في مقابل الموثق بقوله: «حسنة محمّد بن مسلم وموثقة عبد الله بن بكير»[١] وغيرها من الموارد الدالة على المغايرة، وقوله في مورد آخر: «وهذه الأخبار كما ترى بين صحيحة وحسنة فلا مجال فيهما للمناقشة سنداً»[٢].

٣- رفضه نظرية الوهن للخبر القوي والجبر للضعيف بقوله: «واستناد المشهور الى الخبر الضعيف في مقام العمل والفتوى فإثباتها مشكل»[٣]، وهو بذلك يرفض عمل القدماء من الأصحاب وإعراضه عن الخبر يوجب سقوط الخبر عن الحجية.

٤- رفضه مبنى أصالة العدالة الذي ينسب الى القدماء وجمع من المتأخرين[٤] وأثره إذ ظهر ذلك واضحاً في التعامل مع رجال الرواية، مما دعاه الى الاهتمام بالقواعد العامة التي تبناها في علم الأصول، فرفضه الإجماع المنقول، بل المحصل[٥] استناداً للقول بعدم حجية الإجماع المدركي أو محتمل المدركية، فردّ إجماعات من سبقه من كلمات القدماء لكونها استند فيها الى الحس وهو أمر موهوم جداً، لاحتمال كون الإجماع المنقول بمثابة رواية مرسلة لا يصح الاعتماد عليها لعدم ثبوت وثاقة الواسطة، وكذلك رفضه الشهرتين الفتوائية والعملية وغيرها.

٥- ما يخص القواعد الرجالية التي شكلت عند السيد الخوئي إطاراً عاماً

(١) أبي القاسم الخوئي: كتاب الحج، ٢: ١٣١.

(٢) أبي القاسم الخوئي: مصباح الأصول، ١: ١٨٤.

(٣) المصدر السابق: ٤: ٢٦.

(٤) أبي القاسم الخوئي: مصباح الأصول، ٢: ٢٣٥-٢٣٦.

(٥) المصدر السابق: ١: ٦٢.

للمنهج الرجالي فهي:

أ. **التوثيقات الخاصة**: من قبيل نص أحد المعصومين ونص أحد الأعلام المتقدمين كالكشي والمفيد، والمتأخرين ودعوى الإجماع من قبل الأقدمين[١] كما في وثاقة إبراهيم بن هاشم حيث ادعى ابن طاووس الاتفاق على وثاقته، فتكشف عن توثيق بعض المتقدمين له، وهو كاف في إثبات هذه الوثاقة وصحتها على المبنى الذي سلكه السيد الخوئي من حجية التوثيقات من باب خبر الثقة، وأما بناء على الحجية من باب الشهادة فلا تصح هذه الملازمة[٢]، لذا بقي متردداً في أمر إبراهيم بن هاشم فقال: «مضافاً الى صحيحة زرارة أو حسنته باعتبار إبراهيم بن هاشم»[٣].

ب. **التوثيقات العامة**: من قبيل أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وسند أصحاب الإجماع، وترحم أحد الأعلام، فقد رفضها جميعاً وعدّها غير معتبرة، وكان لرفضه الأثر في علم الرجال والفقه، ويدل على الجرأة في مجال إبداء الرأي مما ساهم في نشوء مبان خاصة به في التوثيقات الرجالية.

جـ. **توثيقه رواة تفسير القمي** بشرط كون الراوي من الشيعة[٤]، وكون السند متصلاً الى المعصوم، وأن لا يعارض التوثيق بالتضعيف[٥]، ومع ذلك أشكل على هذا المبنى لبعض الروايات التي لا تنسجم مع المباني العقائدية، فما يخص توثيق (رواة كامل الزيارات) فقد تراجع جزئياً

(١) المصدر السابق، ٢: ١٥٩-١٦٠.

(٢) ينظر: معجم رجال الحديث: ١: ٥٥-٧٨، الموسوعة: ٨: ٣٩٩.

(٣) الخوئي: الموسوعة الفقهية، ٣: ٦.

(٤) الخوئي: معجم رجال الحديث، ١: ٣٩-٤٥.

(٥) الخوئي: معجم رجال الحديث، ١: ٤٩.

وعدل عن توثيق كافة الرواة، كما جاء في المعجم[١] الى توثيق خصوص الرواة المباشرين[٢]، وقد أثرت التوثيقات على تطبيقاته في معجم رجاله وسرت الى علم الفقه ونتائجه.

د. **اعتمد في ترجمته للرجال على المصنفات الرجالية خلافاً لمنهج العلامة المامقاني في تنقيح المقال** حيث اعتمد على المصنفات الرجالية والتاريخية، وأحيا علم الرجال في مدرسة النجف الأشرف في زمنه، واعتمد منهجية حجية خبر الثقة وبنى أصولياً على هذا المنهج.

هـ. **عُدَّ من المتشددين في علم الرجال ونقد الأسانيد نقداً قوياً**: فترتّب عليه إسقاط كمية كبيرة من الروايات عند الإمامية، ولهذا عُـدَّ مجدداً اعتمد على الدليل القطعي والعلمي، ومن دون تردد، وطرح غيرها من العلوم المستندة الى الدليل من دون خوف، بل عُـدَّ شخصية علمية جريئة.

ثالثاً: أما البناء الأصولي فلا مجال لإعمال القواعد الأصولية من عموم أو خصوص لمداليل النصوص في الثابت من الشريعة، بل يشمل هذا الإعمال النصوص التي هي عبارة عن تشريعات تقتضيها ظروف الزمان والمكان والأحـوال، وفي ذلك أفاد الشيخ شمس الدين أنها: «نسبية بنسبية ظروفها وأحوالها ومكانتها وزمانها»[٣]، فمثلًا نجد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن أكل لحوم الحمر الأهلية من باب المحافظة عليها، وحاجة الناس إليها في العمل ونقل الأمتعة والبضائع، كرواية علي بن إبراهيم عن أخيه عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «**سألته عن لحوم الحمر الأهلية أتؤكل؟ فقال: نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما نهى عنها لأنهم كانوا يعملون عليها فكره أن يفنوها**»[٤]، وفي رواية أخرى فسَّـر المنع

(١) المعجم: ١: ٥٠.

(٢) الخوئي: صراط النجاة، ٢: ٤٨١.

(٣) محمّد الحسيني: الاجتهاد والحياة، ص٢٢٥.

(٤) الحر العاملي: وسائل الشيعة، ٢٤: ١٢٠.

للحاجة إليها ولأجل عدم الفناء، عن محمّد بن مسلم وزرارة عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «**وإنما نهى عن أكلها في ذلك الوقت لأنها كانت حمولة الناس وإنما الحرام ما حرّم الله في القرآن**»[1]، ومن دراسة النصين يمكن أن يستفيد الفقيه قاعدة العموم لهذا النهي الى أي حيوان آخر فيه مصلحة لبني البشر، كما في الأسماك والطيور وحيوانات تتعرض للانقراض تبعاً للتعليل الوارد في النص الأول بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**فكره أن يفنوها**»، وبالتالي مثلاً يمنع صيد الأسماك في أشهر التكاثر والنمو، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يمكن للفقيه وفق التعليل المذكور أن يرفع النهي المذكور – خصوصاً وأنه لا يمكن الاستفادة من الكراهة الحرمة – ويحل الأكل وترتفع الكراهة، وبهذا لا تكون هناك مخافة قطعية للنص وهنا عمل المجدد، حيث يرتبط بنوعية الدليل من حيث كونه قطعياً فلا يسمح له إلّا في حدود تغير الموضوع، أو ظنياً فيرى الفقيه نوعية دلالة هذا الدليل، وبناء على القرائن والشواهد التي ترفع دلالته نحو مستوى القبول بعد رفع مستوى حجية الدليل الظني الى مستوى المعتبر.

وهناك أمور لها دخالة في نظر الفقيه للنص كتطور الحياة وواقعية مشكلات المجتمع التي لا بد للمجدد من مراعاتها، وتدخل ضمن العوامل المرتبطة بالفقيه والحوادث الجديدة التي يراد لها حلّ فقهي مناسب وفق النص مع مراعات تطور الحياة.

الخاتمة والنتائج:

توسّع علم الأصول تدريجياً تبعاً لتوسع البحث الفقهي لوضع المشاكل والحلول المناسبة وتتخذ الحلول فانعكس ذلك على مجال التطبيق سعة ودقة للعلاقة الوثيقة في المنشأ بين الفقه والأصول، فبعد أن دون علم الأصول الشيخ

(١) المصدر السابق: ٢٤: ١٢٠.

المفيد رحمه الله برسالته في كنز الفوائد ورسالة الشافعي عند الجمهور تطور بعدهما علم الأصول، خصوصاً وأن السُّنّة المطهرة فيها كثير من القواعد العامة الأصولية وكذلك كتب بعض أصحاب الأئمة والفقهاء كابن عقيل وابن الجنيد، وتوسع كثيراً في زمان المحقق الفقيه الخوئي فبرز الجانب الأصولي التجديدي من خلال فكره الأصولي ونظرياته في الاستنباط لتحصيل الحكم، فبرع بما يلي:

١- ساهم السيد الخوئي في تطور الفكر الأصولي من خلال تعامله مع النصوص بشكل مختلف عمّن سبقه، فأدخل عوامل أخرى مؤثرة في الاستدلال وألغى أخرى سائدة في الزمان الماضي، فأسس نظام الحجيّة والاعتبار بطريقة خاصة به، وبرز الأصول العملية ونظريته المعروفة (قبح العقاب بلا بيان) وذكر أنه لا مجال لإعمال القواعد الأصولية من عموم أو خصوص لمداليل النصوص في الثابت من الشريعة، بل يشمل هذا الإعمال النصوص التي هي عبارة عن تشريعات تقتضيها ظروف الزمان والمكان والأحوال.

٢- اعتماده القواعد الأصولية في المنهج الرجالي كالقول بحجية الخبر الواحد طبقاً لما ذكره في مصباح الأصول، والتشدد في ظاهرة تربيع الأحاديث في مجال الحجية اعتماداً على الكتب الرجالية من اختيار معرفة الرجال، لغرض إكمال عملية التوثيق للرجال بعد تبني حجية أخبار الآحاد فكان (معجم رجال الحديث).

٣- ظهور ملامح الاتجاه العقلي والاهتمام البليغ بتحديد موضوع الأصول بتدوين القواعد الأصولية وأدوات الاستنباط وتطبيقها على مواردها، فمبناه في الموضوع ذوات الأدلة فيدخل فيها مباحث الألفاظ ومباحث العقل وبقية المباحث خارجة لا محالة كمبحث حُجيّة الخبر والشهرة.

٤- التشدد في قبول الأخبار المنقولة في كتب الحديث وتقويمها من خلال أدواته المتمثلة في مصادر التوثيق الرجالية ودراسة السند والدلالة معاً، وقد أثمر

هذا التشدد في تبني اتجاه أخبار الآحاد على أساس علمي بخلاف من أنكر حجيتها والأخذ بالإجماع وغيره، والعمل بأخبار الآحاد لمعظم الأدلة الفقهية من خلال التشدد في قبول الشهادة بوثاقة الرواة، وانسحب هذا التشدد الى مجال الدلالة، وبالجملة فملاك حجية أخبار الآحاد هو وثاقة رواتها، فالمعروف أن خبر الواحد لا يكون حجة في الموضوعات، وذهب جماعة إلى حجيته فيها كما هو حجة في الأحكام، والدليل على اعتباره في الموضوعات والأحكام معاً هو السيرة العقلائية القطعية؛ لأنهم لا يزالون يعتمدون على أخبار الآحاد فيما يرجع إلى معاشهم ومعادهم، وحيث لم يردع عنها في الشرع فتكون حجة ممضاة من قبل الشارع بلا فرق في ذلك بين الموضوعات والأحكام.

٥- إبراز ظاهرة تقعيد القواعد للحاجة الشديدة لها مما يُقصِّدُ الشارع تقصيداً شرعياً في تفسير النصوص الكلية لاستيعاب المفهومات الجديدة للمصالح والمفاسد والحقوق، وكذلك بما يرتبط في التعريف للعناوين الأصولية كتعريفه الإستصحاب، وأفاد الى الضرورة في استنباط الأحكام من الكتاب والسنة من معرفة المباحث الأصولية من بحث الأوامر والنواهي والعموم والخصوص وغيرهما، ومباحث الحجج والأصول العقلية والشرعية وغيرها وتنقيحها، ليضمن أسس التشريع بعموماته ومطلقاته مع الاهتمام بآيات الأحكام.

٦- تعد مسألة الوضع من أهم المسائل الاجتماعية، فيكون التعهد سبباً لكون الظواهر كواشف عن المداليل وكونها مرادة للمتكلم على أساس أن بداية نشوء الإنسان كان بحاجة الى استخدام ظاهرة اللغة في حياته كوسيلة للتفاهم وإبراز مقاصده، ولما رأى أن الوضع في ضوء تفسير المشهور لا ينسجم ومكانة هذه المسألة وأهميتها لدى العقلاء، أبدى نظرية التعهد وهي متكاملة كماً وكيفاً على أساس أنها بنفسها نظرية عقلانية تتناسب مع مكانة

هذه المسألة، فحقيقة الوضع التعهد والالتزام النفساني بعد بطلان الدلالة الذاتية وهي وضعية محضة، وفساد كون حقيقة الوضع حقيقة واقعية، وبطلان تفسيره الوضع بل الغرض الباعث على الوضع هو الرجوع الى الوجدان والتأمل لمدنية الإنسان فيحتاج في تنظيم حياته المادية والمعنوية الى آلات يبرز بها مقاصده وأغراضه، ويتفاهم بها وقت الحاجة، ولما لم يمكن أن تكون تلك الآلة الإشارة أو نحوها لعدم وفائها بالمحسوسات فضلاً عن المعقولات فلا محالة من الألفاظ ليستعملها في بيان ذلك.

٧- ذهب السيد الخوئي الى نظرية خاصة في مسألة الإطلاق، وأنه غير داخل في مدلول اللفظ، بل الحاكم هو العقل ببركة مقدمات الحكمة، فيكون مدلولاً لتلك المقدمات، فلا يكون لفظاً وكلاماً حتى يكون كتاباً أو سُنّة، بل هو دلالة ناشئة عن السكوت في مقام البيان، وكذلك كان المعروف بين الأصوليين أن مثبتات الأمارات حجة دون الأصول، بلا فرق بين أنواع الأمارات، أما المحقق الخوئي فيرى أن الموضوع يقوم على أساس أن الأمارات حيث تنظر الى الواقع وتحكي عنه فهي تحكي عن مدلولاتها المطابقية وعن مدلولاتها الالتزامية بالواسطة على أساس الملازمة بينها ثبوتاً وإثباتاً على خلاف الأصول العملية فلا تنظر الى الواقع، ولهذا لا تثبت إلّا مدلولاتها المطابقية في مقام الظاهر دون لوازمها لقيام السيرة القطعية من العقلاء على ترتيب اللوازم على الإخبار بالملزوم ولو مع الوسائط الكثيرة، فظهر أن حجية مثبتات الأمارات ليست من لوازم أماريتها بل من لوازم حكاياتها عن الواقع، وعليه فما يكون لسان الحكايات عن الواقع والنظر إليه تكون مثبتاته حجة، وما لا يكون كذلك فلا تغدو مداليله الالتزامية حجة كالاستصحاب، وقاعدتي الفراغ والتجاوز، فتكون حال هذه الأمارات حال الأصول العملية، بلا فرق بينهما.

٨- يرى المحقق الخوئي أن انتماء مسألة ما الى أصول الفقه رهين بوجود الخلاف

وإبداء النظر والرأي فيها؛ فالمسألة الأصولية هي ما تقع نتيجتها في طريق استنباط الحكم الفرعي بحيث لو انضم إليها صغراها أنتجت حكماً فرعياً فإذا كانت المسألة مسلمة واضحة لدى الكل لدرجة لم يعد فيه مجال لإبداء رأي فيها لم تكن أصولية؛ لأن علم الأصول وضع لتحديد النظريات العامة، باعتبار أن الأصول نظرياً والفقه تطبيقياً، كنسبة المنطق العام الى سائر العلوم، وعليه ذكرﷺ أن مبحث حجية الظواهر ليس من المسائل الأصولية، وكذلك أصالة الطهارة في الشبهات الحكمية؛ فالمسألتين من المسائل المسلمة الواضحة عند الجميع، فلا مجال لإبداء النظر وإعمال الرأي، ولذا لم ينطبق عليهما ضابط المسألة الأصولية.

٩- بنى المحقق الخوئي على دلالة القيد في القضية على المفهوم الوصفي، فظهور الوصف في المفهوم يثبت خصوصاً الوصف غير المعتمد على الموصوف، لكن لا بمعنى دلالته على انتفاء سنخ الحكم بانتفائه، بل بمعنى أنه يدل على أن موضوع الحكم في القضية ليس هو الطبيعي على نحو الإطلاق، بل حصة خاصة منه، على أساس أنه لو لم يدل على ذلك لكان لغواً محضاً، فيكون وسطاً بين القول بمفهوم القيد والقول بعدمه، وهذا معنى السلب الجزئي.

١٠- ذهب السيد الخوئي في مبحث مقدمة الواجب أن وجوب المقدمة وجوب شرعي لا عقلي، لكن على نحو الوجوب الاندماجي المستبطن في نفس وجوب ذي المقدمة، فكأن كثرة حمل وجوب المقدمة وتعليقه على مورد وجوب ذيلها وربطه به أنتج اندكاك الوجوب الغيري في النفسي على نحو الوجوب الواحد اثباتا.

١١- رفضه مبنى أصالة العدالة الذي ينسب الى القدماء وجمع من المتأخرين وأثره إذ ظهر ذلك واضحا في التعامل مع رجال الرواية، ومن هنا زاد اهتمامه بعلم الرجال، وقد يعود هذا الاهتمام للقواعد العامة التي تبناها في

علم الأصول، فرفضه الإجماع المنقول، بل المحصّل.

١٢- نهج المحقق الخوئي في مجال استنباط الروايات منهجاً خاصاً بملاحظة الألسنة الخاصة لها وخضوعها للظهور، كظهور صيغة الأمر في الوجوب وصيغة النهي في التحريم، وهذه الظهورات تخضع للتبدل باختلاف القرائن التي تحتف بالكلام، ككون بعض الروايات ذات لسان أخلاقي أو ذات لسان استحبابي كما في حمل الأمر على الوجوب لكن مع وجود القرائن فيتغير ظهورها الى الاستحباب.

المصادر والمراجع:

١. الاجتهاد والحياة: محمّد الحسيني، مؤسسة الرسالة، دمشق - سوريا، ط١ (١٤٢٤هـ).

٢. أجود التقريرات: أبي القاسم الخوئي: تقرير بحث الميرزا محمّد حسين النائيني، مؤسسة صاحب الزمان، قم، ط١ (١٤١٩هـ).

٣. اصطلاحات الأصول: علي المشكيني، مؤسسة الباقر للنشر والطباعة، قم.

٤. الانتصار: علي بن الحسين الموسوي، المرتضى (٤٣٦هـ) تحقيق مهدي رجائي، دار القرآن.

٥. أنوار الأصول: تقرير بحث مكارم الشيرازي، قدمها أحمد القدسي، مؤسسة الشيرازي، قم.

٦. بحار الأنوار: محمّد باقر المجلسي، الحر العاملي (١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢ (١٤٠٣هـ).

٧. تنقيح الأصول: تقريرات ضياء العراقي، محمّد رضا الطباطبائي، المطبعة الحيدرية، النجف ط(١٣٧١هـ).

٨. الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة عليهم السلام: يوسف البحراني (١١٨٦هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

٩. دروس تمهيدية في علم الأصول: محمّد باقر الصدر، مؤسسة النجاح.

١٠. الذريعة: علي بن الحسين الموسوي، المرتضى، تحقيق أحمد الحسيني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١١هـ.

١١. الرافد في علم الأصول: تقرير بحث السيستاني بقلم السيد منير عدنان القطيفي، قم، ط١، مهر، (١٤١٤هـ) نشر مكتب السيستاني.

١٢. رجال النجاشي: النجاشي، النشر والطباعة دار الحق، قم، ط١ (١٤٢٢هـ).

١٣. شرح المعتمد في أصول السنة: محمّد الحبش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (١٤١٨هـ).

١٤. صراط النجاة: الخوئي، تحقيق ونشر مؤسسة صاحب الزمان عجل الله فرجه، قم، ط١ (١٤١٩هـ).
١٥. فرائد الأصول: مرتضى الأنصاري، تحقيق ونشر مجمع الفكر الإسلامي، قم، ط١ (١٤١٩هـ).
١٦. الفهرست: أبو الفرج محمّد بن إسحاق النديم، مطبعة دار المعرفة – بيروت، ط(١٣٩٨هـ).
١٧. فوائد الأصول: محمّد حسين الغروي النائيني، الأصولي المدقق: محمّد علي الكاظمي الخراساني (١٣٦٥هـ) مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم (١٤٠٤هـ).
١٨. الفوائد المدنية: محمّد أمين الاسترآبادي (١٠٣٣هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة النشر الإسلامي قم، ط١ (١٤٢٤هـ).
١٩. القواعد الفقهية: مكارم الشيرازي، مؤسسة الحق للطباعة والنشر، قم – إيران.
٢٠. الكافي: محمّد بن يعقوب الكليني (٣٢٩هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٤، (١٣٦٥هـ).
٢١. كتاب الحج: الخوئي، الموسوعة الفقهية، دار العلم، بقلم رضا الخلخالي، ط(١٣٦٤هـ).
٢٢. كتاب الصلاة، التنقيح في شرح العروة الوثقى: تقرير بحث السيد الخوئي، الميرزا علي التبريزي الغروي، دار الهادي، قم، ط٣ (١٤١٠هـ) مطبعة صدر، توزيع دار أنصاريان.
٢٣. كتاب الصوم مستند العروة الوثقى: محاضرات الخوئي، الناشر لطفي، ط: (١٣٦٤هـ) المطبعة العلمية – قم.
٢٤. كتاب الطهارة: الخوئي، التنقيح في شرح العروة الوثقى: الميرزا علي الغروي التبريزي، الناشر: دار الهادي، قم، ط٣ (١٤١٠هـ) مطبعة صدر، توزيع دار أنصاريان، قم.
٢٥. كتاب النكاح: الخوئي، مباني العروة الوثقى، تقرير بحث محمّد تقي الخوئي، دار العلم.
٢٦. كفاية الأصول: محمّد كاظم الخراساني (١٣٢٩هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ط٢ (١٤١٧هـ).
٢٧. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥ (١٤٠٥هـ).
٢٨. محاضرات في أصول الفقه: تقرير بحث الخوئي، تقرير الفقيه المحقق والأصولي الشيخ محمّد إسحاق الفياض، ط١ (١٤١٩هـ)، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.
٢٩. المحصول في أصول الفقه: القاضي أبو بكر بن العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢ (١٤١٢هـ).
٣٠. مختار الصحاح: محمّد بن أبي بكر الرازي، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١ (١٤١٥هـ).

٣١. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: الميرزا حسين بن محمّد تقي الطبرسي النوري، (١٣٢٠هـ) مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ط(١٤٠٧هـ).
٣٢. مستطرفات السرائر: ابن إدريس الحلي، طباعة ونشر دار التوحيد، قم، إيران.
٣٣. مصباح الأصول: تقريرات السيد الخوئي، محمّد سرور الواعظ البهسودي، مكتبة الداوري، قم، ط٥ (١٤١٧هـ).
٣٤. مصباح الفقاهة: السيد أبي القاسم الموسوي الخوئي: مكتبة الداوري، قم، ط٥ (١٤١٧هـ).
٣٥. المعالم الجديدة للأصول: محمّد باقر الصدر، ط٢ (١٣٩٥هـ)، إصدار مكتبة النجاح، مرتضى الرضوي، طهران.
٣٦. معجم ألفاظ الفقه الجعفري: أحمد فتح الله، ط١ (١٤١٥هـ).
٣٧. معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة: السيد أبي القاسم الخوئي، ط٥ (١٤١٣هـ)، مؤسسة التراث.
٣٨. ملاكات الأحكام في البحث الفقهي: سلام رزاق الزبيدي، رسالة ماجستير، ط(١٤٣٢هـ).
٣٩. المهذب في أصول الفقه المقارن: عبد الكريم النملة، دار الرسالة، دمشق.
٤٠. منتقى الأصول: تقرير بحث السيد محمّد الحسيني الروحاني، عبد الصاحب الحكيم، مطبعة الهادي، ط٢ (١٤١٦هـ).
٤١. الميزان في تفسير القرآن: السيد محمّد حسين الطباطبائي، دار الأضواء للطباعة والنشر، قم.
٤٢. نضد القواعد الفقهية، القواعد والفوائد: محمّد بن مكي العاملي، منشورات مكتبة المفيد، قم – إيران، تحقيق عبد الهادي الحكيم.
٤٣. نظرية التطور بين الدين والعلم والعقل: أنور الجندي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
٤٤. نهاية الأصول: آغا حسين البروجردي الطباطبائي في المسائل الأصولية، بقلم حسين علي المنتظري، النجف آبادي (١٣٧٥هـ).
٤٥. الوافية في أصول الفقه: عبد الله بن محمّد البشروي الخراساني،التوني المولى (١٠٧١هـ)، تحقيق محمّد حسين الرضوي الكشميري، مجمع الفكر الاسلامي، قم، ط١ (١٤٢١هـ).
٤٦. وسائل الشيعة في تحصيل أحكام الشريعة: محمّد بن الحسن الحر العاملي، مؤسسة النشر الاسلامي، قم.

Summary:

The ship of the Sharia after the absence of the Imam

al-Hajjah (pbuh) A group of media scholars such as the Sheikh alMufid, al-Tusi and al-Allama al-Hali and others, as well as other scholars and jurists emerged among the most prominent of them, Professor of Jurists and Mujahideen Investigator Abu al-Qasim al-Musawi alKhoei (Qadah) addressed the general authority for a period of more than twenty years, He took the lead in the Shiite world, and it was like the sea of abundance, knowledge, investigation, wisdom and ethics through his writings, and his various works or his honorable stance in his leadership of the blessed popular uprising until his zakat spirit stopped, and he was buried next to the shrine of the Commander of the Faithful, and left behind a great heritage in thought, belief, interpretation, jurisprudence and origins, and men in the conduct of state affairs from politics, economics, law, and culture.

And his most prominent sciences on the fundamentalist side by explaining the relationship of jurisprudence to origins and language as a matter of status and fundamentalist issue, clarification of fundamentalist structure and rules in the refinement of men, and the emergence of features of mental direction in determining the subject of assets, and that it has evidence in Pronunciation, and between the merits of the intellectual and fundamentalist axis and

the difference in it, and then the stages of the emergence of fundamentalist schools, and its well-known theory of ugliness of punishment without a statement, as well as y Repeat in the introduction to the topic of the duty that the necessity of the introduction is a legal and not a mental obligation, and the foundations of the system of authenticity and consideration in a way of its own, and how to theorize and write it down to the fundamental rules and tools of deduction and their application to its resources, and benefit from them in the deduction and also the emergence of practical principles, so the fundamentalist renewal was clear in its branches as a sign of constraint In the case on the descriptive concept and the legal necessity of the introduction, and his rejection of the building of the originality of justice for the ancients in the deduction and other resources of renewal in his bid and from God Almight.



المصدر: مجلة أوروك للعلوم الإنسانية: ع(٣)، مج(١٣)، ٢٠٢٠م، ص١٣٦١.

السيد أبي القاسم الخوئي (١٨٩٩-١٩٩٢)

دراسة في نماذج من رؤاه ومواقفه السياسية

المدرس الدكتور محمّد جواد جاسم الجزائري

الملخص:

لم تقتصر الحوزة العلمية على الكتب والأبحاث العلمية في الفقه وأصوله فقط، بل تعدت إلى التأليف في العلوم الأخرى التي تعتمد على استنباط الأحكام الشرعية كالحديث والتاريخ والتراجم والسير والفلسفة والحكمة والفلك والرياضيات، وتعد مدرسة السيد أبي القاسم الخوئي امتداداً لمدرسة الشيخ الطوسي، وكانت لآثاره العلمية المتميزة أثرها الفاعل في تثبيت معالم النهضة الجديدة في أوساط الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

اشتهر السيد الخوئي بالفقه والأصول والتفسير من خلال مؤلفاته الفقهية والأصولية، ويمكننا القول إن السيد الخوئي ومن خلال نظرياته الأصولية، يعد من بين أبرز المجددين بعلم الأصول في تاريخنا المعاصر، وقد تطابق رأيه مع معظم فقهاء الإمامية في عدم ثبوت الولاية المطلقة للفقيه الجامع للشرائط، ولم يمتنع السيد الخوئي عن إبداء رأيه وموقفه من الكثير من الأحداث السياسية التي وقعت سواء في داخل العراق أم في خارجه.

المقدمة:

تعدّ مدرسة النجف الأشرف من أبرز المدارس التي ازدهرت فيها الحركة العلمية في العالم الاسلامي منذ مطلع القرن الحادي عشر الميلادي بعد هجرة الشيخ الطوسي إليها عام ٤٤٨هـ الموافق ١٠٥٦م، والذي بدأ بتشكيل الحلقات الدراسية وتوفير إمكاناتها، وكان لوجود المرقد العلوي المقدس الدور الرئيس في نقل إمكاناته الى النجف الأشرف، علاوة على وجود ثلة من الأفاضل في المدينة، وقد مرّت الحوزة العلمية ومنذ تأسيسها بعدة أدوار في تطورها المعرفي، وقدّم عدد من المحققين للحوزة العلمية من نهوض فكري وملامح للتطور من خلال نتاجاتهم العلمية والمعرفية، ولاسيما في الفقه وأصوله، وقد تكاملت

في الوسط العلمي النجفي أدوات البحث الفنية ووسائله العلمية في التحليل والاستقراء والاستنتاج والمقارنة والنقد والمناقشة.

لم تقتصر المدرسة النجفية على الكتب والأبحاث العلمية في الفقه وأصوله فقط، بل تعدّت إلى التأليف في العلوم الأخرى، كالحديث والتراجم والسير والفلسفة والحكمة والتاريخ والفلك والرياضيات والسياسة، وتخرج فيها آلاف العلماء الأفذاذ وزعماء الفقه الإمامي وأئمة الأصول والحديث والتفسير، وفي مقدمتهم المرجع الديني الأعلى للعالم الإسلامي وزعيم الطائفة السيد الأستاذ أبي القاسم الموسوي الخوئي، الذي كان يمتلك موهبة رائعة ومقدرة علمية عالية، وقد أبدع في أبحاثه الفقهية والأصولية.

تكوّن البحث من مبحثين وخاتمة، ذكر فيها الباحث أهم ما توصل إليه من نتائج، فقد درس في المبحث الأول «**النشأة والتكون وآثاره الفكرية والاجتماعية**» الى ولادة السيد أبي القاسم الخوئي ونشأته ودراسته الأولية في مدينة (خوي)، ومن ثم هجرته الى النجف الأشرف للنهل من علمائها وشيوخها الذين كان لهم دور كبير في صقل شخصيته وموهبته العلمية، مما أهّله في زمن مبكر من حصوله على ملكة الاجتهاد، ثم ذكر الباحث أهم نتاجاته الفكرية خاصة في الفقه والأصول، وقد أسندت المرجعية العليا مقاليدها إليه في عام ١٩٧٠، فامتد عمرها الزمني عقدين ونيف، انتهت بوفاته عام ١٩٩٢، حيث دفن في الصحن الحيدري الشريف.

وتطرّق في المبحث الثاني «**رؤاه السياسية وموقفه من أزمات العراق والعالم الإسلامي**» الى أفكاره ورؤاه بشكل عام، علاوة على مواقفه الاجتماعية وسياسته تجاه السلطة الحاكمة في العراق، ورد فعله على الأحداث التي جرت في العالم العربي، خصوصاً قضية فلسطين، وما تعرّض له العالم الإسلامي من هزّات

سياسية مثل إيران بالدرجة الأساس.

اعتمد الباحث على مجموعة من المصادر، في مقدمتها الوثائق، وهي عبارة عن الفتاوى والبيانات التي أصدرها عن الأحداث السياسية، لاسيما بعد حصول الباحث على أرشيف السيد أبي القاسم الخوئي من مكتبة الإمام الخوئي العامة في النجف الأشرف، ولاقى الباحث صعوبة في الحصول على بعض الوثائق التي تخص العراق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المبحث الأول

النشأة والتكون وآثاره الفكرية والاجتماعية

وُلد أبي القاسم بن علي أكبر ابن المير هاشم الموسوي الخوئي في الرابع عشر من رجب عام ١٣١٧هـ، الموافق للتاسع عشر من تشرين الثاني عام ١٨٩٩م، في بلدة خوي[١] من إقليم آذربيجان من توابع إيران الشمالية الشرقية، من أسرة علوية عرف عنها حبّ العلم وفنون الأدب، وفي بيت من بيوت التقوى والفضيلة والعرفان، وقد عاش بكنف والديه، وحظي برعاية أسرية على وفق التقاليد التربوية للأسرة الاسلامية، إذ عمد والده الى الاهتمام ببناء أسرته وفق نمط علمي إسلامي[٢].

(١) خوي: بلدة على الحدود بين تركيا وآذربايجان، تبعد (١٦٤كم) شمال غرب مدينة تبريز، وهي من المدائن الأذرية المعروفة، يبرز على عمارتها التراث الاسلامي، تنسب إليها الثياب الخوئية المشهورة. ينظر: سعيد بختياري: أطلس جامع گيتاشناسي ١٩٨٦-١٩٨٧م، (تهران: چاپخانه هامون، ١٣٨٦ش)، ص٣٣.

(٢) علي البهادلي: ومضات من حياة الإمام الخوئي، بيروت: دار القارئ، ١٩٩٢م، ص٧؛ طراد حمادة: الإمام أبي القاسم الخوئي زعيم الحوزة العلمية، لندن: مؤسسة الإمام الخوئي،

كانت مدينة خوي مرتع صباه وأولى محطات الدرس والتعليم، حيث أتم فيها تعلّم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم مدة قاربت الثماني سنوات وكان والده فيها معلمه الأول، ثم انتقل الى مدينة النجف الأشرف عام ١٩١٢م وهو في سن الثالثة عشرة بعد هجرة أسرته إليها، نتيجة أوضاع إيران المضطربة بسبب الثورة الدستورية الإيرانية[١] وكونها مدينة العلم، مما هيّأ فرصة للسيد أبي القاسم الخوئي للدراسة في حوزة النجف العلمية[٢].

درس في النجف الأشرف معارف جمّة من علوم شرعية وعلوم عقلية أخذها عن أعلامها وعن والده، فقضى ثماني سنوات في صقل موهبته العلمية وهي مدة قد تكون قياسية إذا ما قورنت بالمدد التي أمضاها أقرانه في الدراسة بمراحلها المختلفة، فقرأ كتب الأصول والفقه، وأتمّ بذلك دراسته المقدمات والسطوح ولم يبلغ الحادية والعشرين من عمره[٣].

تابع بعد ذلك دروس البحث الخارج المعتادة في المقررات الحوزوية عام ١٩٢٠م، عند أساتذة أكفاء[٤]، فتتلمذ على يد الشيخ محمّد حسين الأصفهاني

٢٠٠٤م، ص٣٨.

(١) للتفاصيل عن الثورة الدستورية في إيران، ينظر: أحمد كسروي: تاريخ مشروطه إيران، (تهران: چاپخانه سبهر، ١٣٨٣ش)؛ قحطان جابر أسعد التكريتي: دور المثقفين والمجددين في الثورة الدستورية الإيرانية ١٩٠٥-١٩١١، رسالة ماجستير، جامعة تكريت: كلية التربية، ٢٠٠٥م.

(٢) أحمد الواسطي: سيرة وحياة الإمام الخوئي، بيروت: دار الهادي، ١٩٩٨م، ص١١.

(٣) عباس علي: الإمام الخوئي مدرسة وريادة، (مخطوط)، مكتبة الإمام الخوئي العامة، د.ت، و١٣؛ محمّد حسين الصغير: أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف، بيروت: مؤسسة البلاغ للطباعة، ٢٠٠٣م، ص٣٦٥.

(٤) حضر عند شيخ الشريعة الأصفهاني والشيخ مهدي المازندراني والشيخ ضياء الدين العراقي والسيد علي الكازروني والميرزا محمود الشيرازي والميرزا فرج الله التبريزي والسيد حسين

المعروف بالكمباني[١] والشيخ محمّد حسين النائيني[٢]، فقهاً وأصولاً، فقد حضر على كل منهما دورة كاملة في الأصول وعدة كتب في الفقه، وكان يقرر بحث كل منهما على جمع من الحاضرين لحلقات هذين العالمين، علاوة على درس الفلسفة عند شيخه الأول، ودرس الى جانب ذلك العلوم الدينية الرياضية والأدب والتاريخ[٣].

لفت السيد الخوئي أنظار أساتذته من علماء النجف الأشرف الذين لمسوا فيه حسن التدبر في تحقيق المباحث العلمية من العلوم العقلية والنقلية، وتنقيح القواعد الأصولية والمباني الفقهية، فضلاً عن السرعة في الاستجابة لما يلقونه من المعارف والأفكار في حلقات درسهم وخلال مناقشاتهم، لذلك حاز على

البادكوبي والشيخ محمّد جواد البلاغي والسيد أبي القاسم الخوانساري والسيد علي القاضي. للتفاصيل ينظر: مرتضى الحكمي: لمحات من حياة الإمام الخوئي، مجلة الموسم، لاهاي، ١٩٩٠م، ع٦، ص٥١٨.

(١) الشيخ محمّد حسين الأصفهاني (١٨٧٨-١٩٤٢): ولد في ٢٧ كانون الأول ١٨٧٨م في مدينة الكاظمية المقدسة ونشأ بها، أكمل دراسته في النجف الأشرف على يد الآغا رضا الهمداني والملا محمّد كاظم الآخوند، ودرس الفلسفة على الشيخ محمّد باقر الاصطهباناتي، له حاشية الكفاية للآخوند الخراساني ومنظومة في الفلسفة العالية، توفي في ١٤ كانون الأول ١٩٤٢م ودفن في الصحن الحيدري الشريف. للتفاصيل ينظر: محمود الغريفي: مشاهير الأعلام في الحرم العلوي، قم: مطبعة ثامن الحجج عليه السلام، ٢٠٠٧م، ص١٠٤؛ علي واعظ خياباني: علماي معاصر، قم: چاپخانه معراج، ١٣٨٢ش، ص٣١٠.

(٢) الشيخ محمّد حسين النائيني (١٨٥٧-١٩٣٦م): ولد في نائين ونشأ فيها، درس في أصفهان الفقه والأصول، انتقل إلى سامراء عام ١٨٨٤م ومنها إلى النجف الأشرف حيث التحق بدرس الملا محمّد كاظم الآخوند، اتخذ موقفاً من انتخابات المجلس التأسيسي عام ١٩٢٤م، وأفتى بحرمتها، توفي عام ١٩٣٦م. للتفاصيل ينظر: محمود الغريفي: المصدر السابق، ص١٠٧.

(٣) أبي القاسم الخوئي: معجم رجال الحديث، ط٥، بيروت: د.م، ١٩٩٢م، ج٢٣، ص٢٢؛ مرتضى الحكمي: المصدر السابق، ص٥١٨.

ثقتهم وقتئذ، فقد حصل على إجازة الشيخ محمّد حسين الأصفهاني الكمباني في الاجتهاد في ٩ حزيران ١٩٣١م، وجاء في نصها:

«... قد حضر على غير واحد من الأعيان وعلى شطرٍ وافٍ من الزمان... متأدباً بالآداب الدينية متخلقاً بالأخلاق الإلهية حتى فاز وله الحمد بالمراد وحاز درجة الاجتهاد وبلغ من المراتب العلمية أعلاها ومن المقامات السنية أسناها فله دام علاه التصدي لاستنباط الأحكام الشرعية فإنه خبير بمداركها بصير بمسالكها، كما أن له التصدي لوظائف الفقيه فإنه دامت معاليه لها وجيه وبها نبيه...»[١].

وكان بذلك قد حصل على درجة الاجتهاد في سن الثانية والثلاثين من عمره، أمرٌ قلّما يحدث في أوساط الحوزة العلمية في النجف الأشرف أن يمنح علماؤها الاجتهاد للباحثين.

وأكّد الشيخ محمّد حسين النائيني إجازة الاجتهاد هذه في ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٥م[٢]، عادّاً إياه من: «الأجلة وأفاضل المجتهدين» بحسب تعبيره، وأجازه باستلام سهم الإمام عليه السلام نيابة عنه، وفي اليوم التالي أكد السيد أبو الحسن الأصفهاني[٣] اجتهاده واصفاً إيّاه بمصباح الظلام المحقق المدقق صاحب القريحة

(١) انظر الملحق رقم (١).

(٢) مكتبة الإمام الخوئي العامة: نص إجازة الشيخ محمّد حسين النائيني للسيد أبي القاسم الخوئي، بتاريخ ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٥م.

(٣) أبو الحسن الأصفهاني (١٨٦٧-١٩٤٦م): ابن محمّد عبد الحميد محمّد الموسوي، ولد في قرية مديسه من ضواحي أصفهان، هاجر في سن الرابعة عشر إلى مدينة أصفهان لغرض إكمال مرحلة السطوح عند أساتذتها، انتقل إلى النجف الأشرف عام ١٨٨٩م، فحضر دروس الملا محمّد كاظم الآخوند، والسيد محمّد كاظم اليزدي، من آثاره «شرح كفاية الأصول»، و«ذخيرة العباد»، و«مناسك الحج»، توفي في الكاظمية في الرابع من تشرين الثاني عام ١٩٤٦م، ونقل جثمانه حيث وري الثرى في النجف الأشرف. للتفاصيل ينظر: جاسم محمّد إبراهيم: السيد

القويمة والسليقة المستقيمة، ومنحه إجازة في رواية الحديث ما صحّ عنه روايته من الأخبار، موصياً إيّاه بسلوك جادة الاحتياط الواقي عن زلل الصراط، وقد جاء في نصها: «... ولدنا الأعز السيد أبي القاسم الخوئي أدام الله تعالى تأييده وتسديده ممن صرف عمره في تحصيل العلوم الشرعية وتنقيح مبانيها النظرية وحضر على عامة من الأعلام فاحصاً باحثاً مجداً مجتهداً حتى صار بحمد الله تعالى من العلماء الأعيان ومن يشار إليه بالبنان وقد بلغ مرتبة سامية من الاجتهاد ودرجة عالية من الرشاد والسداد... وقد أجزت له أن يروي عني ما صحّ لي روايته من الأخبار سيما المودعة في الأربعة[١] التي عليها المدار...»[٢].

مارس التدريس الحوزوي ابتداءً مع طلبة المقدمات والسطوح مذ كان طالباً في البحث الخارج، إذ شرع في تدريس فروع العروة الوثقى للسيد كاظم اليزدي في ٢٢ تشرين الأول ١٩٥٧م، مبتدئاً بكتاب الطهارة، حيث قطع شوطاً بعيداً فيها، وقد ألقى محاضرات في الأصول (بحث الخارج) ست دورات كاملات[٣]، ولم يكمل الدورة السابعة بسبب تراكم أشغال المرجعية، ولم يتوقف عن درسه إلّا في بعض الضرورات من مرض أو سفر، فانشدّ إليه الطلبة، والتفّوا حوله، وكتبوا تقريراته في الفقه والأصول والتفسير، وكان يلقي محاضراته في جامع

أبو الحسن الموسوي الأصفهاني ١٨٦٧-١٩٤٦، أطروحة دكتوراه، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد، ٢٠٠٧م.

(١) يقصد الكتب الأربعة (الكافي، من لايحضره الفقيه، التهذيب، والاستبصار).

(٢) مكتبة الإمام الخوئي العامة: نص إجازة السيد أبي الحسن الأصفهاني للسيد أبي القاسم الخوئي، بتاريخ ٢٦ كانون الثاني ١٩٣٥م.

(٣) يُعد السيد الخوئي أقرب الى الملا كاظم الآخوند في مدرسته الأصولية من أستاذه النائيني، كونه ناقش آراءه في كثير من مبانيه الأصولية، وقد ألقى دروسه في الأصول لسبع دورات مما انعكس ذلك على دراسة تلامذته بشكل خاص والحوزة العلمية في النجف الأشرف على وجه العموم. للتفاصيل ينظر: طراد حمادة: المصدر السابق، ص١٨٨.

الخضراء الملاصق للصحن الحيدري الشريف[١].

انفرد السيد أبي القاسم الخوئي في طريقة التدريس، مما جعل تلامذته يتشوقون إليها، حيث جلبت عليهم فائدة علمية جمّة، فاستخدم أسلوباً يهدف الى تقوية ملكة الاستنباط لديهم، وقد وصف أسلوبه تلميذه العلامة والمفكر محمّد جواد مغنية بأنه يشبه أسلوب الفيلسوف سقراط في الجدال والنقاش: «فهو يتجاهل ويتظاهر بتسليم قول الطرف المقابل، ثم يعرض عليه الشكوك والتساؤلات ويتصنع الاستفادة والاسترشاد شأن الطالب والتلميذ حتى إذا أجاب المسكين ببراءة وسذاجة انقض عليه وانتقل به الى حقائق تلزم أقواله ولا يستطيع التخلص منها»[٢].

أصبح السيد أبي القاسم الخوئي في النصف الثاني من القرن العشرين من بين أبرز علماء الحوزة العلمية في النجف الأشرف ممن برعوا في علمي الفقه والأصول[٣] الى جانب علم الكلام، فالتفّ حوله طلبة العلم واكتظت حلقة درسه بالمريدين، وقد شُدّ إليه الرحال من أقطار وبلدان إسلامية متعددة رغبة في التتلمذ على يده والأخذ من معينه العلمي الزاخر، حتى عدّ البعض أن عدد من تخرج من حلقة درسه المئات من طلبة العلم، وأصبحوا أساتذة ومدرسين، ونال عدد منهم درجة الاجتهاد، فانتشروا في مختلف مدن العالم الاسلامية وغير

(١) أبي القاسم الخوئي: معجم رجال الحديث، ج٢٣، ص٢٣.

(٢) محمد جواد مغنية: زعيم الحوزة العلمية، مجلة الموسم، ١٩٩٠، ع٦، ص٥٢٣.

(٣) ورد إبداع السيد الخوئي بالأبحاث الأصولية من خلال اثنتي عشرة نظرية وهي من بلورة أفكاره، نظرية التعهد ومسألة الوضع، الإبراز ومسألة الإنشاء، التحصيص في وضع الحروف، عدم جريان الاستصحاب في الشبهات الحكمية، التعارض في الواجبات الضمنية، زيادة في أقسام الاستصحاب، مسألة الشهرة الفتوائية، مسألة إطلاق الدليل، مسألة الاستصحاب، مثبتات الأمارات الأصولية، أصولية المسألة، ومسألة مفهوم الوصف. ينظر: محمّد إسحاق الفياض: بحث في آراء السيد الخوئي، (مخطوط)، مكتبة الإمام الخوئي العامة، د.ت، و٢-٦.

الاسلامية، لنقل معارف وعلوم أستاذهم في الأحكام الشرعية، وحاز قسم منهم على مرتبة المرجعية العليا[١] في البلدان التي يقيمون بها.

دأب السيد الخوئي الى أن يفرغ جزءاً من وقته للتحقيق والتصنيف على الرغم من انشغالاته في الـدرس والالتزامات الأخـرى، فقد أغنى المكتبة الاسلامية بالعديد من المؤلفات والكتب المطبوعة منها والمخطوطة في مواضيع الفقه والأصول والتفسير والرجال.

كانت باكورة مؤلفاته كتابه (نفحات الإعجاز) وهو من الرسائل المهمة في دلائل الإعجاز وقد طبع عام ١٩٢٤م في النجف الأشرف، وكان رداً على كتاب (حسن الإيجاز في ابطال الإعجاز) المطبوع في المطبعة الانجليزية ببولاق في القاهرة عام ١٩١٢م، والذي كتبه أحد النصارى ولم يذكر اسمه، ومما جاء فيه: «أن القرآن لم يدّع عجز البشر عن مثله إلّا على سبيل المبالغة»، فردّ عليه السيد الخوئي بأن العرب في ذلك العصر كانوا أهل السلطة والثروة وأهل اللسان الراقين في الفصاحة والبلاغة فأصبحوا يعجزون عن معارضة القرآن والإتيان بمثله، فلما عجزوا تنازل في تعجيزهم الى الإتيان بسورة من مثله[٢].

وجادت يراعه في التفسير في كتاب (البيان في تفسير القرآن)، والذي طبع عام ١٩٥٥م في النجف الأشرف، حيث وضع قواعد جديدة في تفسيره، اعتمد فيها على توضيح دلالة الآية ومعناها وإشارتها، فيكون المفسر حكيماً حين تشمل الآية على الحكمة، وخلقياً حين ترشد الآية الى الأخلاق، وفقيهاً حين تعرضها

(١) مكتبة الإمام الخوئي العامة: إجازة الاجتهاد للسيد محمّد تقي القمي من السيد أبي القاسم الخوئي، بتاريخ ١٥ نيسان ١٩٦١م؛ إجازة الاجتهاد للميرزا علي الفلسفي من السيد أبي القاسم الخوئي، بتاريخ ٩ آيار ١٩٦١م؛ إجازة الاجتهاد للسيد علي السيستاني من السيد أبي القاسم الخوئي، بتاريخ ٢٠ آيار ١٩٦١.

(٢) للتفاصيل عن رد السيد الخوئي ينظر: أبي القاسم الخوئي: نفحات الإعجاز، النجف الأشرف، المطبعة العلوية، ١٩٢٤م.

للفقه، واجتماعياً حين تبحث في الاجتماع، فضلاً عن توضيح الفن الذي يظهر في الآية، والأدب الذي يتجلى بلفظها، وأن يحرر دائرة المعارف القرآن الكريم[١]، ويبدو أن السيد الخوئي أراد أن يحصر التفسير للقرآن الكريم بالفقيه؛ لأن هذه القواعد لا تنطبق إلّا عليه، حيث تجتمع فيه صفات الحكمة والبلاغة والأخلاق والفقه والاجتماع، فضلاً عن معرفة علم اللغة والدلالة.

وألّف السيد الخوئي في علم الرجال، فقد فرغ من تأليف كتاب (معجم رجال الحديث) في تشرين الثاني ١٩٦٩م، واحتوى على (٢٤) مجلداً، وشمل على (٦٩٣, ١٥) ترجمة موثقة لرواة الحديث وحملة العلم ونقلة التراث، وقد عيّن مواطن رواياتهم في الأصول الأربعة وسائر كتب الحديث[٢]، ومن الجدير بالذكر أن قسماً من مؤلفات السيد الخوئي هي محاضراته الفقهية والأصولية التي ألقاها على طلبة العلم في الحوزة العلمية، وتم ضبطها من قبل تلامذته خلال مواضبتهم على حضور درسه[٣]، وقد أحصى الباحث مؤلفاته بحسب سنة الطبعة الأولى في الجدول رقم (١).

جدول رقم (١):

مؤلفات السيد أبي القاسم الخوئي المطبوعة حسب سنة الطبعة الأولى[٤]

ت	عنوان الكتاب	موضوعه	الطبعة الأولى	مكان الطبع	عدد الأجزاء
١	نفحات الإعجاز	فكر	١٩٢٤	النجف	١

(١) أبي القاسم الخوئي: البيان في تفسير القرآن، ط٤، قم، دار الثقلين، ٢٠٠٥م، ص١٣.

(٢) أبي القاسم الخوئي: معجم رجال الحديث، ج٢٣، ص٢٥.

(٣) على سبيل المثال لا الحصر، ينظر: إجازة السيد الخوئي الى الشيخ علي الغروي في طبع كتابه التنقيح في شرح العروة الوثقى، بتاريخ ٣ تموز ١٩٥٨م؛ إجازة السيد الخوئي الى الشيخ محمّد إسحاق الفياض في طبع كتابه محاضرات في أصول الفقه، بتاريخ ٤ تشرين الثاني ١٩٦٢م.

(٤) اعتمد الباحث في عمل الجدول على الاطلاع على مؤلفات السيد أبي القاسم الخوئي المطبوعة في المكتبات العامة.

٢	أجود التقريرات	أصول	١٩٢٨	صيدا	٤
٣	التنبيه على حكم اللباس المشكوك فيه	فقه	١٩٤٢	النجف	١
٤	منتخب الرسائل	فقه	١٩٤٦	طهران	١
٥	الدرر الغوالي في فروع العلم الإجمالي	فقه	١٩٤٧	طهران	١
٦	توضيح مسائل (فارسي)	فقه	١٩٤٧	مشهد	١
٧	مصباح الفقاهة	فقه	١٩٥٤	بيروت	٧
٨	البيان في تفسير القرآن	تفسير	١٩٥٥	النجف	١
٩	حاشية على العروة الوثقى	فقه	١٩٥٥	النجف	١
١٠	جواهر الأصول	أصول	١٩٥٦	النجف	٥
١١	مباني الاستنباط	أصول	١٩٥٧	النجف	٤
١٢	التنقيح في شرح العروة الوثقى	فقه	١٩٥٨	النجف	١٠
١٣	دروس في فقه الشيعة	فقه	١٩٥٨	النجف	٤
١٤	مناسك الحج (عربي)	فقه	١٩٦٠	النجف	١
١٥	تعليقة على العروة الوثقى	فقه	١٩٦٢	طهران	١
١٦	مناسك الحج (فارسي)	فقه	١٩٦٢	النجف	١
١٧	مجموعة تعليقات على كتاب المسائل الفقهية	فقه	١٩٦٦	النجف	١
١٨	مصباح الأصول	أصول	١٩٦٦	النجف	٢
١٩	الرأي السديد في الاجتهاد والتقليد	فقه	١٩٦٧	النجف	١
٢٠	أحكام سفته وسرقفلي وبيمه (فارسي)	فقه	١٩٦٩	طهران	١
٢١	معجم رجال الحديث	رجال	١٩٦٩	النجف	٢٤
٢٢	منهاج الصالحين	فقه	١٩٦٩	النجف	١
٢٣	المسائل المنتخبة	فقه	١٩٧٠	النجف	١
٢٤	الأحكام الشرعية	فقه	١٩٧٢	النجف	١

٢٥	محاضرات في أصول الفقه	أصول	١٩٧٤	النجف	٤
٢٦	تكملة منهاج الصالحين	فقه	١٩٧٥	النجف	١
٢٧	مستحدثات المسائل	فقه	٩١٧	النجف	١
٢٨	مباني تكملة المنهاج	فقه	١٩٧٧	بغداد	٢
٢٩	رسالة توضيح المسائل (فارسي)	فقه	١٩٧٧	النجف	١
٣٠	معتمد العروة الوثقى	فقه	١٩٧٨	قم	٢
٣١	الأربعون	حديث	١٩٧٩	تبريز	١
٣٢	مستند العروة الوثقى	فقه	١٩٧٩	النجف	١٦
٣٣	مباني العروة الوثقى	فقه	١٩٨٤	النجف	٤
٣٤	المعتمد في شرح المناسك	فقه	١٩٨٧	النجف	٢
٣٥	منية السائل	فقه	١٩٩١	النجف	١
٣٦	كتاب الجهاد	فقه	١٩٩١	بيروت	١
٣٧	دراسات في علم الأصول	أصول	١٩٩٨	قم	٤
٣٨	الهداية في الأصول	أصول	١٩٩٨	قم	٤
٣٩	المسائل الميسرة	فقه	٢٠٠٣	قم	١
٤٠	أرجوزة عليٌّ إمامُ البَرَرة	أدب	٢٠٠٣	بيروت	٣
٤١	محاضرات في المواريث	فقه	٢٠٠٤	قم	١
٤٢	صراط النجاة	فقه	٢٠٠٤	قم	٢
٤٣	التنقيح في شرح المكاسب	فقه	٢٠٠٥	قم	٥
٤٤	بحوث عقائدية في ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام	فكر	٢٠٠٧	قم	١
٤٥	القضاء والشهادات	فقه	٢٠٠٩ ط٤	قم	٢
٤٦	مجمع الرسائل	فقه	٢٠٠٩ ط٤	قم	١

٤٧	إنارة العقول في انتصاف المهر بموت أحد الزوجين قبل الدخول	فقه	٢٠١٥	النجف	١

يبدو واضحاً من الجدول أعلاه أن عدد مؤلفات السيد الخوئي في الفقه بلغت (٣٣) مؤلفاً، وشكلت نسبة (٧, ٧١٪) من مجموع مؤلفاته، يليها ما ألّفه في الأصول (٧) مؤلفات، وشكّلت ما نسبته (٢, ١٥٪)، في حين بلغت مؤلفاته في الفكر مؤلفين، فيما كتب مؤلفاً واحداً في كل من الرجال والتفسير والأدب والحديث، وهذا يدل على أن طبيعة توجهاته واهتماماته في التنظير والكتابة في الفقه أولاً ثم الأصول.

تبيّن من الجدول أن السيد الخوئي قد بدأ بالتأليف في منتصف العقد الثالث من عمره قبل أن يبدأ بالتدريس، وفي أثناء دراسته البحث الخارج وقبل حصوله على درجة الاجتهاد، حيث طبع كتابه (نفحات الإعجاز) عام ١٩٢٤م، وطبع تقريراته بالأصول عام ١٩٢٨م، ثم طبع أول كتاب له بالفقه (التنبيه على حكم اللباس المشكوك فيه) عام ١٩٤٢م، وأول كتاب له في الأصول (جواهر الأصول) عام ١٩٥٦م.

تقلد السيد أبي القاسم الخوئي المرجعية العليا على إثر وفاة السيد محسن الحكيم[١] في ٢ حزيران عام ١٩٧٠م، ولم ينافسه مرجع حتى وفاته عام ١٩٩٢م، في وقت شهدت به البلاد انعطافات تاريخية أقل ما توصف به أنها

(١) السيد محسن الحكيم (١٨٨٩-١٩٧٠): ابن السيد مهدي صالح الطباطبائي الحكيم، ولد في النجف الأشرف من أسرة امتازت بالعلم والمكانة السامية، حضر دروس الملا محمّد كاظم الآخوند، وآلت إليه المرجعية العليا بعد وفاة السيد أبي الحسن الأصفهاني عام ١٩٤٦م، أسس مدرسة دار الحكمة ومكتبة، توفي في الثاني من حزيران ١٩٧٠م ودفن بالنجف الأشرف. ينظر: عدنان إبراهيم السراج: الإمام محسن الحكيم ١٨٨٩-١٩٧٠م دراسة تاريخية، دار الزهراء للطباعة، بيروت، ١٩٩٣م، ص٢٢-٢٥.

(عصيبة)، و(مأساوية) في تاريخ العراق المعاصر، إذ تزامنت مرجعيته مع بداية حكم البعث الجائر في العراق عام ١٩٦٨م، جعل من الحوزة العلمية في النجف الأشرف هدفاً لطغيانه[١]، لاسيما بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران واستلام رجال الدين السلطة فيها عام ١٩٧٩م، فكانت الحكومة تحذر من أن تتكرر التجربة الإيرانية، خاصة بعد نشاط الحركة الاسلامية في العراق.

تفاعل العديد من علماء النجف الأشرف والحوزات العلمية في العالم الاسلامي على ما ناله من مكانة علمية سامية، وكانت رجاحته في التقليد لا تحتاج الى بينه كونه «أعلم العلماء وعلم الإسلام ومناره» كما أسماها بعضهم[٢]، الأمر الذي إدى الى دعوة المسلمين لتقليده وشهادتهم بالأعلمية له[٣]، لافتين الأنظار لقدراته العلمية وآرائه الموضوعية، وانسجاماً ما تقدم فقد أكد السيد محمّد باقر الصدر الى مريديه في ٤ حزيران ١٩٧٠م أعلميته وأهليته للمرجعية

(١) طلبت السلطة في العراق من السيد أبي القاسم الخوئي الوقوف ضد النظام الجديد في إيران، وعندما رفض السيد الخوئي بادرت السلطة في العراق الى مضايقته، وقامت بمحاولة اغتيال نجله الأكبر السيد جمال الدين الخوئي عام ١٩٧٩م، ثم قامت بحرق سيارته في ساحة ثورة العشرين عام ١٩٨٠ وهو في طريقه لإقامة الصلاة. ينظر: مكتبة الإمام الخوئي العامة: أبيات شعر بقلم محمّد رضا آل صادق يؤرخ فيها حادثة إحراق السيارة، عام ١٩٨٠؛ طراد حمادة: المصدر السابق، ص٢٤٦.

(٢) مكتبة الإمام الخوئي العامة: شهادة الشيخ يوسف الخراساني، بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٠م.

(٣) أكّد عدد من العلماء الأعلام أعلمية السيد الخوئي وأهليته للمرجعية، على سبيل المثال لا الحصر، ينظر: مكتبة الإمام الخوئي العامة: شهادة السيد نصر الله المستنبط، بتاريخ ٢٥ حزيران ١٩٧٠م؛ شهادة الملا صدرا البادكوبي، بتاريخ ٣ تموز ١٩٧٠م؛ شهادة الشيخ محمّد تقي الجواهري، بتاريخ ٤ تموز ١٩٧٠م؛ شهادة الشيخ محمّد رضا الطبسي، بتاريخ ٥ تموز ١٩٧٠م؛ شهادة السيد محمّد تقي بحر العلوم، بتاريخ ١٤ تموز ١٩٧٠م؛ شهادة الشيخ مجتبى اللنكراني، بتاريخ ٢١ تموز ١٩٧٠م.

العليا وزعامة الحوزة العلمية في النجف الأشرف[١].

ذاع صيته في أوساط تقليد «الإمامية»[٢] داخل العراق وخارجه، حتى امتدت رقعة مقلديه لتتسع، لتشمل الدول العربية، وإيران، وباكستان، والهند، وتركيا ودولاً أوربية، مما تطلب ترجمة رسائله العملية والفقهية إلى عدة لغات مثل: الاندنوسية، والفارسية، والأوردو، والسنسكريتية، والتركية، والفرنسية فضلاً عن اللغة الانجليزية، وبطبعات متعددة، فعلى سبيل المثال لا الحصر، تجاوز عدد طبعات رسالته المسماة بـ (توضيح المسائل) باللغة الفارسية عشرين طبعة، في حين بلغ عدد طبعات رسالته (منهاج الصالحين) باللغة العربية واحد وثلاثين طبعة[٣]، وهذا يدل على كثرة مقلديه وتتابعهم طوال حياته.

انتشر وكلاء السيد أبي القاسم الخوئي في مدن العالم المختلفة، لتبليغ المسلمين المتواجدين في تلك المدن بالفقه الجعفري، وإمامتهم بالصلاة في مساجدهم، فضلاً عن القيام بحل مشاكلهم الاجتماعية وفق الشرع الاسلامي، وقد زوّدهم بإجازات خطية بالرواية عنه، وبالأمور الحسبية لاستلام الحقوق

(١) مكتبة الإمام الخوئي العامة: شهادة السيد محمّد باقر الصدر بأعلمية السيد الخوئي، بتاريخ ٤ حزيران ١٩٧٠م.

(٢) الإمامية: مصطلح لم يشع ذكره لفرقة من فرق الشيعة الجعفرية إلّا بعد حصول غيبة الإمام الثاني عشر من الأئمة المعصومين عليهم السلام عام ٢٦٠هـ-٨٧٤م والغيبة تعد الأساس الذي بنيت عليه فرقة الإمامية، وهو ما أطلق على الشيعة القائلين بإمامة اثني عشر إماماً تسعة منهم من ولد الإمام الحسين عليه السلام آخرهم المهدي المنتظر عجل الله فرجه. للتفاصيل ينظر: عبد الله فياض: تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة، ط٢، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٧٥م، ص٧٣-٨٥.

(٣) أبي القاسم الخوئي: منهاج الصالحين، ط٣١، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، قم، ٢٠٠٤م؛ مجمع الفكر الاسلامي: موسوعة مؤلفي الإمامية، مطبعة شريعت، قم، ٢٠٠١م، ص٤٦١.

الشرعية وتوزيعها في أبوابها[١]، وكان أكثر وكلائه هم وكلاء للسيد محسن الحكيم رحمه الله، مما يدل على أن مراجع الشيعة يسيرون وفق الخط الإمامي العادل.

ساهم السيد أبي القاسم الخوئي بفتح مدارس دينية ومؤسسات خيرية في النجف الأشرف والعديد من مدن العالم، وكان أهم ما قام به تأسيس (مدرسة دار العلم) عام ١٩٧٠م في النجف الأشرف و(جمعية المبرات الخيرية) في بيروت عام ١٩٧٨م، و(مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية) في لندن عام ١٩٨٨م[٢]، وهي مؤسسة ذات منافع عامة، وتهدف الى نشر الثقافة الاسلامية الصحيحة وفق منهج أهل البيت عليهم السلام، ورفع مستوى الوعي الديني بين كافة أفراد الأمة الاسلامية، والوقوف بوجه التيارات المادية والأفكار الضالة، فضلاً عن تقديم الخدمات اللازمة وتنظيم شؤونهم.

شهد العراق أعمال عنف واضطهاد من قبل السلطة الحاكمة، تركت بالغ الأثر على أوضاع السيد الخوئي النفسية، فضلاً عن الممارسات والضغوط التي تعرّض إليها خلال مدة اعتقاله عام ١٩٩١م، ومن ثم الإقامة الجبرية التي فرضت عليه فيما بعد، لذلك تداعت صحته، الأمر الذي أدى في نهاية المطاف

(١) على سبيل المثال لا الحصر، انظر: مكتبة الإمام الخوئي العامة: إجازة حسبية للسيد علي سلمان الحراك في أم قصر، بتاريخ ٦ كانون الأول ١٩٧٠م؛ إجازة حسبية للسيد إسماعيل كماري في تبريز، بتاريخ ١٣ نيسان ١٩٧١م؛ إجازة حسبية للشيخ عبد الأمير شمس الدين في لبنان، بتاريخ ٢٥ كانون الثاني ١٩٧٤م؛ إجازة في تعليم الأحكام الشرعية وصرف الثلث من سهم الإمام في محله للسيد محمّد التيجاني السماوي، بتاريخ ٩ تشرين الثاني ١٩٨٩م؛ إجازة حسبية للشيخ محمّد علي إلهي في ديترويت، بتاريخ ٧ آيار ١٩٩٢م؛ إجازة حسبية للسيد أبي القاسم الديباجي في الكويت، بتاريخ ٢٦ آيار ١٩٩٢م.

(٢) مكتبة الإمام الخوئي العامة: قانون إنشاء مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية ونظامه الداخلي، بتاريخ ٤ كانون الأول ١٩٨٧م؛ تقرير حول بناء مبرة للأيتام في بيروت، بتاريخ ١٣ حزيران ١٩٨٩م.

إلى وفاته في الثامن من شهر صفر ١٤١٣هـ الموافق الثامن من شهر آب ١٩٩٢م، ليدفن جثمانه في جامع الخضراء في الصحن الحيدري الشريف[١]، بعد أن أجبرت السلطة عائلة الفقيد أن يدفنوه سرّاً قبل أذان الصبح وبعدد ضئيل من المشيعين إذ بلغ مجموعهم حوالي ثلاثة وثلاثين شخصاً محاطين بسيارات عسكرية مسلحة، بعد أن أغلقت جميع الطرق في المدينة لمنع نشوء مظاهرات مناهضة للحكومة العراقية، وقد قام بالصلاة عليه في الصحن الشريف السيد علي السيستاني[٢]، تاركاً وراءه مسيرة علمية حافلة بنتاجها الفكري، من المصنفات التي مازالت محط إعجاب الدارسين والحوزويين وسواهم من المثقفين.

المبحث الثاني

رؤاه السياسية وموقفه من أزمات العراق والعالم الاسلامي

أولاً: رؤاه السياسية:

أوضح السيد أبي القاسم الخوئي أن الدين الاسلامي يحتوي على سياسات قادرة على أن تقود المسلمين إلى حياة حرة كريمة تغنيهم عن الانصهار في سياسات واردة غير مشروعة، ويرى أن السياسة الإسلامية سلطة زمنية مستمدة أصولها من أسس الشرع القويم، إلى جانب سياسة وسيرة الرسول محمدﷺ ومن بعده

(١) أرسلت برقيات التعازي من مختلف الشخصيات في العالم، على سبيل المثال لا الحصر، انظر: مكتبة الإمام الخوئي العامة: رسالة تعزية من السيد محمّد رضا الكلبايكاني، بتاريخ ١٤ آب ١٩٩٢م؛ بيان تعزية للسيد علي السيستاني لوفاة السيد الخوئي، بتاريخ ٢٠ آب ١٩٩٢م.

(٢) للتفاصيل عن مراسيم تشييع السيد الخوئي، ينظر: جواد محمّد تقي الخوئي: (مقابلة شخصية)، مواليد ١٩٨٠م، حفيد السيد الخوئي، النجف الأشرف، بتاريخ ١٥ آيار ٢٠١٥م؛ حسن الأمين: مستدركات أعيان الشيعة، ط٢، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٧م، ج٧، ص١٦.

الأئمة عليهم السلام، وكان يأبى من الاجتهاد السياسي الذي يرتكز على تغليب السياسة على الدين، وقد عدّه من أخطر أنواع الاجتهاد في مقابل النص[١].

وأشار الى أن العقيدة الشيعية ترى أن تحتكم في أمر السياسة إلى الدين[٢]، لا تحكّم السياسة على الدين، أو غلب المتغيرات السياسية على ثوابت الإسلام ومسلمات أصوله، فضلاً عن أن العقيدة الشيعية ترفض الاجتهاد من أجل السياسة المتخذة لصالح الحكام ولتبرير حكمهم، ولكنها تجتهد في السياسة نفسها على ضوء الدين الاسلامي، ورأى «أن يكون الدين هو الحكم في السياسة والمرجع لها حتى تجري السياسة وراء الدين ولا يجري وراءها تبعاً لها»[٣] بحسب تعبيره، مبيناً في الوقت نفسه أن السياسة المدنية والعلوم الاجتماعية والاقتصادية وقواعد الأخلاق تؤخذ من القرآن الكريم[٤].

أولى السيد الخوئي اهتماماً لطبيعة الحكم في الدولة الاسلامية، فتحدث عن أساليب الادارة الاجتماعية والسياسية التي اعتمدها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على المستويات كافة، خاصة في إدارة المدن وبيت المال والقضاء وقيادة الجند

(١) مرتضى الحكمي: مقدمة موسوعة الإمام الخوئي، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، قم، ٢٠٠٥م، ج١، ص٣٠.

(٢) لم يقتصر الدين الإسلامي على النواحي العبادية فقط، إنما اشتملت أسسه على تنظيم الحياة في شؤونها كافة، ففي الإسلام لا فصل بين الدين والدولة أو السياسة والدين، فهي شأن من شؤون المجتمع وبالتالي فهي جزء من اهتماماته الرئيسة، لذلك بدت تنظيرات ومعالجات فقهية سياسية وسياسية فقهية مع ثورات بناء الدولة الإسلامية. للتفاصيل ينظر: محمّد شقير: فلسفة الدولة في الفكر السياسي الشيعي: ولاية الفقيه نموذجاً، دار الهادي للطباعة، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٢٩-٣٨؛ فرح موسى: الدين والدولة والأمة عند الإمام محمّد مهدي شمس الدين، دار الهادي للطباعة، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٥١-٨٣.

(٣) مرتضى الحكمي: المصدر السابق، ص٣١.

(٤) أبي القاسم الخوئي: البيان في تفسير القرآن، ص٥٨.

والعلاقات مع دول الجوار، فضلاً عن الأسس والثوابت والقيم الانسانية والمبادئ السماوية التي بنيت عليها تلك الدولة، ثم قدّم نموذجاً سامياً من نماذج إدارة الحكم، بإقامة العدالة والمساواة بين الرعية مهما كانت مكانة المرء ومنزلته وقربه من الحاكم، فالرعية عنده سواء، وهذا أرصن مقومات نجاح الحكومة ومقدمات بنائها، وأوجب على الحاكم الأمانة والنزاهة والحفاظ على المال العام، فضلاً عن ترك الاجتهاد الشخصي في صرف المال العام بدون موافقة الولي الشرعي المقترن برضا العامة(١).

وأكّد على أن القرآن الكريم قد تعرض من خلال آياته إلى مختلف الشؤون الدنيوية وتوسع فيها، فقد بحث في الإلهيات والنبوات، ووضع الأصول في تعاليم الأحكام، والقوانين في السياسات المدنية والنظم الاجتماعية وقواعد الأخلاق والقضاء، فضلاً عن تعرضه لأمور أخرى تتعلق بقوانين السلم والحرب والفلك والتاريخ(٢).

شكّل (الجهاد)(٣) ركناً أساسياً في فكر السيد أبي القاسم الخوئي، باعتباره فرضاً (كفائياً) في أصل الشريعة الاسلامية المقدسة، وفرضاً «عينياً» في بعض الأحوال والطوارئ الاستثنائية، فضلاً عن كونه ركناً من أركان الدين الاسلامي، وعده القوة الفاعلة لحماية المجتمع والدولة في المنظور الإسلامي،

(١) أبي القاسم الخوئي: معجم رجال الحديث، ج٥، ص١٣٨-١٤٣؛ سلمان باقر الخفاجي: البعد التاريخي لمعجم رجال الحديث، بحوث المؤتمر العلمي الدولي حول حياة السيد أبي القاسم الخوئي، مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية، النجف الأشرف، ٢٠١٤م، ص٨١-٨٥.

(٢) أبي القاسم الخوئي: البيان في تفسير القرآن،ص٥٨.

(٣) وردت آيات في القرآن الكريم تحث المسلمين على الجهاد منها: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدْ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾، ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا**﴾، ﴿**وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ**﴾. انظر: سورة التوبة، آية: ٧٣؛ سورة البقرة، آية: ١٩٠؛ سورة العنكبوت، آية: ٦.

فإذا ما تعرضا إلى أي خطر يهددهما فلابد من وجود قوة يستندان إليها في درء الأخطار عنهما من قبل القوى الخارجية[١].

وكان السيد أبي القاسم الخوئي من القلائل الذين قالوا بوجوب الجهاد الابتدائي في عصر الغيبة[٢]، إذ رأى أن الظاهر عدم سقوط وجوب الجهاد في عصر الغيبة وثبوته في كافة العصور لدى توفر شرائطه مع الاعتماد على آراء المسلمين من ذوي الخبرة في الموضوع، مبيناً أن الجهاد كان أساساً من أسس نهضة الدولة الإسلامية، فإليه استند الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم في غزواته، والمسلمون في فتوحاتهم، لإعلاء كلمة الاسلام ونشره ودحر الأعداء، في حين أسقط الجهاد على العاجز لمرض أو نحوه، موضحاً في الوقت نفسه رفضه الروايات التي تحرم الخروج على الحكام وخلفاء الجور[٣] قبل قيام القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف[٤].

كان السيد الخوئي ينطلق في ولاية الفقيه من الأمة والمجتمع والمسؤولية العامة[٥]، وكان يرى أن ولاية الله تعالى مطلقة بإطلاق ذاته، وولاية

(١) أبي القاسم الخوئي: منهاج الصالحين - العبادات، ص٣٦٢-٣٦٣.

(٢) أشار السيد محمّد الحسني البغدادي (ت ١٩٧٢م) بوجوب الجهاد الابتدائي في عصر الغيبة. ينظر: محمّد الحسني البغدادي: وجوب النهضة، مطبعة القضاء، النجف الأشرف، ١٩٦٧م، ص٣٦-٣٧.

(٣) أراد معاوية بن أبي سفيان شل الروح الثورية وتثبيت ملكه بسلاح الدين نفسه، فقد حذّر المسلمين من الثورة على الظلم والسعي نحو إقامة نظام عادل، معتبره عملاً مخالفاً للدين، وقد حرّم الثورة على الحاكم حتى لو كان جائراً. ينظر: محمّد مهدي شمس الدين: ثورة الحسين عليه السلام ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية، ط٧، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٦م، ص٩٢-٩٣.

(٤) أبي القاسم الخوئي: منهاج الصالحين - العبادات، ص٣٦٦.

(٥) لم يحصل إجماع بين فقهاء الإمامية على تحديد تاريخ معين لظهور ولاية الفقيه كنظرية سياسية للسلطة، ولم تأخذ موقعها الخاص في ترتيب أبواب الفقه، إلّا مع أحمد النراقي (ت ١٢٤٥هـ)، الذي بحثها وأفردها تحت عنوان مستقل. للتفاصيل ينظر: أحمد عبد الهادي

الرسولﷺ متسعة باتساع نبوته وخاتميتها، وهي مشتقة من الولاية الإلهية على خلقه، ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ**﴾[١]، عاداً لسيرته قولًا وفعلًا ومنهجه القويم في الإدارة مصدراً أساساً لا في التشريع وحسب، إنما منهجاً عملياً وفاعلاً في تنظيمات المجتمع والدولة وعلى الصعد كافة[٢].

وأوضح أن الولاية للإمام علي بن أبي طالبعليه السلام حتمت ولايته على المسلمين، كونها وحسبما أشار أنها ولاية مشتقة من ولاية الرسول محمدﷺ وهي بالتالي مستندة إلى الولاية الإلهية، وإن إمامته جزءٌ متممٌ للرسالة واستمرارٌ لوجودها، عاداً موقف الرسولﷺ في يوم الغدير[٣] بأنه: «موقف تاريخي شامخ ومن مواقفه المعنية بمستقبل الأمة وباختيار سديد لضمان المسيرة الاسلامية في طريقها السليم وصراطها المستقيم بعيداً عما يفسدها من مساوئ التحكم ومنزلقات التسلط وشوائب الأهواء ونوازع النفوس الأمارة بالسوء» على حد تعبيره[٤].

أما ولاية الأئمة المعصومينعليهم السلام قائمة على مستوى إمامتهم، في حين كانت ولاية الفقيه محددة بحدود فقاهته ومسؤوليته في الزعامة، وقد كان للفقيه الجامع للشرائط عدة مناصب، الأول منها منصب الافتاء في المسائل الفرعية والموضوعات المستنبطة وغيرهما مما يحتاج إليه الانسان العامي في عمله، والثاني

السعدون: المرجعية الدينية دراسة في فكرها السياسي ومواقفها السياسية في العراق، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد،٢٠٠٧م، ص٧٣-٧٥.

(١) سورة الأحزاب: الآية ٦.

(٢) مرتضى الحكمي: المصدر السابق، ص١٣-١٥.

(٣) للتفاصيل عن يوم الغدير ينظر: عبد الحسين الأميني: الغدير في الكتاب والسنة والأدب، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٤م، ج١، ص٢٨-٣٠.

(٤) كلمة السيد الخوئي بمناسبة مرور ١٤ قرناً على عيد الغدير الأغر. مجلة الموسم: ١٩٩٠م، ع٧، ص٦٦٩-٦٧٠.

منصب القضاء والحكم في باب المرافعات وغيرها، أما المنصب الثالث ولاية التصرف في الأنفس والأموال، وهو الذي وقع فيه الخلاف حول ثبوت الولاية المطلقة للفقيه الجامع للشرائط، وأن السيد الخوئي ومعظم فقهاء الإمامية يقولون بعدم ثبوتها[١]، وأكّد بعدم قيام الفقيه بمنزلة الإمام عليه السلام في وجوب إطاعته في أوامره الشخصية، أو في نفوذ تصرفاته في الأموال والأنفس من غير اعتبار رضا صاحب المال[٢].

لم يجد أية دلالة على الولاية المطلقة للعلماء من خلال الروايات الواردة بشأن الفقهاء، منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**العلماء أمناء الرسل**»[٣]؛ لأن كونهم أمناء لا يستدعي نفوذ تصرفاتهم في الأموال والأنفس، باعتبار أن معنى الأمين أن لا يخون الوديعة المجعولة عنده من الأحكام أو غيرها، وكذلك ينطبق الحال على قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

(١) اكتفى الشيخ مرتضى الأنصاري (ت ١٨٦٤م) بولاية الفقيه المماثلة لولاية الأب على مال ولده الصغير وخصه بالإفتاء والقضاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقطع طريق البحث في ولاية الفقيه المطلقة، وهكذا أسس لخط فقهي جديد يعتمد الولاية الجزئية للفقيه، وأشار الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت ١٩٥٤م) الى أن ولاية الفقيه المجتهد النائب عن الإمام هي أضيق من ولاية الإمام المعصوم، وتشير الأدلة الى أن له الولاية على الشؤون العامة وما يحتاج إليه نظام الهيئة الاجتماعية، في حين أحيا السيد روح الله الخميني (ت ١٩٨٩م) أطروحة النراقي في ولاية الفقيه المطلقة، وأن للفقيه ولاية على الأموال والأنفس بل هو أولى منهم فيها. للتفاصيل والمقارنة ينظر: محمّد حسين آل كاشف الغطاء: الفردوس الأعلى، ط٢، مطبعة رضائي، تبريز، ١٩٥٣م، ص٥٣؛ مرتضى الأنصاري: المكاسب، تحقيق لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، ط٢، مطبعة باقري، قم، ١٩٩٩م، ج٣، ص٥٠٣؛ الإمام الخميني: الحكومة الإسلامية، ط٨، مؤسسة نشر تراث الإمام الخميني، طهران، ٢٠٠٥م، ص٧٢.

(٢) أبي القاسم الخوئي: موسوعة الإمام الخوئي – التنقيح في شرح المكاسب، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، قم، ٢٠٠٥م، ج٣٧، ص١٥٦–١٧٠.

(٣) محمّد عزة دروزة: التفسير الحديث، ط٢، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ٢٠٠٠م، ج٧، ص٢٨٨.

«**علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل**»[١]، فهو أيضاً لا دلالة فيه على الولاية المطلقة للعلماء بوجه من الأوجه، فإن تشبيههم بأنبياء بني إسرائيل كونهم كانوا مختلفين في مكان دعوة النبوة في المدينة أو القرية أو أقربائه أو نبي في داره، وهذا ينطبق على العلماء، فمنهم عالم في بلدته وآخر في قريته أو في بيته، مع وجوب إطاعتهم في تبليغ الأحكام بمقتضى هذا الحديث[٢].

وبين السيد الخوئي أن الاستدلال بإطلاق الحجة على العلماء في قول الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف: «**هم حجتي عليكم وأنا حجة الله**»[٣]، هو ليست دلالة على الولاية المطلقة، «لأن الحجة مناسبة للإفتاء والقضاء ولا يناسب الولاية على التصرف في الأموال والأنفس» بحسب تعبيره، وقد استدل السيد الخوئي على ولاية الفقيه في الأموال بوجهين، أحدهما أن يتصدى لأمور الصغار والمجانين ويتصرف في أموالهم بالبيع والشراء ونحوهما من لم يكن له خليفة يقوم بهذا الأمر، أما الثاني في خصوص التنازع في ميراث أو دين لا في جميع الأمور، وهذا ظاهر في منصب القضاء والمحاكمة لهم، فلا يستفاد منه في الولاية المطلقة للفقيه بوجه[٤].

نظر السيد أبي القاسم الخوئي إلى الشيوعية كعقيدة فلسفية تناقض أصول الدين الاسلامي الحنيف، فلم تؤمن بالعقيدة الاسلامية أو بنظامها الاجتماعي والاقتصادي، وهي لديه «كفر والحاد»، وقد عُدَّ محاولة نشر الفكر الماركسي في بلاد المسلمين سلاحاً فكرياً بيد الغرب للنيل من البناء العقائدي الإسلامي

(١) محمّد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣م، ج٢، ص٢٢.

(٢) أبي القاسم الخوئي: موسوعة الإمام الخوئي – التنقيح في شرح المكاسب، ج٣٧، ص١٦٦-١٦٧.

(٣) محمّد صادق الروحاني: منهاج الفقاهة، ط٤، المطبعة العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج٤، ص٢٨٣.

(٤) أبي القاسم الخوئي: المصدر السابق، ص١٦٩-١٧٤.

لأبناء الأمة، وقد أشار الى أن: «الشيوعية كنظام اقتصادي واجتماعي تناقض قوانين الاسلام التي يجب على المسلمين كافة الدعوة إليها كما يحرم عليهم الدعوة الى غيرها من النظم الاجتماعية؛ لأن الاسلام وحده خيرة رب العالمين ورسالة خاتم النبيين»[١] على حد تعبيره، وحذر من تنامي الفكر الشيوعي في العراق بحكم انتماءاته العقائدية في مجتمع افترض أنه منغلق على بنائه العقائدي والديني، فلم يتوانَ من الوقوف إلى جانب العلماء ممن اتخذوا مواقف صارمة إزاء المد الشيوعي والشيوعيين وأفتوا بحرمتها والتصدي لمعتنقيها[٢].

ويبدو أن موقفه من الشيوعية، نابع من قلقه العميق إزاء انتشارها في الساحة العراقية بين صفوف العديد من الشباب المسلم، معرباً عن مخاطر ما سيحدثه انتشارها إذا ما تحقق من تغيرات اجتماعية وسياسية، تهز المجتمع وتهدد استقراره.

أوضح أن المستعمر سواء كان انجليزياً أم أميركياً أم فرنسياً أم صهيونياً لم يستطع من مد أخطبوطه في داخل البلاد الإسلامية إلّا بعد أن هدم الجسور التي تربط الأمة الاسلامية بدينها الاسلامي الحنيف، مؤكداً في الوقت نفسه أن العامل الاقتصادي كان السبب الأساس في محاولة المستعمر للسيطرة على بلاد المسلمين[٣].

(١) نص فتوى أبي القاسم الخوئي حول الشيوعية، بتاريخ ٣٠ آذار ١٩٦٠م، ينظر: كاظم الحلفي: الشيوعية كفر وإلحاد، مطبعة القضاء، النجف الأشرف، ١٩٦٠م، ص١٢.

(٢) اتخذ العديد من علماء الإمامية في العراق موقفاً مضاداً للفكر الشيوعي، معززين ذلك بإصدار عدة فتاوى بحرمة الانتماء - وعلى حد تعبيرهم - إلى الفكر الإلحادي. للتفاصيل ينظر: محمّد هادي الأميني: الشيوعية ثورة وتآمر على العقائد والأنظمة الاجتماعية، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٠م، ص٦٣-٦٥؛ كاظم الحلفي: المصدر السابق، ص٦-٢٠.

(٣) عباس علي: المصدر السابق، ٣٠.

وأشار الى أن الحركة الصهيونية تعادي الاسلام وتسعى إلى فرقة المسلمين، وتتحين الفرصة المناسبة لضرب المسلمين، وعبر عن الكيان الصهيوني بأنه: «الطاغي المغتصب الجبار» حيث كان دعاة الصهيونية يستجدون الرحمة من الشعوب التي عاشوا بين ظهرانيها، داعياً في الوقت نفسه إلى وحدة كلمة المسلمين وتناسي الخلافات والشعور بالمسؤولية لمواجهة المخطط الصهيوني[١].

ثانياً: مواقفه السياسية: دراسة في نماذج:

كان السيد أبي القاسم الخوئي متروياً في كثير من الأحيان من إبداء مواقفه السياسية بصورة علنية لاسيما ما يتعلق منها بالأمور الداخلية للعراق، بسبب السياسات الجائرة التي انتهجتها السلطة الحاكمة في العراق بحق كل من يبدي موقفاً يخالف سياستها، يصل إلى بعض الأحيان قيامها باعتقال أو اغتيال المعارضين لسلطتها، وقد تعرض السيد الخوئي لضغوط كبيرة من قبل السلطة، الحد الذي أدى الى عدم السماح بطباعة كتبه الفقهية إلّا بعد حصول موافقة وزارة الإعلام وحذف بعض الفقرات والمسائل التي لا تروق للسلطة[٢]، ويبدو أن السيد الخوئي لم يكن خائفاً على حياته بقدر خوفه على حياة مقلديه من ناحية، وبقاء الحوزة العلمية واستمرارها بتدريس الفقه الإمامي في وقت بدأت التيارات السلفية بفتح مدارسها ونشر تعاليمها المتطرفة في البلدان الاسلامية من ناحية أخرى، ورغم الضغوط التي واجهها، فقد أبدى مواقف إزاء الكثير من الأحداث السياسية سواء كان منها خارج العراق أم في داخله.

(١) مكتبة الإمام الخوئي العامة: بيان السيد الخوئي حول الأحداث في لبنان، بتاريخ ٣ نيسان ١٩٧٨م.

(٢) مكتبة الإمام الخوئي العامة: تقرير وزارة الإعلام العراقية حول حذف فقرات من كتاب السيد الخوئي (الصلاة)، ع٩٦٩ بتاريخ ٧ حزيران ١٩٨٨م.

١- مواقفه من الأحداث الإقليمية:

اتسمت مواقفه بالجرأة والقوة بخصوص الأحداث التي كانت تجري في إيران وما صاحبها من عنف دموي تعرض له الشعب الإيراني المسلم من قبل الشاه محمّد رضا بهلوي[١] وحكومته، وقد دعا الى إصلاح الأوضاع في إيران لاسيما الاقتصادية والسياسية من خلال البيانات والرسائل المتبادلة مع علماء إيران من جهة ومحمد رضا بهلوي من جهة أخرى.

وأشار في رسالة أرسلها إلى الشاه محمّد رضا في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٦٢م، إلى أن أعداء الاسلام ومنذ عدة قرون حاولوا محو الدين الاسلامي واستعباد المسلمين، وإن العلماء قد تصدّوا لهم ولم يصلوا إلى مقاصدهم، ونبّه إلى تزايد تغلغل القوى الاستعمارية داخل إيران، باعتبارها المركز الوحيد للشيعة الإمامية، وأبدى أسفه من موقف الحكومة الإيرانية في تنفيذ مآرب تلك القوى عن طريق إصدارها قوانين جائرة تنافي التعاليم الاسلامية، فضلاً عن قيام الصحف الحكومية بالتطاول على مقام المرجعيات الدينية، واعتبار المقدسات الاسلامية عبارة عن خرافات رجعية وقوانين بائدة لا ترتقى إلى التطور العلمي، وطلب من الشاه أن يوضح أسباب الفوضى التي سادت البلاد، وحذره في الوقت نفسه من أن العلماء الأعلام سوف يدافعون بكل السبل عن المقدسات الدينية[٢].

(١) محمّد رضا بهلوي (١٩١٩م-١٩٨٠م): ولد في ٢٦ تشرين الأول ١٩١٩م وفي عام ١٩٢٥م أصبح ولياً للعهد، التحق بالكلية الحربية بطهران وتخرج فيها برتبة ملازم ثانٍ عام ١٩٣٨م وجرت مراسيم نقل السلطة إليه في ٢٦ أيلول ١٩٤١م بعد تنازل والده عن العرش، استخدم سياسة دموية مع شعبه، توفي بالقاهرة في ٢٧ حزيران ١٩٨٠م. للتفاصيل ينظر: محمّد وصفي أبو مغلي: إيران دراسة عامة، مركز دراسات الخليج العربي، البصرة، ١٩٨٥م، ص٤٤-٤٨.

(٢) مكتبة الإمام الخوئي العامة: رسالة من السيد أبي القاسم الخوئي الى محمّد رضا شاه، بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني ١٩٦٢م.

تجددت الحركة المناوئة لتعاليم الدين الاسلامي ومصالح الأمة الإيرانية بعد شهرين على تلك الرسالة، على الرغم من أن الحكومة الإيرانية كانت تتستر بشعار الإصلاح أو ما عرف بالثورة البيضاء[١]، لذلك أرسل السيد أبي القاسم الخوئي رسالة الى زعيم الحوزة العلمية في الأحواز السيد علي البهبهاني[٢] في ٢٥ كانون الثاني ١٩٦٣م، طالباً منه تنبيه ولاة الأمر بإخماد الأصوات الداعية الى الاستفزاز والقلق بين صفوف المسلمين الايرانيين ولو تطلب إخمادها باستخدام القوة، لاسيما وأن الشعب الإيراني يعيش في ظل وضع اقتصادي محطم، متمنياً في الوقت نفسه من «الشعب الإيراني المسلم وأفرادٍ من الحكومة الذين يهمهم الاحتفاظ بالمملكة الوقوف ضد هذه الأعمال موقف الشهم الغيور على الدين

(١) الثورة البيضاء: وهو المشروع الذي أعلنه الشاه محمّد رضا في ١٩ آيار ١٩٦١م، والمتكون من ست نقاط في بداية الأمر، كان أبرزها تعديل قانوني الإصلاح الزراعي والانتخابات والسماح للمرأة الدخول بالانتخابات مما أقضّ مضاجع رجال الدين، وفي ٢٦ كانون الثاني ١٩٦٣م شرع الشاه بتنفيذ مشروعه، وقد جوبه بردود فعل سلبية من قبل المؤسسة الدينية والمعارضة الإيرانية. للتفاصيل ينظر: عبد السلام عبد العزيز فهمي: تاريخ إيران السياسي في القرن العشرين، مطبعة المركز النموذجي، القاهرة، ١٩٧٣م، ص١٤٥-١٤٨؛ خضير مظلوم البديري: التاريخ المعاصر لإيران وتركيا، دار الضياء، النجف الأشرف، ٢٠٠٩م، ص١٤٩.

(٢) السيد علي البهبهاني (١٨٨٦م-١٩٧٥م): ولد في بهبهان ونشأ بها، درس المقدمات والسطوح على يد علماء المدينة، عام ١٩٠٢م هاجر الى النجف الأشرف لغرض إكمال دراسته في حوزتها وبقي فيها ست سنوات ثم عاد الى بهبهان وانشغل بالتدريس وأداء واجباته الدينية، وفي عام ١٩٥١م سافر الى الأهواز وأقام فيها وأسس حوزة دراسية هناك، عارض بشدة قانون الانتخابات العامة والمحلية الذي أصدره الشاه عام ١٩٦٣م، وذهب الى طهران وقاد حملة استنكار مع مجموعة من العلماء لاعتقال السيد الخميني بعد أحداث المدرسة الفيضية، من بين أبرز مؤلفاته حاشية على العروة الوثقى، وأساس النحو، توفي في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٥م، ودفن في الأهواز. للتفاصيل ينظر: جعفر السبحاني: موسوعة طبقات الفقهاء، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، ٢٠٠٤م، ج١٤، ص٤٣٧.

ويحملون كل قانون يخالف الدين ومصالح الأمة ويضعونه تحت أقدامهم» على حد تعبيره[١].

نفّذ الشاه بنود ثورته البيضاء بعد إجراء الاستفتاء الشعبي على إصلاحاته من خلال الاعتماد على رجال سلطته، وواجه معارضة شديدة من قبل علماء الدين في إيران، فاستغل الشاه ذكرى مناسبة وفاة الإمام الصادق عليه السلام فقامت قواته بالهجوم على مجلس عزاء في المدرسة الفيضية في قم عصر يوم ٢٢ آذار ١٩٦٣م، وتم الاعتداء على الحاضرين وقتل عدد من طلبة العلوم الدينية[٢]، الأمر الذي أدى إلى قيام السيد أبي القاسم الخوئي بإرسال رسالة في ٢ نيسان ١٩٦٣م إلى (٢٤) عالماً من بين أبرز علماء الدين في إيران[٣]، مبيناً فيها انزعاجه من القوانين الجائرة التي تؤيدها الصهيونية والمخالفة للشرع الإسلامي، مهدداً في الوقت نفسه الحكومة الإيرانية بترك وإلغاء تلك القوانين وعدم تكرار حادثة المدرسة الفيضية، ويجب على شاه إيران وحكومته نبذ القوانين المشؤومة وسيتحملون

(١) مكتبة الإمام الخوئي العامة: رسالة من السيد أبي القاسم الخوئي الى السيد البهبهاني، بتاريخ ٢٥ كانون الثاني ١٩٦٣م.

(٢) للتفاصيل عن حادثة المدرسة الفيضية ينظر: جلال الدين المدني: تاريخ إيران السياسي المعاصر، ترجمة سالم مشكور، مطبعة سبهر، طهران، ١٩٩٣م، ص٧٠.

(٣) وهم كل من: السيد محمّد رضا الكلبايكاني والسيد محمّد كاظم الشريعتمداري وروح الله الخميني من مدينة قم، السيد محمّد تقي الخونساري والسيد علي البهبهاني والفلسفي من طهران، السيد الميلاني والقمي من مشهد، الشيخ محمّد الخراساني والسيد حسين الخادمي والسيد أبو الحسن الشمس آبادي من أصفهان، صالحي من كرمان، الآخوند الهمداني من همدان، النجفي البروجردي من بروجرد، الشيخ علي أكبر الاهري من تبريز، الشيخ محمّد صدوقي من يزد، السيد بهاء الدين المحلاتي من شيراز، رامهرمزي من الأهواز، ضياء بري من رشت، كمال وند من خرم آباد، قائمي وأصفهاني من عبادان، والسيد علي اليثربي والنجفي من كاشان. ينظر: مكتبة الإمام الخوئي العامة: أسماء العلماء الذين أرسل لهم السيد الخوئي رسالته، بتاريخ ٢ نيسان ١٩٦٣م.

المسؤولية عن نتائج الأحداث، وأعلن «بأننا سنعمل بآخر ما يجب علينا»[١].

ويبدو أن السيد أبا القاسم الخوئي أراد من رسالته هذه إعلام الأمة الإيرانية وسلطتها الحاكمة أن الحوزة العلمية في النجف الأشرف ترتبط بروابط قوية مع الحوزات العلمية في إيران، وأنه متضامن مع الطلبات المشروعة للشعب الإيراني خاصة في رفضه تدخلات الصهيونية والقوى الغربية بشؤون إيران، والظاهر أن تحذيره الشاه (بالعمل بآخر ما يجب علينا) هو إعلانه الثورة ضد نظام حكمه وتحريم العمل مع الحكومة ومساعدتها.

وهذا الموقف الصلب دفع جمع من علماء إيران في أواخر نيسان ١٩٦٣م الى تقديم رسالة إلى السيد أبي القاسم الخوئي، أوضحوا له فيها الأوضاع المأساوية التي يعيشها الشعب الإيراني المسلم من الرعب والإرهاب، وقيام الحكومة الإيرانية بحبس عدد من العلماء في مدينتي قم وطهران، وقيام الصحافة الإيرانية بنشر مقالات تضلل الحقائق للرأي العام الإيراني والعالمي، وطلبوا من السيد الخوئي استغلال موسم الحج للعام نفسه والقيام بتوضيح الصورة المأساوية التي يتعرض لها المسلمون من الشاه وأجهزته الأمنية، وإرسال بيانات استنكار إلى هيئة الأمم المتحدة وأحرار العالم والإذاعات والصحافة الحرة للتصدي لأعمال الحكومة الإيرانية[٢].

أجابهم السيد الخوئي برسالة في ٨ آيار ١٩٦٣م، أعرب فيها عن قلقه عما تتعرض له المقدسات الاسلامية في إيران من حكومة الشاه، لاسيما بعد تعطيل الدستور الإيراني وارتكابه المجازر الوحشية بالأبرياء من طلبة العلوم الدينية،

(١) مكتبة الإمام الخوئي العامة: رسالة من السيد أبي القاسم الخوئي الى العلماء الأعلام في المدن الايرانية، بتاريخ ٢ نيسان ١٩٦٣م.

(٢) مكتبة الإمام الخوئي العامة: رسالة من علماء إيران إلى السيد الخوئي، بتاريخ نيسان ١٩٦٣م.

متسترين بشعارات وطنية وإصلاحية مزيفة، وأشار الى أن الشعب العراقي قد استنكر إراقة الدماء البريئة في محافل تأبينية وطالبوا بإدانة القائمين بالجريمة، متهماً في الوقت نفسه عملاء الصهيونية بالعبث بمقدسات الناس وثرواتهم، ودعا عامة الشعب الإيراني إلى محاربة أعداء دينه ووطنه، ثم دعا العلماء إلى إرشاد المسلمين إلى واجبهم، حيث قال ما نصه: «... أيها العلماء الأعلام كنا نجاهد ولانزال في إعلاء كلمة الأمة الإيرانية المسلمة وإعلان صرختها وإغاثتها للرأي العام في العالم وسوف يقف العالم الاسلامي والعربي بل العالم كله على حقيقة تلك المآسي التي يكابدها الشعب الإيراني المجاهد وسوف تقف الطغمة الحاكمة أيضاً على استنكار العالم كرد فعل لجرائمهم ومآسيهم وصفقاتهم...»[1].

وعلى إثر تفاقم أحداث الخامس عشر من خرداد الدامية الموافق ٥ حزيران ١٩٦٣م، أصدر السيد الخوئي فتوى دعا فيها الشعب الإيراني الى عدم التعاون مع الظالمين وعدم الوقوف إلى جانب الحكومة الإيرانية في اضطهادها للشعب الأعزل، وجاء فيها: «... وقد صممت الحكومة الإيرانية الحاضرة على تحقيق ما لها من مقاصد فاسدة مخالفة لمقررات الدين الاسلامي تنفيذاً لمخططات المستعمرين والصهاينة في بلادنا الاسلامية وفي سبيل ذلك لم تتورع من القيام بأنواع الظلم والعدوان من الحبس والضرب والقتل لكل من يعلن استنكاره لأعمالها الكافرة من طلاب العلوم الدينية وسائر طبقات المؤمنين بل حتى العلماء الأعلام، وعليه فإن الواجب على كل مسلم أن يمتنع عن معاونة هذه الحكومة الظالمة ومساعدتها مهما كان مقامه وبأية بزة كان...»[2].

وقد حرّم السيد الخوئي في فتواه الصادرة في ٧ حزيران ١٩٦٣م، المشاركة

(١) مكتبة الإمام الخوئي العامة: رسالة من السيد أبي القاسم الخوئي الى العلماء الأعلام في المدن الإيرانية، بتاريخ ٨ آيار ١٩٦٣م.

(٢) مكتبة الإمام الخوئي العامة: فتوى السيد أبي القاسم الخوئي، بتاريخ ٧ حزيران ١٩٦٣م.

في انتخابات مجلس الشورى المقرر إجراؤها في ٢٠ أيلول ١٩٦٣م، باعتبار أن المشاركة في الانتخابات يعد أحد المصاديق الظاهرة لمساعدة الحكومة، معتبراً أن تشكيل المجلس سوف يكون «ساقطاً عن الاعتبار من وجهة النظر الشرعية والدستورية» بحسب ما جاء في الفتوى[١].

ساند السيد الخوئي الحركة الثورية التي قام بها الشعب الإيراني والسيد روح الله الخميني في التصدي لشاه إيران وحكومته، بعد إبعاد ونفي السيد الخميني الى العراق واستقراره في مدينة الكاظمية المقدسة في ٥ تشرين الثاني ١٩٦٥م، اتصل بالسيد الخوئي وطلب منه تهيئة دار لسكنه في مدينة النجف الأشرف، حيث وصلها في الساعة الرابعة عصر يوم ١٢ تشرين الثاني ١٩٦٥م، وبعد ساعات من وصوله زاره السيد الخوئي للاطلاع على أحواله[٢]، الأمر الذي دعا شاه إيران إلى محاولة التقرب من السيد الخوئي لكسب وده لاسيما بعد تقلده المرجعية العليا عام ١٩٧٠م والدعوة إليه بالأعلمية وزعامة الحوزة العلمية، ولكنه فشل في ذلك[٣].

ويبدو أن محمّد رضا شاه أراد بتقربه الاستفادة من ثقله الحوزوي في كل من إيران والعراق، في محاولة منه لسحب تأييده للسيد الخميني أو الوقوف على الحياد منه على أقل التقديرات، لكن موقف السيد الخوئي بقي ثابتاً من الشاه لقناعته بأن له ارتباطات بالصهيونية العالمية وبالموساد الإسرائيلي.

وتزامناً مع اندلاع الثورة الاسلامية في إيران عام ١٩٧٨م، أصدر السيد

(١) مكتبة الإمام الخوئي العامة: استفتاء جمع من الإيرانيين الى السيد أبي القاسم الخوئي حول المشاركة في انتخاب مجلس الشورى الإيراني، بتاريخ ٢٩ آب ١٩٦٣م.

(٢) سيد حميد روحاني: نهضت إمام خميني، چاپ پنجم، چاپخانه عروج، ١٣٨١ش، تهران، جلد دوم، ص١١٧-١٢٢.

(٣) المصدر السابق، ص٥٦٣.

الخوئي بياناً في الأول من كانون الأول ١٩٧٨م الى مراجع التقليد وعلماء الاسلام في إيران، بعد قيام الحكومة الإيرانية بالنيل من العلماء وإلصاق التهم بهم والحط من سمعتهم الاجتماعية، واتباع الأساليب غير الانسانية بحق الشعب الإيراني المسلم، مستخدمة أسلوباً دكتاتورياً تعسفياً في حكم إيران، ثم أشار إلى أن الشاه قام بتسليم المراكز الحساسة في الحكم والادارة في البلاد «للفئات العميلة الضالة البهائية واليهودية» بحسب ما جاء في البيان، وطالب الحكومة الإيرانية بالاستفادة من تجارب الماضي والحاضر والكف عن أساليبها التعسفية بحق الشعب الإيراني والرضوخ لمطالبه واحترام دماء المسلمين وأرواحهم[١].

فكان لموقفه أثر في المقاومة الاسلامية وانتصارها في ثورتها في إيران عام ١٩٧٩م، فساندها بإصداره بياناً في ٢٨ آذار ١٩٧٩م، ذكر فيه جهاد وتضحيات الشعب الإيراني الغيور، الذي استطاع اختيار نظام حكم جديد بكل حرية، وموضحاً رأيه في انتخاب نظام حكم جمهوري اسلامي، مع مراعاة القوانين والحقوق الموضوعة بحيث تكون منسجمة مع مذهب الإمامية باعتبار أن غالبية الشعب الإيراني من الشيعة الإثني عشرية[٢].

ويبدو أن السيد أبي القاسم الخوئي كان يتابع عن كثب سير أحداث الثورة الاسلامية في إيران بقيادة السيد الخميني، بل كان متواصلاً في اتصالاته مع الشعب الإيراني خلال تلك المدة داعماً مؤيداً لتلك الثورة، ولكن لم يجد الباحث أن هناك اتصالات أو رسائل بينه وبين السيد الخميني رغم وجود السيد الخوئي في النجف الأشرف، ويعتقد الباحث أن الاتصالات بينهما كانت بصورة شفهية

(١) بيان السيد أبي القاسم الخوئي الى علماء إيران، بتاريخ الأول من كانون الأول ١٩٧٨م، نقلاً عن صلاح الخرسان: الإمام السيد محمّد باقر الصدر في ذاكرة العراق، مطبعة الوسام، بغداد، ٢٠٠٤م، ص٨٩٧.

(٢) مكتبة الإمام الخوئي العامة: بيان السيد أبي القاسم الخوئي بتاريخ ٢٨ آذار ١٩٧٩م.

وسرية بسبب المراقبة الشديدة من قبل المخابرات العراقية المنتشرة حولهم.

والظاهر أن العلاقة بين الشخصين قائمة بينهما، وقد استمرت بعد انتصار الثورة الاسلامية في إيران، رغم اختلافهم في الفهم الفقهي حول ولاية الفقيه، إذ أرسل السيد الخميني برقية جوابية الى السيد الخوئي بعد الأزمة القلبية التي تعرض لها السيد الخميني في ٢٥ كانون الأول ١٩٨٠م، وقد خاطبه: «السيد أبي القاسم من مراجع التقليد العظام»، فضلاً عن رسالة التعزية التي أرسلها السيد الخميني الى السيد الخوئي بمناسبة وفاة نجله السيد جمال الدين الخوئي في الأول من تموز ١٩٨٤م[١].

رفض السيد الخوئي إصدار بيان ضد الجمهورية الاسلامية الإيرانية بطلب من الحكومة العراقية، على الرغم من ضغوطها خلال الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠- ١٩٨٨)، فقد قام طه ياسين رمضان نائب رئيس الجمهورية عام ١٩٨٦م بزيارة مفاجئة وطلب منه إصدار بيان يستنكر فيه استمرار الحرب ومحملاً مسؤولية استمرارها الحكومة الايرانية، لكنه رفض طلبه، الأمر الذي ادى الى تضييق الحصار عليه واعتقال عدد من تلامذته[٢].

لم يقتصر دعم السيد أبي القاسم الخوئي للشعب الإيراني فحسب، بل كانت له مواقف داعمة للشعب الباكستاني المسلم، بعد النكبة التي أصابته بسبب الإعصار الذي ضرب جزيرة هايتا في خليج البنغال في ١٢ تشرين الثاني ١٩٧٠م، وراح ضحيته أكثر من (٢٥٠) ألف شخص ما بين قتيل ومفقود، وأعرب عن حزنه العميق بنبأ الكارثة المروعة التي نزلت بهم، من خلال

(١) برقية السيد الخميني الى السيد أبي القاسم الخوئي، بتاريخ ٢٥ كانون الثاني ١٩٨٠م؛ رسالة من السيد الخميني الى السيد الخوئي، بتاريخ الأول من تموز ١٩٨٤م، نقلاً عن صلاح الخرسان: المصدر السابق، ص٩٠٨-٩٠٩.

(٢) طراد حمادة: المصدر السابق، ص٢٤٦.

رسالة بعثها للرئيس الباكستاني في ٢١ تشرين الثاني ١٩٧٠م، وفي الوقت نفسه وجه نداء إلى مسلمي العالم «أن يمدّوا يد العون والمساعدة بجميع ما يمكنهم لإخوانهم»[١].

كما دعم الشعب الباكستاني في بيان في ٩ آذار ١٩٨٠م، رحّب فيه بتطبيق التعاليم الاسلامية في دولة باكستان، وأكّد على أن الشيعة والسنة يعيشون معاً في هذا البلد، ويجب على الحكومة مراعاة القوانين بحسب معتقدات كل طائفة، سواء منها الادارية أم الاجتماعية أم الاقتصادية، وأوجب على الشعب الباكستاني الغيور بعدم التفرقة والوحدة بينهما، والتصدي للأخطار المحيطة بهم من الشرق والغرب، مؤكداً على الحكومة الباكستانية الحفاظ على حقوق الشيعة، لاسيما قانون الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والمواريث، تجنباً للمشاكل التي قد تعصف بالبلاد[٢].

٢- مواقفه من القضايا العربية:

على الصعيد العربي، استأثرت القضية الفلسطينية اهتمام السيد أبي القاسم الخوئي[٣]، بسبب الجرائم البشعة التي ارتكبتها القوات الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني، ففي أثناء العدوان الإسرائيلي على الأراضي العربية في ٥ حزيران

(١) جريدة الحياة، لندن، ع٧٦٣٧، بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٠م.

(٢) مكتبة الإمام الخوئي العامة: بيان السيد أبي القاسم الخوئي للشعب الباكستاني، بتاريخ ٩ آذار ١٩٨٠م.

(٣) للتفاصيل عن مواقف السيد أبي القاسم الخوئي من مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الأردن عام ١٩٧٠م، والحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٧٣م، واتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٨م، ينظر: محمّد جواد جاسم الجزائري: تاريخ مدينة النجف الأشرف الاجتماعي ١٩٦٨م-١٩٧٩م، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠١٤م، ص٢١٧-٢٢٢.

١٩٦٧م، أقام مجالس تأبينية على أرواح شهداء فلسطين، كما بعث برسالة إلى رئيس الوزراء الإيراني أمير عباس هويدا في حزيران ١٩٦٧م، طالبه فيها بقطع علاقات إيران مع إسرائيل، وضرورة مساندة البلدان الاسلامية المدافعة عن مقدسات المسلمين في فلسطين المحتلة، وألزم «حكومة إيران بالإسراع في إعلان موقفها ضد إسرائيل وقطع النفط عنها» على حد تعبيره(١).

وبعد قيام إسرائيل باحتلال منطقة جنوب لبنان في ١٤ آذار ١٩٧٨م، أصدر السيد الخوئي بياناً في ٢٨ آذار ١٩٧٨م، أوضح فيه قيام العدو الصهيوني بتشريد العوائل من ديارهم ولاذوا في العراء، وطلب من الحكومات الاسلامية أن يتركوا خلافاتهم جانباً ويوحدوا صفوفهم ويجمعوا قدراتهم، وأن يقفوا ويتعاضدوا بوجه العدو الإسرائيلي لتخليص أهالي جنوب لبنان الذين ينتظرون المساعدة والعون وتخفيف المصائب عنهم، وقد أبلغ وكلاءه في طهران بإعطاء الحقوق الشرعية من سهم الإمام عجل الله فرجه الشريف إلى علماء لبنان لصرفه عليهم(٢).

ثم أصدر بيانين آخرين حول المأساة التي تعرض لها أهالي لبنان في الثالث والرابع من نيسان ١٩٧٨م، استنكر فيهما الاعتداء الصهيوني على الأراضي الاسلامية الذي راح ضحيته عدد من الأرواح البريئة، وطلب من المسلمين الميسورين القيام بما يستطيعون من مساعدتهم مادياً، وتفقد اليتامى والمصابين من جراء هذا الاعتداء، وأبلغ وكلاءه في كافة المدن الاسلامية بتحويل الحقوق الشرعية من سهم الامام عجل الله فرجه الشريف إلى حساب (١٥١٦٦) في بنك ملي في طهران ثم

(١) نص رسالة السيد أبي القاسم الخوئي الى أمير عباس هويدا رئيس الوزراء الإيراني، بتاريخ حزيران ١٩٦٧م، نقلاً عن سيد حميد روحاني: المصدر السابق، ج٢، ص٢٣٦.

(٢) مكتبة الإمام الخوئي العامة: بيان السيد أبي القاسم الخوئي حول احتلال جنوب لبنان، بتاريخ ٢٨ آذار ١٩٧٨م.

تحويله الى الثقات في لبنان لصرفه على العوائل المنكوبة من هذه الأحداث[١]، ويبدو أن السيد الخوئي وضع حساباً له في طهران لتسهيل قيام الايرانيين بإيداع حقوقهم الشرعية، لاسيما أن سفر الايرانيين الى العراق كان شبه مقطوعٍ في تلك المدة، إذ إن الحكومة العراقية منعت دخول الايرانيين الى العراق، فضلاً عن قيامها بتسفير الإيرانيين أو المجنسين بالجنسية العراقية كونهم من أصول إيرانية.

أرسل رسالة إلى أعضاء جمعية الهداية والإرشاد العلمية في بيروت في نيسان ١٩٧٨م، عبّر فيها عن استيائه العظيم تجاه تلك الحوادث الأليمة التي سببها «عدو حاقد» وما خلفته الفظائع الإسرائيلية من القتل والتدمير والحرق والتشريد كفيل بإيقاظ الضمائر الحية في كل أرجاء العالم لصد العدو من اعتدائه المتكرر على البلدان الاسلامية، وأشار الى أن «هناك حاجة ماسة الى تفهم كامل لأبعاد القضية الراهنة دون التأثر بالخطوط التي تحاول إخفاء المعالم الواقعية، وهذا يقتضي من جميع الأمة الاسلامية والمسلمين بوجه أخص إدراكاً واسعاً ونظرة عميقة حول القضية»[٢].

وفيما يخص ما نسب إليه من قبل الإذاعات السعودية حول تأييده الإعدامات التي نفذتها الحكومة السعودية بحق (١٦) كويتياً في أربعينية الإمام الحسين عليه السلام عام ١٤١٠هـ الموافق ٢٢ أيلول ١٩٨٩م، المتهمين بتفجيرات الحرم المكي في موسم الحج من نفس العام، وجاء في نص جوابه:

«إن ما نقلته الإذاعة السعودية وغيرها من الإذاعات العالمية وما نشر في

(١) مكتبة الإمام الخوئي العامة: بيان السيد أبي القاسم الخوئي حول احتلال جنوب لبنان، بتاريخ ٣ نيسان ١٩٧٨م؛ بيان السيد أبي القاسم الخوئي حول احتلال جنوب لبنان، بتاريخ ٤ نيسان ١٩٧٨م.

(٢) مكتبة الإمام الخوئي العامة: رسالة السيد أبي القاسم الخوئي الى جمعية الهداية والإرشاد، بتاريخ نيسان ١٩٧٨م.

بعض الصحف من أنه قد صدر التأييد من قبلنا حول الاعدامات التي نفذت بحق الحجاج الكويتيين يوم أربعين سيد الشهداء عليه السلام افتراء وكذب محض ولم يصدر من قبلنا أي شيء حول الموضوع»[١].

غير أن الحكومة السعودية أرادت تضليل الرأي العام الاسلامي بتبرير أحكام الإعدام التي نفذت بحق الأبرياء الكويتيين، ونشر البلبلة في أوساط المسلمين، والنيل من مقام السيد أبي القاسم الخوئي، فضلاً عن إثارة الشكوك في نفوس مقلديه لاسيما الكويتيين منهم.

٣- مواقفه من القضايا المحلية:

كان للسيد الخوئي موقفٌ واضحٌ من التطورات التي حلّت بالعراق[٢]، فقد سار على نهج مراجع النجف الأشرف في إدارة الحوزة العلمية في المدينة، على الرغم من أجواء الإرهاب المتصاعدة من السلطة، فحصر اهتمام المؤسسة الدينية كما كان سائداً بالعلوم والفقه وعدم التدخل بالشؤون السياسية العامة، إلّا حينما تتعرض بيضة الإسلام إلى الخطر[٣]، على الرغم من معارضته غير المعلنة لنظام الحكم في العراق خلال زعامته الدينية، لكنه لم يعتمد أسلوب المواجهة العنيفة من أجل الحفاظ على بقاء المرجعية الدينية والحوزة العلمية بعد انخفاض أعداد الطلبة في المدارس الدينية بسبب التهجير والإعدامات التي اتبعها نظام الحكم

(١) مكتبة الإمام الخوئي العامة: جواب السيد أبي القاسم الخوئي حول إعدام الكويتيين، بتاريخ ٤ تشرين الأول ١٩٨٩م.

(٢) للتفاصيل عن مواقف السيد أبي القاسم الخوئي من قيام السلطة العراقية بتسفير التبعيات غير العربية في العراق عام ١٩٧٠م، وتأميم شركة نفط العراق عام ١٩٧٢م، ينظر: محمّد جواد جاسم الجزائري: المصدر السابق، ص١٧٨، ٢١٣.

(٣) مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية: الشهيد محمّد تقي الخوئي، ط٣، مؤسسة إحياء تراث الإمام الخوئي، قم، ٢٠٠٣م، ص٥٨.

في العراق منذ عام ١٩٦٨م[١].

وبعد احتلال القوات العراقية للكويت في ٢ آب ١٩٩٠م، وقيامها بعملية النهب والسلب لأملاك ومحال والدور ودوائر الدولة الكويتية، عارض السيد الخوئي تلك الأعمال التي قام بها وأصدر فتوى تحرم تداول البضائع الكويتية بيعاً وشراءً معداً الأراضي الكويتية مغصوبة لا يجوز للجندي وغيره الصلاة فيها[٢]، وفي الوقت نفسه، استنكر قيام قوات التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأميركية بالتحشيد العسكري لتحرير الكويت واحتلال العراق، وقد أصدر بياناً في ٢٣ كانون الثاني ١٩٩١م، استنكر فيه قيام القوى الاجنبية بالاعتداء على البقاع المقدسة والمناطق السكنية وقتل العزّل من الناس، وقد جاء في نصها: «... تمر الأمة الاسلامية في هذه الأيام وبسبب تفرق كلمتهم بظروف قاسية وفجائع مؤلمة ومحن تحز في نفس كل غيور مما أدى الى اعتداء الكفار عليهم وإراقة الدماء البريئة وانتهاك الحرمات والاعتداء على المقدسات... ومما يزيد في النفس ألماً أن يكون ذلك بفعل الأجنبي الكافر الذي ما انفك يوماً عن العمل جاهداً للوقيعة بين المسلمين وتحطيم مبادئهم وطمس معالم حضارتهم... نهيب بأبنائنا المسلمين جميعاً أن يرجعوا الى رشدهم ويعوا ظرفهم الذي يمرون به فيجمعوا شملهم ويوحدوا كلمتهم ويصونوا دماءهم ويحلوا مشاكلهم فيما بينهم غير مستعينين في ذلك بالكفار...»[٣].

(١) محمّد صادق محمّد باقر بحر العلوم: النجف الأشرف بين المرجعية والسياسة، دار الزهراء للطباعة، بيروت، ٢٠٠٩م، ص٢٧٤؛ علي عبد الأمير علاوي: احتلال العراق ربح الحرب وخسارة السلام، ترجمة عطا عبد الوهاب، دار الفارس للنشر، عمان، ٢٠٠٩م، ص٤٥.

(٢) أحمد عبد الهادي السعدون: المصدر السابق، ص١٥٧.

(٣) مكتبة الإمام الخوئي العامة: بيان السيد أبي القاسم الخوئي حول غزو العراق، بتاريخ ٢٣ كانون الثاني ١٩٩١م.

ومن نتائج الاحتلال العراقي للكويت، تدمير العراق اقتصادياً وعسكرياً وفقدان الدولة سيطرتها على الوضع، مما أدى إلى وقوع الانتفاضة الشعبانية[١] في النجف الأشرف ظهر يوم الأحد ١٦ شعبان ١٤١١هـ الموافق ٣ آذار ١٩٩١م، تحول دار السيد أبي القاسم الخوئي الى مركز رئيسي للقيادة وتنظيم أمور المدينة، وكان لأبنائه دور رئيسي في قيادة الانتفاضة، وأصدر بياناً في ٥ آذار ١٩٩١م، أكّد فيه بالحفاظ على بيضة الاسلام ومراعاة مقدساته باعتباره أمراً واجباً على كل مسلم، ودعا المواطنين بالالتزام بالقيم الاسلامية الرفيعة برعاية الأحكام الشرعية رعاية دقيقة في كل أعمالهم وتصرفاتهم، والحفاظ على المؤسسات العامة وممتلكات الناس وأموالهم وأعراضهم، وطالب بدفن جميع الجثث الملقاة بالشوارع وفق الموازين الشرعية، وعدم «التسرع في اتخاذ القرارات الفردية غير المدروسة والتي تتنافى والأحكام الشرعية والمصالح العامة»[٢].

ومن أجل حفظ دماء المسلمين والحفاظ على النظام واستتباب الأمن والاستقرار والإشراف على الأمور العامة والشؤون الدينية والاجتماعية، أصدر بياناً آخر في ٨ آذار ١٩٩١م يقضي بتعيين لجنة عليا تقوم بالإشراف على إدارة

(١) بعد حرب الخليج الثانية، انطلقت انتفاضة شعبية في مناطق جنوب وشمال العراق، سميت بالانتفاضة الشعبانية لقيامها في شهر شعبان من العام الهجري، وقام المواطنون بمحاصرة المعسكرات والدعوة إلى إسقاط نظام الحكم، وبعد قيام القوات العسكرية الموالية للحكومة بعمليات قمع للمواطنين تحول الأمر إلى انتفاضة شعبية تصدت للقوات الحكومية، واندلعت الانتفاضة في (١٤) محافظة واستمرت إلى أن تم إبادتها باستخدام الأسلحة الثقيلة والصواريخ التي قصفت المدن، وحدث من جرائها إبادة بشرية كبيرة. للتفاصيل عن الانتفاضة الشعبانية ينظر: زهراء حسون الفحام: انتفاضة ١٩٩١م في العراق – النجف الأشرف أنموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات، ٢٠١٤م.

(٢) مكتبة الإمام الخوئي العامة: بيان السيد أبي القاسم الخوئي حول الانتفاضة الشعبانية، بتاريخ ٥ آذار ١٩٩١م.

الشؤون كلها، وطلب من المؤمنين الانصياع لأوامرهم وإرشاداتهم ومساعدتهم في إنجاز مهامهم، وهم كل من: السيد محيي الدين الغريفي، السيد محمّد رضا الخلخالي، السيد جعفر بحر العلوم، السيد عز الدين بحر العلوم، السيد محمّد رضا الخرسان، السيد محمّد السبزواري، الشيخ محمّد رضا شبيب الساعدي، السيد محمّد تقي الخوئي والسيد محمّد صالح عبد الرسول الخرسان[1]، وكان هؤلاء من وكلائه المقربين، وهم نخبة من أصحاب الفضيلة ممن يعتمد على كفاءتهم وحسن تدبيرهم، غير أن سلطة بغداد استطاعت إعادة سيطرتها على مدينة النجف الأشرف، وقامت قوة عسكرية في ٢٠ آذار ١٩٩١م بمحاصرة بيت السيد الخوئي واقتحامه، وتم اعتقاله مع أبنائه والذهاب به إلى بغداد، وإجباره على إجراء لقاء مع رئيس السلطة القائمة آنذاك وبثها على وسائل الإعلام، لكي يضللوا بعض الناس بأن السيد أبي القاسم الخوئي غير موافق على ما جرى من أحداث خلال الانتفاضة الشعبانية.

لم تتوقف اهتماماته وخدماته بالشؤون الاجتماعية عند حدٍّ معين على الرغم من مضايقات السلطة، بل كان بمثابة الأب المشفق على أبنائه، وقد تجلت هذه المشاعر الأبوية بشكل عملي واضح في المحن والشدائد التي حفلت بها الأمة الإسلامية، فعلى سبيل المثال لا الحصر، قام السيد الخوئي في ١٦ آذار ١٩٩١م بإرسال وكيله في خراسان إلى جنوب إيران للإشراف على توزيع المساعدات الى العوائل العراقية المشردة في المخيمات، بسبب اضطهاد السلطة العراقية لهم بعد ضرب الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١م، وقد بلغت قيمة المساعدات العينية والنقدية (١٠٨,٢٢٨,٧٦٠) تومناً إيرانياً، فضلاً عن توزيع مبالغ خاصة لحالات الولادة والوفاة والمرض، علاوة على فتح مستشفى بإدارة

(١) مكتبة الإمام الخوئي العامة: بيان السيد أبي القاسم الخوئي حول تعيين لجنة عليا، بتاريخ ٧ آذار ١٩٩١م.

أطباء عراقيين، فيما بلغت قيمة المساعدات في ٤ نيسان ١٩٩٢م مبلغاً قدره (٦,٧٣١,٠٠٠) تومان[١].

الخاتمة:

تعد مدرسة السيد أبي القاسم الخوئي امتداداً لمدرسة الشيخ الطوسي المعروف بشيخ الطائفة، وكانت لآثاره العلمية المتميزة أثرها الفاعل في تثبيت معالم النهضة الجديدة في أوساط الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وفي توحيد كوادرها المتقدمة والسير بذات الطريق الذي سلكه، وقد انفرد السيد الخوئي بلقب «زعيم الحوزة العلمية في النجف الأشرف».

لم يشتهر السيد الخوئي بالتخصص في حقل الفلسفة رغم دراسته إياها، بل اشتهر بالفقه والأصول والتفسير والرجال من خلال مؤلفاته الفقهية والأصولية، ويمكننا القول إن السيد الخوئي ومن خلال نظرياته الأصولية، يعد من بين أبرز المجددين بعلم الأصول في تاريخنا المعاصر، فقد أبدع أفكاراً متألقة ونظريات حديثة في الأبحاث الأصولية، أغنى بها طلبة الحوزة العلمية بالنجف الأشرف.

تطابق رأيه مع بعض فقهاء الإمامية في عدم ثبوت الولاية المطلقة للفقيه الجامع الشرائط، إذ لم يعط للفقيه الولاية التشريعية؛ لأنها مختصة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم تصديقاً للنبوة وبالإمام المعصوم تثبيتاً للإمامة، فهو لا يؤمن بالسعة التي يراها أنصار الولاية العامة، وبالتالي أعطاه ولاية الحكم والفتوى، وإن عدم إيمانه بولاية الفقيه المطلقة لا يعني عدم التدخل في أمور السياسة إذا اقتضت الضرورة ذلك، ولكن دون أن يتعداها إلى مسألة التفكير بالسلطة وتوليها، وقد كانت له

(١) مكتبة الإمام الخوئي العامة: التقرير السنوي لمركز مساعدات الشيعة المشردين في مدينة دزفول، بتاريخ ٤ نيسان ١٩٩٢م.

آراؤه السياسية في طبيعة الدولة والحكم.

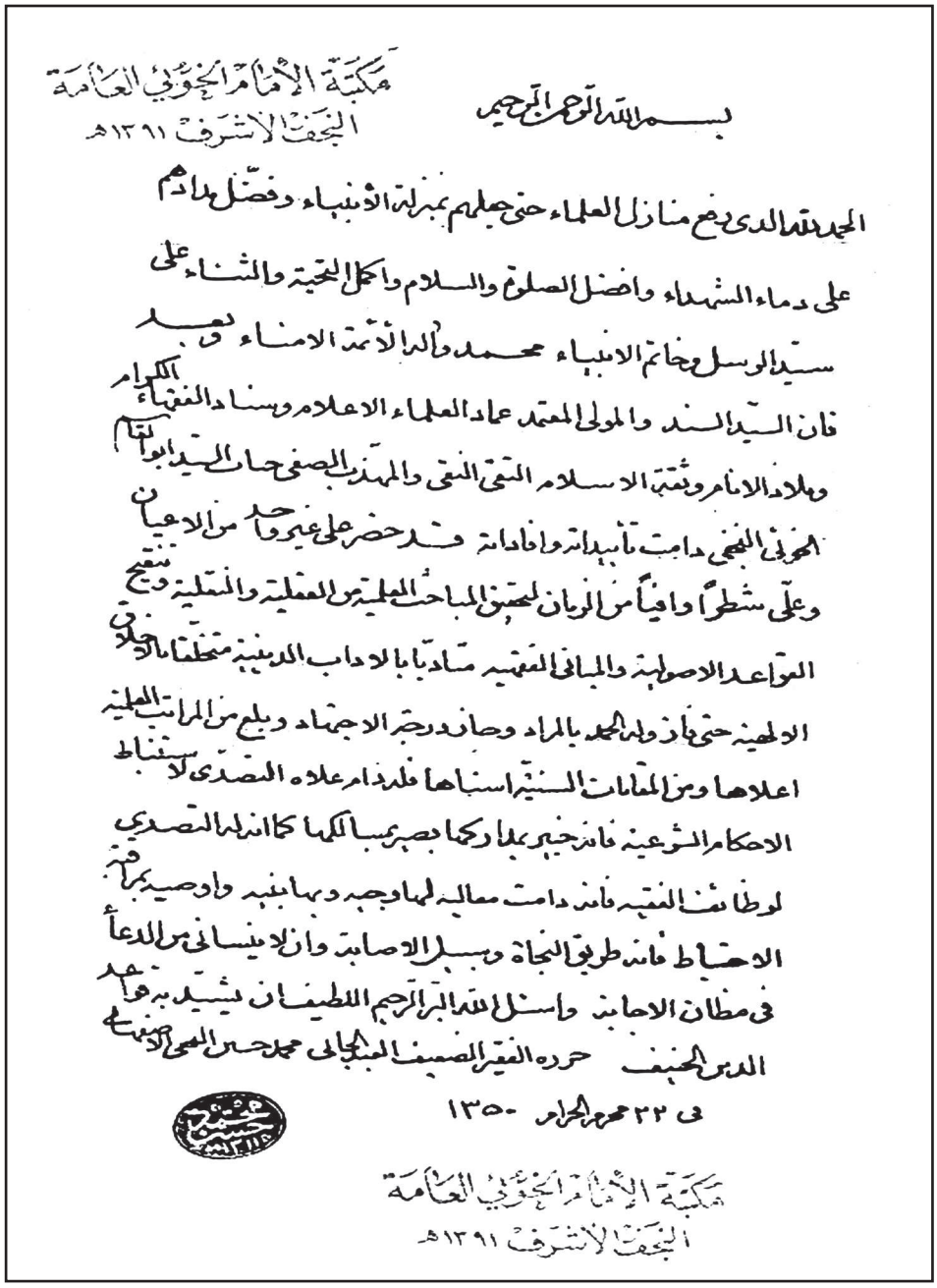
امتلك شجاعة نادرة في مواجهة الحكام المتسلطين على الأمة الإسلامية، وظهر ذلك جلياً من خلال مواقفه المساندة للشعب الإيراني والتصدي إلى سياسة الشاه الدموية، والأخير حاول كثيراً التقرب إليه لكي يضمن هدوء الشارع الإيراني والسيطرة على ثورته.

لم يتدخل السيد الخوئي في حياة العراق السياسية، حفاظاً على وجود الحوزة العلمية وأبعادها عن بطش السلطة قدر الإمكان، ودفع الضرر عن طلبتها، خصوصاً وأن النظام الحاكم في العراق كان يعد المرجعية الدينية عدوه اللدود وإن لم يعلن ذلك هو الآخر.



الملحق رقم (١): إجازة الاجتهاد من الشيخ محمّد حسين الأصفهاني الكمباني

الى السيد أبي القاسم الخوئي[1]



مكتبة الإمام الخوئي العامة
النجف الأشرف ١٣٩١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع منازل العلماء حتى جعلهم بمنزلة الأنبياء وفضّل مداد
على دماء الشهداء وأفضل الصلوات والسلام وأكمل التحية والثناء على
سيد الرسل وخاتم الأنبياء محمد وآله الأئمة الأمناء وبعد
فإن السيد السند والمولى المعتمد عماد العلماء الأعلام وسناد الفقهاء الكرام
وملاذ الأنام وثقة الإسلام التقي النقي والمهذب الصفي جناب السيد أبو القاسم
الخوئي البهبهاني دامت تأييداته وإفاداته قد حضر عليّ غير واحد من الأعيان
وعلى شطراً وافياً من الزمان لتحسين المباحث العلمية من العقلية والنقلية وتنقيح
القواعد الأصولية والمباني الفقهية مستأنساً بالآداب الدينية متخلقاً بالأخلاق
الإلهية حتى فاز ولله الحمد بالمراد وحاز درجة الاجتهاد وبلغ من المراتب العلمية
أعلاها ومن المقامات السنية أسناها فلذا رأيت علاه التصدي لاستنباط
الأحكام الشرعية فإنه خير بلاد ركبها بصير بما أشكلها كما أنه لها المتصدي
لوظائف الفقيه فإنه دامت معاليه لها وجيه وبها نبيه وأوصيه بمراقبة
الاحتياط فإنه طريق النجاة وسبيل الإصابة وإن لا ينساني من الدعاء
في مظان الإجابة وأسأل الله البر الرحيم اللطيف أن يشيد به قواعد
الدين الحنيف حرره الفقير الضعيف المبتهل إلى الله تعالى محمد حسين الحسيني الكمباني

في ٢٢ محرم الحرام ١٣٥٠

مكتبة الإمام الخوئي العامة
النجف الأشرف ١٣٩١هـ

(١) مكتبة الإمام الخوئي العامة: نص إجازة الاجتهاد من الشيخ محمّد حسين الأصفهاني للسيد

الملحق رقم (٢): رسالة من السيد أبي القاسم الخوئي الى محمّد رضا شاه[1]

مكتبة الإمام الخوئي العامة
النجف الأشرف ١٣٩١هـ

متن تلگراف حضرت آیت الله العظمی آقای حاج سید

أبو القاسم خوئی مد ظله به شاه ایران

اعلیحضرت محمد رضا شاه پهلوی - تهران

از قرون متمادی دشمنان اسلام از نظر اضمحلال دین وبرده ساختن مسلمانان در صدد تفریق دو قوهٔ روحی ومادی آنها بر آمده وبفضل الٰهی در اثر تنبه اولیای امور وعلماء اعلام بمقصد خود نائل نگشته اند.

در حال حاضر زمینه را قابل دیده بفعالیت پردا ختند که ضربت مهلك خود را بر پیکر کشور اسلامی وارد سازند.

بسیار جای تأثر وتأسف است که سقوط وانحطاط مملکت اسلامی ویگانه مرکز تشیع بحدی برسد که زمامداران آن آلت ووسیلهٔ انجام مقاصد شوم آنها گردند.

ماچندی قبل مفاسد تصویبنامهٔ شوم وجعل قوانینی بر خلاف مقررات اسلام را تذکر داده واعلام خطر نمودیم با اینحال شاه باکمال جدیت ازان قوانین دفاع کرده ودر اثرآن روزنامه های مزدور وخائن بهائه بدست آورده نسبت بمقام روحانیت هتاکی نموده بلکه مقدسات اسلام را خرافات وارتجاع سیاه وقوانین پوسیده نامیدند.

البته حکم چنین اشخاص در شرع مطهر معین ومبین است. ماجداً از شخص شاه خواستاریم که اسباب اغتشاش مملکت ونارا حتی عموم مسلمانان جهانرا مرتفع سازند.

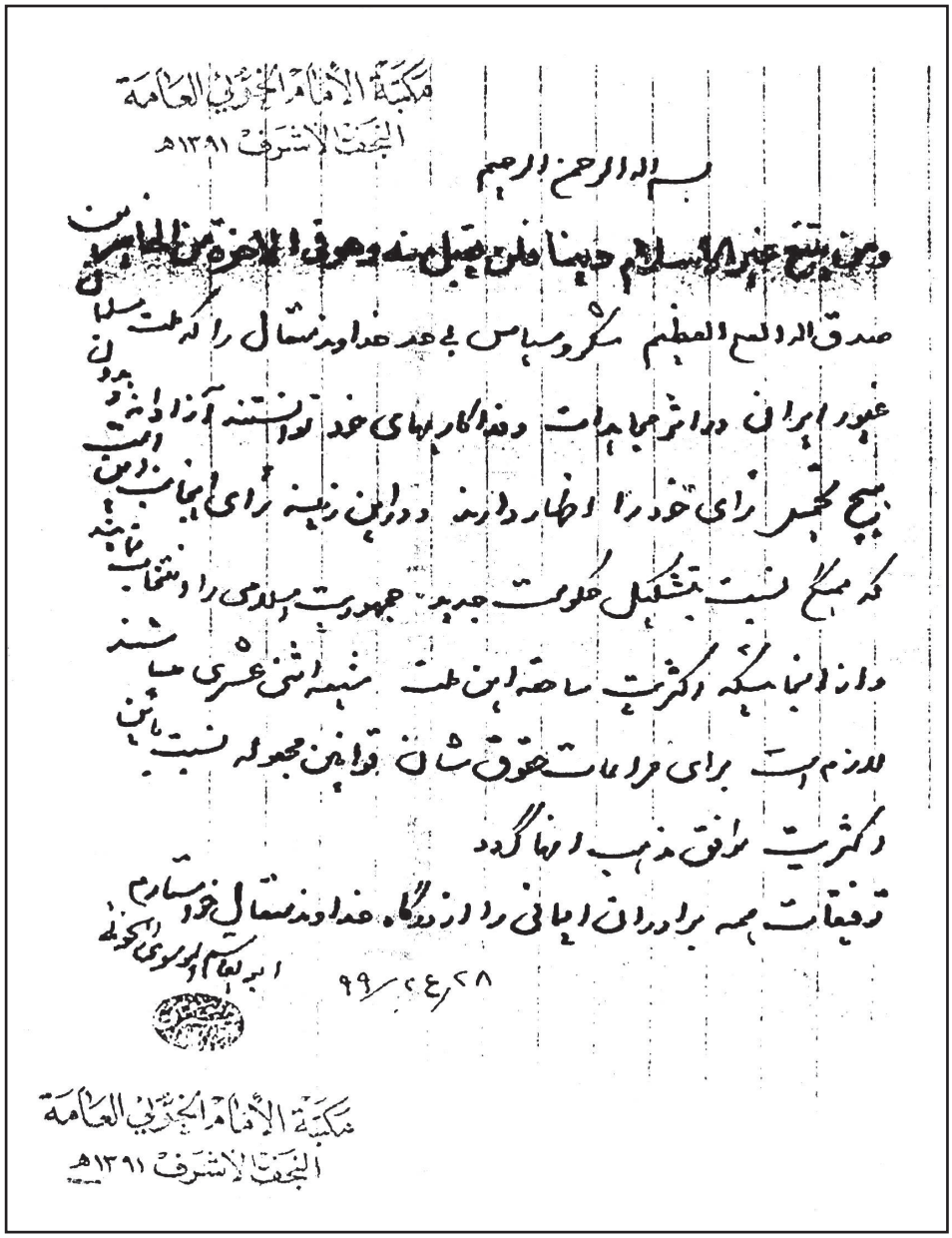
علماء اعلام وعموم طبقات مسلمانان با اتکال بحول وقوهٔ الٰهی از مقدسات دین تا آخرین نفس دفاع خواهند نمود. علی الله توکلنا ربنا افتح بیننا وبین قومنا بالحق وانت خیر الفاتحین.

غرهٔ ذیقعده / ٨٢ ابو القاسم الموسوی الخوئی

أبي القاسم الخوئي، بتاريخ ٩ حزيران ١٩٣١م.

(١) مكتبة الإمام الخوئي العامة: رسالة من السيد أبي القاسم الخوئي الى محمّد رضا شاه، بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني ١٩٦٢م.

الملحق رقم (٣): تأييد السيد أبي القاسم الخوئي نظام الحكم الجمهوري الإسلامي في إيران عام ١٩٧٩م[1]


مكتبة الإمام الخوئي العامة
النجف الأشرف ١٣٩١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين

صدق الله العلي العظيم شكر و سپاس بي حد خداوند متعال را كه ملت مسلمان
غيور ايران در اثر جهادات و فداكاريهاى خود توانستند آزادى و
هيچ مجلس راى خود را اظهار دارند و در اين زمينه راى اينجانب را من
كه هيچ نسبت بتشكيل حكومت جديد جمهورى اسلامى را انتخاب نمايند
و از اينجا كه اكثريت ساحة اين ملت شيعه اثنى عشرى مى باشند
لازم است براى مراعات حقوق شان قوانين مجموعه نسبت باين
و اكثريت موافق مذهب ايشان گردد
توفيقات همه برادران ايمانى را از درگاه خداوند متعال خواستارم

ابو القاسم الموسوى الخوئى
٢٨/٢/٩٩

مكتبة الإمام الخوئي العامة
النجف الأشرف ١٣٩١هـ

(١) مكتبة الإمام الخوئي العامة: بيان السيد أبي القاسم الخوئي يؤيد نظام الحكم الجمهوري الإسلامي في إيران، بتاريخ ٢٨ آذار ١٩٧٩م.

الملحق رقم (٤): نداء السيد أبي القاسم الخوئي الى الأمة الإسلامية عام ١٩٧٠م[1]

نـــــداء

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الاخطار المحدقة بالامة الاسلامية لتدعو المسلمين - اليوم - الى مزيد من الحـــذر واليقظة ، وتفرض عليهم - اكثر من أي وقت - وحدة الكلمة ، ورص الصفوف ، وإعداد القوة التي ترهب منها الاعداء .

انني اناشد المسلمين - عامة - واهيب بهم ان يتجنبوا أي عمل من شأنه ان يضعف قوتهم وشوكتهم ، ويمكّن منهم اعداءهم ، ويعود عليهم بالويل والخسران ، كما ادعوهم الى التمسك بحقهم ، والتصلب مع اعدائهم والدفاع عن كرامتهم . وان يبذلوا كل ما يقرب نصرهم ، ويحرر أرضهم ، ويصون مقدساتهم وشعائرهم من دنس الكفار وارجاسهم .

ان المسلمين - على اختلاف شعوبهم - ليعانون القلق والاضطراب ازاء هذه المآسي والاحداث الدائرة الآن على مقربة من العدو الصهيوني الغادر . والله سبحانه أسأل ان يمنحنا القوة والمنعة ، وان يجعل لنا من امرنا رشداً ، وان يحقق لنا الغلبة على اعدائنا ، والمتربصين بنا ، وان تكون كلمتنا هي العليا وكلمتهم هي السفلى ، وان يكون لنـــا الاسلام مناراً وهادياً ، وقائداً الى النصر . والله بالغ امره . ان الله عزيز ذو انتقام .

النجف الاشرف
٢٢ رجب ١٣٩٠

ابو القاسم الموسوي الخوئي

مكتبة الإمام الخوئي العامة
النجف الاشرف ١٣٩١هـ

(١) مكتبة الإمام الخوئي العامة: نداء السيد أبي القاسم الخوئي الى الأمة الاسلامية، بتاريخ ٢٣ أيلول ١٩٧٠م.

الملحق رقم (٥): بيان السيد الخوئي حول أحداث جنوب لبنان عام ١٩٧٨م[1]

بيان من المرجع الاعلى سماحة الامام الخوئي دام ظله

مكتبة الإمام الخوئي العامة
النجف الاشرف ١٣٩١هـ

حول الأحداث الجارية في جنوب لبنان

أيها المؤمنون الكرام : ـ

وصلتنا انباء تفيد : أن العدو الصهيوني قد قام بتدنيس الأراضي الاسلامية في جنوب لبنان وأحتل قسماً من تلك الأراضي وشرّد مئات الألوف من ابنائها وجعل الشيوخ والنساء والأطفال رهن الضياع وقتل المئات من النفوس البريئة وهدم المدن والقرى وحولها الى أنقاض ،وحرق الدور والمزارع ويتقدم بأسلحته الفتاكة الى منطقة لا تملك الدفاع عن نفسها .

وهذه النكسة وان أصابت نفوساً عزيزة علينا من الاخوان والأبناء الا أن شعورنا بالأسى والأسف أشمل وأعمق لهذه الحادثة من حيث الأثر في عزة الاسلام وكرامة المسلمين ، لقد أخذ المسلمون يتلقون الضربات الواحدة تلو الأخرى من عدو لم يكن له حول ولا طول للابقاء على نفسه ولاستمراره في الحياة وكان منذ قرون عديدة يستجدي الرحمة من الشعوب التي يعيش هو بين ظهرانيها واستغلّ كسائر أعداء الاسلام الشقاق والنفاق والخلاف بين الشعوب الاسلامية وطوائف المسلمين وظهر بمظهر الجبار الطاغي المغتصب هذا وان الله تبارك وتعالى يقول : (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) .

إن الاحداث الجارية في جنوب لبنان ومن قبل ذلك احتلال الأراضي الاسلامية إنما هي صورة واضحة لتخاذل المسلمين وتقاعسهم في القيام بالواجب الديني أمام الدين والوطن والشرف .

إننا اذ نستنكر هذا الاعتداء الغاشم على المسلمات الإسلامية وبالمسلمين أن يوحّدوا كلمتهم وأن ينبذوا خلافاتهم وأن يقفوا صفا واحدا أمام هذا العدوّ الذي لا يهدء فترة يسيرة من الزمن إلا للانقضاض مرة اخرى على الأراضي الاسلامية واغتصاب قطعة من تلك الأراضي .

إن تحرير الأراضي الاسلامية ومنها جنوب لبنان بحاجة الى وحدة الكلمة ووحدة الصف وتناسي الخلافات وما لم يتوفر للأمة الاخلاص والتضحية وشعور بالمسؤولية لكل فرد فان المستقبل سيطالعنا باعتداءات جديدة من العدو ، إننا ندعو ذوي اليسر من إخواننا وأبنائنا الى القيام بما يستطيعون من مساعدة مادية ومعنوية ، وإننا إذ نعلن أسفنا العميق على الأرواح البريئة التي ذهبت ضحية هذا الاعتداء ندعو الغيارى من المسلمين لتفقدّ اليتامى والأرامل والعجّز مما خلفه هذا الاعتداء . وليعلم المشردون والايتام والأرامل أنهم لم يصابوا وحدهم في هذا الحادث بل إن إخوانهم في مشارق الأرض ومغاربها يتألمون بآلامهم ويشعرون بالأسى بمثل شعورهم ، وأخيراً نقول : ان الدفاع المستميت والضربات القوية التي تلقاها العدو من المسلمين والثمن الذي دفعه في سبيل هذا الاعتداء مما يعتزّ به كل مسلم ومن الله العزيز نأمل أن يسدد الخطى لكل الشعوب والدول الاسلامية وأن يأخذ بأيديهم الى النصر ولتكن راية الاسلام خفاقة على كل شبر من الأراضي الاسلامية وليطرد العدو بقوة من الايمان بالله والدفاع عن النفس والمسؤولية أمام الله .

(يا أيها الذين آمنو اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ، وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) .

٢٤ ربيع الثاني سنة ٣٩٨ ه أبو القاسم الموسوي الخوئي

مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف ت ٣٣٢٠٩٧

مكتبة الإمام الخوئي العامة
النجف الاشرف ١٣٩١هـ

(١) مكتبة الإمام الخوئي العامة: بيان السيد الخوئي حول أحداث جنوب لبنان، بتاريخ ٣ نيسان ١٩٧٨م.

الملحق رقم (٦): حول إعدام المواطنين الكويتيين في السعودية عام ١٩٨٩م[1]

بسم الله الرحمن الرحيم مكتبة الإمام الخوئي العامة
النجف الأشرف ١٣٩١هـ

الحمد لله رب العالمين وافضل الصلاة على سيد المرسلين واله الطيبين الطاهرين .

سماحة اية الله العظمى المرجع الاعلى السيد ابو القاسم الموسوى الخوئى دام ظله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ارجو من البارئ عز وجل ان يحفظكم تحت ظله وان يطيل في عمركم الشريف وان يجعلكم ذخرا للاسلام والمسلمين .

بخصوص الاحداث التى وقعت اخيرا في مكة المكرمة ، نطلع سماحتكم بان الشهداء الذين ذهبوا ضحية هم من خيرة ابنائنا ونعرفهم خير وحق المعرفة وهم اجل واكبر من ان يقوموا بما نسب اليهم ،والهدف من ذلك كان فقط الانتقام من المومنين ومنعهم من حج بيت الله الحرام مستقبلا ،وقد اعدموا ظلما وعدوانا ، هذا وقد قامت اذاعة السعودية خلال هذين اليومين بنشر مزعومة باسم سماحتكم تزعم فيها بتاييدكم للاعدامات التى نفذت فى يوم اربعين سيد الشهداء (ع) ، ارتاينا كذيب بعض ولم يصدر من قبلنا اي شي حول الموضوع ، ذلك من شهر ربيع الاول ١٤١٠ الموافق ٤/١٠/١٩٨٩

حفظكم الله ذخرا وعزا لنا

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يوسف عبدالله يوسف

بسم الله

ان ما نقلته الاذاعة السعودية وغيرها من الاذاعات العالمية وما نشرته بعض الصحف من انه قد صدر التاييد من قبلنا حول الاعدامات التى نفذت بحق بعض المجرمين في يوم اربعين سيد الشهداء (ع) ، ارتاينا كذيب بعض ولم يصدر من قبلنا اي شي حول الموضوع ذلك من شهر ربيع الاول ١٤١٠ الموافق ٤/١٠/١٩٨٩

مكتبة الإمام الخوئي العامة
النجف الأشرف ١٣٩١هـ

(١) مكتبة الإمام الخوئي العامة: حول إعدام المواطنين الكويتيين في السعودية، بتاريخ ٤ تشرين الأول ١٩٨٩م.

الملحق رقم (٧): بيان السيد الخوئي في الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١م[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

أبنائي الأعزاء المؤمنين :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله على نعمه والآءه والصلاة والسلام على أفضل أنبيائه محمد وعترته الأطهار .

وبعد: لا شك في أن الحفاظ على بيضة الاسلام، ومراعاة مقدساته، أمرٌ واجب على كل مسلم، وانني بدوري، إذ أدعو الله تبارك وتعالى ان يوفقكم لما فيه صلاح الأمة الأسلامية .

أهيب بكم ان تكونوا مثالاً صالحاً للقيم الأسلامية الرفيعة برعاية الاحكام الشرعية رعاية دقيقة في كل اعمالكم وتصرفاتكم، وجعل الله تبارك وتعالى نصب اعينكم في كل مايصدر منكم، فعليكم الحفاظ على ممتلكات الناس وأموالهم وأعراضهم وكذلك جميع المؤسسات العامة لأنها ملك الجميع، والخيانة فيها حرام للجميع .

كما أهيب بكم بدفن جميع الجثث الملقاة في الشوارع ووفق الموازين الشرعية، وعدم المثلة بأحد فانها ليست من أخلاقنا الاسلامية وعدم التسرع في اتخاذ القرارات الفردية غير المدروسة والتي تتنافى والاحكام الشرعية والمصالح العامة .

حفظكم الله ورعاكم ووفقكم لما يحب ويرضى إنه سميع مجيب

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
في ١٨ / شعبان/١٤١١

الخوئي

مكتبة الإمام الخوئي العامة
النجف الأشرف ١٣٩١هـ

(١) مكتبة الإمام الخوئي العامة: بيان السيد الخوئي في الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١م.

قائمة المصادر:

القرآن الكريم

أولاً: الوثائق غير المنشورة:

١. مكتبة الإمام الخوئي العامة: إجازة حسبية للسيد علي سلمان الحراك في أم قصر، بتاريخ ٦ كانون الأول ١٩٧٠م.

٢. ----------: شهادة السيد محمّد تقي بحر العلوم بأعلمية السيد الخوئي، بتاريخ ١٤ تموز ١٩٧٠م.

٣. ----------: أبيات شعر بقلم محمّد رضا آل صادق يؤرخ فيها حادثة إحراق السيارة، عام ١٩٨٠م.

٤. ----------: إجازة الاجتهاد للسيد محمّد تقي القمي من السيد أبي القاسم الخوئي، بتاريخ ١٥ نيسان ١٩٦١م.

٥. ----------: إجازة الاجتهاد للميرزا علي الفلسفي من السيد أبي القاسم الخوئي، بتاريخ ٩ آيار ١٩٦١م.

٦. ----------: إجازة حسبية للشيخ عبد الأمير شمس الدين في لبنان، بتاريخ ٢٥ كانون الثاني ١٩٧٤م.

٧. ----------: إجازة حسبية للسيد إسماعيل كماري في تبريز، بتاريخ ١٣ نيسان ١٩٧١م.

٨. ----------: إجازة حسبية للسيد أبي القاسم الديباجي في الكويت، بتاريخ ٢٦ آيار ١٩٩٢م.

٩. ----------: إجازة حسبية للشيخ محمّد علي إلهي في ديترويت، بتاريخ ٧ آيار ١٩٩٢م.

١٠. ----------: إجازة في تعليم الأحكام الشرعية وصرف الثلث من سهم الإمام في محله للسيد محمّد التيجاني السماوي، بتاريخ ٩ تشرين الثاني ١٩٨٩م.

١١. ----------: استفتاء جمع من الإيرانيين الى السيد أبي القاسم الخوئي حول المشاركة في انتخاب مجلس الشورى الإيراني، بتاريخ ٢٩ آب ١٩٦٣م.

١٢. ----------: أسماء العلماء الذين أرسل لهم السيد الخوئي برسالته، بتاريخ ٢ نيسان ١٩٦٣م.

١٣. ----------: التقرير السنوي لمركز مساعدات الشيعة المشردين في مدينة دزفول، بتاريخ ٤ نيسان ١٩٩٢م.
١٤. ----------: بيان السيد أبي القاسم الخوئي للشعب الباكستاني، بتاريخ ٩ آذار ١٩٨٠م.
١٥. ----------: بيان السيد الخوئي يؤيد نظام الحكم في إيران، بتاريخ ٢٨ آذار ١٩٧٩م.
١٦. ----------: بيان السيد الخوئي حول أحداث جنوب لبنان، بتاريخ ٣ نيسان ١٩٧٨م.
١٧. ----------: بيان السيد الخوئي حول الأحداث في لبنان، بتاريخ ٣ نيسان ١٩٧٨م.
١٨. ----------: بيان السيد الخوئي في الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١م.
١٩. ----------: بيان السيد الخوئي حول احتلال جنوب لبنان، بتاريخ ٢٨ آذار ١٩٧٨م.
٢٠. ----------: بيان السيد الخوئي حول غزو العراق، بتاريخ ٢٣ كانون الثاني ١٩٩١م.
٢١. ----------: بيان السيد الخوئي حول الانتفاضة الشعبانية، بتاريخ ٥ آذار ١٩٩١م.
٢٢. ----------: بيان السيد أبي القاسم الخوئي حول تعيين لجنة عليا، بتاريخ ٧ آذار ١٩٩١م.
٢٣. ----------: بيان تعزية للسيد علي السيستاني لوفاة السيد الخوئي، بتاريخ ٢٠ آب ١٩٩٢م.
٢٤. ----------: تقرير حول بناء مبرة للأيتام في بيروت، بتاريخ ١٣ حزيران ١٩٨٩م.
٢٥. ----------: تقرير وزارة الإعلام العراقية حول حذف فقرات من كتاب السيد الخوئي (الصلاة)، العدد ٩٦٩ بتاريخ ٧ حزيران ١٩٨٨م.
٢٦. ----------: جواب السيد الخوئي حول إعدام الكويتيين، بتاريخ ٤ تشرين الأول ١٩٨٩م.
٢٧. ----------: رسالة السيد أبي القاسم الخوئي الى جمعية الهداية والإرشاد، بتاريخ نيسان ١٩٧٨م.

٢٨. ----------: رسالة تعزية من السيد محمّد رضا الكلبايكاني، بتاريخ ١٤ آب ١٩٩٢م.
٢٩. ----------: رسالة من السيد أبي القاسم الخوئي الى محمّد رضا شاه، بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني ١٩٦٢م.
٣٠. ----------: رسالة من السيد أبي القاسم الخوئي الى السيد البهبهاني، بتاريخ ٢٥ كانون الثاني ١٩٦٣م.
٣١. ----------: رسالة من السيد أبي القاسم الخوئي الى العلماء الأعلام في المدن الإيرانية، بتاريخ ٢ نيسان ١٩٦٣م.
٣٢. ----------: رسالة من السيد أبي القاسم الخوئي الى العلماء الأعلام في المدن الإيرانية، بتاريخ ٨ آيار ١٩٦٣م.
٣٣. ----------: رسالة من علماء إيران الى السيد الخوئي، بتاريخ نيسان ١٩٦٣م.
٣٤. ----------: شهادة السيد محمّد باقر الصدر بأعلمية السيد الخوئي، بتاريخ ٤ حزيران ١٩٧٠م.
٣٥. ----------: شهادة السيد نصر الله المستنبط بأعلمية السيد الخوئي، بتاريخ ٢٥ حزيران ١٩٧٠م.
٣٦. ----------: شهادة الشيخ محمّد تقي الجواهري بأعلمية السيد الخوئي، بتاريخ ٤ تموز ١٩٧٠م.
٣٧. ----------: شهادة الشيخ محمّد رضا الطبسي بأعلمية السيد الخوئي، بتاريخ ٥ تموز ١٩٧٠م.
٣٨. ----------: شهادة الشيخ مجتبى اللنكراني بأعلمية السيد الخوئي، بتاريخ ٢١ تموز ١٩٧٠م.
٣٩. ----------: شهادة الشيخ يوسف الخراساني بأعلمية السيد الخوئي، بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٠م.
٤٠. ----------: شهادة الملا صدرا البادكوبي بأعلمية السيد الخوئي، بتاريخ ٣ تموز ١٩٧٠م.
٤١. ----------: فتوى السيد أبي القاسم الخوئي، بتاريخ ٧ حزيران ١٩٦٣م.
٤٢. ----------: قانون إنشاء مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية ونظامه الداخلي، بتاريخ ٤ كانون الأول ١٩٨٧م.
٤٣. ----------: نداء السيد الخوئي الى الأمة الاسلامية، بتاريخ ٢٣ أيلول

١٩٧٠م.
٤٤. ----------: نص إجازة الاجتهاد من الشيخ محمّد حسين الأصفهاني للسيد أبي القاسم الخوئي، بتاريخ ٩ حزيران ١٩٣١م.

ثانياً: الوثائق المنشورة:

٤٥. إجازة السيد الخوئي الى الشيخ علي الغروي في طبع كتابه التنقيح في شرح العروة الوثقى، بتاريخ ٣ تموز ١٩٥٨م.
٤٦. إجازة السيد الخوئي الى الشيخ محمّد إسحاق الفياض في طبع كتابه محاضرات في أصول الفقه، بتاريخ ٤ تشرين الثاني ١٩٦٢م.
٤٧. إجازة الاجتهاد للسيد علي السيستاني من السيد أبي القاسم الخوئي، بتاريخ ٢٠ آيار ١٩٦١م.
٤٨. برقية السيد الخميني الى السيد أبي القاسم الخوئي، بتاريخ ٢٥ كانون الثاني ١٩٨٠م.
٤٩. بيان السيد أبي القاسم الخوئي الى علماء إيران، بتاريخ الأول من كانون الأول ١٩٧٨م.
٥٠. رسالة من السيد الخميني الى السيد الخوئي، بتاريخ الأول من تموز ١٩٨٤م.
٥١. كلمة السيد الخوئي بمناسبة مرور ١٤ قرناً على عيد الغدير الأغر.
٥٢. نص رسالة السيد أبي القاسم الخوئي الى أمير عباس هويدا رئيس الوزراء الإيراني، بتاريخ حزيران ١٩٦٧م.
٥٣. نص فتوى أبي القاسم الخوئي حول الشيوعية، بتاريخ ٣٠ آذار ١٩٦٠م.
٥٤. نص إجازة السيد أبو الحسن الأصفهاني للسيد أبي القاسم الخوئي، بتاريخ ٢٦ كانون الثاني ١٩٣٥م.
٥٥. نص إجازة الشيخ محمّد حسين النائيني للسيد أبي القاسم الخوئي، بتاريخ ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٥م.

ثالثاً: المخطوطات:

٥٦. عباس علي: الإمام الخوئي مدرسة وريادة (مخطوط)، مكتبة الإمام الخوئي العامة: د.ت.
٥٧. محمّد إسحاق الفياض: بحث في آراء السيد الخوئي (مخطوط)، مكتبة الإمام الخوئي العامة: د.ت.

رابعاً: الرسائل الجامعية:

٥٨. أحمد عبد الهادي السعدون: المرجعية الدينية دراسة في فكرها السياسي ومواقفها السياسية في

العراق، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، ٢٠٠٧م.
٥٩. جاسم محمّد إبراهيم: السيد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني ١٨٩٧-١٩٤٦، أطروحة دكتوراه، بغداد، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، ٢٠٠٧م.
٦٠. زهراء حسون الفحام: انتفاضة ١٩٩١ في العراق - النجف الأشرف أنموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات ٢٠١٤م.
٦١. قحطان جابر أسعد التكريتي: دور المثقفين والمجددين في الثورة الدستورية الإيرانية ١٩٠٥-١٩١١، رسالة ماجستير، جامعة تكريت، كلية التربية، ٢٠٠٥م.
٦٢. محمّد جواد جاسم الجزائري: تاريخ مدينة النجف الأشرف الاجتماعي ١٩٦٨-١٩٧٩، أطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ٢٠١٤م.

خامساً: المصادر العربية والمعرّبة:

٦٣. أبي القاسم الخوئي: البيان في تفسير القرآن، ط٤، دار الثقلين، قم، ٢٠٠٥م.
٦٤. ----------: معجم رجال الحديث، ط٥، بيروت، د.م، ١٩٩٢م، ج٢٣.
٦٥. ----------: موسوعة الإمام الخوئي - التنقيح في شرح المكاسب، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، قم، ٢٠٠٥م، ج٣٧.
٦٦. ----------: نفحات الإعجاز، المطبعة العلوية، النجف الأشرف، ١٩٢٤م.
٦٧. ----------: منهاج الصالحين، ط٣١، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، قم، ٢٠٠٤م.
٦٨. أحمد الواسطي: سيرة وحياة الإمام الخوئي، دار الهادي، بيروت، ١٩٩٨م.
٦٩. الإمام الخميني، الحكومة الإسلامية، ط٨، مؤسسة تراث الإمام الخميني، طهران، ٢٠٠٥م.
٧٠. جعفر السبحاني: موسوعة طبقات الفقهاء، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، ٢٠٠٤م، ج١٤.
٧١. جلال الدين المدني: تاريخ إيران السياسي المعاصر، ترجمة سالم مشكور، مطبعة سبهر، طهران، ١٩٩٣م.
٧٢. حسن الأمين: مستدركات أعيان الشيعة، ط٢، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٧م، ج٧.
٧٣. خضير مظلوم البديري: التاريخ المعاصر لإيران وتركيا، دار الضياء، النجف الأشرف، ٢٠٠٩م.
٧٤. سلمان باقر الخفاجي: البعد التاريخي لمعجم رجال الحديث، بحوث المؤتمر الدولي حول حياة السيد أبي القاسم الخوئي، مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية، النجف الأشرف، ٢٠١٤م.
٧٥. صلاح الخرسان: الإمام السيد محمّد باقر الصدر في ذاكرة العراق، مطبعة الوسام، بغداد، ٢٠٠٤م.

٧٦. طراد حمادة: الإمام أبي القاسم الخوئي زعيم الحوزة العلمية، مؤسسة الإمام الخوئي، لندن، ٢٠٠٤م.
٧٧. عبد الحسين الأميني: الغدير في الكتاب والسنة والأدب، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٤م، ج١.
٧٨. عبد السلام عبد العزيز فهمي: تاريخ إيران السياسي في القرن العشرين، مطبعة المركز النموذجي، القاهرة، ١٩٧٣م.
٧٩. عبد الله فياض: تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة، ط٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٥م.
٨٠. عدنان إبراهيم السراج: الإمام محسن الحكيم ١٨٨٩-١٩٧٠ دراسة تاريخية، دار الزهراء للطباعة، بيروت، ١٩٩٣م.
٨١. علي البهادلي: ومضات من حياة الإمام الخوئي، دار القارئ، بيروت، ١٩٩٢م.
٨٢. علي عبد الأمير علاوي: احتلال العراق ربح الحرب وخسارة السلام، ترجمة عطا عبد الوهاب، دار الفارس للنشر، عمان، ٢٠٠٩م.
٨٣. فرح موسى: الدين والدولة والأمة عند الإمام محمّد مهدي شمس الدين، دار الهادي للطباعة، بيروت، ٢٠٠٢م.
٨٤. كاظم الحلفي: الشيوعية كفر وإلحاد، مطبعة القضاء، النجف الأشرف، ١٩٦٠م.
٨٥. مجمع الفكر الاسلامي: موسوعة مؤلفي الإمامية، مطبعة شريعت، قم، ٢٠٠١م.
٨٦. محمّد الحسني البغدادي: وجوب النهضة، مطبعة القضاء، النجف الأشرف، ١٩٦٧م.
٨٧. محمّد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣م، ج٢.
٨٨. محمّد حسين الصغير: أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف، مؤسسة البلاغ للطباعة، بيروت، ٢٠٠٣م.
٨٩. محمّد حسين آل كاشف الغطاء: الفردوس الأعلى، ط٢، مطبعة رضائي، تبريز: ١٩٥٣م.
٩٠. محمّد شقير: فلسفة الدولة في الفكر السياسي الشيعي: ولاية الفقيه نموذجاً، دار الهادي للطباعة، بيروت، ٢٠٠٢م.
٩١. محمّد صادق الروحاني: منهاج الفقاهة، ط٤، المطبعة العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج٤.
٩٢. محمّد صادق محمّد باقر بحر العلوم: النجف الأشرف بين المرجعية والسياسة، دار الزهراء للطباعة، بيروت، ٢٠٠٩م.
٩٣. محمّد عزّة دروزة: التفسير الحديث، ط٢، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ٢٠٠٠م، ج٧.
٩٤. محمّد مهدي شمس الدين: ثورة الحسين عليه السلام ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية، ط٧، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٦.
٩٥. محمّد هادي الأميني: الشيوعية ثورة وتآمر على العقائد والأنظمة الاجتماعية، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٠م.

٩٦. محمّد وصفي أبو مغلي: إيران دراسة عامة، مركز دراسات الخليج العربي، البصرة، ١٩٨٥م.
٩٧. محمود الغريفي: مشاهير الأعلام في الحرم العلوي، مطبعة ثامن الحجج عليهم السلام، قم، ٢٠٠٧م.
٩٨. مرتضى الأنصاري: المكاسب، تحقيق لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، ط٢، مطبعة باقري، قم، ١٩٩٩م، ج٣.
٩٩. مرتضى الحكمي: مقدمة موسوعة الإمام الخوئي، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، قم، ٢٠٠٥م، ج١.
١٠٠. مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية: الشهيد محمّد تقي الخوئي، ط٣، مؤسسة إحياء تراث الإمام الخوئي، قم، ٢٠٠٣م.

سادساً: المصادر الفارسية:

١٠١. أحمد كسروي: تاريخ مشروطه إيران، چاپخانه سبهر، تهران، ١٣٨٣ش.
١٠٢. سعيد بختياري: أطلس جامع گيتاشناسي ١٩٨٦-١٩٨٧، چاپخانه هامون، تهران، ١٣٨٦ش.
١٠٣. سيد حميد روحاني: نهضت إمام خميني، چاپ پنجم، چاپخانه عروج، تهران، ١٣٨١ش، جلد دوم.
١٠٤. علي واعظ خياباني: علماي معاصر، چاپخانه معراج، قم، ١٣٨٢ش.

سابعاً: المقالات:

١٠٥. محمّد جواد مغنية: زعيم الحوزة العلمية، مجلة الموسم، لاهاي، ١٩٩٠م، العدد ٦.
١٠٦. مرتضى الحكمي: لمحات من حياة الإمام الخوئي، مجلة الموسم، ١٩٩٠م، العدد ٦.

ثامناً: الصحافة:

١٠٧. جريدة الحياة: لندن، العدد ٧٦٣٧، بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٠م.
١٠٨. مجلة الموسم: لاهاي، ١٩٩٠م، العدد ٧.

تاسعاً: المقابلات الشخصية:

١٠٩. جواد محمّد تقي الخوئي: مواليد ١٩٨٠م، حفيد السيد الخوئي، النجف الأشرف، بتاريخ ١٥ آيار ٢٠١٥م.

Summary:

Scientific Hawza is not limited to books and scientific

research in Jurisprudence and its fundamentals but crossed to authoring in other sciences that depend on the development of legal provisions such as: Hadeeth, history, biographies, philosophy, wisdom, astronomy, and mathematics, the school of Abu al-Qasim al-Khoei is considered as an extension of the school of Sheikh al- Tusi, and his Scientific distinct efforts had an impact to install the new renaissance among the Hawza in Najaf.

Al-Khoei was famous in jurisprudence, fundamentals and interpretation through his books in jurisprudence and fundamentals, and we can say that Al-Khoei, and through his theories in fundamentals, is considered among the most distinguished innovators in the science of fundamentals in our contemporary history, and his opinion matched with most of the scholars of the Imami doctrine in not prove the absolute jurisdiction of the jurist who has all the needed criteria, Al-Khoei did not refrain from expression of his opinion and his attitudes from many of the political events that have taken place both inside and outside of Iraq.

المصدر: مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية: جامعة الكوفة، السنة (١٠)، العدد(١٨)، ص٢٦٣.

أثر السيد أبي القاسم الموسوي الخوئي

في الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية

(١٨٩٩- ١٩٩٢م)

الدكتور جاسم محمّد إبراهيم اليساري

ملخص البحث:

يتضح من هذا البحث أن السيد أبي القاسم الموسوي الخوئي، نشأ نشأة علمية وسط أسرة تهتم بالعلم والمعرفة، وكانت هجرته من موطنه مدينة خوي الهدف من ورائها هو الدراسة والعلم وتدرج في مراحلها حتى نال درجة الاجتهاد في فترة مبكرة من عمره، وارتقى منبر الدرس لفترة تمتد الى ثلاثة أرباع القرن حتى أصبح المرجع المطلق ولقب بأستاذ الحوزات العلمية، وانبرى السيد الخوئي لتنظيم شؤون الحوزات والاهتمام بالطلبة من حيث بناء المدارس ودفع المرتبات وإنشاء المؤسسات الخيرية وميراث الأيتام وبناء المساجد، فضلاً عن العناية والاهتمام بضحايا الكوارث الطبيعية.

إن السيد الخوئي لا يعبر عن انتمائه لبلده الذي ولد فيه وهو إيران، وإنما كان يقف وينتصر الى جميع المسلمين الذين يتعرضون الى الظلم في جميع البلدان سواء كان ذلك في العراق أم إيران أم غيرهما.

كما كان السيد الخوئي متحدثاً بارعاً فقد استطاع تحريض الشعب الإيراني على رفض استفتاء حول بعض الاصلاحات التي كان يتطلع الشاه الى إجرائها لإطلاق اليد للتدخل الصهيوني في إيران، ومواد دستورية تهدف الى التقليل من شأن القرآن الكريم، فضلاً عن رفع معنويات علماء حوزة قم المقدسة في الوقوف بوجه السياسة الرذيلة للشاه تجاه قدسية مدينة قم المقدسة، وكان ذلك من خلال البيانات التي أصدرها السيد الخوئي في مؤازرة الشعب الإيراني.

وكذلك بالنسبة للعراق حيث تزامنت مرجعيته قدس سره مع حكم جائر جعل من الشيعة والتشيع هدفاً للإرهاب وطغيانه وخصوصاً بعد قيام الثورة الاسلامية في إيران، حيث اعتبرها النظام خطراً مباشراً عليه، وفي تلك الظروف الصعبة التي كانت تعانيها الحوزة العلمية، كانت مهمة المرجع السيد الخوئي قدس سره تكاد

تنحصر بالمحافظة على دور الحوزة واستقلالها، لمتابعة مهامها العلمية والفقهية، واستمرار الدور التأريخي لمدينة النجف الأشرف وتاريخ حوزتها العلمية منذ تحولها من بغداد سنة ٤٤٩هـ-١٠٥٧م على يد شيخ الطائفة الطوسي قدس سره.

بالوقت الذي أرادت السلطة انحياز المرجعية الى جانبها في مواقفها اللّا إنسانية واللّا إسلامية، خصوصاً في إيران ومطالبتها الإمام بإصدار فتوى ضد الجمهورية الاسلامية في إيران، وعند رفض السيد الخوئي قدس سره ذلك الأمر تعرّض الى مسلسل إجرامي.

abstract:

Include Mr. al-Khoei in his studies seminary even won the degree of diligence in the early period of his age and elevate platform lesson for a period extending to three quarters century until he became the absolute reference and the title of professor seminaries and kick Mr. Khoei to regulate the affairs of seminaries and attention to students in terms of building schools and the payment of salaries and the creation of charities and legacy Orphans and the building of mosques as well as the care and attention to the victims of natural disasters.

Hbut the Mr. al-Khoei do not consider all belonging to his country where he was born, but which Iran was standing and win to all Muslims who are subjected to injustice in all countries, whether in Iraq, Iran or other.

As Mr. al-Khoei politically adept was able to incite the people of Iran to reject a referendum on some of the reforms that had been looking forward sheep to hold them all, hand to intervene Zionist in Iran and constitutional articles meant to downplay the Koran as well as raise the morale of scientists possession of Qom in and stand up against politics Alrdelh Shah towards the sanctity of the holy city of Qom. It was through the data issued by Mr. al-Khoei in support of the Iranian people.

As well as for Iraq, where coincided preferentiality (holy family) with the rule our goal of terrorism and tyranny , of permissible made Shiites and shiism especially after the Islamic revolution in Iran, where he considered the system a direct threat to him in those difficult conditions that were experienced by the seminary was an important reference Mr. Khoei (holy family) almost exclusively to maintain the role and independence of the estate to follow up the tasks of scientific and jurisprudence and the continuation of the historical role of the holy city of Najaf and the history of scientific possession since its transformation from Baghdad in 449 AH-1057 AD by Sheikh Tusi community (Jerusalem secret).

Time who wanted power bias reference to its side in

their positions inhuman and Islamic, especially in Iran and claim the Imam issued a fatwa against the republic in Iran, and when you reject Mr. Khoei (Jerusalem secret) that it subjected to the series if criminal long his sons and his students close and execution of many of them Anna met those conjectures cowardly strongly and hit the ground running.

المقدمة:

المرجعية الدينية تمثل الوجه المشرق لأطروحة أهل البيت عليهم السلام في قيادة الأمة ونشر العلم، وهي الامتداد الطبيعي لما بعد حياة النواب الأربعة لصاحب الزمان عجل الله فرجه وهذا الامتداد معني بأداء الأمانة التشريعية للأجيال في ضوء المبادئ التي نهض بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومون عليهم السلام، فلم يترك التشريع بل استن لهم الطريق الواضح في تنظيم الحياة العقلية والاجتماعية والاقتصادية، وأوضح لهم معالم الاستنارة بالتراث الضخم الذي جاء به الدين الإسلامي، كونه مستوعباً لاحتياج الإنسان في الفكر والعلم والعمل، وملبياً لكل تطلعاته في العبادة والقرب الإلهي؛ حيث إنّ نصوص القرآن الكريم لم تكن جامدة، بل متجددة، وكان فتح باب الاجتهاد عند الإمامية دليل هذا القول باستناده إلى الكتاب والسنة والإجماع والعقل، وهي أسس الاستنباط الشرعي للأحكام ومصادره.

ولعظم الدور الذي تضطلع به المرجعية الدينية في الوسط الاجتماعي، وددت أن أخوض في بحثي هذا الموسوم بـ (أثر السيد أبي القاسم الموسوي الخوئي في الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية ١٨٩٩-١٩٩٢م) لعلّي أن

أضع بين يدي القارئ الكريم سيرة هذا الرمز المعطاء في الجوانب العلمية والاجتماعية والسياسية.

تألّف البحث من مبحثين:

تناول المبحث الأول: الحياة العلمية للسيد الخوئي قدس سره، وجاء المبحث الثاني ليعكس: الدور الاجتماعي والسياسي للسيد الخوئي قدس سره.

المبحث الأول

الحياة العلمية للسيد الخوئي قدس سره

١- ولادته وهجرته إلى النجف الأشرف:

ولد الإمام الخوئي في ليلة النصف من شهر رجب سنة ١٣١٧هـ الموافق ١٩/ ١١/ ١٨٩٩م في مدينة (خوي) الواقعة في إقليم أذربيجان وقد اشتهر بنسبته إليها وبها نشأ في كنف والده وإخوته وتعلم القراءة والكتابة وبعض المبادئ، وقد التحق بوالده العلامة المغفور له آية الله السيد علي أكبر الموسوي الخوئي الذي كان قد هاجر قبله إلى النجف الأشرف سنة ١٣٢٨هـ-١٩١٠م[١]، وحيث كانت المعاهد العلمية في النجف الأشرف هي الجامعة الدينية الكبرى التي تغذي العالم الإسلامي كله وترفده بآلاف من رواد العلم والفضيلة على المذهب الإمامي، فقد انضم سماحته وهو ابن الثالثة عشرة[٢] إلى تلك المعاهد سنة ١٣٣٠هـ-١٩١٢م برفقة أخيه الأكبر المرحوم السيد عبد الله الخوئي

(١) السيد أبي القاسم الخوئي: معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، ج٢٣، مطابع مركز نشر الثقافة الإسلامية، ط٥، د.م، ١٩٩٢م، ص٢٠.

(٢) جريدة الزمان: ع١١٩١ الصادر في ٩/ ٢/ ١٤٢٣هـ - ٢٢/ ٤/ ٢٠٠٢م، لندن.

وبقية أفراد عائلته[١]، وبدأ بدراسة علوم العربية والمنطق والأصول والفقه والتفسير والحديث.

٢- أساتذته:

تتلمذ الإمام الخوئي على كوكبة من أكابر علماء الفقه والأصول، ومراجع الدين العظام في بحوث الخارج وله من العمر إحدى وعشرون سنة[٢]، ومن أشهر أساتذته البارزين:

- آية الله الشيخ فتح الله المعروف بشيخ الشريعة الأصفهاني، المتوفى[٣] سنة ١٣٣٩هـ-١٩٢١م، فقهاً وأصولاً[٤].
- آية الله الشيخ مهدي المازندراني، المتوفى سنة ١٣٤٢هـ-١٩٢٣م.
- آية الله الشيخ ضياء الدين العراقي، ١٢٧٨-١٣٦١هـ/ ١٨٦١-١٩٤٢م.
- آية الله الشيخ محمّد حسين الغروي، ١٢٩٦-١٣٦١هـ/ ١٨٧٩-١٩٤٢م.
- آية الله الشيخ محمّد حسين النائيني[٥]، ١٢٧٣-١٣٥٥هـ/ ١٨٥٧-١٩٦٣م

(١) السيد ضياء السيد عدنان الخباز القطيفي: دوحة من جنة الغري، دار الأولياء، بيروت - لبنان، ص٤٧.

(٢) محمّد حسين علي الصغير: أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف، مؤسسة البلاغ، بيروت، (د.م)، ص٢٩٨.

(٣) شيخ الشريعة الأصفهاني (١٨٤٩- ١٩٢١م): وهو فتح الله بن محمّد النمازي الأصفهاني، من كبار رجال الدين في العراق، كان له دور كبير في الثورة العراقية ضد الاحتلال البريطاني في عام ١٩٢٠م إلى جانب زميله الشيرازي، أصبح الأصفهاني مرجعاً أعلى بعد وفاة الشيرازي في ١٧ آب ١٩٢٠م. للتفاصيل ينظر: نور الدين الشاهرودي: أسرة المجدد الشيرازي، طهران، ١٩٩١م، ص١٩٢-١٩٥؛ كامل سلمان الجبوري: شيخ الشريعة، دار القارئ للطباعة والنشر، (د.م)، ٢٠٠٥م، ص١١.

(٤) السيد أبي القاسم الخوئي: المصدر السابق، ج٢٣، ص٢١.

(٥) هو الشيخ ميرزا محمّد حسين الأصفهاني النجفي المعروف بالنائيني وقد حضر على الميرزا محمّد حسن الشيرازي، وبعد وفاته ١٣١٢هـ-١٨٩٤م، حضر على السيد محمّد الأصفهاني،

الذي كان آخر أساتذته.

كما حضر قدس سره ولفترات محددة عند كل من[١]:

– آية الله السيد البادكوبي، ١٢٩٣-١٣٥٨هـ/ ١٨٧٦-١٩٣٩م، في الحكمة والفلسفة.

– آية الله الشيخ محمّد جواد البلاغي، ١٢٨٢-١٣٥٢هـ/ ١٨٦٥-١٩٣٣م، في علم الكلام والتفسير.

– آية الله السيد ميرزا علي آقا القاضي، ١٢٨٥-١٣٦٦هـ/ ١٨٦٨-١٩٤٧م، في الأخلاق والسير والسلوك والعرفان.

– آية الله السيد أبي القاسم الخوانساري قدس سره في الرياضيات العالية.

– آية الله السيد عبد الغفار المازندراني قدس سره في الأخلاق والعرفان[٢].

وقد نال درجة الاجتهاد في فترة مبكرة من عمره الشريف، وشغل منبر الدرس لفترة تزيد على الخمسين عاماً ولذا لقب بـ(أستاذ الحوزات[٣] العلمية)[٤].

والسيد إسماعيل الصدر العاملي في سامراء، ثم هاجر إلى النجف وحضر في الأصول على الشيخ مله محمّد كاظم الخراساني، كان مرجعاً للتقليد وفي عصره كان السيد أبو الحسن الأصفهاني. للتفاصيل ينظر: محمّد حسين حرز الدين: تاريخ النجف الأشرف، ج١، قم، ١٣٨٥هـ، ص٢٨٤؛ نور الدين الشاهرودي: أسرة المجدد الشيرازي، ص١٣٧.

(١) السيد ضياء السيد عدنان الخباز القطيفي: المصدر السابق، ص٤٨.

(٢) المصدر السابق: ص٥٠.

(٣) الحوزة: هي المكان أو الناحية التي تخصص للدرس والتحصيل، أو هي الكيان العلمي والبشري الذي يؤهل الدارس للاجتهاد في علوم الشريعة الإسلامية وفقاً لمفهوم المذهب الجعفري. للتفاصيل ينظر: مجلة المرشد: العددان ١٧؛ ١٨، حسين محمّد علي الفاضلي: دمشق، ٢٠٠٤م، ص٢٩٢.

(٤) علي محمّد علي دخيل: المصدر السابق، ص٢٥٥.

وله إجازة في الحديث يرويها عن شيخه النائيني عن طريق خاتمة المحدثين النوري المذكور في آخر كتاب (مستدرك الوسائل) لكتب الإمامية، وأهمها الكافي، ومن لا يحضره الفقيه، والتهذيب والاستبصار، ووسائل الشيعة، وبحار الأنوار، والوافي، كما وله إجازة بالرواية عن طريق العامة، عن العلامة الشهير السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي قدس سره المتوفى سنة ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م[١].

٣- منهجه العلمي:

تمتاز سماحة الإمام أبي القاسم الخوئي[٢] بمنهج علمي متميز وأسلوب خاص به في البحث والتدريس؛ ذلك أنه كان يطرح في أبحاثه الفقهية والأصولية العليا موضوعاً، ويجمع كل ما قيل من الأدلة حوله، ثم يناقشها دليلاً دليلاً، وما إن يوشك الطالب على الوصول إلى قناعة خاصة، حتى يعود الإمام فيقيم الأدلة القطعية المتقنة على قوة بعض من تلك الأدلة وقدرتها على الاستنباط، فيخرج بالنتيجة التي يرتضيها، وقد سلك معه الطالب مسالك بعيدة الغور في الاستدلال والبحث، كما هو شأنه في تأليفاته القيمة، بما يجد المطالع فيها من تسلسل للأفكار وبيان جميل مع الدقة في التحقيق والبحث، ولذا فقد عرف بعلم الأصول والمجدد.

ولا تقتصر أبحاثه على هذين الحقلين في الأصول والفقه، فهو الفارس اللامع في علم الرجال (والجرح والتعديل)، وقد شيد صرحاً علمياً قوياً لهذا العلم ومدخليته في استنباط المسائل الإسلامية، جمعها في كتابه الشهير (معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة)، كما بذل جهداً كبيراً في التفسير وعلوم

(١) السيد ضياء السيد عدنان الخباز القطيفي: المصدر السابق، ص٤٨.

(٢) محمّد جواد مغنية: من هنا وهناك، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٦٨م، ص١٥٥.

القرآن وضعها في مقدمة تفسيره (البيان في تفسير القرآن)، وغيرها من الحقول العلمية.

ولهذا فقد جمع من حوله طيلة مدة تدريسه أعداداً كبيرة من طلبة العلوم الدينية والأساتذة اللامعين، ينتمون إلى بلدان العالم المختلفة، فكان هناك طلاب من سوريا ولبنان والإحساء والقطيف والبحرين والكويت وإيران والباكستان والهند وأفغانستان[١]، ودول شرق آسيا وأفريقيا مضافاً إلى الطلبة العراقيين، ولم يكتف سماحة الإمام بتغذيتهم علمياً وثقافياً، ورعايتهم روحياً، بل امتد ذلك ليشمل تغطية نفقاتهم المعيشية من الحقوق الشرعية التي كانت تصل إليه، وهكذا فقد أسس سماحته مدرسة فكرية خاصة به ذات معالم واضحة في علوم الفقه والتفسير والفلسفة[٢].

٤- مؤلفاته:

لقد ألّف سماحته عشرات الكتب في شتى الحقول العلمية المختلفة نذكر المطبوع منها:

١- أجود التقريرات في أصول الفقه[٣].
٢- البيان في علم التفسير[٤].
٣- نفحات الإعجاز في علوم القرآن.
٤- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، في علم الرجال في (٢٤) مجلداً.

(١) علي محمّد علي دخيل: نجفيات، مؤسسة العارف، ط٥، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٢٥٥.
(٢) عبد العظيم المهتدي البحراني: قصص وخواطر، ط٦، قم، ٢٠٠١م، ص٧٦.
(٣) ينظر الملحق رقم (١) والموجود ضمن ملاحق كتاب السيد ضياء السيد عدنان القطيفي، دوحة مجلة الغري، وهو يمثل كلمة المحقق النائيني قدس سره حول أجود التقريرات.
(٤) محمّد جواد مغنية: المصدر السابق، ص١٥٦.

٥- منهاج الصالحين، في بيان أحكام الفقه، في مجلدين وقد طبع (٢٨) مرة.
٦- مناسك الحج، في الفقه.
٧- رسالة في اللباس المشكوك، في الفقه.
٨- توضيح المسائل في بيان أحكام الفقه، الرسالة العلمية لمقلديه، طبع أكثر من ثلاثين مرة وبعدة لغات.
٩- المسائل المنتخبة، في بيان أحكام الفقه، الرسالة العملية لمقلديه باللغة العربية، طبع أكثر من عشرين مرة.
١٠- تكملة منهاج الصالحين في بيان أحكام الفقه، في القضاء والشهادات والحدود والديات والقصاص.
١١- مباني تكملة المنهاج، في أسانيد الأحكام الفقهية، في القضاء والشهادات والحدود والديات والقصاص.
١٢- تعليقة العروة الوثقى، لبيان آرائه الفقهية على كتاب (العروة الوثقى) وهي ستة أجزاء[١]، لفقيه الطائفة المغفور له آية الله العظمى السيد محمّد كاظم اليزدي قدس سره كما ولايزال البعض الآخر من مؤلفاته مخطوطاً.

٥- طَلَبَتُهُ:

لقد تتلمذ بين يدي سماحته عدد كبير من أفاضل العلماء المنتشرين في المراكز والحوزات العلمية الدينية الشيعية في أنحاء العالم[٢]، والذين يعدون من أبرز المجتهدين من بعده ومنهم:

١- آية الله السيد علي البهشتي - العراق[٣].

(١) السيد أبي القاسم الخوئي: المصدر السابق، ج٢٣، ص٢٢.
(٢) علي محمّد علي دخيل: المصدر السابق، ص٢٥٥.
(٣) ينظر الملحق رقم (٢).

٢- آية الله العظمى السيد علي السيستاني - العراق[١].
٣- آية الله الشيخ محمّد إسحاق الفياض - العراق[٢].
٤- آية الله الشيخ ميرزا علي الفلسفي - إيران[٣].
٥- آية الله الشيخ ميرزا جواد التبريزي - إيران.
٦- آية الله السيد محمّد رضا الخلخالي - العراق.
٧- آية الله الشيخ محمّد آصف الحسني - أفغانستان.
٨- آية الله السيد علي السيد حسين مكي - سوريا.
٩- آية الله السيد محمّد سعيد الطباطبائي - العراق[٤].
١٠- آية الله السيد تقي السيد حسين القمي - إيران[٥].
١١- آية الله الشيخ حسين وحيد الخراساني - إيران.
١٢- آية الله السيد علاء الدين بحر العلوم - العراق.
١٣- آية الله المرحوم الشيخ ميرزا علي الغروي - العراق.
١٤- آية الله المرحوم السيد محمّد الروحاني - إيران.
١٥- آية الله المرحوم الشيخ ميرزا يوسف الأيرواني - إيران.
١٦- آية الله المرحوم السيد محيي الدين الغريفي - البحرين.
١٧- آية الله الشهيد السيد عبد الصاحب الحكيم - العراق.
١٨- آية الله الشهيد محمّد باقر الصدر - العراق[٦].

وغيرهم كثير من السادة العلماء والمشايخ الكبار وأفاضل الأساتذة، ممن

(١) ينظر الملحق رقم (٣).
(٢) محمّد حسين علي الصغير: أساطين المرجعية، ص٢٩٨.
(٣) ينظر الملحق رقم (٤).
(٤) محمّد أمين نجف: علماء في رضوان الله، ط٢، (د.م)، ٢٠٠٩م، ص٥٦٢.
(٥) ينظر الملحق رقم (٥).
(٦) حيدر بلال برهاني: قصص وخواطر من حياة الشهيد الصدر وأخته بنت الهدى، دار الحوراء، لبنان، ٢٠٠٨م، ص٨٣؛ ينظر الملحق رقم (١٣).

تتلمذ على يد الإمام مباشرة[١] وعلى تلامذته في جميع الحوزات العلمية الدينية المعروفة[٢].

وقد ترك آية الله العظمى الإمام الخوئي قدس سره أبحاثاً قيمة كثيرة في حقلي الفقه والأصول وهي الدروس التي كان يلقيها سماحته خلال مدة تزيد على نصف قرن على عدد كبير من أفاضل العلماء وأساتذة الحوزة العلمية الدينية في النجف الأشرف من المجتهدين ذوي الاختصاص في الدراسات الدينية العليا المعروفة بـ (البحث الخارج) في حياة أستاذه الميرزا النائيني على شكل أفراد يحضرون وعمره ستة وعشرون عاماً، وعند وفاة أستاذه النائيني استقل بتدريس بحث الخارج سنة ١٣٥٥هـ إلى ١٤١٠هـ-١٩٣٦م وكان عمره (٣٨) عاماً[٣]، من دون انقطاع.

حيث بدأ السيد الخوئي هذه الدورة بالشكل المنظم بثمانية تلاميذ[٤]، وكان

(١) للاطلاع على أعداد تلاميذ السيد الخوئي قدس سره ينظر: مجلة الموسم، ع١٧، ١٩٩٤م-١٤١٤هـ، محمّد سعيد الطريحي، أكاديمية الكوفة، هولندا، ص٢٣٥-٢٥٢؛ محمّد حسين علي الصغير: أساطين المرجعية، ص٣٣١-٣٣٥.

(٢) مجلة الغدير: ع٤٩، الصادرة في صفر ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، لندن.

(٣) محمّد حسين علي الصغير: أساطين المرجعية، ص٢٩٩.

(٤) هم:

١. الشيخ محمّد تقي الشيخ جواد الإيرواني.
٢. السيد موسى السيد جعفر بحر العلوم رحمه الله.
٣. الشيخ علي الشيخ حسين الصغير رحمه الله.
٤. الشيخ سلمان الشيخ عبد المحسن الخاقاني رحمه الله.
٥. السيد محمّد السيد جعفر الشيرازي رحمه الله.
٦. الشيخ أحمد الشيخ هادي الطرفي رحمه الله.
٧. السيد محمّد السيد سلطان كلانتر رحمه الله.
٨. السيد محمّد السيد محمود الروحاني قدس سره.

للتفاصيل ينظر: محمّد حسين حرز الدين: تاريخ النجف الأشرف، ج١، ص٣٨٢؛ محمّد

مقر هذا البحث ابتداءً في مقبرة الفقيه الشيخ حسين نجف الواقعة في الصحن الحيدري الشريف للداخل من باب القبلة، الغرفة الثانية على يمين الداخل، وكان وقته بعد صلاتي المغرب والعشاء، وبعد ازدياد الحضور وضيق المكان انتقل السيد بطلابه إلى سطح الكيشوانية المقابلة لها بجوار المنارة الجنوبية للحرم الشريف[١] وأمام تزايد الحضور انتقلوا إلى مقبرة المرجع السيد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي في الصحن الشريف وهي الغرفة الثانية على يمين الداخل إلى الصحن الحيدري من باب الشيخ الطوسي شمال الروضة المطهرة، وكان بحثه في اللغة العربية الفصحى[٢].

وبعد ضيق المكان لكثرة الطلبة انتقل السيد الخوئي بحوزته العلمية إلى مقبرة المجدد السيد الشيرازي قدس سره وكانت تتسع لأكثر من مائة وخمسين طالباً والتي تقع إلى شمال الداخل للصحن الشريف من باب الطوسي، وبعد أن ضاقت مقبرة الشيرازي ومسجدها وأمام هذه التنقل تحرك السيد موسى بحر العلوم رحمه الله بمفاتحة سادن الروضة السيد عباس الرفيعي (الكليدار) بأن يهيئ مسجد الخضراء الملاصق للصحن الشريف من ناحية الشمال الشرقي بعد أن كان مخزناً للمواد العائدة للمرقد، وقد أقيم فيه بحث السيد الخوئي حقبة تتجاوز العشرين عاماً ثم جدده الشيخان محمود الأنصاري رحمه الله وأخوه أحمد الأنصاري وبقي على هذه العمارة عشرين عاماً أخرى، حتى جدده الإمام الخوئي في عمارة حديثة محكمة تتناسب مع أهميته[٣] إذ أصبح جامع المرجعية العليا وهي العمارة

حسين علي الصغير: المصدر السابق، ص٢٩٩-٣٠٠.

(١) محمّد حسين علي الصغير: أساطين المرجعية، ص٣٠٠.

(٢) المصدر السابق: ص٣٠١.

(٣) محمّد حسين حرز الدين: المصدر السابق، ج١، ص٣٨٢.

القائمة اليوم في مسجد الخضراء[١]، فقد أحيا الإمام الخوئي هذا المسجد فترة اثنين وخمسين عاماً أحياه بالتدريس والبحث الخارج ودورتين كاملتين لمكاسب الشيخ الأنصاري قدس سره[٢]، ودورتين كاملتين لكتاب الصلاة، وفي ٢٧ربيع الأول ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م بتدريس فروع العروة الوثقى[٣] للسيد محمّد كاظم الطباطبائي قدس سره مبتدئاً بكتاب (الطهارة) فضلاً عن تدريس (الاجتهاد والتقليد) سابقاً والدراسات العليا وصلاة الجماعة منذ ١٣٥٩هـ-١٩٤٠م حتى وفاته في ١٤١٢هـ-٨/ ٨/ ١٩٩٢م[٤].

وقد تم إلقاء محاضراته في الأصول (بحث خارج) ست دورات كاملات أما السابعة فقد حال تراكم أشغال المرجعية دون إتمامها، فتخلى عنها في مبحث الضد[٥]، كما شرع في تدريس (القرآن الكريم) لفترة من الزمن إلى أن حالت ظروف قاسية كالمرض دون إتمامه رغم أنه كان يود انتشار هذا الدرس وتطويره[٦]؛ حيث إنّ مسيرة الدرس الستينية لم تنقطع إلّا في الضرورات كالمرض فقد سافر السيد الخوئي قدس سره إلى لندن لغرض العلاج، وقد عاد من سفره إلى العراق بعد تحسن حالته الصحية في ١٢ ذي الحجة ١٣٩١هـ-٢٩/ ١/ ١٩٧٢م[٧]، كما

(١) حسن الأمين: الإمام أبي القاسم الخوائي زعيم الحوزة العلمية، دار النور للطباعة والنشر، لندن، ٢٠٠٤م، ص١٧٣-١٧٤.

(٢) السيد أبي القاسم الخوئي: المصدر السابق، ج٢٣، ص٢٢.

(٣) مجلة الأحرار: ع٤١٣، السنة (٨)، ٢٤ محرم الحرام ١٤٣٥هـ-٢٨/ ١١/ ٢٠١٣م، ص٢٥.

(٤) محمّد حسين علي الصغير: المصدر السابق، ص٣٠٣.

(٥) السيد أبي القاسم الخوئي، المصدر السابق، ج٢٣، ص٢٢.

(٦) السيد ضياء السيد عدنان الخباز القطيفي، المصدر السابق، ص٧٠-٧١.

(٧) أحمد عبد الله أبو زيد العاملي: محمّد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، ج٢، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٧م، ص٤٥٣.

سافر أيضاً إلى حج بيت الله الحرام[١]، وزيارة ثامن الحجج الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عام ١٣٥٠هـ-١٩٣١م وعام ١٣٦٨هـ-١٩٤٩م.

٦- تقريرات محاضراته:

قررت ودونت نظرياته الجديدة، وآراؤه العلمية القيمة تلك، في تقريرات كثير من السادة والمشايخ العلماء من تلامذته الأفاضل، والتي تعتبر اليوم من أمهات المصادر الفقهية والأصولية الحديثة للباحثين والعلماء، مما لا يستغني عنها الأساتذة والطلاب معاً، وعليها يدور رحى البحوث والدروس في هذين الحقلين في جميع الحوزات الدينية المعروفة.

ومن تلك البحوث التي عرضت على سماحته وأجاز طبعها هي:

١- التنقيح في شرح العروة الوثقى، تقرير الشيخ ميرزا علي الغروي، عشرة أجزاء (فقه)[٢].

٢- تحرير العروة الوثقى، تقرير الشيخ قربان علي الكابلي قدس سره جزء واحد (فقه).

٣- دروس في فقه الشيعة، تقرير السيد محمّد مهدي الخلخالي، أربعة أجزاء (فقه).

٤- محاضرات في أصول الفقه، تقرير الشيخ محمّد إسحاق الفياض، خمسة أجزاء (أصول).

٥- المستند في شرح العروة الوثقى، تقرير الشيخ مرتضى البروجردي قدس سره عشرة

(١) وقد تحدث السيد الخوئي قدس سره عن بعض أحداث سفره إلى الحج منها فقال: «لقيت شيخ يدعى زين العابدين في المسجد النبوي الشريف، سنة ١٣٥٣هـ-١٩٣٤م، يترصد لمن يسجد على التربة فيأخذها منه، فقلت له: يا شيخ، أما حرّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التصرف في مال المسلم بغير إذنه ورضاه؟ قال: نعم.

(٢) قلت: فلماذا تسلب هؤلاء المسلمين أموالهم، وهم يشهدون أن لا إله إلّا الله، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم؟

أجزاء (فقه).

٦- الدرر الغوالي في فروع العلم الإجمالي، تقرير الشيخ رضا اللطفي، جزء واحد (أصول).

٧- مباني الاستنباط، تقرير السيد أبي القاسم الكوكبي، أربعة أجزاء (أصول)[١].

٨- مصباح الفقاهة، تقرير الشيخ محمّد علي التوحيدي قدس سره، ثلاثة أجزاء (فقه).

٩- مصابيح الأصول، تقرير السيد علاء الدين بحر العلوم، جزء واحد (أصول).

١٠- المعتمد في شرح المناسك، تقرير السيد محمّد رضا الخلخالي، خمسة أجزاء (فقه).

١١- مصباح الأصول، تقرير السيد محمّد سرور البهسودي قدس سره جزآن (أصول).

١٢- مباني العروة الوثقى، تقرير الشهيد السيد محمّد تقي الخوئي قدس سره أربعة أجزاء (فقه).

١٣- دراسات في الأصول العملية، تقرير السيد علي الحسيني الشاهرودي قدس سره جزء واحد (أصول).

١٤- فقه العترة في زكاة الفطرة، تقرير الشهيد السيد محمّد تقي الجلالي قدس سره، جزء واحد (فقه)[٢].

١٥- الرأي السديد في الاجتهاد والتقليد، تقرير الشيخ غلام رضا عرفانيان قدس سره جزء واحد (فقه).

١٦- محاضرات في الفقه الجعفري، السيد علي الحسيني الشاهرودي قدس سره، ثلاثة أجزاء (فقه).

١٧- جواهر الأصول، تقرير الشيخ فخر الدين الزنجاني، جزء واحد (أصول).

(١) قال: هم مشركون اتخذوا التربة صنماً يسجدون لها.

(٢) قلت: أتسمح لي بالمذاكرة حول هذا الموضوع؟

١٨- الأمر بين الأمرين، في مسألة الجبر والاختيار، تقرير الشيخ محمّد تقي الجعفري، جزء واحد (أصول)[١].

١٩- الرضاع، تقرير السيد محمّد مهدي الخلخالي والشيخ محمّد تقي الإيرواني، جزء واحد (فقه)[٢].

٧- مرجعيته:

تدرج سماحته في نبوغه طالباً للعلم، فأستاذاً، ثم مجتهداً ومحققاً بعد المجتهدين، فما أن التحق في عنفوان شبابه بدروس الخارج وتقريرات بحوث أساتذته على زملائه، سرعان ما عقب شيوخه في أروقة العلم، بالتصدي لتدريس بحث الخارج فانهالت عليه هجرة طالبي العلم من كل مكان وقلدته المرجعية العليا جميع مسؤولياتها وشؤونها، لنهوضه بأعباء مرجعية العالم الإسلامي بعد وفاة السيد الحكيم[٣] سنة ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م حتى أصبح زعيماً دينياً دون منازع[٤]، ومرجعاً أعلى للمسلمين الشيعة، يقلده ملايين المؤمنين من أتباع مذهب الإمامية في مختلف بقاع العالم، وطبعت رسائله العملية لبيان الأحكام الشرعية لمقلديه وبعدة لغات، وتلك بفضل نبوغه العلمي[٥]، وإحاطته بعدة اختصاصات علمية وهي الفقه والأصول والرجال والفلسفة وعلم الكلام

(١) قال: لا بأس. فشرعنا المذاكرة والمناظرة حتى انتهى الأمر إلى أن اعتذر عما ارتكبه، واستغفر الله ربه وقال: إني كنت رجلاً التبس عليه الأمر، ثم التمسني المذاكرة معه في مواضيع شتى، فكان ينعقد مجلس لمحاضرتي في المسجد النبوي كل ليلة، وبقينا زهاء عشر ليال نجتمع فيه ونحن جماعة مختلطة من مختلف المذاهب وكان عاقبة الأمر أن تبرأ الشيخ مما كان يعتقد في حق الشيعة. للتفاصيل ينظر: السيد ضياء السيد عدنان الخباز القطيفي، المصدر السابق، ص٧٢.

(٢) ينظر الملحق رقم (٧).

(٣) السيد أبي القاسم الخوئي: المصدر السابق، ج٢٣، ص٢٣.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

وإبداعه فيها دليل واضح على حدة الذكاء، وسرعة بديهيته ونقضه النظريات العلمية التي يسمعها[١] وبلوغه الغاية من التقوى وألمعيته في إدارة الحوزات، واهتمامه البالغ برفع مستوى العلماء، علمياً ومعيشياً، وفي رعايته المسلمين عموماً، فكان قدس سره منذ أيامه الأولى يعد بحق زعيمها الواعد، حتى أصبح رمزاً بارزاً من رموز المرجعية الرشيدة، وعلماً من أعلام الإسلام يخفق على قمة الحوزات العلمية في كل مكان[٢].

ولطول الفترة الزمنية لمرجعية الإمام الراحل السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره والإجماع على أعلميته، وكثرة مقلديه في بقاع مختلفة من العالم، كانت الاستفتاءات الواردة إليه قد تجاوزت مائة رسالة في اليوم الواحد فضلاً عن تعدد الأسئلة في الرسالة الواحدة الأمر الذي دعا السيد أبي القاسم الخوئي الى تشكيل لجنة للإفتاء لهذا الأمر تألفت من عدد من العلماء وأفاضل تلامذته[٣].

(١) السيد ضياء السيد عدنان الخباز القطيفي: المصدر السابق، ص٧١.

(٢) السيد محسن الحكيم (١٨٨٩-١٩٧٠م): ولد في النجف الأشرف، في بيت علم ودين وتقوى، شارك في عمليات الجهاد ضد الغزو البريطاني عام ١٩١٤م، أصبح مرجعاً أعلى للمسلمين الشيعة عام ١٩٥٢م. للتفاصيل ينظر: عدنان إبراهيم السراج: السيد محسن الحكيم (١٨٨٩-١٩٧٠م)، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣م.

(٣) حسن الأمين: المصدر السابق، ص٢٤٥.

وكانت لجنة الإفتاء مؤلفة من:

١. آية الله السيد علي الحسيني البهشتي دام ظله.
٢. سماحة آية الله السيد محمّد الروماني دام ظله.
٣. آية الله الشيخ الميرزا علي الفلسفي دام ظله.
٤. آية الله الشيخ علي أصغر الأحمدي.
٥. آية الله السيد صادق الصدر قدس سره.
٦. آية الله السيد جعفر المرعشي قدس سره.
٧. آية الله الشيخ عباس القوجاني قدس سره.

٨- السيد أبي القاسم الخوئي في نظر معاصريه:

لقد كانت هناك العديد من الآراء العائدة للعلماء الذين عاصروا السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره وتقييمهم أعلميته وآراءه، ومؤلفاته منهم:

١- قول الشيخ الأصفهاني بحق السيد الخوئي: «إن عندي تلميذين، كل واحد منهما خير من ألف من الطلبة المحصلين، أحدهما هو السيد الخوئي»[١]، والسيد الأصفهاني هو أول من أجاز السيد الخوئي بالاجتهاد وكان عمر السيد الخوئي آنذاك دون الخامسة والعشرين، وفي سنة ١٣٥٠هـ-١٩٣١م أعقب المحقق الأصفهاني تلك الإجازة بإجازة أخرى: «جناب السيد أبي القاسم الخوئي النجفي (دامت تأييداته وإفاداته) قد حضر على غير واحد من الأعيان، وعلى شطر واحد من الزمان، لتحقيق المباحث العلمية.. حتى فاز، وله الحمد بالمراد، وحاز على درجة الاجتهاد، وبلغ من المراتب العلمية أعلاها»[٢].

٢- الشيخ جعفر آل محبوبة قدس سره: وصفه سنة ١٣٥٣هـ-١٩٣٤م تقريباً وهو في السادسة والثلاثين من العمر بقوله: «وأما المشاهير في الدرس: أشهرهم السيد أبي القاسم الخوئي»[٣].

(١) عبد العظيم المهتدي البحراني: المصدر السابق، ص٧٧.

(٢) لقد روى الشيخ محمّد علي المدامغي أن مجموعة من الماركسيين زاروا السيد الخوئي قدس سره وعرضوا عليه الأساس في الفلسفة الماركسية وهو أن العالم كله قائم على حركة الصراع بين المتناقضات على الصعيد التكويني وعلى الصعيد الذهني وأنه لا مانع من اجتماع النقيضين خلافا للفلسفة الإسلامية، بل هو أمر لا بد منه للحركة التطويرية، فانتقل السيد الخوئي قدس سره بسرعة إلى نقض الأساس المذكور بقوله: «إذا لم يكن هناك مانع من اجتماع النقيضين فكلامكم صحيح وكلامنا صحيح وإن كانا كلامين متناقضين، إذاً لا مانع من اجتماع النقيضين»، فتحيروا بالمناقشة؛ لأنهم إن قالوا كلام الإسلاميين غير صحيح فهذا اعترافٌ منهم بكون فلسفتهم ليست حقائق مطلقة.

(٣) عبد العظيم المهتدي البحراني: المصدر السابق، ص٧٦-٧٧.

٣- آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين قدس سره بقوله: «هناك حلقات أخر تنتشر في أنحاء النجف انتشار الكواكب... وعلى كل حلقة بطل من أبطال العلم... فمنهم السيد أبي القاسم الخوئي»[١].

٤- وتحدث عنه الشيخ أغا برزك الطهراني قدس سره واصفاً إياه في سنة ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م وكان آنذاك في العقد الخامس من عمره فقال: «وهو اليوم من مشاهير المدرسين في النجف، وحلقته تعد بالعشرات، مدّ الله في عمره ونفع به».

٥- السيد أبو الحسن الأصفهاني[٢]: ونظراً لشهرته بالفضل والتدريس منذ بواكير عمره لذلك خصه السيد أبو الحسن بمزيد من العناية، فكان لا يدفع الرواتب الشهرية لطلبة العلم في الحوزة المشرفة، حتى يبدأهم بالسيد الخوئي[٣].

٦- آية الله الشيخ محمّد رضا آل ياسين قدس سره: عندما طلب منه توزيع الرواتب الشهرية قال: «لا أعطي الشهرية إلّا للطلبة المجدين، وهم بنظري ينحصرون بتلامذة السيد الخوئي قدس سره فقط»[٤].

٧- تحدث الدكتور الشيخ محمّد حسين الصغير فقال: «وقد استقل بالبحث الخارج عن حياة أستاذه الميرزا النائيني على شكل أفراد يحضرون، وعمره ستة وعشرون عاماً، ولدى وفاة أستاذه النائيني استقل ببحثه العالي وعمره ثمانية وثلاثون عاماً».

كما يقول الشيخ محمّد حسين الصغير رحمه الله: «فلقد سمعت عن الحجة الشيخ

(١) حسن الأمين: المصدر السابق، ص٢٤٥.

(٢) وقد شارك في هذه اللجنة لفترات مختلفة كل من: آية الله السيد محمّد باقر الصدر قدس سره وآية الله الشيخ الوحيد الخراساني دام ظله.

(٣) السيد ضياء السيد عدنان القطيفي: ص٨٩.

(٤) مجلة الموسم: ع١٧، المصدر السابق.

سلمان الخاقاني قدس سره يقول: إنه في أواخر الستينيات من القرن العشرين، أحصى ألفي إمام جماعة في العالم الإسلامي من تلامذة الإمام الخوئي»[١].

٨- وتحدث السيد عباس الموسوي (حفظه الله) فقال: «إذا دخلت النجف الأشرف، وأردت أن تستعرض حلقات التدريس العالي، ورأيت من بينها حلقة احتشد فيها المئات من الأفاضل والمحصلين، وقد التزموا جميعاً بالاستماع والإنصات.. ثم صوبت نظرك.. ورأيت سيداً قد تجمع وتوجه بكلمة على أعلى المنبر، ينحدر في إلقاء محاضراته وآرائه كالليل ينشر ثم يلف، وينقد ويسدد، ويخطِّئ ويصوِّب، معتدلاً في نقده وتخطئته، قريباً إلى النفوس في استنباطه واستنتاجاته.. لا يُبقي مجالاً للاعتراض عليه غالباً، حيث يأتي على كل شبهة ترد على الموضوع المتناول، من الأصول كان أو الفقه أو الكلام أو التغيير، وإذا اعترض أحد بعد الاستئذان فلا يطاوله ولا يماطله، حيث يرشده بسرعة إلى مقطع الحق ومفصل الجواب، أجل فذلك هو السيد أبي القاسم الخوئي»[٢].

٩- السيد مهدي الخلخالي (دام ظله): «اتفقت مع سماحة السيد السيستاني (دام ظله) أن نعرض على السيد الخوئي قدس سره أن يأتي بنظريات جديدة في دورته الثانية حتى يستفيد من حظر في الدورة السابقة أيضاً، وفي ليلة من الليالي بعد انتهاء الدرس، عرضنا عليه فكرتنا، فقال: إني حضرت بحث ثلاثة من الأساتذة، وهم: المحقق العراقي، والمحقق النائيني، والمحقق الأصفهاني، وقد انتخبت أحسن ما رأيت من آرائهم لكي أطرحها على الطلاب، وأرى فيه الكفاية الوصل إلى الاجتهاد، فإن أردتم ما هو أكثر من ذلك، فعليكم

(١) عبد الحسين الأمين: الإمام أبي القاسم الخوئي زعيم الحوزة العلمية، دار النور للطباعة والنشر، لندن، ٢٠٠٤م، ص١٣٤.

(٢) الشيخ جعفر آل محبوبة: ماضي النجف وحاضرها، ج١، ط٢، دار الأضواء، بيروت، ١٤٢٤هـ، ص٣٨٢.

أن تتعبوا أنفسكم»[١].

١٠- إجابة السيد الروحاني حول أعلمية السيد الخوئي، قوله: «السيد الخوئي أعلم من الشيخ الأنصاري بلا تردد...»[٢]، وقول السيد الروحاني أيضاً: «السيد الحكيم رحمه الله من العلماء المحققين والفقهاء قليلي النظير، وكتبه الفقهية مع المجتهدين في مقام الاستنباط، ومع ذلك السيد الخوئي أعلم منه ومن غيره من الأكابر وإن لم أقل إنه عديم النظير من أول زمان الغيبة إلى هذا الزمان»[٣]، وقول السيد الروحاني أيضاً: «هو الوحيد في هذا المضمار وحقيق بما قاله في حقه أحد الأكابر، قال: هو أستاذ وأستاذ كل من يحفظ عنه العلم في القرن الأخير»[٤]، وقول السيد الروحاني أيضاً: «السيد الخوئي بنظري أفقه فقهاء الشيعة من أول زمان الغيبة إلى الآن»[٥].

١١- شهادة السيد محمّد باقر الصدر قدس سره بأعلمية السيد الخوئي[٦].

١٢- شهادة الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء بأعلمية السيد الخوئي[٧].

١٣- شهادة السيد البهشتي بأعلمية السيد الخوئي[٨].

١٤- شهادة الشيخ الفياض بأعلمية السيد الخوئي[٩].

(١) ضياء السيد عدنان الخباز القطيفي: المصدر السابق، ص٦٦.

(٢) آغا بزرك الطهراني: نقباء البشر في القرن الرابع عشر، ج١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٩م، ص٧٢.

(٣) مجلة الموسم: ع٢٨، ١٤٧١هـ-١٩٩٦م، محمّد سعيد الطريحي، أكاديمية الكوفة، هولندا، ص١٣.

(٤) حسن الأمين: المصدر السابق، ص١٤٨.

(٥) السيد ضياء السيد عدنان الخباز القطيفي: المصدر السابق، ص٦٧.

(٦) السيد ضياء السيد عدنان الخباز القطيفي: المصدر السابق، ص٨٢.

(٧) المصدر السابق: ص٧٩.

(٨) المصدر السابق: ص٧٩-٨٠.

(٩) ينظر الملحق رقم (٨).

١٥- شهادة الشيخ بشير النجفي بأعلمية السيد الخوئي[١].

المبحث الثاني

الدور الاجتماعي والسياسي للسيد الخوئي قدس سره

خدماته الاجتماعية:

لم تتوقف قضية الخدمة والاهتمام الاجتماعية لديه عند حدٍّ دون حد، وبلد دون بلد، بل كان للأمة بحق بمثابة الأب المشفق على أبنائه والمرجع الأعلى لهم، ومثلاً لقيادة أهل البيت عليهم السلام، الذين هم خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي يصفه الله تعالى بقوله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٢]، وقد تجلت هذه المشاعر الأبوية بشكل عملي واضح في كل يوم من أيام حياته الشريفة، وخصوصاً في المحن والشدائد التي حفل بها التأريخ المعاصر لهذه الأمة[٣].

كان الإمام الراحل يحمل بين جنبيه قلباً كبيراً ويتألم لمعاناة المسلمين، ولم يكتف بالتحرق الصادق، بل قام بكل ما كان بوسعه لمساعدتهم عملياً، وتخفيف معاناتهم، وكان رضوان الله تعالى عليه يتابع بنفسه أخبار المسلمين ويصرف وقتاً غير قليل من وقته الثمين، لمتابعة أهم الأخبار التي تتعلق بالإسلام والمسلمين، وطالما كان يؤرق ويترك النوم جراء حادثة محزنة يمنى بها المسلمون هنا وهناك ويمكن تناول خمسة محاور رئيسة لتوضيح اهتمام ورعاية الإمام الراحل بشؤون الأمة[٤]:

(١) ينظر الملحق رقم (٩).
(٢) ينظر الملحق رقم (١٠).
(٣) ينظر الملحق رقم (١١-١٢-١٣).
(٤) ينظر الملحق رقم (١٤).

١ - الحوزات العلمية:

لقد تجاوزت رعاية الإمام الراحل رضوان الله تعالى عليه الحوزات العلمية كل الحدود السابقة التي كانت مألوفة قبل مرجعيته العامة، فبعد أن كان الاهتمام منصباً على رعاية طلاب ومدرسي حوزة النجف الأشرف وقم المقدسة والمشهد المقدس في خراسان، فقد توسع اهتمام الإمام السيد الخوئي قدس سره ليشمل الحوزات العلمية في كل المدن العراقية والإيرانية بتوسع أكثر، فشمل المدارس العلمية في باكستان والهند، ثم تايلند وبنغلاديش، ثم أفريقيا، ثم أوروبا وأمريكا[١].

وكذلك من جانب الرعاية المالية حيث لم تشهد الحوزات العلمية ازدهاراً معاشياً في عصورها المختلفة كما شهدت تحت رعاية الإمام الخوئي رضوان الله تعالى عليه.

ومن جانب التوسع الكمي والكيفي اللذين شهدتهما الحوزات العلمية تحت توجيهاته ورعايته، فيكفي ذكر أنه أمر بإنشاء عشرات المدارس العلمية التي أصبحت مراكز للتعليم والتعلم في بلاد كثيرة، نذكر بعضاً منها في بلاد الهند وبنغلادش، كمدرسة صاحب الزمان في كهولنا - بنغلادش، ومدرسة أهل البيت عليهم السلام في (هوالي - البنغال الغربية)، ومدرسة أمير المؤمنين عليه السلام التي تعد اليوم نموذجاً للحوزات العلمية في تلك البلاد، ومدرسة الإمام الباقر عليه السلام في بهيوندي، ومدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه في (علي ئور)، والمدرسة الإيمانية في نبراس والحوزة العلمية في حيدر آبار، بالإضافة إلى كثير من المدارس المنتشرة في أنحاء البلاد الهندية التي أنشئت بأمره، أو التي تم احياؤها بعد أن اضمحلت بسبب ظروف الدهر[٢].

(١) ينظر الملحق رقم (١٥).

(٢) ينظر الملحق رقم (١٦).

وأما في باكستان فقد تأسست العشرات من المدارس العلمية وازدهرت عشرات أخرى بسبب الاهتمام الكبير الذي أولاه هذا المرجع العظيم، وفي أفريقيا أنشئت بأمره وتحت رعايته مدارس علمية في عدة بلدان، خرجت وتخرج المبلغين الكثر الذين يرشدون الناس إلى دين الحق.

وفي بريطانيا أنشئت مدرسة السيد الخوئي في لندن للدراسات الحوزوية، وفي أمريكا الشمالية أنشئت المدرسة الدينية في مدينة مداينا، وكذلك في لبنان وسوريا وتركيا، فإن رعاية سماحة الإمام الراحل عبر وكلائه قد أدت إلى تطور كبير في وضع طلبة العلوم الدينية في تلك البلاد، مضافاً لما قدمه من خدمات جليلة وما أضفى على الحوزات العلمية الرئيسية ومدارسها ومكتباتها ووضع طلابها وأساتذتها كحوزة النجف الأشرف وحوزة قم المقدسة وحوزة المشهد الرضوي، بتوابعها المختلفة المتعددة، التي تعتبر اليوم أساس وقوام الحوزات الدينية للمذهب وباختصار يمكن القول إن الإمام الخوئي رضوان الله تعالى عليه، كان رائد النهضة العلمية الحديثة وراعيها في العالم الإسلامي الشيعي المعاصر من دون منازع[1].

٢- المشاريع الخيرية:

لقد كان الإمام الراحل رضوان الله تعالى عليه ينتظر لسنوات طويلة أن تتوفر لديه الإمكانات اللازمة لإنشاء مشاريع كبيرة يستمر نفعها إلى الأجيال القادمة وتتسع دائرة الاستفادة منها إلى أبعد حد ممكن، كان ذلك إدراكاً منه بطبيعة ظروف هذا العصر، وضرورة إنشاء المشاريع التي ترفع شأن المؤمنين وتوفر لهم مصدراً ومركزاً باقياً من مراكز النفع العام، فتوجه رضوان الله تعالى عليه إلى إنشاء مدينة متكاملة لطلاب العلم ومدرسي الحوزة العلمية في قم المقدسة وهي

(١) ينظر الملحق رقم (١٧).

اليوم مدينة شامخة باسم (مدينة العلم) «وهي مدينة سكنية متكاملة ويسكنها الآلاف من طلبة العلوم الدينية»[١].

كما أنشئت بأمره رضوان الله تعالى عليه مدرسة علمية في مدينة مشهد المقدسة تعد أكبر مدرسة علمية حوزوية في العالم الشيعي أجمع، وهي عماد ومركز الحوزة في الوقت الحاضر، وفي لبنان كان مشروعه الكبير المعروف باسم (مبرة الإمام الخوئي) داراً للأيتام تضم اليوم أكثر من ألف ومائتي يتيم ويتيمة، يعيشون منعمين بوسائل الراحة والرعاية، وقد شهدت بعض المنظمات الدولية المتخصصة لهذه المبرة، بأنها من أفضل دور رعاية الأيتام في منطقة الشرق الأوسط[٢].

ومضافاً إلى ما ذكر في الهند فقد تفضل رضوان الله تعالى عليه بالأمر بإنشاء مجمع ثقافي ضخم قرب مدينة بومبي على مساحة من الأرض تقارب المليون قدم مربع، يعد أكبر مشروع إسلامي شيعي في العالم على الإطلاق، يشمل مدارس وثانويات وكليات أكاديمية، ومدارس حوزوية، ومعاهد مهنية، ومستشفى كبيراً، ومسجداً ضخماً وتوابع كثيرة، تجعل من المشروع مدينة متكاملة، وقد أمر رضوان الله تعالى عليه بإنشاء مشروع تعليمي ضخم آخر في مدينة إسلام آباد في باكستان[٣].

كما وإن مشروع المركز الإسلامي للإمام الراحل مشهور في نيويورك الذي يتألف من عشرة أقسام منها مكتبة كبيرة تحتوي على عشرة آلاف كتاب تقريباً، وجناحان من الصفوف لتعليم الأطفال، ومغتسل لتجهيز موتى المسلمين،

(١) ينظر الملحق رقم (١٨).

(٢) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

(٣) حسن الأمين: المصدر السابق، ص٢٤٨.

وغير ذلك من الأقسام الأخرى[١]، ومدرسة دار العلم في بانكوك وهي الآن تشكل مركز الإشعاع الفكري لمدرسة أهل البيت عليهم السلام وهناك مشاريع كثيرة تفضل سماحته بدعمها مادياً ومعنوياً منتشرة في أنحاء العالم كالمكتبات العامة والمشاريع المتعددة في العراق وباكستان والهند وتايلند وأفريقيا وغيرها من البلاد[٢].

وينبغي أن نوضح هنا جانباً مهماً آخر من جوانب رعاية سماحته رضوان الله تعالى عليه للمشاريع النافعة، وذلك عن طريق إجازاته السخية للمؤمنين بدفع الحقوق الشرعية المتعلقة بذمتهم للمشاريع الخيرية العامة مباشرة ولا نبالغ إذا قلنا إن الألوف من المدارس والمساجد والحسينيات ودور الأيتام والمستشفيات والمستوصفات وغيرها من مشاريع الخير لم تكن لتنجح وتتطور لولا إجازات سماحته ودعمه المادي والمعنوي لها، وهي منتشرة في أنحاء المعمورة، ويحتاج رصدها إلى كتاب ضخم[٣].

كما أن رعايته رضوان الله تعالى عليه للأمة تجاوزت ذلك الحد وتعدته إلى تشجيعه الرجال المخلصين أن ينظموا صفوف الأمة وينظموا أعمالها ومشاريعها وخدماتها، فكان رحمه الله تعالى، يشجع كثيراً ويؤكد على (تنظيم الأمور) في الأعمال الدينية والخيرية والاجتماعية، ولقد لقيت منه الجمعيات الشيعية المعروفة والنشيطة في مختلف البلدان كل الدعم والإسناد والتأييد، بل أجاز بعضها باستلام الحقوق الشرعية وصرف جزء منها في المشاريع النافعة.

(١) حسين الأمين: المصدر السابق نفسه.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) السيد ضياء السيد عدنان الخباز القطيفي: المصدر السابق، ص٣١٤.

٣- مواقفه في معالجة أضرار الكوارث الطبيعية والأزمات:

كان الإمام الخوئي سباقاً لإغاثة المنكوبين في أية بقعة من بقاع الأرض يسكنها أتباع أهل البيت عليهم السلام ويتوطن فيها التشيع، موقفه بإغاثة المنكوبين في الزلزال الأخير الذي ضرب أجزاء من شمال إيران، وكذلك مساعدته الفورية لمنكوبي الخسف الذي أصاب گرگيل في كشمير قبل بضع سنوات، وكذلك مساعدته ضحايا الجفاف في الهند[١].

٤- مواقفه في الأزمات والمحن:

كان حريصاً على أن يتبع الأزمات والمحن التي يتعرض لها المؤمنون والمسلمون في أنحاء الأرض ويسعى بكل جهده لمساعدتهم ففي أيام الحرب العراقية الإيرانية قدم رضوان الله تعالى عليه لمنكوبي ومشردي الحرب كل أنواع الرعاية والمساعدات الممكنة، وكان في الوقت نفسه طوداً شامخاً أمام الظالم الطاغية الذي حاول بكل وسائل الضغط والإيذاء أن ينتزع منه ولو كلمة واحدة لصالح نظامه الجائر فلم يفلح وانتصر الصبر الحسيني والجهاد الراسخ للإمام الراحل رضوان الله تعالى عليه على ظلم الطاغية ودهائه خصوصاً أن المعونات والخدمات كانت متواصلة في المدن على طرفي النزاع تقدم المساعدات وتقدم الخدمات للمتضررين المقهورين في إيران والعراق طوال ثماني سنوات من الحرب وبعدها[٢].

وكان موقفه رضوان الله تعالى عليه من محنة المسلمين في أفغانستان واضحاً جلياً، فقد قدم كل أنواع الدعم، حتى أنه أجاز المؤمنين بدفع الحقوق الشرعية لتمويل عمليات الجهاد ضد الغزاة السوفيت، وكان رضوان الله تعالى عليه

(١) حسن الأمين: المصدر السابق، ص٢٥٠.

(٢) السيد ضياء السيد عدنان الخباز القطيفي: المصدر السابق: ص٣١٣.

يرسل مبالغ كبيرة مباشرة لدعم جهاد المؤمنين الأفغان ضد الكفار[١].

وفي لبنان وفلسطين كان الإمام رضوان الله تعالى عليه يشجب باستمرار أعمال أعداء الإسلام ويستنهض المسلمين لجمع صفوفهم في مواجهة عدوهم، وكان إضافة إلى ذلك يرعى فقراء لبنان بتوزيع المواد الغذائية عليهم، ويدعم الوجود الإسلامي بكل الوسائل الممكنة[٢].

كما وفي أثناء غزو الكويت من قبل النظام الجائر في العراق عام ١٩٩٠م-١٤١٠هـ، كان للإمام الراحل رضوان الله عليه أروع المواقف في احتضان أبناء الكويت المشردين والمنكوبين، فقد أمر وكلاءه في كافة البلاد التي تواجدوا فيها، لاحتضان أبناء الكويت المشردين من بلادهم، وبدفع مبالغ كافية لرعاية شؤونهم وعوائلهم، إلى أن انجلت الأزمة، وأصدر فتواه الشهيرة إبان الغزو بحرمة الاستفادة والبيع والشراء من مسروقات الكويت، وهو يرزخ في العراق تحت سلطة النظام الجائر الذي لا يرحم[٣].

وكذلك موقفه الأخير في مساعدة المظلومين من المهجرين العراقيين قبل الانتفاضة الشعبانية ١٤١١هـ-١٩٩١م وبعدها في الخارج، ورعاية أهليهم في الداخل، وغير ذلك من المواقف التي ثبت أنه كان رضوان الله تعالى عليه كهفاً يلوذ به اللائذون ويلجأ إليه المؤمنون.

٥- تأسيس مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية:

أمر سماحة الإمام الراحل رضوان الله تعالى عليه بتأسيس مؤسسة خيرية عالمية مسجلة رسمياً تجاوباً مع إحساسه بضرورة إرساء قواعد مؤسسات قوية

(١) مجلة الموسم: ع١٧، المصدر السابق، ص٦٨.

(٢) حسن الأمين: المصدر السابق، ص٢٥١.

(٣) السيد ضياء السيد عدنان الخباز القطيفي: المصدر السابق، ص٣١٣.

قادرة على تقديم خدمات مستمرة للمؤمنين كما تقوم مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية بوضعها الشرعي والقانوني اليوم برعاية المشاريع الكبرى التي أسسها سماحة الإمام رضوان الله عليه وهي مؤهلة للاستمرار لوقت طويل جداً إن شاء الله تعالى في خدمة المسلمين.

إن تأسيس هذه المؤسسة بادرة مباركة ترسي مشاريع الطائفة على أسس قوية وتكفل لها الاستمرار والتطور، وهي إنجاز رائع وخطوة شجاعة قام بها المرجع الأعلى الذي ترك لهذه الأمة تراثاً ضخماً من العلم والعلماء، والمساجد والمدارس، والمشاريع النافعة.. وفوق كل ذلك المبادئ العظيمة التي عاشر من أجلها وكرس حياته الشريفة لها.. ألا وهي إعلاء كلمة الله تعالى ورفع راية محمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم، وخدمة المؤمنين[١].

أ. موقف السيد الخوئي من المخططات الشاهنشاهية في إيران:

منذ انتفاضة الشعب الإيراني ضد نظام الشاه عام ١٣٤١هـ-١٩٢٢م، وما بعدها كان للسيد الخوائي قدس سره دور واضح في دعم تلك النهضة ومساعدتها بالطرق المختلفة، فقد أصدر عدة بيانات تدل على عظم اهتمامه، وعمق نظرته البعيدة في التصدي للنظام الشاهنشاهي العميل[٢].

بعد رحيل آية الله العظمى السيد حسين البروجردي سنة ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م تصور الشاه محمّد رضا بهلوي أن الساحة أصبحت مهيأة لتنفيذ مخططاته من غير أن يقف بوجهه أحد، وكان أول مشاريعه الاعتراف بإسرائيل بشكل رسمي[٣]، والذي نتج عنه بناء علاقات وطيدة بين البلدين على مختلف الأصعدة السياسية

(١) حسن الأمين: المصدر السابق، ص٢٥١.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) السيد ضياء السيد عدنان الخباز القطيفي: المصدر السابق، ص٣١٣.

والاقتصادية والثقافية والأمنية، والعسكرية الحساسة جداً، فضلاً عن تحويل قم المقدسة إلى مستنقع للرذيلة عن طريق افتتاح الملاهي والبارات والنوادي الليلية[١].

قيام النظام بطرح لائحة إصلاح مواد الانتخابات في البرلمان وكان أحد بنودها حذف كلمة (الإسلام) من شروط الناخبين المنتخبين، مع تمكن المنتخب من تأدية القسم بأي كتاب سماوي، مما أثار هذا البند حفيظة علماء الدين لما ينطوي عليه من تهميش للشريعة الإسلامية المقدسة، فضلاً عن طرح النظام مشروع (الثورة البيضاء) وكان يشتمل على عدد من المخططات الاستعمارية تحت مظلة الإصلاح والطلب من الشعب المصادقة الوطنية عليه عن طريق الاستفتاء العام، مما أدى إلى زيادة الاحتقان ضد الشاه وزمرته، وكان نتيجة لذلك حادثة المدرسة الفيضية في قم المقدسة التي ذهب ضحيتها عشرات القتلى والجرحى من أهل العلم في آخر شوال سنة ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م[٢].

وتضامناً مع الحوزة العلمية في قم المقدسة كانت للسيد الخوئي مواقف وكلمات حاسمة وشجاعة كان لها الأثر الكبير في رفع معنويات مراجع حوزة قم وعلمائها من جانب، وتوهين مخططات الشاه وعملائه من جانب آخر، وتلك البرقيات تناقلتها الصحف المحلية والعربية والعالمية، كما أصدر بياناً حول أحداث ١٩٧٨م التي سبقت انتصار الثورة الإسلامية في إيران[٣].

ب. الاضطهاد البعثي للسيد الخوئي قدس سره:

حوزة النجف الأشرف حوزة علمية تعود جذورها إلى زمن مؤسسها

(١) حسن الأمين: المصر السابق، ص٢٥٣.

(٢) السيد ضياء السيد عدنان الخباز القطيفي: المصدر السابق، ص٣٠٠.

(٣) حسن الأمين: المصدر السابق، ص٢٥٣.

الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) وقد تولى رعايتها الأعلام خلفاً عن سلف، حتى تناهت زعامتها إلى زعيم الحوزات العلمية السيد الخوئي قدس سره، غير أنه ابتلي بما لم يبتل به غيره ممن سبقوه، حيث اقترنت زعامته بتسلط نظام البعث، الذي انتهج سياسة إبادة للحوزة العلمية وفق مسلسل مدروس كان منها: إزالة محلة (العمارة) الواقعة في قلب النجف الأشرف، وهي مجمع الحوزات والمدارس العلمية، وبيوتها مقر مراجع الدين[1]، أعقبها في سنة ١٣٩١هـ-١٩٧١م بحملة تهجير العلماء وطلبة العلم غير العراقيين وكانت هذه الضربة القاصمة للحوزة الشريفة، كونهم يشكلون نسبة كبيرة من الوجود الحوزوي.

جاءت بعدها المحاولات الكثيرة التي مارستها السلطة إلى الاستفادة من كلمات[2] السيد الخوئي قدس سره في فترة اندلاع الحرب العراقية الإيرانية[3]، منها: بعث مجلس الثورة مندوباً عنه وهو مدير الأمن العام، فقال للسيد الخوئي: إن ابتعادكم عن السياسة أمر جيد، ولكنكم ذكرتم في رسالتكم العملية: أنه إذا اقتتلت فئتان من المسلمين، فإنه ينبغي قتال الفئة الباغية، ونحن نطلب منكم تحديد ذلك صريحاً.

فقال له السيد الخوائي قدس سره: إن الأمر يحتاج إلى تفكير.

وعلى إثر ذلك جمع السيد قدس سره عدة من تلامذته.. فطرح القضية وقال: نحن نواجه أمرين لا ثالث لهما، فإما الاستجابة لما يريدون، وإما الشهادة فماذا تريدون؟

فقال ابنه السيد محمّد تقي الخوئي قدس سره: أنا أرى أن طلب الشهادة أفضل من

(١) حسن الأمين: المصدر السابق نفسه.

(٢) المصدر السابق: ص٢٥٤.

(٣) مجلة الموسم: ع١٧، المصدر السابق، ص٨٩٩.

العيش ذلاً تحت مطرقة النظام الجائر.

فقال له السيد الخوئي قدس سره: وأنا أيضاً أرى ما ترى[١].

ولما راجع مدير الأمن السيد الخوئي قدس سره ليعرف منه نتيجة تفكيره، أجابه بالنفي وعدم كتابة ما يضر بمصلحة الثورة الإسلامية، فهدده مدير الأمن وتوعده، ولكنه فوجئ بأن السيد الخوئي قدس سره كالطود الأشم الذي لا تهزه الرياح.

عاودوا الأمر ثانية بعد اعتقال أحد مستشاري السيد الخوئي الشيخ أحمد الأنصاري، فاشترط النظام أن يبدي السيد الخوئي قدس سره بعض التعاون مع النظام البعثي، إلّا أنها باءت بالفشل هي الأخرى، حيث إنه لم يكن يقبل المساومة على مبادئه، ولو كان على حساب التضحية بأعز مقربيه.

وقد زورت السلطة بياناً للسيد الخوئي قدس سره والذي جاء فيه: «بالنسبة إليّ لم أر من الحكومة الموقرة إلّا خيراً، أما بالنسبة إلى الحوزة العلمية والإيرانيين فقد سمعت من بعض الثقات أن الحكومة تعاملهم معاملة حسنة»[٢]، وقد نقل عن بعض ثقاته أن السيد الخوئي قال له: «هذا البيان مزور، ولم يصدر مني، ويمكنك أن تكذبه عني»[٣].

ويذكر الشيخ محمّد حسين الصغير أنه: حملت جوازات الإمام الخوئي وأسرته وبعض مرافقيه ومساعديه وهي أربعة وعشرون جواز سفر، وقدمتها إلى إبراهيم خلف وهو مدير أمن النجف في مقر المنظمة الواقع قرب دائرة الدفاع المدني، وقلت: إن السيد الخوئي عازم على المغادرة قراراً نهائياً[٤]، ولكن أين

(١) السيد ضياء السيد عدنان الخباز القطيفي: المصدر السابق، ص٢٨١.

(٢) المصدر السابق: ص٢٩٤.

(٣) المصدر السابق: ص٢٨٢.

(٤) للتفاصيل حول تلك البرقيات ينظر: هاشم فياض الحسيني: لمحات من حياة الإمام المجدد

المحافظ يا إبراهيم؟ قال: المحافظ مع القيادة مجتمعون في صالة أخرى هنا وأنا المنسق بينك وبينهم، وقد قلت: إن مغادرة الإمام الخوئي العراق هدية بطبق من ذهب إلى محمّد رضا بهلوي، وهو عدوكم الحقيقي لا الحوزة العلمية، وسوف يستقبل استقبالاً حافلاً في إيران، وسوف يغضب كل شيعة العالم عليكم، وربما تصدر جملة من الفتاوة بكفركم كما حصل ذلك بالنسبة للحزب الشيوعي.

وكانت المواصلات بينه وبين المحافظ وأصحاب القرار في بغداد جارية على قدم وساق، وكانت النتيجة أن أرجع إلي الجوازات بالقول: لا توافق القيادة في بغداد على مغادرة السيد الخوئي العراق، بأي شكل من الأشكال وسوف تعالج الأوضاع وتحل المشكلات، وطلب مني إبراهيم خلف مدير أمن النجف الاجتماع بالسيد الخوئيقدس سره وبحضوري[١] وكان السيد الخوئيقدس سره بأقصى درجات التأثر والانفعال وهو يؤنب مسؤول القيادة على التصرفات الشاذة بحق رجال الدين، واعتقالهم وإلحاق عوائلهم بهم لغرض التسفير[٢]، وأمام هذا كان إبراهيم خلف صامتاً ولكنه وعده بمراجعة الأمر وقضايا التسفير وتجديد الإقامات، غير أن الأمر ترك معلقاً، وبعدها ذهب مع وفد[٣] إلى بغداد في محاولة أخيرة لحل هذه الإشكالية المستعصية في تخفيف معاناة أهل العلم، وتجديد الإقامات للأجانب في ضوء واقع الدراسة في النجف الأشرف، وفي صباح ٢٧/ ٦/ ١٩٧٥م الموافق ١٣٩٥هـ اتصل الشيخ محمّد حسين الصغير به

السيد الخوئي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بيروت، (د.ت)، ص٨٩؛ محمّد أمين نجف: المصدر السابق، ص٥٦٣.

(١) السيد ضياء السيد عدنان الخباز القطيفي: المصدر السابق، ص٣٠٠.

(٢) محمّد أمين: المصدر السابق، ص٥٦٣.

(٣) حسن الأمين: المصدر السابق، ص٢٤٦.

حول الموضوع فقال: أبلغ السيد الخميني[١] والسيد الخوئي بأن الإقامات سوف تجدد كما يشاؤون، بشرط أن يجري تشخيص الحوزة العلمية من خلال قوائم الرواتب للسيدين الخميني والخوئي، فمن كان مدرجاً في تلك القوائم ستجدد إقامته وهذا كل ما أستطيع عمله[٢].

وتوجهت إلى النجف الأشرف فوراً، فوصلت الكوفة بعد الظهر ودخلت على السيد الخوئي في داره فأخبرته بالموضوع، فتهلل وجهه فرحاً، ودعا للدكتور الجواري، وألزمني بتناول الغداء معه، هذا ما يعكس التعلق الروحي للسيد الخوئي بالحوزة العلمية في النجف وجوار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهي بالوقت ذاته تعكس همجية وتغطرس السلطة تجاه الحوزة واضطهادها.

وكانت النتيجة أن زُوِّد المسؤولون في النجف بالقوائم المطلوبة فجددت إقامتهم وكان عدد تلك الإقامات (٢٥٠٠) إقامة، وهو أمر خطير بالنسبة لتلك الأوضاع الأمنية التي قابل بها المسؤولون علماء النجف[٣].

فضلاً عن الموقف الذي تبناه السيد الخوئي قدس سره بوقوفه بوجه حملة التهجير الهمجية وحكمه بحرمة الهجرة من النجف الأشرف، إلّا لمن أجبره البعثيون على ذلك[٤].

وبهذا الصدد كان يقول: «أنا لن أترك النجف إلى أن يوثقوا يدي ويلقوني في سيارات التهجير...» كما كان يقول: «لن أدع قائلاً يقول إن الشيخ الطوسي قدس سره

(١) عادل رؤوف: العمل الإسلامي في العراق بين المرجعية والحزبية، المركز العراقي للإعلام والدراسات، دمشق، (د.م)، ص٤٥٤؛ أحمد عبد الله أبو زيد العاملي: المصدر السابق، ص٤٦٨.

(٢) السيد ضياء السيد عدنان الخباز القطيفي: المصدر السابق، ص٣٠١.

(٣) أحمد عبد الله أبو زيد العاملي: المصدر السابق، ج٢، ص٤٥٣.

(٤) السيد ضياء السيد عدنان الخباز القطيفي: المصدر السابق، ص٣٠٢.

أسس النجف، والسيد الخوئي هدمها».

مما يستنتج بأن السيد الخوئي ومسألة عزمه على السفر وتقديم أربعة وعشرين جواز ما كانت إلّا وسيلة ضغط أريد منها إحراج الحكومة وبالنتيجة أتت ثمارها في تجديد الإقامات.

وفي سنة ١٤٠٢هـ قامت السلطات بالاعتداء على منزل الابن الأكبر للسيد الخوئي قدس سره السيد جمال الخوئي قدس سره محاولة قتله وقد أصيب بجروح بليغة كادت أن تودي بحياته.

كما في سنة ١٤٠٤هـ قامت السلطات الجائرة بالهجوم على سيارة السيد الخوئي قدس سره بالقنابل اليدوية وهو في الطريق من بيته في الكوفة إلى جامع الخضراء[١]، لأداء فريضة الظهر وقد نجا من ذلك بقدرة قادر، وفي سنة ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م قام النظام العفلقي باغتيال صهر السيد الخوئي قدس سره آية الله السيد نصر الله المستنبط قدس سره عن طريق حقنه بإبرة سامة، وفي سنة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م تقريباً، أقدمت سلطات البعث على هدم مدرسة السيد الخوئي قدس سره المسماة بـ (دار العلم) والتي كانت مركزاً من مراكز الإشعاع الفكري والعلمي في الحوزة بالنجف الأشرف[٢].

ج- موقف السيد الخوئي من الانتفاضة الشعبانية:

ومن المحاولات التي قام بها النظام السابق في العراق لغرض تضليل الرأي العام الشيعي زعمه بأن إقدامه على احتلال الكويت قد تم تحت غطاء إسلامي فقد دسّ اسم السيد الخوئي قدس سره ضمن الأسماء التي أيدت ذلك من علماء المسلمين في خبر نشرته جريدة (النداء) إلّا أنه بتاريخ ١٢/ ١٢/ ١٩٩٠م

(١) تعود على الوسيط الشيخ محمّد حسين الصغير.

(٢) السيد ضياء السيد عدنان الخباز القطيفي: المصدر السابق، ص٣٠٣.

أعلن السيد الخوئي من النجف بأن ما تم نشره على لسانه ليس له أساس وإن موقفه هو استنكار العدوان على الكويت[١].

وفي آب ١٩٩٠م عندما قام النظام السابق بغزو الكويت وانتهاك حرمة الأهالي فيه ونهب وسرقة أموالهم، قام السيد الخوئي قدس سره بإصدار فتوى شرعية تشجب وتستنكر تلك العملية وحرّم فيها تداول البضائع الكويتية بيعاً وشراءً، مما أغاظ النظام وجلب سخطه، وما تلا تلك الحادثة من تشكيل التحالف الدولي لإخراج جيش صدام من الكويت وضرب العراق مؤدياً إلى انتفاضة عارمة للشعب ضد النظام الجاثم على صدره، شملت جميع محافظات العراق الجنوب والشمال في آذار ١٤١١هـ-١٩٩١م[٢]، وبعد الانتفاضة الشعبانية اعتقلت السلطات السيد الخوئي قدس سره[٣] مع ولديه: السيد محمّد تقي، والسيد إبراهيم، وصهره السيد محمود الميلاني، وجمع كثير من أقاربه وتلامذته وأعضاء مكتبه وقد تمت تصفيتهم باستثناء بضعة أفراد منهم[٤].

(١) تألف الوفد من السيد محمّد صالح الخرسان، والشيخ محمّد راضي وكان ذلك في ٢٢ حزيران ١٩٧٥م اتصلنا فوراً بالدكتور أحمد عبد الستار الجواري وكان آنذاك وزيراً لشؤون رئاسة الجمهورية، وهو على علاقة ممتازة بأحمد حسن البكر وهو على معرفة عميقة بأوضاع النجف الأشرف، وعلى صلة بمراجعها العظام فأبلغته بسلام السيد الخوئي عليه، وشرحت له أبعاد الموضوع وكان متفهماً له تماماً وتألم كثيراً وقال لي: اتصل بي بعد يومين أو ثلاثة، للتفاصيل ينظر: السيد ضياء السيد عدنان الخباز القطيفي: المصدر السابق، ص٣٠٤.

(٢) السيد ضياء السيد عدنان: المصدر السابق، ٣٠٣.

(٣) هو روح الله الخميني، فقيه بارع وفيلسوف، مرجع تقليد، له مواقف خالدة في الدفاع عن حياض الإسلام، منها مكافحة إنحرافات شاه إيران محمّد رضا بهلوي، وعمله الدؤوب في فضح مواقفه المعادية للإسلام، والممالئة لإسرائيل، وقائد الثورة الإسلامية، وباني الحكومة في إيران. للتفاصيل ينظر: عبد الرحيم العقيقي البخشايشي: كفاح علماء الإسلام في القرن العشرين، قم، ١٤١٨هـ، ص٣٨٦.

(٤) محمّد حسين علي الصغير: قادة الفكر الديني والسياسي في النجف الأشرف، بيروت، (د.ت)،

ونتيجة لتلك الانتصارات التي حققها الثوار على النظام الحاكم آنذاك أظهر فراغاً إدارياً في تلك المدن ومنها النجف الأشرف، الأمر الذي دفع بكبار العلماء وزعماء العشائر المعروفة بالتوجه إلى منزل السيد الخوئي لكونه المرجع الأعلى للشيعة بأن يتدخل لإنقاذ الوضع بإيجاد نظام ينظم حياة المجتمع[١] بالوقت الذي كان السيد الخوئي يراقب الأوضاع بحذر لاحتماله أن يكون خلو الساحة من السلطة إنما هو مخطط جديد من مكائد السلطة، وبعد اطمئنانه من زوال السلطة رأى أنّ لابد من تدخله كحاكم شرعي لمعالجة الوضع، وتنظيمه إدارياً، فأصدر للناس بياناً بعد يومين من اندلاع انتفاضة النجف:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

«.... فعليكم الحفاظ على ممتلكات الناس وأموالهم وأعرافهم وكذلك جميع المؤسسات العامة؛ لأنها ملك الجميع، والحرمان منها حرمان للجميع كما أهيب بكم بدفن جميع الجثث الملقاة في الشوارع وفق الموازين الشرعية وعدم المثلة بأحد، فإنها ليست من أخلاقنا الإسلامية وعدم التسرع في اتخاذ القرارات الفردية غير المدروسة، والتي تنافي الأحكام الشرعية والمصالح العامة[٢].

حفظكم الله ووفقكم لما يحب ويرضى إنه سميع الدعاء[٣]

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»

(١٨ شعبان المعظم ١٤١١هـ-١٩٩١م) (الخوئي).

ص١٩٦-٢٠٠.

(١) علي البهادلي: ومضات من حياة الإمام الخوئي، دار القارئ، بيروت، ١٤١٣هـ، ص٧٥.

(٢) السيد ضياء السيد عدنان الخباز القطيفي: المصدر السابق، ص٣٠٨.

(٣) حسن الأمين: المصدر السابق، ص٢٤٧.

وذكر بعض الكتّاب أن البيان عملياً قد خلق استعداداً وهمّة تعجز أي قوة في حينه من خلقها لدى الناس، التي تحركت متضامنة في معالجة المشكلة الميدانية: دفن الجثث، تأهيل المستشفيات، إعادة المواد المنهوبة إلى مخازنها، نقل الجرحى ومعالجتهم، فضلاً عن استعداد الناس إلى تنظيم شؤون المدينة، والدفاع عنها[١].

وقد تحوّل منزل السيد الخوئي إلى مركز للقيادة السياسية، فضلاً عن أعباء القيادة المرجعية والعلمية، مما دعاه إلى تشكيل لجنة عليا لإدارة الأمور وتنظيمها، وقد أصدر بياناً بهذه المناسبة[٢]، ولم تكتف المرجعية باللجنة التي شكلتها لمعالجة الأوضاع العامة في حدود النجف الأشرف فحسب، بل قامت بإيفاد ممثلين عنها لتفقد الأوضاع في المدن الأخرى والإشراف عليها ونقل الصورة الواضحة إلى السيد الخوئي[٣]، إلّا أنّ انتكاسة الانتفاضة بسبب إطلاق يد النظام الصدامي من قبل الأمريكان عن طريق القصف الجوي لمدينة النجف الأشرف وأهلها، وكان منزل السيد الخوئي من أكثر المواقع قصفاً[٤].

وفي تلك الظروف عرض على السيد الخوئي إما أن ينقل إلى خارج العراق، أو إلى منطقة نائية منه، كشمال العراق مثلاً إلّا أنّه رفض ذلك بقوله: «إما الشهادة أو النصر»[٥].

فقد تسنى للسلطة المتوحشة أن تنتقم من السيد الخوئي باقتحام منزله واقتياده معتقلاً مع ابنه السيد محمّد تقي ومجموعة من تلامذته إلى بغداد فضلاً عن تصفية ابنه السيد إبراهيم ومجموعة من أصهاره وأفراد عائلته، من قبل طه

(١) مجلة الموسم: ع١٧، المصدر السابق، ص٢٠٥.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) حسن الأمين: المصدر السابق، ص٢٤٧.

(٤) السيد ضياء السيد عدنان الخباز القطيفي: المصدر السابق، ص٣٠٩.

(٥) المصدر السابق: ص٢٩٥.

الجزراوي[١] وقد فرض النظام الإقامة الجبرية على سماحته في منزله في الكوفة حتى وفاته في ٨/ ٨/ ١٩٩٢م[٢].

وفاتـه:

قضى السيد الخوئي حياة حافلة بالعلم والعمل ناهزت التسعين عاماً، وبعد الظهر من يوم السبت الموافق ٨ صفر ١٤١٣هـ-١٩٩٢م حيث صلى الظهرين بدأت حالته الصحية بالتدهور، فظهر على صدره الشريف أثر ورم شديد، استوجب استدعاء فريق الأطباء المختصين غير أنهم لم يتمكنوا من الوصول إليه[٣].

وطلب من عياله الذين كانوا بالقرب منه الإتيان بالماء لكي يتوضأ، حتى يلقى الله تعالى طاهراً، إذ لم يكد ينتهي من وضوئه حتى فاضت روحه الطاهرة إلى الملكوت الأعلى وكانت وفاته عند الساعة الثانية وخمسين دقيقة عصراً من يوم السبت المصادف ٨ صفر ١٤١٣هـ - ٨ آب ١٩٩٢م[٤].

وعند انتشار الخبر أخذت الجماهير تتوافد وتحيط بمنزل السيد الخوئي في الكوفة، حتى أصبحت مدينة النجف مزدحمة بالناس وعند الساعة الرابعة من بعد الظهر أنزلت السلطة أفواجاً من القوات الخاصة، وأغلقت مداخل النجف والكوفة، ثم جاءت أفواج لتفريق الناس من حول منزل السيد الخوئي بدعوى أن التشييع في صباح اليوم الثاني[٥].

(١) مجلة الموسم: ع١١، ١٤١١هـ-١٩٩١م، محمّد سعيد الطريحي، أكاديمية الكوفة، هولندا، ص٩٩٨.

(٢) السيد ضياء الدين السيد عدنان الخباز القطيفي: المصدر السابق، ص٢٩٦.

(٣) عادل رؤوف: المصدر السابق، ص٤٥٥.

(٤) للتفاصيل ينظر: السيد ضياء الدين السيد عدنان الخباز: المصدر السابق، ص٢٩٩.

(٥) العمل الإسلامي في العراق بين المرجعية والحزبية: ص٤٥٨.

أعقبها الإعلان عن حالة منع التجوال في مدينتي النجف والكوفة ومدن أخرى في الوسط، وتمركزت مفارز تفتيش ودوريات مكثفة في النجف والكوفة تحسباً لردود الفعل الشعبية إثر انتشار نبأ وفاة السيد الخوئي والطريقة والغموض فيها، فضلاً عن شمول مناطق الثورة والشعلة والكاظمية بتلك الإجراءات التي تمثلت بحالة الاستنفار القصوى للأجهزة الأمنية وكانت الإذاعة والتلفزيون العراقي قد قطعتا برامجها العادية مساء يوم السبت وإعلانهما نبأ وفاة السيد الخوئي، من غير ذكر أسباب الوفاة، كما أعلنت أن مراسيم التشييع ستجري في صباح يوم الأحد المصادف ٩ صفر ١٤١٣هـ – ٨ آب ١٩٩٢م.

وعند منتصف الليل قبل طلوع الفجر يوم الأحد أبلغت السلطات أسرة السيد الخوئي بلزوم دفنه فجراً، كما أبلغتهم عن منعها الجماهير من المشاركة في مراسيم التشييع والدفن.

فقامت الأسرة حينئذ بتغسيله في داره الواقعة في الكوفة، ثم حملوا جنازته على السيارة قاصدين به حرم أمير المؤمنين عليه السلام، وبعد أن طافوا به حول الضريح المقدس قاموا بدفنه في مقبرته التي أعدها لنفسه بجوار مسجد الخضراء[١]، ولم يشارك في هذه المراسيم إلّا نفر قليل من أهله وتلامذته، كان أحدهم آية الله العظمى السيد علي السيستاني (دام ظله) الذي قام بأداء الصلاة على جنازة أستاذه الخوئي[٢].

ومن التواريخ الجميلة ما هو مكتوب على الصندوق الخشبي على قبره الشريف:

يـا زائـــراً قـبر الإمـــام المرتـضـى فـأبـشر سـعـدت وزرت خـير مـزار

(١) السيد ضياء السيد عدنان الخباز القطيفي: المصدر السابق، ص٢٩٦.

(٢) المصدر السابق نفسه.

ثم اتجه واقصد لمرقد عالم بجوار مرقد حيدر الكرار
قد كان للإسلام أكبر مرجع حاوي العلوم وقدوة الأبرار
حوزات أهل العلم غاب رئيسها والحزن عمَّ سائر الأقطار
وهنا مزار فقيه آل محمدٍ ويزار بالإجلال والإكبار
ومخلد أرخ حبي في لحده قد جاور الخوئي حامي الجار

وقد أعلن عليه الحداد في كل العالم الشيعي لعدة أيام، وعمَّ الحزن والأسى كل المناطق ذات الوجود الشيعي ورفعت صوره إلى جانب الأعلام السوداء، كما أخذ يرفع صوت الذكر الحكيم في المساجد والحسينيات، وخروج الكثير من أبناء الشيعة في مواكب عزائية حزينة معزين إمام الزمان عجل الله فرجه الشريف والمراجع العظام فضلاً عن قيام مجالس فاتحة في المساجد والحسينيات منها[1]:

١- حداد عام ومجالس فاتحة في المراكز الدينية في لبنان.
٢- أقام ذوو الفقيد مجلساً للفاتحة في صحن السيدة زينب عليها السلام في سوريا ولمدة ثلاثة أيام.
٣- أقام حزب الله مجلس عزاء ليلاً في بعلبك ولمدة ثلاثة أيام.
٤- وفي الكويت أقيمت مجالس فاتحة في كثير من المساجد والحسينيات حضرتها وفود رسمية وشعبية.
٥- وفي البحرين أقام علماؤها مجالس الفاتحة ولمدة ثلاثة أيام على روح السيد أبي القاسم الخوائي قدس سره.
٦- وفي دبي وأبي ظبي وغيرها أقيمت مجالس الفاتحة على روح الفقيد قدس سره.
٧- وفي الهند وباكستان وأفغانستان أقيمت مجالس الفاتحة على روح الفقيد.
٨- وفي إيران بلغ عدد مجالس الفاتحة يومياً أكثر من (٥٠) مجلساً ولمدة أسبوع.

(١) عادل رؤوف: المصدر السابق، دمشق، (د.ت)، ص٣٥٩.

٩- وفي جميع المراكز الإسلامية في نيويورك ولندن وباريس أقامت الجالية الإسلامية الفاتحة على روحه الطاهرة[١][٢].

كما أبّنه المراجع العظام ببيانات تحدثت عن عظمة منزلته العلمية، كان منها بيان:

١- آية الله العظمى السيد محمّد رضا الكلبيكاني قدّس سرّه[٣].
٢- آية الله العظمى السيد علي السيستاني (دام ظله الشريف).
٣- آية الله العظمى السيد تقي القمي.

كما اهتمت الصحافة الغربية ومحطات الإذاعة والتلفزيون في أوروبا وبقية أنحاء العالم بتغطية أنباء وفاته على نطاق واسع ولعدة أيام[٤].

وقد رثاه عدد كبير من الشعراء منهم:

١- الشيخ حسن القيسي، بعنوان فقيد العلم.
٢- عبد الزهراء المولاني، بعنوان علي والملائك شيعاه.
٣- سعيد محمد، بعنوان يا منار العلم.
٤- أم محمد، بعنوان أربعون مضت.
٥- سلمان عبد الله الحبيب، بعنوان دمعة على الخوئي.
٦- الأستاذ القطان، بعنوان بكاك الكتاب.
٧- السيد فاضل جمال الدين، ذكرى رحيل الإمام الخوئي[٥].

(١) حسن الأمين: المصدر السابق، ص٢٤٧.
(٢) أما في العراق ربما كانت مجالس العزاء محدودة أو سرية نتيجة للاضطهاد الذي كانت تمارسه السلطة الجائرة بحق الشعب وبالذات بحق الطائفة الشيعية.
(٣) السيد ضياء السيد عدنان الخباز القطيفي: المصدر السابق، ص٣١٧.
(٤) مجلة الموسم: ع١٧، المصدر السابق، ص١٤٧.
(٥) للتفاصيل والوقوف على عدد وأسماء وقصائد من رثى السيد الخوئي قدّس سرّه ينظر: مجلة الموسم: ع١٧، المصدر السابق، ص٣٩١-٤١٧.

الخاتمة:

يتضح مما سبق أن السيد أبي القاسم الموسوي الخوئي، نشأ نشأة علمية وسط أسرة تهتم بالعلم والمعرفة، وكانت هجرته من موطنه مدينة خوي الواقعة في إقليم أذربيجان في إيران سنة ١٣٢٨هـ-١٩١٠م الهدف من ورائها هو الدراسة والعلم لينهل من حوزة النجف بجوار مرقد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث يوجد عمالقة الفكر الحوزوي أمثال النائيني قدس سره ومحمد حسين فتح الله شيخ الشريعة وغيرهم من العلماء في بحوث الخارج وله من العمر إحدى وعشرون سنة، وتدرج في مراحلها حتى نال درجة الاجتهاد في فترة مبكرة من عمره، وارتقى منبر الدرس لفترة تمتد إلى ثلاثة أرباع القرن حتى أصبح المرجع المطلق ولقب بأستاذ الحوزات العلمية، وانبرى السيد الخوئي لتنظيم شؤون الحوزات والاهتمام بالطلبة من حيث بناء المدارس ودفع المرتبات وإنشاء المؤسسات الخيرية وميراث الأيتام وبناء المساجد، وفضلاً عن العناية والاهتمام بضحايا الكوارث الطبيعية.

إن السيد الخوئي لا يعبر عن انتمائه لبلده الذي ولد فيه وهو إيران، وإنما كان يقف وينتصر إلى جميع المسلمين الذين يتعرضون إلى الظلم في جميع البلدان سواء كان ذلك في العراق أم إيران أم غيرهما.

واستطاع السيد الخوئي تحريض الشعب الإيراني على رفض الاستفتاء حول بعض الإصلاحات التي كان يتطلع الشاه إلى إجرائها لإطلاق اليد للتدخل الصهيوني في إيران ومواد دستورية تهدف إلى التقليل من شأن القرآن الكريم، فضلاً عن رفع معنويات علماء حوزة قم المقدسة في الوقوف بوجه السياسة الرذيلة للشاه تجاه قدسية مدينة قم المقدسة، وكان ذلك من خلال البيانات التي أصدرها السيد الخوئي في مؤازرة الشعب الإيراني.

وكذلك بالنسبة للعراق حيث تزامنت مرجعيته قدس سره مع حكم جائر جعل من الشيعة والتشيع هدفاً للإرهاب وطغيانه خصوصاً بعد قيام الثورة الإسلامية في إيران، حيث اعتبرها النظام خطراً مباشراً عليه، وفي تلك الظروف الصعبة التي كانت تعانيها الحوزة العلمية، كانت مهمة المرجع السيد الخوئي قدس سره تكاد تنحصر بالمحافظة على دور الحوزة واستقلالها، لمتابعة مهامها العلمية والفقهية، واستمرار الدور التأريخي لمدينة النجف الأشرف وتاريخ حوزتها العلمية منذ تحولها من بغداد سنة ٤٤٩هـ-١٠٥٧م على يد شيخ الطائفة الطوسي قدس سره.

بالوقت الذي أرادت السلطة انحياز المرجعية إلى جانبها في مواقفها اللاإنسانية واللاإسلامية، ومطالبتها الإمام بإصدار فتوى ضد الجمهورية الإسلامية في إيران، وعند رفض السيد الخوئي قدس سره ذلك الأمر تعرض إلى مسلسل إجرامي، تمثل بالاعتداء على منزل نجله الأكبر السيد جمال الدين في سنة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، واعتقالها مجموعة كبيرة من رجال الدين وتلامذة السيد الخوئي قدس سره وإعدامها الكثير منهم وتفجير سيارة السيد الخاصة سنة ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م وهو في طريقه إلى جامع الخضراء ونجاته بأعجوبة، كل ذلك من أجل تقويض دور السيد الخوئي قدس سره إلّا أنّه قابل كل تلك التخرصات الجبانة بقوة واقتدار حتى قيام الانتفاضة الشعبانية ١٤١١هـ-١٩٩١م وأصدر بياناً أكّد فيه على تنظيم شؤون المدن الثائرة من خلال تشكيل لجنة للإشراف والمتابعة، فضلاً عن تأكيده على عدم اللجوء إلى القرارات المستعجلة ومراعاة المؤسسات العامة، والحفاظ على أموال وأعراض الناس، ودفن الجثث في العراق مع مراعاة الجوانب الشرعية، وقد انتقل إلى جوار ربه يوم السبت ٨ صفر ١٤١٣هـ - ٨ آب ١٩٩٢م.

المصادر:

١. أحمد عبد الله أبو زيد العاملي: محمّد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، ج٢، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٧م.

٢. جعفر آل محبوبة: ماضي النجف وحاضرها، ج١، ط٢، دار الأضواء، بيروت، ١٤٢٤هـ.

٣. حسن الأمين: الإمام أبي القاسم الخوئي زعيم الحوزة العلمية، دار النور للطباعة والنشر، لندن، ٢٠٠٤م.

٤. حيدر بلال برهاني: قصص وخواطر من حياة الشهيد الصدر وأخته بنت الهدى، دار الحوراء، لبنان، ٢٠٠٨م.

٥. السيد أبي القاسم الخوئي: معجم رجال الحديث، ج٢٣، ط٥، مطابع نشر الثقافة الإسلامية، (د.م)، ١٩٩٢م.

٦. الشيخ أغا برزك الطهراني: نقباء البشر في القرن الرابع عشر، ج١، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٩م.

٧. السيد ضياء السيد عدنان الخباز القطيفي: دوحة من جنة الغري، دار الأولياء، بيروت، (د.ت).

٨. عادل رؤوف: العمل الإسلامي في العراق بين المرجعية والحزبية، المركز العراقي للإعلام والدراسات، دمشق، (د.ت).

٩. عبد الرحيم العقيقي البخشايشي: كفاح علماء الإسلام في القرن العشرين، قم، ١٤١٨هـ.ق.

١٠. عبد العظيم المهتدي البحراني: قصص وخواطر، ط٦، قم، ٢٠٠١م.

١١. عدنان إبراهيم السراج: السيد محسن الحكيم (١٨٨٩-١٩٧٠)، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣م.

١٢. علي البهادلي: ومضات من حياة الإمام الخوئي، دار القارئ، بيروت، ١٤١٣هـ.

١٣. علي محمّد علي دخيل: نجفيات، مؤسسة العارف، ط٥، بيروت، ٢٠٠٠م.

١٤. كامل سلمان الجبوري: شيخ الشريعة، دار القارئ للطباعة والنشر، (د.م)، ٢٠٠٥م.

١٥. محمّد جواد مغنية: من هنا وهناك، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٦م.

١٦. محمّد حسين حرز الدين: تاريخ النجف الأشرف، ج١، قم، ١٣٨٥هـ.

١٧. محمّد حسين علي الصغير: أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف، مؤسسة البلاغ، بيروت، ٢٠٠٣م.

١٨. محمّد حسين علي الصغير: قادة الفكر الديني والسياسي في النجف الأشرف بيروت، (د.ت).

١٩. نور الدين الشاهرودي: أسرة المجدد الشيرازي، طهران، ١٩٩١م.

٢٠. هاشم فياض الحسيني: لمحات من حياة الإمام المجدد السيد الخوئي، مركز البحوث

والدراسات الإسلامية، بيروت، (د.ت).

الصحف والمجلات:

١. مجلة الأحرار، ع٤١٣، السنة (٨)، ٢٤ محرم الحرام ١٤٣٥هـ الموافق ٢٨/ ١١/ ٢٠١٣م.
٢. مجلة الغدير، ع٤٩، الصادر في صفر ١٤٢٣هـ، لندن، ٢٠٠٢م.
٣. مجلة المرشد، العددان ١٧ –١٨، حسين محمّد علي الفاضلي، دمشق، ٢٠٠٤م.
٤. مجلة الموسم، ع١١، ١٩٩١م-١٤١١هـ محمّد سعيد الطريحي، أكاديمية الكوفة – هولندا.
٥. مجلة الموسم، ع١٧، ١٩٩٤م-١٤١٤هـ، محمّد سعيد الطريحي، أكاديمية الكوفة – هولندا.
٦. مجلة الموسم، ع٢٨، ١٩٩٦م-١٤١٧هـ، محمّد سعيد الطريحي، أكاديمة الكوفة – هولندا.
٧. جريدة الزمان، ع١١٩١ في ٩/ ٢/ ١٤٢٣هـ – ٢٢/ ٤/ ٢٠٠٢م، لندن.



الملاحق:

الملحق رقم (١) كلمة المحقق النائيني حول أجود التقريرات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل صلواته وتحياته على أشرف رسله محمد وآله الأئمة الطاهرين فإن قرة عيني العالم العامل والفاضل الكامل عماد الأعلام ونفثة الإسلام صاحب السجية المرضية والسليقة المستقيمة والنظر الصائب والفكر الثاقب الوحيد المسدد والنجل الرقي جناب الآغا السيد أبو القاسم النجفي الخوئي أدام الله تعالى تأييداته قد أكمل ما تصدى منه في الجزء الأول من كتابه بما أودعه في هذه الكراريس ولقد أحسن وأجاد في ضبط ما استفاد وحفظه وتحريره بأحسن عبارة خالية عن الإيجاز المخل والإطناب الممل فسر تعالى درره وعليه سبحانه أجره وأقر عينه كما أقر عين الإسلام وله الحمد على نعمه والآلاء وأفضل صلواته على رسوله وآله الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم الملاعين وحرره بيناه الداعي أفقر البرية إلى ربه محمد حسين الغروي النائيني

٢٢ شوال ١٣٥١

الملحق رقم (٢) شهادة الشيخ الفياض بتلمذة السيد البهشتي عند السيد الخوئي

سماحة آية الله العظمى الشيخ الفياض

دامت بركاته

بالتحية لكم أحد أبرز تلامذة الإمام الخوئي (قده) هل تتفضلون على أن سماحة آية الله الراحل السيد علي البهشتي (قده) هل هو من تلامذته أم لا ؟ وهل لكم أن تعرفوا لنا السيد البهشتي بكلمة مختصرة ؟

وسلامكم الوضاء كثيراً

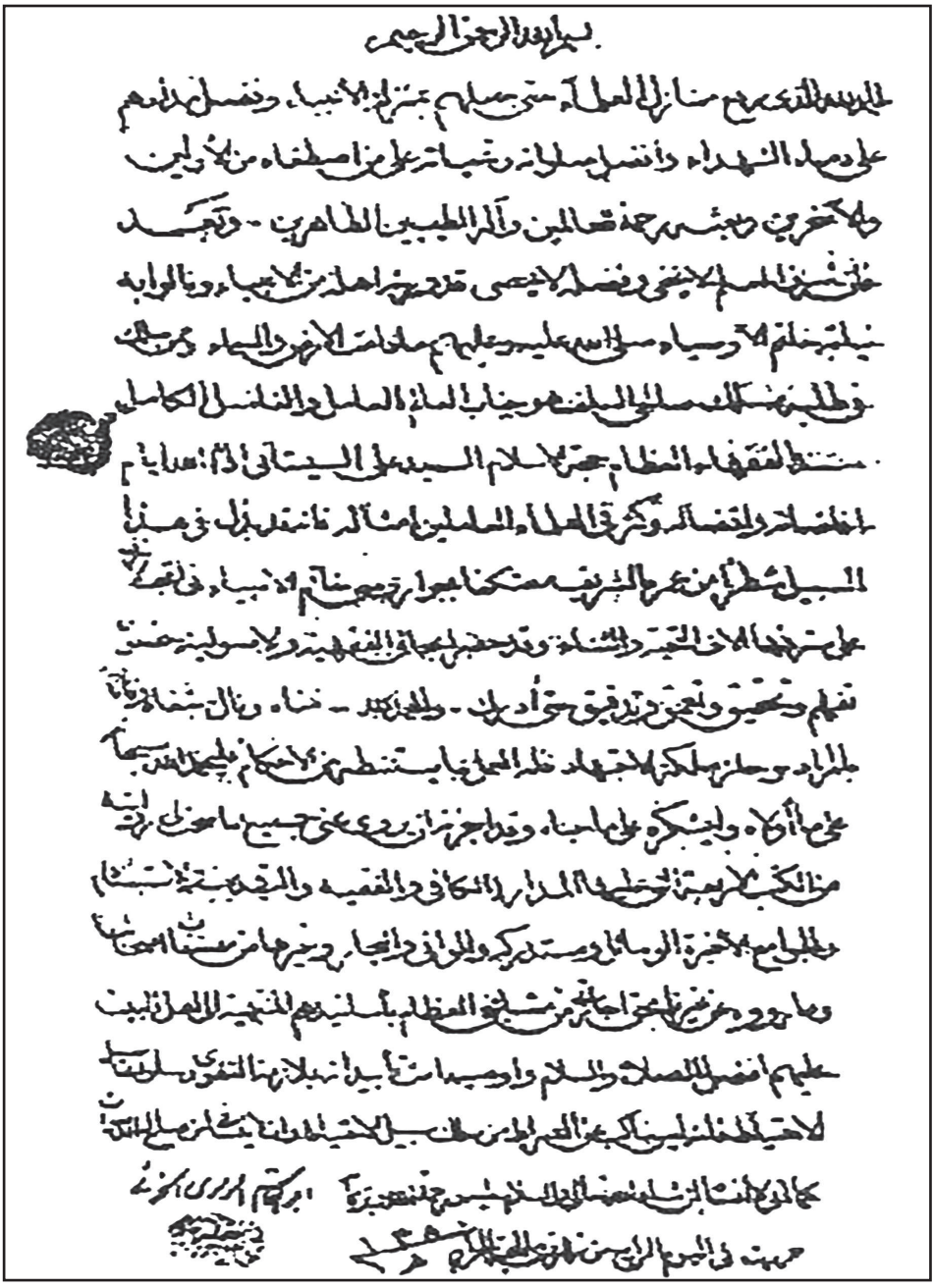
IP: 62.120.186.182

بسم الله

- نعم ، إن سماحة السيد البهشتي (قده) من تلامذة السيد الخوئي (قده) . وهو رجل مجتهد متدين ، وصاحب أخلاق الحسنة ومكارم الفاضلة ، وحافظ القرآن الكريم

٢١ ربيع الثاني ١٤٣٠ هـ

الملحق رقم (٣) شهادة السيد الخوئي للسيد السيستاني بالاجتهاد



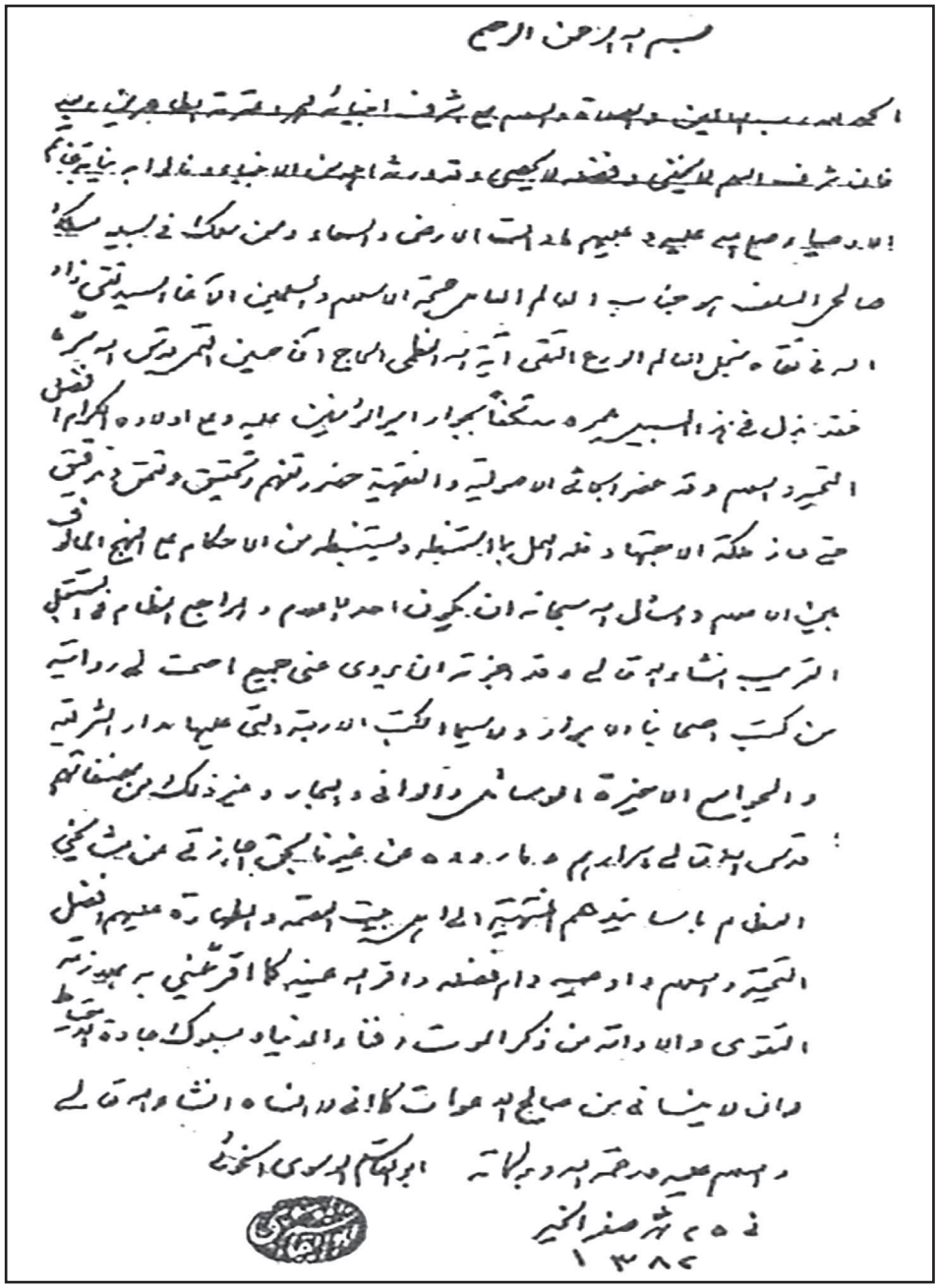
الملحق رقم (٤) إجازة السيد الخوئي للشيخ الفلسفي بالاجتهاد

بسم الله الرحمن الرحيم

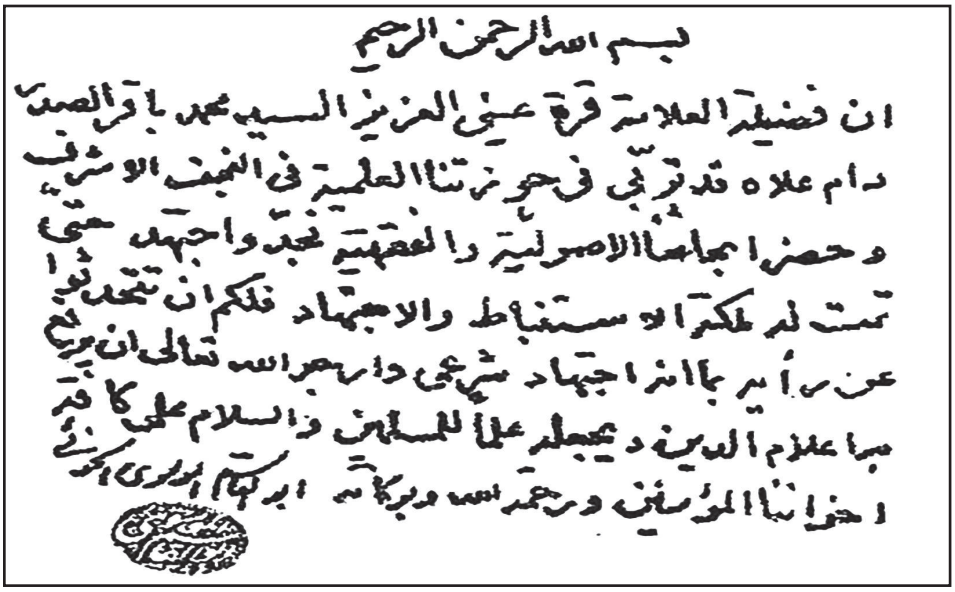
الحمد لله الذي رفع منازل العلماء حتى جعلهم بمنزلة الأنبياء وفضل مدادهم على دماء الشهداء وأفضل صلواته وتحياته على من اصطفاه من الأولين والآخرين وبعثه رحمة للعالمين وبعد فإن شرف العلم لا يخفى وفضله لا يحصى قد ورثه أهله من الأنبياء ونالوا به نيابة خاتم الأوصياء صلى الله عليه وعليهم ما دامت الأرض والسماء ومن سلك في طلبه مسلك صالحي السلف هو جناب العالم العامل والفاضل الكامل سند الفقهاء العظام حجة الإسلام الحاج الشيخ مرزا علي الفلسفي التنكابني أدام الله إفضاله وكثر في العلماء العاملين أمثاله فقد بذل في هذا السبيل شطرا من عمره الشريف معتكفا بجوار روضة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وقد حضر المجاني الفقهية والأصولية حضور تفهم وتحقيق وتعمق وتدقيق حتى أدرك والحمد لله مناه ونال مبتغاه وفاز بالمراد وحاز ملكة الاجتهاد فله العمل بما يستنبطه من الأحكام فليحمد الله سبحانه على ما أولاه وليشكره على ما أحباه وقد أجزت له أن يروي عني جميع ما صحت لي روايته من الكتب الأربعة التي عليها المدار الكافي والفقيه والتهذيب والاستبصار والجوامع الأخيرة: الوسائل ومستدركه والوافي والبحار وغير ذلك من مصنفات أصحابنا وما رووه عن غيرنا بحق أجزت له من مشايخي العظام بأسانيدهم المنتهية إلى أهل بيت النبوة وموضع الرسالة عليهم أفضل الصلاة والسلام وأوصيه دام فضله بملازمة التقوى وسلوك سبيل الاحتياط فإنه ليس بناكب عن الصراط من سلك سبيل الاحتياط وأن لا ينساني من صالح الدعوات كما أني لا أنساه إن شاء الله تعالى والسلام عليه وعلى سائر إخواننا المؤمنين ورحمة الله وبركاته في ٢٣ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٥٨

أبو القاسم الموسوي الخوئي

الملحق رقم (٥) إجازة السيد الخوئي للسيد القمي بالاجتهاد



الملحق رقم (٦) إجازة السيد الخوئي للشهيد الصدر بالاجتهاد

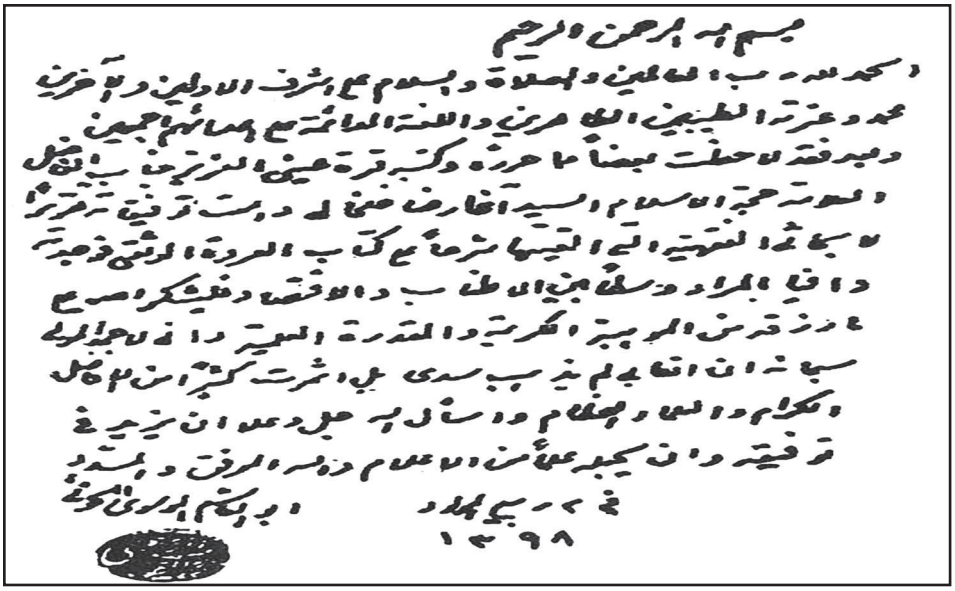


بسم الله الرحمن الرحيم

ان فضيلة العلامة قرة عيني العزيز السيد محمد باقر الصدر دام علاه قد تربى في حوزتنا العلمية في النجف الاشرف وحضر ابحاثها الاصولية والفقهية فجد واجتهد حتى تمت له ملكة الاستنباط والاجتهاد فلكم ان تتحدثوا عن سماحته بانه اجتهاد شرعي وارجو الله تعالى ان يرفع به اعلام الدين ويجعله علما للمسلمين والسلام عليكم كافة

اخوانا المؤمنين ورحمة الله وبركاته ابو القاسم الموسوي الخوئي

الملحق رقم (٧) كلمة السيد الخوئي حول كتاب (المعتمد في شرح العروة الوثقى)



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الاولين والآخرين محمد وعترته الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على اعدائهم اجمعين وبعد فقد لاحظت ايضا ما حرره وكتبه قرة عيني العزيز الشيخ محمد الحجة ادام الله سماحة السيد اغارض عني له وجدته قد وفق توفيقا لا بأس به لتقريب المباني التي القيها شرحا على كتاب العروة الوثقى فوجدته وافيا بالمراد ومشتملا على اطراف المطالب وفقه الله وسدد خطاه وزاد في توفيقه وعلمه وجعله ذخرا للاسلام والمسلمين انه قريب مجيب

ابو القاسم الموسوي الخوئي

١٣٩٨

الملحق رقم (٨) أعلمية السيد الخوئي بنظر السيد الروحاني

السؤال: هل تروون أن السيد الخوئي هو أفضل العلماء منذ عصر الغيبة حتى الآن، ألا ترون فيه شيئا من المبالغة، وهل يمكن أن نجعل السيد الخوئي أعلم من الشيخ الأنصاري والمفيد والميرزا الشيرازي والشهيدين وغيرهم من أعلام الشريعة الفريدين؟

الجواب :باسمه جلت اسمائه

السيد الخوئي أعلم من الشيخ الأنصاري بلا تردید، وأما الشيخ الأعظم وإن كان في الأصول العملية والمكاسب أعلم، ولكن في غير المسائل الفقهية ليس كذلك، كما يظهر لمن لاحظ كتبه الفقهية من الطهارة والزكاة والخمس وغيرها .

الملحق رقم (٩) أعلمية السيد الخوئي بنظر السيد الروحاني

السؤال: هل ترون أن السيد محسن الحكيم (قدس سره) أعلم من السيد الخوئي (قدس سره) أم أن السيد الخوئي هو الأعلم ؟

الجواب: باسمه جلت اسمائه

السيد الحكيم (ره) من العلماء المحققين والفقهاء قليلي النظير، وكتبه الفقهية أحد مراجع المجتهدين في مقام الإستنباط، ومع ذلك السيد الخوئي أعلم منه ومن غيره من الأكابر وإن لم أقل أنه عديم النظير من أول زمان الغيبة إلى هذا الزمان أقول أنه قليل النظير لا يتعدّى أصابع اليد الواحدة، ولنعم ما أفاده بعض العلماء أن السيد الخوئي أستاذي وأستاذ كلّ من يحفظ عنه العلم

الملحق رقم (١٠) أعلمية السيد الخوئي بنظر السيد الروحاني

السؤال: ما هي نظرتكم تجاه علمية السيد الخوئي رحمة الله تعالى عليه ؟

الجواب: باسمه جلت اسمائه

هو الوحيد في هذا المضمار، وحقيق بما قاله في حقه أحد الأكابر، قال : هو أستاذي وأستاذ كل من يحفظ عنه العلم في القرن الأخير. ومختصراً أقول : انه أعلم الفقهاء من أول عصر الغيبة إلى هذا الزمان. ولا أقل من أنني لا أرى شخصاً أعلم منه، ومع ذلك فهو من مصاديق الكبرى الكلية المذكورة في الرواية الشريفة : من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه، رحمه الله تعالى وحشره مع أجداده الطاهرين.

الملحق رقم (١١) أعلمية السيد الخوئي بنظر السيد الروحاني

السؤال: سمعنا في الآونة الاخيرة كلام من بعض المعممين بأن آية الله العظمى السيد أبوالقاسم الخوئي قدس الله نفسه الزكية ليس فقيها وانما هو اصولي فقط فما هو راي سماحتكم ؟

الجواب: باسمه جلت اسمائه

السيد الخوئي (ره) بنظري افقه فقهاء الشيعة من اول زمان الغيبة الي الآن – و كتبه الفقهية التي كتبها تلامذته تقرير الابحاثه الفقهية مستند المراجع في الحوزات العلمية في التدريس و المراجع الكبار في قم و النجف و ساير الحوزات تلامذته و سمعت ان الاكابر منهم يشهدون بأعلميته من جميع العلماء من اول زمان الغيبة .

الملحق رقم (١٢) أعلمية السيد الخوئي بنظر السيد الروحاني

السؤال: أود أن أسألكم حول أعلمية السيد الخوئي عن المراجع الموجودين حالياً أطال الله في أعمارهم المقدسة.. هل يوجد أحد منهم - دام ظلهم - من هو أعلم من المقدس السيد الخوئي؟

الجواب: باسمه جلت اسمائه

باعتقادي ان السيد الخوئي رحمه الله تعالي اعلم علماء الاسلام من اول زمان الغيبة الي يومنا هذا – و المراجع الموموجودون لا اظن ان يكون فيهم من يدعي اعلميته من السيد الخوئي – و لكن مع ذلك فإن تقليد الميت ابتداءاً و بقاءاً لا يجوز لذا لا بد لكل احد غير مجتهد و لا محتاط – ان يقلد احد المراجع الموجودين .

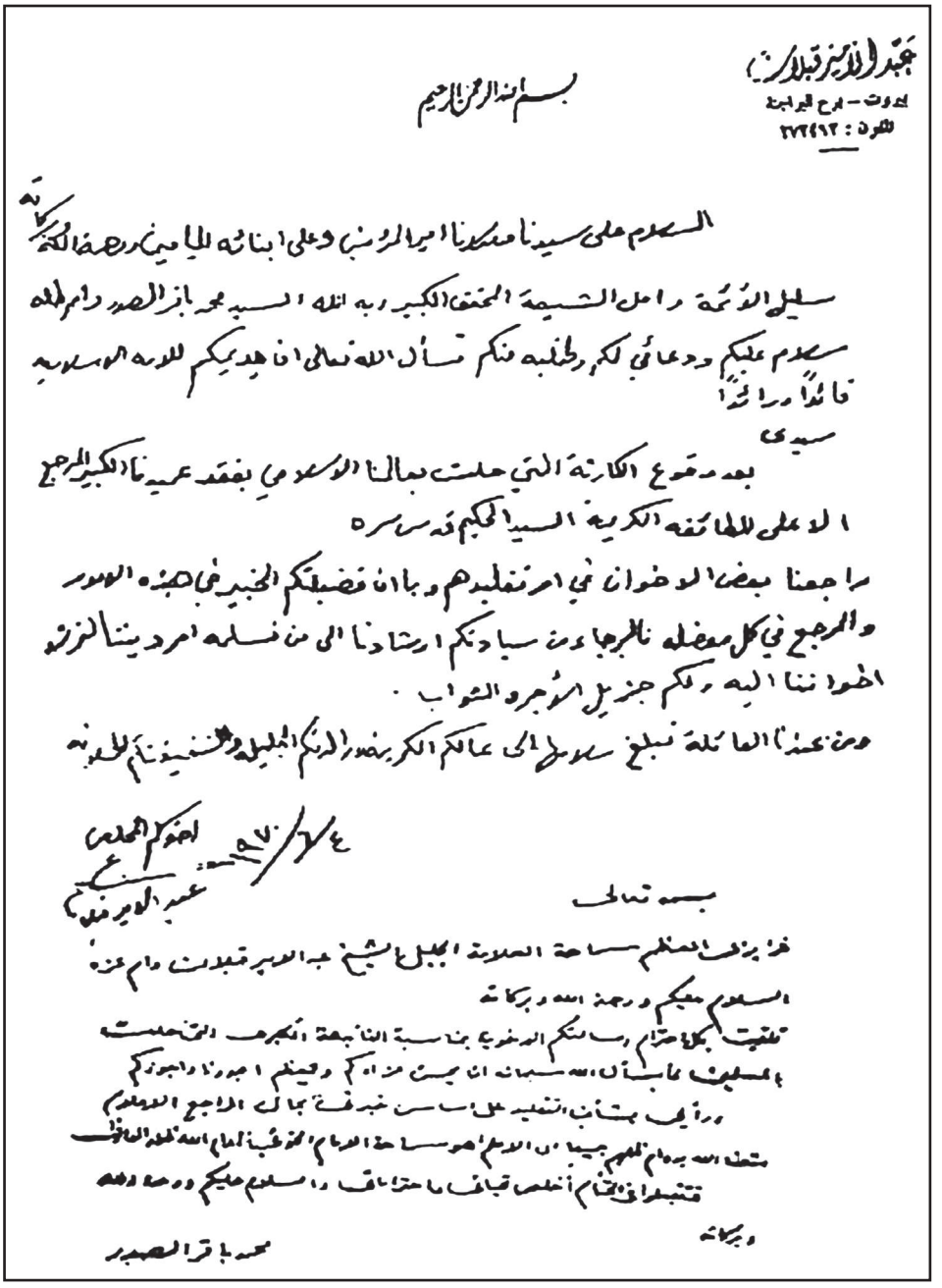
الملحق رقم (١٣) أعلمية السيد الخوئي بنظر السيد الروحاني

السؤال: هل ترون أعلمية السيد الخوئي على جميع المراجع والعلماء الموجودين حاليا ؟

الجواب: باسمه جلت اسمائه

أعلميّته من الجميع من البديهيات التي لا شك لأحد فيها ممن يحفظ عنه العلم..

الملحق رقم (١٤) شهادة السيد الصدر بأعلمية السيد الخوئي



عبد الأمير قبلان
النجف – درب الجرابة
تلفون: ٢٧٢٤١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام على سيدنا ومولانا أمير المؤمنين وعلى أبنائه الطاهرين ورحمة الله وبركاته

سليل الأئمة وآل الشيعة المخلف الكبير ربه الله السيد محمد باقر الصدر دام ظله

يسلم عليكم ودعائي لكم وطلبه منكم تسأل الله تعالى أن يهديكم للأعمال الصالحة

سيدي

بعد وقوع الكارثة التي حلت بعالمنا الإسلامي بفقد عميدنا الكبير المرجع الأعلى للطائفة الكريمة السيد الحكيم قدس سره

راجعنا بعض الإخوان في أمر تقليدهم وبما أن فضيلتكم الخبير في هذه الأمور والمرجع في كل معضلة نالرجاء من سيادتكم إرشادنا إلى من نقلده أمر ديننا لنرشد إخواننا إليه ولكم جزيل الأجر والثواب.

ومن هذه العائلة نبلغ سلامنا إلى عالمكم الكبير بحضرتكم الجليلة والتفضل منكم بالإجابة

٤/٥/٧١

لخدمكم المخلص
عبد الأمير قبلان

بسم تعالى

فدى ذيل العلم ساحة العلامة الجليل الشيخ عبد الأمير قبلان دام عزه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

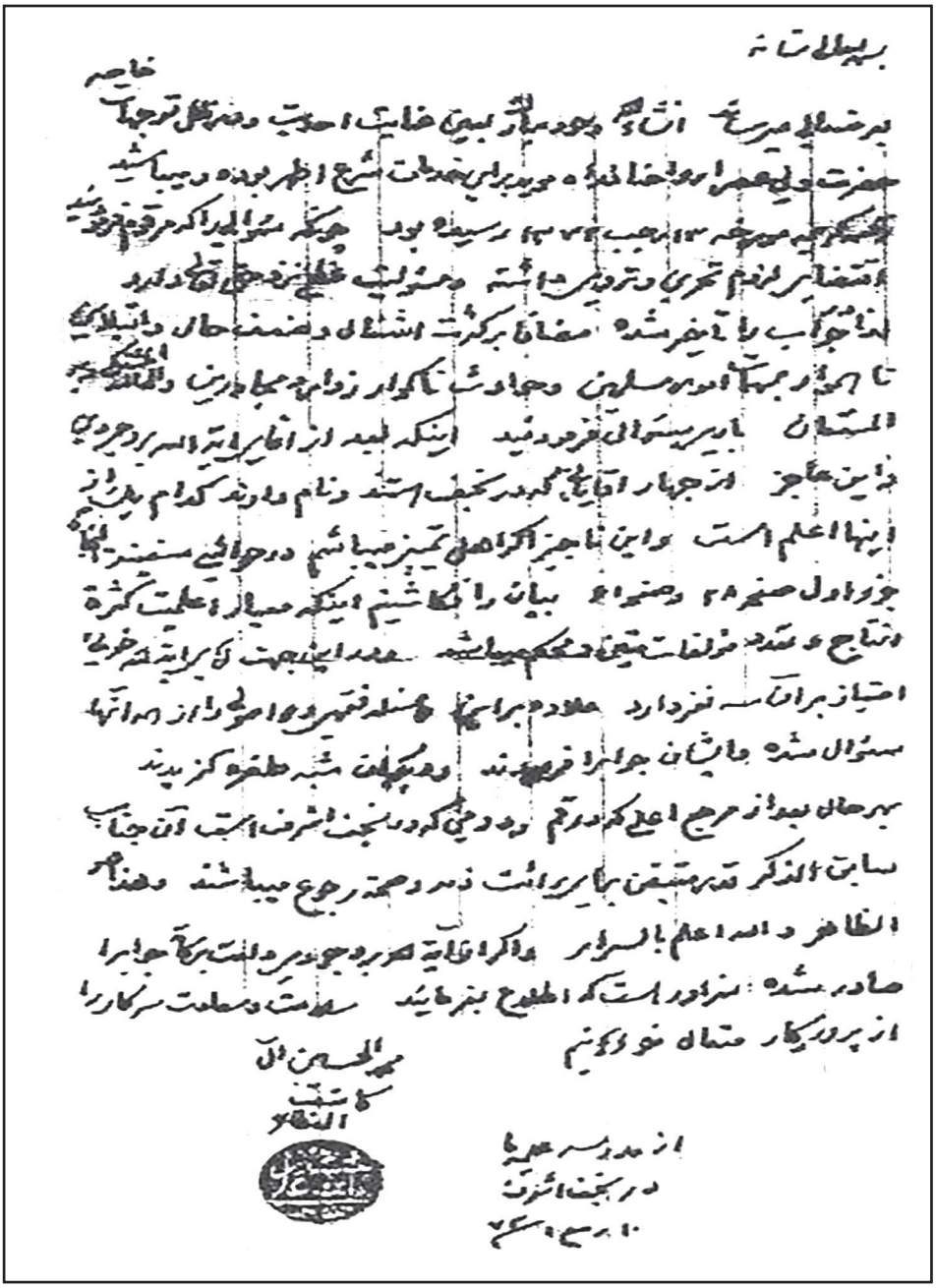
تلقيت بكل احترام رسالتكم الموقرة بمناسبة الفاجعة الكبرى التي حلت بالمسلمين جميعا سائلا الله سبحانه أن يحسن مثواه وأن يلهمكم أجرنا وأجوركم

ورأيي بشأن التقليد هو أن خير فقيه حي هو الراجع الأعلم متعنا الله بوجوده الشريف جميعا وأن الأعلم هو سماحة الإمام المرجع آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي

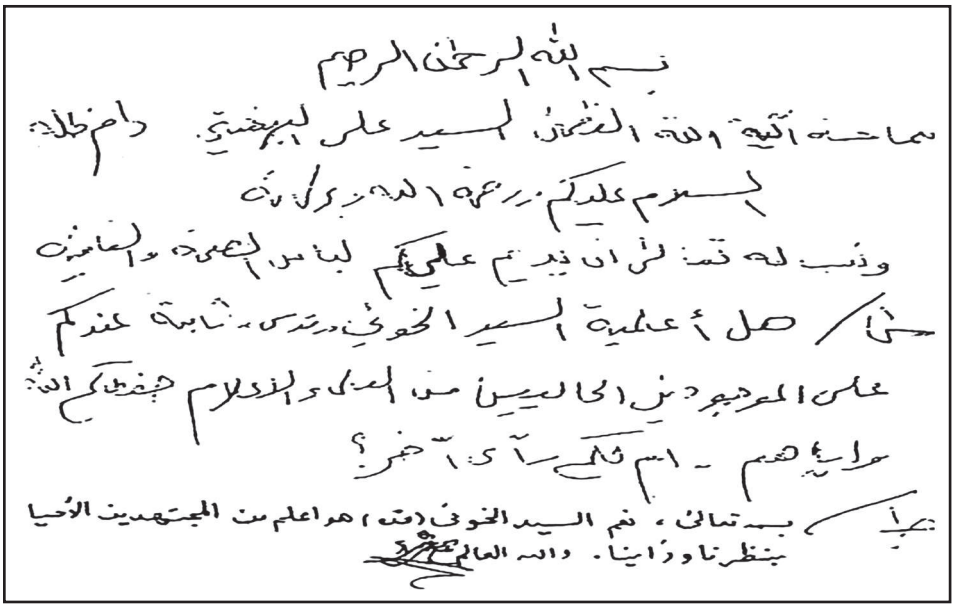
تقبلوا فائق احترامي وأخلص تقديري والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد باقر الصدر

الملحق رقم (١٥) شهادة الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء بأعلمية السيد الخوئي



الملحق رقم (١٦) شهادة السيد علي البهشتي بأعلمية السيد الخوئي



بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العظمى السيد علي البهشتي دام ظله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد له تسألون ان نبدي عليكم لبأس الصحة والعافية

حول أعلمية السيد الخوئي ودرسه ثابتة عندكم

على المعروفين الحاليين من العلماء والسلام يحفظكم الله

ورعاكم - اسم فلان آخر؟

بسم تعالى، نعم السيد الخوئي (قده) هو اعلم من المجتهدين الأحياء

ينظرنا ورأينا. والله العالم

الملحق رقم (١٧) شهادة الشيخ الفياض بأعلمية السيد الخوئي

سماحة آية الله العظمى، المرجع الديني المعظم، الشيخ محمد إسحاق الفياض (دامت بركاته).

قرأتُ لكم في كتابكم القيمة حول سماحة الإمام الخوئي (قده) هذه العبارة:

" ومن أبرز العلماء والمجتهدين العظام في القرن الأخير وأشهرهم وأعظمهم هو سيد الطائفة سيدنا وأستاذنا الأعظم آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي (قده)".

فهل يمكن أن تستفيد منها أنكم ترون أعلمية أستاذكم السيد الخوئي (قده) على غيره من المراجع المعاصرين؟

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

IP: 62.120.190.96

بسمه تعالى

نعم.

٢١ ربيع الثاني ١٤٣٠ هـ

الملحق رقم (١٨) شهادة الشيخ بشير النجفي بأعلمية السيد الخوئي

6. هل ترون أعلمية السيد الخوئي على جميع المراجع والعلماء المعاصرين حاليا ؟

ج٦ بسمه سبحانه هناك من يدعي حالاً أنه أعلم من السيد الخوئي أعلى الله درجاته في عليين. اني كنت شاهدته أنه يعجز عن أن يفوه ببنت شفه في العلوم المنقولة والمعقولة أمام سيدنا الأعظم [رضوان الله عليه] وسيدنا الأستاذ [قدّه] مظلوم حياً وميتاً وما بأيدينا وأيدي المعاصرين إلا نتيجة نفحات سيدنا الأستاذ التي تلقيناها من محضره الشريف فسلام الله عليه حين ولد وحين مات وحين يبعث حيا.

المصدر: مجلة جامعة كربلاء العلمية مج١٢، ع٢، ٢٠١٤م.

البحث الدلالي عند السيد الخوئي

في كتابه (البيان في تفسير القرآن)

الدكتور حسن عبد الغني الأسدي

الدكتورة وفاء عباس فياض

ملخص البحث:

يهتم البحث الدلالي القرآني بإبراز الآليات التي اعتمدها السيد الخوئي قدس سره للوصول إلى دلالات النص المقدس، ومنها دلالات وحداته الأصغر وهي المفردات مع ملاحظة تفصيلات تلك الآليات، وكان السيد الخوئي قد خط منهجه فجعله مدخلاً لتفسيره، ما يعني أننا بصدد تناول الأسس المعرفية التي يقوم عليها تفسير القرآن الكريم كما يراها السيد الخوئي، وقد لحظنا في هذا الجانب أن يقوم البحث برصد جوانب النظر التي اعتمدها السيد الخوئي سواء عند تفسيره سورة الحمد، أم في ما ذكره من مقدمات تفسيره من مثل: إعجاز القرآن والقول بالقراءات ونزول القرآن على سبعة أوجه وحجية ظاهر القرآن والنسخ وأصول التفسير، وما تشتمل عليه من تفصيلات تدخل في صميم منهج المفسر لفهم القرآن الكريم.

استندت محاور البحث إلى متابعة تلك الآليات في إطار عناوين قمنا بوضعها منها ما توجه نحو المبني وأثره في بيان مدلوله، ومنها ما توجه نحو البيئة اللفظية (السياق اللغوي) الذي استعملت فيها تلك اللفظة، كما تم رصد طائفة من وسائل الدلالة التي اعتمدها السيد الخوئي للفظة الواحدة لاسيما لفظ الجلالة (الله).

إن الحضور الكبير الذي امتلكه السيد الخوئي في الساحة الفقهية ومازال يمتلكه هو الذي حدا بنا إلى التوجه نحو دراسة بعض جهده؛ وذلك فيما يرتبط بالجهد اللغوي، لاسيما فهمه القرآن الكريم ودلالات وحداته المتوزعة على محاور تشكله في الإفراد والتركيب، إن الكتاب بوصفه مدخلاً إلى التفسير يمثل خلاصة علمية ضمت مرتكزات صاحبه لفهم القرآن، فهذا المدخل ضم الأسس والمنطلقات في فهم القرآن، فالقليل الذي ورد فيه يغني عن كثير من

التطبيقات، فهو خلاصة فكرية ومنهجية منضبطة.

توطئة:

يهتم البحث الدلالي القرآني بإبراز الآليات التي يعتمدها المفسر للوصول إلى دلالات النص المقدس، ومنها دلالات وحداته الأصغر ابتداءً بالمفردات مع ملاحظة تفاصيل تلك الآليات، لاسيما أن السيد الخوئي كان قد خط منهجه في كتابه موضع البحث، إذ جعله مدخلاً لتفسيره؛ ما يعني أنه بصدد تناول الأسس المعرفية التي يقوم عليها تفسير القرآن الكريم كما يراها، وقد لحظنا في هذا الجانب أن يقوم البحث برصد جوانب النظر المتعلق بالبحث الدلالية التي اعتمدها السيد الخوئي سواء في تفسيره سورة الحمد، أم فيما ذكره من مقدمات تفسيره من مثل: إعجاز القرآن، والقول بالقراءات، ونزول القرآن على سبعة أحرف، وحجية ظاهر القرآن والنسخ، وأصول التفسير، وما تشتمل عليه من تفصيلات تدخل في صميم منهج المفسر لفهم كلام الله تعالى في القرآن الكريم، وإننا لنأمل أن يكون البحث في تفسير البيان للسيد الخوئي مثمراً وذا فوائد متعددة لأمور نجملها بما يأتي:

١- يعد أبي القاسم الخوئي الفقيه الأصولي المبرز في القرن المنصرم، وقد امتلك ناصية المرجعية الفقهية للشيعة الإمامية ما يقرب من عشرين سنة، وتخرج على يديه كثير من طلاب العلوم الشرعية.

٢- يعد كتابه البيان في تفسير القرآن (وهو في حقيقة الأمر مدخل إلى التفسير) خلاصة علمية تضم منهجيته التي يعتمدها في تفسير القرآن الكريم، ومرتكزاته في هذا التفسير، فهذا المدخل ضم الأسس والمنطلقات في فهم القرآن. وعلى هذا فالقليل الذي ورد في هذا المدخل وخاصة في تفسيره فاتحة الكتاب يغني عن كثير من التطبيقات؛ لأنه كان خلاصة فكرية

ومنهجية لمؤلفه.

الدلالة القرآنية ومنهجية التفسير:

إن أبسط تعريف للدلالة القرآنية قد يكون كافياً في فهم المراد منها، فالدلالة القرآنية: هي تلك الدلالة التي استعملت بها الألفاظ أو التراكيب في القرآن الكريم.

ولا غرو في القول بأن التفسير في حقيقة أمره هو بحث في الدلالة سواء أكانت مفردة أم مركبة بل يعد منبعاً ثرّاً لطرح نظريات معرفة المعنى، فالدلالة هي عمدة التفسير، وقد تمّ للمفسرين توظيف كافة المستويات البيانية لفهم القرآن بل تعد مؤلفاتهم خير مثال لتطبيق تلك المستويات وهم يتناولون الظاهرة اللغوية التي تمثَّلَها القرآن الكريم، ورغم الثراء المعرفي الذي يمثله دراسة النص الإلهي، إلّا أن من التفسير ما ابتعد فيه صاحبه عن أن يكون القرآن هو رائده في الفهم، على نحو تم حمل ما خالف القواعد على أوجه من التأويل والتقدير، ونحو ذلك من التعسف، وكان الأولى أن تعطى الريادة في ذلك للاستعمال القرآني لذا فإن الأمر المهم الذي يجب أن يكون في إطاره فهم الدلالة القرآنية أن يكون النص القرآني نفسه هو المعيار لنفسه وأن يمتلك استقلالاً منهجياً واضحاً لبيان دلالاته على ما يتصور من المنحى التفسيري: (تفسير القرآن بالقرآن)، فالقرآن نصٌّ مدوّن لا يشبهه نصٌّ آخر، فهو إبداع إلهي ومن لوازم هذا الإبداع أن يكون مستقلاً عن غيره مستغنياً بنفسه لبيان مراده، وهو ما تكشف عنه آياته من نحو قوله تعالى: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً**﴾ (النساء: الآية ٨٢)، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً**﴾ (الإسراء: الآية ٩).

وكان السيد أبي القاسم الخوئي قد أثبت علاقته بتفسير القرآن بالقرآن

منهجاً يسير عليه في تفسيره بقوله في مقدمة كتابه: «وسيجد القارئ أيضاً أني كثيراً ما أستعين بالآية على فهم أختها، واسترشد القرآن إلى إدراك معاني القرآن، ثم أجعل الأثر المروي مرشداً إلى هذه الاستفادة»[١].

ومن الواضح أن هذا الأساس هو الذي يجب أن يؤسس عليه تفسير القرآن بالقرآن، لكن وقوع هذا المنحى من التفسير تحت طائلة المسبقات المنهجية أو العقائدية واللغوية أبعده كثيراً عن غرضه، ولم يَعْدُ أن يكون منحى للفهم ليس إلّا؛ ولم يتم الارتقاء به ليكون منهجاً متكاملاً لفهم القرآن، لكنّ الملاحظ أن السيد الخوئي لم يبين تفاصيل طريقته في هذا الاسترشاد، وهل بإمكانه أن يأتي على سائر الآيات بهذا المنحى، ثم إذا ظهر المعنى من ذلك فما هي جدوى الإفادة من الأثر المروي في تفسير تلك الآيات فهل عني بوصفه الأثر (مرشداً) إلى المعنى أم معززاً لفهمه الأول، أم أراد أن يكون مرشده لطريقة تطبيق هذا التفسير على نحو يمكن أن يمدنا الأثر بطريقة تفسير القرآن بالقرآن، وأن نقيم من الآثار المروية منهجاً لفهم القرآن بالقرآن، وهو أمر كان السيد الطباطبائي قد أبان عنه بقوله: «وقد تبين أن المتعين في التفسير الاستمداد بالقرآن على فهمه وتفسير الآية بالآية وذلك بالتدرب بالآثار المنقولة عن النبي وأهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم وتهيئة ذوق مكتسب منها ثم الورود»[٢]، فتفسير القرآن بالأثر عند الطباطبائي وسيلة يرتقي بها للوصول إلى فهم القرآن من القرآن نفسه؛ وهو ما لم نشهده الى الآن؛ وبقي الأمر دون الوصول إلى مرحلة إنشاء تفسير كامل يفسّر فيه القرآن بنفسه[٣].

(١) البيان في تفسير القرآن: ١٣.

(٢) تفسير الميزان: ٣/ ٨٧.

(٣) يجدر القول ههنا أن تفسير القرآن بالقرآن لم يكن منهجاً تفسيرياً إذ لم يقدم فيه الخطوات التي تظهر منهجاً واضح المعالم، والنتائج، وكان إخراج البحث الموسوم بـ (منهج الدلالة القرآنية للألفاظ – مدخل إلى تفسير القرآن بالقرآن) المنشور بمجلة آداب المستنصرية: ع ٤٩/ ٢٠٠٩م. محاولة لوضع أسس يقوم عليها منهج تفسير القرآن بالقرآن.

على العموم فإننا سنعمد إلى محاولة تحليل ما تم رصده من الأفكار الدلالية التي أوردها السيد الخوئي بوصفها منطلقات منهجية لتفسير وفهم القرآن، لاسيما أنه كان قد رسم لنفسه طريقاً يقتفي فيه قواعد لغة القرآن، ويرفض قواعد العربية التي تخالف القرآن؛ بل يرى القرآن مؤسساً للقواعد، حاكماً لها لا محكوماً بها، وليس للقاعدة المستحدثة أن تكون معياراً له بل هو معيارها؛ وفي هذا الصدد يرى الخوئي: «إن القاعدة العربية المستحدثة إذا خالفت القرآن كان هذا نقضاً على تلك القاعدة، لا نقداً على ما استعمله القرآن»[١].

المبحث الأول

مستويات الدلالة القرآنية

من الأفكار التي يتداولها الدرس الدلالي المعاصر تعدد الدلالات بحسب مستويات النظر (اللغوي)، وقد امتلكت هذه الفكرة أبعاداً جديدة في العصر الحديث ولاسيما بعد الثراء الذي برز في الدرس اللغوي المعاصر؛ وكان حضور السياق بنوعيه (المقامي والمقالي) جزءاً مهماً من هذا الثراء، وطبقاً لهذا جرى النظر إلى أن دلالة المفردة يجري تحديدها عبر السياق في ظل تضافر السمات الدلالية التي تحملها المفردة (الصوتية والبنائية والمعجمية والنحوية)؛ إن «التقسيم الذي يراعي مستويات اللغة، ومن ثم المقام الذي يعرف بالمعنى الدلالي هو أنجع التقسيمات؛ لأنه يتطابق مع أنظمة اللغة أولاً، وهو – أيضاً – يشتمل على الأنواع الأخرى»[٢]، وفي هذا المجال يخلص بعض المحدثين إلى القول: «فنحن نجد أن العرب قديماً، وخاصة علماء الأصول قد لاحظوا أن ثمة ارتباطاً بين بنية

(١) البيان في تفسير القرآن: ٨٢.

(٢) المعنى في تفسير الكشاف للزمخشري: ٢٣.

القول صوتاً وصيغةً وتركيباً، وبين دلالة القول، كما لاحظوا أن للسياق دوره الفاعل في طريقة إنشاء العبارة وتوجيه المعنى، ثم أنهم لم يقفوا عند هذا الحد، فقد حاولوا أن يطوروا نظرية في النص خدمة لأداء المعنى ودراسته، وهذا يعني أنهم قد تجاوزوا المفهوم اللفظي للكلام، والمفهوم الجملي، ليستقر عندهم أن المتكلم، في تعبيره عن حاجاته، لا يتكلم بألفاظ، ولا بجمل، ولكن من خلال نص، فاتسعت بهذا أمامهم دائرة البحث الدلالي، وانتقلوا من البحث في مفردة أو جملة إلى البحث في خطاب يتم فيه تحميل المفردات والجمل بدلالات يقتضيها موضوع الخطاب»[1].

وهذه الميزة التي ظهرت للأصوليين كانت ثمرة من ثمار النظر في النصوص الشرعية (القرآن والأحاديث النبوية) وقد نجد بعضاً من صداها عند السيد الخوئي في تناوله بعض الألفاظ القرآنية، فيعمد إلى عرض دلالاتها في ضوء ما تعلقت به من ألفاظ أخرى، وهو ما ظهر عند تناوله لفظة الجلالة متمثلاً بما عرف بالبنية التوزيعية التي توجب كونه لا يظهر إلّا في مواضع محددة وبصحبة ألفاظ معينة، كما أنه اعتمد على موارد السياق القرآني للفظة الرحمن وتعقبها بلفظة (الرحيم) مما سيأتي تناوله قريباً.

أنواع الدلالة عند السيد الخوئي:

فرّق علماء الدلالة بين أنواع المعنى التي لابد من ملاحظتها قبل التحديد النهائي لمعاني الكلمات ويأتي في صدارة هذه المعاني المعنى الأساسي أو المركزي وهو التصوري أو المفهومي، ويعد هذا المعنى العامل الأول في الاتصال اللغوي، مع معان أخرى يتحملها اللفظ بفعل بعض العوامل الداخلة على عملية الاتصال، وتلك المعاني هي: المعنى الإضافي أو العرضي أو الثانوي أو

(١) اللسانيات والدلالة/ الكلمة: ٧. عن: المعنى في تفسير الكشاف للزمخشري: ١٩.

التضمني، وهو المعنى الزائد على المعنى الأساسي وهو متغير بتغير الثقافة أو الزمن أو الخبرة، والمعنى الأسلوبي، وهو المعنى الذي يصحب المعنى الأول طبقاً للظروف الاجتماعية المرافقة وطبيعة العلاقة بين المتكلم والسامع ونوعية الأسلوب اللغوي المؤدى، والمعنى النفسي (وهو ذو طابع فردي) والمعنى الإيحائي وهو ما قد يظهر مع ألفاظ لها القدرة على الإيحاء[١].

ونجد أن المعنى الأول هو الأساس الذي ظهر فيما تناوله السيد الخوئي الذي قدم مسارات عدة لتحديد هذا المعنى، فقد نصت على أن لفظ الجلالة هو اسم علم الذات المقدسة، وليس اسم جنس كما توهم بعضهم، فرد الخوئي بقوله: «ومن توهم أنه اسم جنس فقد أخطأ، ودليلنا على ذلك أمور:

الأول: التبادر: فإن لفظ الجلالة ينصرف بلا قرينة إلى الذات المقدسة، ولا يشك في ذلك أحد، وبأصالة عدم النقل يثبت أنه كذلك في اللغة، وقد حققت حجيتها في علم الأصول»[٢].

فالتبادر يتعلق بأن هذا المعنى هو الذي يسبق إلى الإدراك، والتبادر هو الإسراع، جاء في معجم ألفاظ الفقه الجعفري قوله: «المبادرة: الابتداء: الإسراع أو السبق إلى الشيء»[٣] ما يعني أن السيد الخوئي أراد بها تلك الدلالة التي تسرع الى ذهن الإنسان حالما يسمع اللفظ.

«**الثاني**: إن لفظ الجلالة – بما له من المعنى – لا يستعمل وصفاً، فلا يقال:

(١) ينظر: علم الدلالة: ٣٩.

(٢) البيان في تفسير القرآن: ٤٢٦.

(٣) معجم ألفاظ الفقه الجعفري: وهذا المعنى لا يبعد عن معنى اللفظة في اللغة فقد جاء في المعجم الوسيط قوله: «بادر إليه مبادرة وبداراً أسرع وفلاناً الغاية وإليها سبقه إليها (ابتدرت) عيناه سالت دموعها وفلاناً بكذا عاجله به والقوم الشيء تسارعوا إليه (تبادر) القوم تسارعوا والقوم الشيء ابتدروه» (مادة بدر).

العالم الله، الخالق الله، على أن يراد بذلك توصيف العالم والخالق بصفة هي كونه الله وهذه آية كون لفظ الجلالة جامداً، وإذا كان جامداً كان علماً لا محالة، فإن الذاهب إلى أنه اسم جنس فسره بالمعنى الاشتقاقي»[١]، وهي الدلالة التي تظهر عند بعض اللغويين المعاصرين تحت ما يصطلح عليه بالبنية التوزيعية، التي ترتكز على طبيعة الوظائف النحوية التي تشغلها في الجملة، فلما لم تصلح هذه اللفظة أن تقع موقع الصفات، ما يعني كونها غير مشتقة، فهي تسلك مسلك الجامد فالأحرى أن تكون منها، وكان الزمخشري قد نصّ على مثل ذلك بقوله: «فإن قلت: أاسم هو أم صفة؟ قلت: بل اسم غير صفة، ألا تراك تصفه ولا تصف به، لا تقول: شيء إله، كما لا تقول: شيء رجل»[٢] وهذا ما جعلها تظهر في بنية توزيعية[٣] لا تستعمل فيها الصفات، وذلك في المسار الثالث لكون لفظة الجلالة علم على الذات الإلهية وهو قوله:

«**الثالث**: أن لفظ الجلالة لو لم يكن علماً لما كانت كلمة (لا إله إلّا الله) كلمة توحيد، فإنها لا تدل على التوحيد بنفسها حينئذ، كما لا يدل عليه قول: لا إله إلّا الرازق، أو الخالق، أو غيرهما من الألفاظ التي تطلق على الله سبحانه، ولذلك لا يقبل إسلام من قال إحدى هذه الكلمات»[٤].

فلولا كونها علماً لما صح إطلاق كلمة التوحيد على (لا إله إلّا الله) إذ لا يمكن أن يقوم أي من أسماء الله تعالى مقام هذه اللفظة لتلبس تلك الأسماء بلمح الصفة، وكونها منقولة إلى الاسمية لا مرتجلة فيها كما هو الحال مع لفظة (الله).

(١) البيان في تفسير القرآن: ٤٢٦-٤٢٧.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ١/ ١٠٨.

(٣) يتمثل التوزيع في عملية إحلال لفظة مكان أخرى، وهو يندرج في إطار التصنيف النحوي للكلم، فالصنف الواحد يمكن أن تستبدل الألفاظ فيه الواحدة بالأخرى.

(٤) البيان في تفسير القرآن: ٤٢٧.

«**الرابع**: إن حكمة الوضع تقتضي وضع لفظ للذات المقدسة، كما تقتضي الوضع بإزاء سائر المفاهيم، وليس في لغة العرب لفظ موضوع لها غير لفظ الجلالة، فيتعين أن يكون هو اللفظ الموضوع لها»[١].

فالدلالة الوضعية: «عند أهل العربية والأصول: كون اللفظ بحيث إذا أطلق فهم المعنى منه، للعلم بالوضع، وعند المنطقيين كونه بحيث كلما أطلق فهم المعنى للعلم بالوضع»[٢]، وألمح الكفوي إلى عمل الواضع في الربط بين اللفظ ومعناه بقوله: «جعل اللفظ دليلاً على المعنى، وهو من صفات الواضع»[٣] وقد عبر بعض المحدثين عن هذه الدلالة بقوله: «هي الدلالة الاتفاقية المتعارف عليها بمعنى جعل شيء بإزاء شيء آخر بحيث إذا فهم الأول فهم الثاني»[٤].

فلما كان الاتفاق قائماً على كون أسماء الله تعالى في حقيقة أمرها صفات له تعالى (فهي مشتقة، وليست بأعلام على ذاته أصالة ويمكن أن يقال عنها إنها أعلام عليه بما تدل عليه من صفاته لا من ذاته) لزم أن يكون الواضع قد خصه تعالى بما يدل على ذاته تعالى، ولما لم يكن غير هذه اللفظة تعين كونها اسماً له تعالى «وبما أن الذات المقدسة مستجمعة لجميع صفات الكمال، ولم يلحظ فيها – في مرحلة الوضع – جهة من كمالاتها دون جهة صح أن يقال: لفظ الجلالة

(١) البيان في تفسير القرآن: ٤٢٧.

(٢) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ١/ ٧٩٠.

(٣) الكليات: ٩٣٤. الذي ميز الوضع اللغوي عن الوضع الشرعي والوضع العرفي فقال: «وتعيين اللفظ للمعنى بحيث يدل عليه من غير قرينة إن كان من جهة واضع اللغة وهو الله تعالى أو البشر على الاختلاف فوضع لغوي» مازه عن الوضع الشرعي أو الوضع العرفي من أناس مخصوصين كأهل الصناعات، وقد نصت أن الألفاظ بداية لا تخص معنى دون آخر وأن الذي يقوم بالتخصيص هو الواضع. ينظر الكليات: ٩٣٥.

(٤) علم الدلالة عند العرب (دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة): ١٥.

موضوع الذات المستجمعة لجميع صفات الكمال»[١].

المبحث الثاني

الدال والمدلول

من المسائل الدلالية التي أثارت العلماء في بيان وجه العلاقة بين اللفظ الدال ومعناه المدلول؛ وهي مسألة تم عرضها في ضوء فكرة التوقيف في أصل نشأة اللغة أو اصطلاحيتها وقد تنازعت هاتان الفكرتان علماء العربية وعلماء الأصول والمفسرين والمناطقة – قدماء ومحدثين – ويظهر أن السيد الخوئي في درسه الأصولي يتبنى النظرية التوقيفية للغة[٢] ولكنه لا يرى أن سماع اللفظ علة لانتقال الذهن الى معناه معولاً على أن علة مناسبة اللفظ لمعناه مناسبة ذاتية، لا يعلمها إلّا واضعها تعالى[٣]، فهي مجهولة لدى متكلمي اللغة، ومن جانب آخر ربط ذلك بفكرة الإلهام التي لا تبتعد كثيراً عن التوقيف أو الوحي إلّا أنها ناظرة إلى المحصلة النهائية لدى متكلمي اللغات واختلاف لغاتهم، بقوله: «يلهم عباده – على اختلافهم – كل طائفة بلفظ مخصوص عند إرادة معنى خاص»؛ من غير الإيغال بوجود المناسبة ذاتية بين اللفظ ومدلوله يعلمها الله تعالى (واضع اللغة) ويجهلها متكلموها مما لا سبيل للبرهان عليه، بل علق على هذا بعض المعاصرين

(١) البيان في تفسير القران: ٤٢٧.

(٢) وهي أكثر النظريات في نشأة اللغة شيوعاً وشهرة في الأوساط اللغوية، ويعبر عنها أيضاً (وحي) ومعنى ذلك أنها من عند الله تعالى وليست من البشر، وينسب للإمام الصادق (١٤٠هـ) القول بهذه النظرية في ما روي عنه من تفسير قوله تعالى: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاء إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ (البقرة: الآية ٣١). ينظر: فقه اللغة العربية: ٣٤، والمعجم المفصل في فقه اللغة: ١٠٧.

(٣) ينظر: الظاهرة اللغوية بين النشأة التوقيفية والاستعمال عند السيد الخوئي دراسة لسانية معاصرة: ١٠.

بقوله إنه تخرّص على الغيب، ومنه يفهم قوله في الإلهام[١].

الدال مشير إلى مدلوله:

يقيم السيد الخوئي نظرته للعلاقة بين اللفظ ومعناه على قدرة اللفظ (وهو الدال) على إحالته أو إشارته إلى معناه (مدلوله) ولو على نحو قول الكلية، وقد رد مدعى من يرى أن الوضع يقتضي الإحاطة بالمسمى؛ وأن الدال محيط بتفاصيل مدلوله ليبني عليه عدم صحة إطلاق لفظة الله عليه تعالى؛ فقد جاء في سياق تفسيره آية البسملة ودلالة لفظة الجلالة على ذاته تعالى المستجمعة لصفاته؛ من غير شرط إحاطة هذا اللفظ بصفات مدلوله قوله: «وضع اللفظ بإزاء المعنى يتوقف على تصوره في الجملة، ولو بالإشارة إليه، وهذا أمر ممكن في الواجب وغيره، والمستحيل هو تصور الواجب بكنهه وحقيقته، وهذا لا يعتبر في الوضع ولا في الاستعمال، ولو اعتبر ذلك لامتنع الوضع والاستعمال في الموجودات الممكنة التي لا تمكن الإحاطة بكنهها: كالروح والملك والجن، ومما لا يرتاب فيه أحد أنه يصح استعمال اسم الإشارة أو الضمير ويقصد به الذات المقدسة، فكذلك يمكن قصدها من اللفظ الموضوع لها»[٢].

إن فكرة الإشارة التي يراها السيد الخوئي تمثل الحد الأدنى من وظيفة اللفظ الاقترانية مع معناه، وهي تنسجم مع فكرة الوضع البشري للغة أكثر من انسجامها مع القول بأن الله تعالى هو واضع اللغة، ولا تبتعد هذه الفكرة عن القول بالعلاقة الذهنية التصورية التي تبناها كثير من علماء العرب: مناطقة وأصوليين وعلماء العربية، ومال إليها الـدرس اللغوي المعاصر باستعماله

(١) الظاهرة اللغوية بين النشأة التوقيفية والاستعمال عند السيد الخوئي دراسة لسانية معاصرة: المصدر السابق.

(٢) البيان في تفسير القرآن: ٤٢٧.

الاستدعاء للدلالة على المعنى، والاستدعاء هو العلاقة المتبادلة بين اللفظ ومدلوله، تلك العلاقة الذهنية التي تمكن أحدهما من استدعاء الآخر[١].

وكان السيد الخوئي قد ناقش بعض ما في هذه المسألة من جدل، بقوله: «إن قلت: إن وضع لفظ لمعنى يتوقف على تصور كل منهما، وذات الله سبحانه يستحيل تصورها، لاستحالة إحاطة الممكن بالواجب، فيمتنع وضع لفظ لها، ولو قلنا بأن الواضع هو الله – وأنه لا يستحيل عليه أن يضع اسماً لذاته لأنه محيط بها – لما كانت لهذا الوضع فائدة لاستحالة أن يستعمله المخلوق في معناه فإن الاستعمال أيضاً يتوقف على تصور المعنى كالوضع»[٢].

فالعقبة واضحة في عدم قدرة الإنسان على ربط الألفاظ بحقيقة ما تدل عليه والإحاطة به، وليس الأمر متعلق بقدرة الله على ذلك في الوضع الأول للغة، بل الأمر بمحدودية الإنسان وعجزه عن تصور حقيقة الله تعالى.

فمع ميله إلى استعمال لفظة الوضع يقرر السيد الخوئي أن هذا الوضع قائم على قدرة اللفظ (الدال) للإحالة على مدلوله ولو على نحو الإجمال من دون الالتفات إلى تفاصيل ذلك المدلول، المتمثلة بالإشارة إلى مدلوله، ولو لم يكن الأمر على هذا المنحى لتعسر وضع المسميات لكثير من الموجودات، بله الخالق تعالى، وعلى هذا يقول: «... ومما لا يرتاب فيه أحد أنه يصح استعمال اسم الإشارة أو الضمير ويقصد به الذات المقدسة، فكذلك يمكن قصدها من اللفظ الموضوع لها، وبما أن الذات المقدسة مستجمعة لجميع صفات الكمال، ولم يلحظ فيها – في مرحلة الوضع – جهة من كمالاتها دون جهة صح أن يقال: لفظ

(١) ينظر: المعنى في تفسير الكشاف: للزمخشري، ١٥.

(٢) البيان في تفسير القرآن: ٤٢٦.

الجلالة موضوع للذات المستجمعة لجميع صفات الكمال»[١].

ويلحظ السيد الخوئي بعض ما قد يرد من اعتراض على القول بعلمية لفظ الجلالة عليه تعالى بأنه: «لو كانت علماً شخصياً لم يستقم معنى قوله عز اسمه: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ (الأنعام: الآية ٣)، وذلك لأنها لو كانت علماً لكانت الآية قد أثبتت له المكان وهو محال، فلا مناص من أن يكون معناه المعبود، فيكون معنى الآية: وهو المعبود في السماوات والأرضين»[٢] فأجاب بقوله: «قلت: المراد بالآية المباركة أنه تعالى لا يخلو منه مكان، وأنه محيط بما في السماوات وما في الأرض، ولا تخفى عليه منها خافية، ويشهد لهذا قوله تعالى في آخر الآية الكريمة: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ (الأنعام: الآية ٣)»[٣].

بمعنى أنه يلتزم علمية هذا اللفظ، ويرى أن الآية بصدد بيان إحاطته تعالى بكل شيء اعتماداً على ما ورد في ذيل الآية المذكورة، وستتضح أكثر العلاقة بين طرفي الدلالة فيما يأتي.

الرحمن الرحيم:

تناول المفسرون هاتين اللفظتين بإسهاب وقدموا الآراء التي تجعل لكل من اللفظتين ما يميزها عن قرينتها، لاسيما أنهما واردتان في آية البسملة التي تفتتح بها السور القرآنية، وهي مفتتح التفسير، ومنها تظهر توجهات المفسر والطريقة التي يعتمدها في فهمه كلام الله تعالى في القرآن الكريم، فكان أول ملامح الدلالة القرآنية تتجلى في الصيغة الصرفية للفظتين وهما فعلان وفعيل، «وقال غير واحد

(١) البيان في تفسير القرآن: ٢٤٧-٤٢٨.

(٢) المصدر السابق: ٤٢٨.

(٣) المصدر السابق.

من المفسرين وبعض اللغويين: إن صيغة الرحمن مبالغة في الرحمة، وهو كذلك في خصوص هذه الكلمة، سواء أكانت هيئة فعلان مستعملة في المبالغة أم لم تكن، فإن كلمة (الرحمن) في جميع موارد استعمالها محذوفة المتعلق، فيستفاد منها العموم وأن رحمته وسعت كل شيء، ومما يدلنا على ذلك أنه لا يقال: إن الله بالناس أو بالمؤمنين لرحمن، كما يقال: إن الله بالناس أو بالمؤمنين لرحيم. وكلمة (الرحمن) بمنزلة اللقب من الله سبحانه، فلا تطلق على غيره تعالى»[١]، هذا من جانب ومن جانب آخر: فإن دلالة فعلان تدل على الصفات المتجددة من نحو ما جاء في: عطشان وجوعان وغضبان وغيرها إذ العطش والجوع والغضب ليس من الصفات الملازمة بل هي تزول وتتحول؛ يقول الدكتور فاضل السامرائي: «ودلالة هذا البناء على الحدوث بارزة في لغتنا الدارجة تقول (هو ضعفان) إذا أردت الحدوث، فإن أردت الثبوت (هو ضعيف)...»[٢].

أما لفظة (الرحيم) فدلالتها على ثبوت الصفة للموصوف، وعبر السيد الخوئي عن ذلك بقوله: «صفة مشبهة، أو صيغة مبالغة، ومن خصائص هذه الصيغة أنها تستعمل غالباً في الغرائز واللوازم غير المنفكة عن الذات: كالعليم والقدير والشريف، والوضيع والسخي والبخيل والعلي والدني»[٣].

وقد عرض السيد الخوئي لهاتين اللفظتين في مطلع تفسيره لسورة الحمد، فقال: «وصف الله تعالى نفسه بالرحمة في ابتداء كلامه دون سائر صفاته الكمالية؛ لأن القرآن إنما نزل رحمة من الله لعباده، ومن المناسب أن يبتدأ بهذه الصفة التي اقتضت إرسال الرسول وإنزال الكتاب»[٤]؛ وكان في مجيء الرحيم بعد

(١) البيان في تفسير القرآن: ٤٢٩.

(٢) التعبير القرآني: ٣٨-٣٩. وينظر: معاني الأبنية: ٩١-٩٢.

(٣) البيان في تفسير القرآن: ٤٣١.

(٤) المصدر السابق: ٤٣٧.

الرحمن لمحة دقيقة تستوقف المتدبر لوجوه نسج القرآن ونظم ألفاظه؛ قال السيد الخوئي:«وبذلك تظهر نكتة تأخير كلمة (الرحيم) عن كلمة (الرحمن) فإن هيئة (الرحمن) تدل على عموم الرحمة وسعتها ولا دلالة لها على أنها لازمة للذات، فأتت كلمة (الرحيم) بعدها للدلالة على هذا المعنى، وقد اقتضت بلاغة القرآن أن تشير إلى كلا الهدفين في هذه الآية المباركة، فالله رحمن قد وسعت رحمته كل شيء وهو رحيم لا تنفك عنه الرحمة، وقد خفي الأمر على جملة من المفسرين، فتخيلوا أن كلمة (الرحمن) أوسع معنى من كلمة (الرحيم) بتوهم أن زيادة المباني تدل على زيادة المعاني، وهذا التعليل ينبغي أن يعد من المضحكات، فإن دلالة الألفاظ تتبع كيفية وضعها، ولا صلة لها بكثرة الحروف وقلتها، ورب لفظ قليل الحروف كثير المعنى، وبخلافه لفظ آخر، فكلمة حذر تدل على المبالغة دون كلمة حاذر، وإن كثيراً ما يكون الفعل المجرد والمزيد فيه بمعنى واحد، كضر وأضر، هذا إذا فرضنا أن يكون استعمال كلمة (الرحمن) استعمالاً اشتقاقياً وأما بناء على كونها من أسماء الله تعالى وبمنزلة اللقب له نقلاً عن معناها اللغوي – وقد تقدم إثبات ذلك – فإن في تعقيبها بكلمة (الرحيم) زيادة على ما ذكر إشارة إلى سبب النقل، وهو اتصافه تعالى بالرحمة الواسعة»[١].

وتبدو نظرة السيد الخوئي الدلالية قد قررت بعض خطوطها المهمة في تحديد الربط بين الدال والمدلول، فالارتكاز في هذا الربط يعود إلى الوضع وهو اتفاق الجماعة اللغوية على ربط اللفظ الدال بمدلوله، وهي مسألة منفصلة عن كثرة حروف الكلمة أو قلتها وإن كان ذلك ضمن مجموعة اشتقاقية واحدة، وتبدو فكرة اللغويين في إرجاع سعة الدلالة من ضيقها إلى زيادة تحصل في مبنى الدال تتبعها زيادة في المعنى؛ تبدو هذه الفكرة موضع سخرية شديدة من السيد الخوئي لتعلق الأمر في حقيقته باتفاق الجماعة اللغوية؛ ولا علاقة لكثرة

(١) البيان في تفسير القرآن: ٤٣٨.

حروف البناء بدلالته على مدلوله؛ لأن حقيقة الأمر متوقفة على مرحلة سابقة هي الوضع التي يرجعها السيد الخوئي إلى الله تعالى الواضع الأول كما تقدم.

ولكننا لو تصورنا أن الوضع متعدد المراحل كأن يكون الله تعالى هو الواضع الأول ثم يطرأ وضع استعمالي لمتكلمي اللغة، يمكن أن نلحظ فيه صدق ما ذهب إليه الكثير من اللغويين.

ملك ومالك:

يبدو أن اعتبار المتكلم في الكلام الإلهي وهو الله تعالى حاضر في فهم السيد الخوئي للدلالة القرآنية، وهو سياق مقامي يؤدي إلى إلغاء بعض الفوارق الدلالية بين الألفاظ، وقد ظهر ذلك جلياً في تناوله للقراءتين الواردتين في قوله تعالى: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ فقد ورد فيها: مالك وملك[1]، وصححهما السيد الخوئي ومما تناوله فيهما أن عرض لنظرة النحويين المتعلق بدلالتيهما فاسم الفاعل يدل على الثبوت إذا كان في ما مر من الزمان أو أريد به الدوام، ويدل على التحول إذا كان الزمن للحال أو للاستقبال، وعليه فالإضافة في المضي تكون معنوية ومن ثم فهي تفيد التعريف أو التخصيص أما الثاني فالإضافة لفظية لا تفيد تعريفاً أو تخصيصاً، يقول السيد الخوئي: «والمقام من قبيل الثاني، فإن مالكيته تعالى ليوم الدين صفة ثابتة له لا تختص بزمان دون زمان، فيصح كون الجملة صفة للمعرفة، والتحقيق أن الإضافة مطلقاً لا تفيد تعريفاً، وإنما تفيد التخصيص؛ والتضييق والتعريف إنما يستفاد من عهد خارجي، ودليل ذلك: أنه لا فرق بالضرورة بين قولنا غلام لزيد وقولنا غلام زيد فكما أن القول الأول لا يفيد إلّا التخصيص كذلك القول الثاني، والتخصيص يتحقق في موارد الإضافة

(١) ينظر: معجم القراءات القرآنية: ٨-٩.

اللفظية كما يتحقق في موارد الإضافة المعنوية»[١].

فالسيد الخوئي ينظر إلى المسألة من وجهة تحققها مع الله تعالى المالك المطلق التي لا تختص مالكيته بزمان دون آخر ومن ثم فإنه لا يتجه إلى الوصف وما تعاهد عليه العرب من كلامهم بل يتوجه إلى من تعلق به هذا الوصف، واتسم به فمالكية الله تعالى ليوم الدين لا تحد بزمان، ويظهر من ذلك أن السيد الخوئي قد أهمل أن حدوث هذه المالكية ووقوعها لا يتحقق إلّا بتحقق ذلك اليوم، وهو لم يحدث بعد كما هو واضح.

«والترجيح في المقام باطل على الخصوص، فإن اختلاف معنى مالك ومعنى ملك إنما يكون إذا كان الملك – السلطنة والجدة – أمراً اعتبارياً فإنه يختلف حينئذ باختلاف موارده، وهذا الاختلاف يكون في غير الله تعالى، وأما ملك الله سبحانه فإنه حقيقي ناشئ عن إحاطته القيومية بجميع الموجودات، فهذه الإحاطة بذاتها منشأ صدق مالك وملك عليه تعالى، ومن ذلك يتضح أن نسبة مالك إلى الزمان إذا لم تصح في غير الله فلا يلزمها عدم صحتها فيه سبحانه فهو مالك للزمان كما هو مالك لغيره»[٢].

وبذا فإن قيمة الدال لا تحدد بما تملك من القدرة على الإحالة إلى مدلولها، بل تتجاوز ذلك إلى متعلقها وقدرته المطلقة التي تغيب فيها خصوصية البناء لتتشارك في عموم الوصف المتحقق مع الله حصراً لمالكيته المطلقة غير المحدودة بزمان أو مكان.

(١) البيان في تفسير القرآن: ٤٥٤.

(٢) المصدر السابق: ٤٥٣.

المبحث الثالث

الدلالة والسياق القرآني

لقد شغل المعاصرون أنفسهم بالسياق على نحو أضحى محور الدراسات الدلالية بكل مستوياتها، وهم في الأغلب يسندون للسياق الأثر الحاسم في إعطاء اللفظة معناها الدقيق.

والسياق سياق المقال (وهو السياق اللفظي أو اللغوي): الذي يشمل الكلمات والجمل السابقة واللاحقة للكلمة، والنص الذي ترد فيه؛ وسياق المقام (أو الموقف): وهو المتمثل بـ «عناصر غير لغوية ذات دخل كبير في تحديد المعنى، بل هي جزء أو أجزاء من معنى الكلام: وذلك كشخصية المتكلم وشخصية المخاطب، وما بينهما من علاقات وما يحيط بالكلام من ملابسات وظروف ذات صلة به كالجو مثلاً والحالة السياسية.. إلخ»[1]، فهو البيئة التي تنتج فيها اللغة، والسياق اللغوي هو الأكثر أهمية في توجهات الدرس اللغوي لإمكان تحديد معالمه أو قرائنه بدقة، بوصفها جزءاً من الكلام، في حين أن المقامي سياق مفترض في أغلب الأحيان وهو سياق يعتمد على ما يصاحب عملية التخاطب، من تفاصيل خارجية، مع إمكانية التضليل في تلك التفاصيل ما يؤدي إلى انحراف الفهم نحو جهة أخرى غير مرادة، ولقد أضحى السياق اللغوي هو المحدد للدلالة الدقيقة للألفاظ فكانت اللفظة وليدة متطلبات السياق، وتتأتى القيمة الدلالية لكل لفظة من الألفاظ بخضوعها لمختلف السياقات؛ يقول (فندريس) في أن الذي يعين قيمة الكلمة في الحالات كلها: «إنما هو السياق،

(١) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ٢٦٣.

إذ إن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديداً مؤقتاً، فالسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها»[١].

وتتساوق هذه النظرة مع وجهات تمتلك حضوراً تراثياً مهماً لاسيما في الدراسات التي اهتمت بالوقوف على أسرار إعجاز القرآن، فالألفاظ على ما يقول الجرجاني: «لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وإن الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها وما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر...»[٢]، وقد شمل هذا القول الدراسات القرآنية الدلالية.

ولنا ههنا وقفة لابد من عرضها تكمن في القول بأسبقية اللفظة في توليد سياقها الذي يناسبها لا العكس، بمعنى أن السياق وليد للألفاظ لا العكس، ذلك أن الكلام بوصفه وسيلة لنقل الأفكار والتواصل مع الآخرين تبنى في الجملة على بؤر لفظية تمثل الفائدة التي من أجلها عُقد الخطاب، وعلى هذا فإن تلك اللفظة التي تمثل الفائدة عبر تعلقها بلفظة أو أكثر تعمل على أن تمارس سلطتها على تلك الألفاظ؛ فتسمها بما يتوافق مع ملامحها الدلالية.

على العموم فإننا سنحاول رصد أطراف البحث الدلالي التي تتمايز في أثناء التفسير لفهم كلام الله تعالى وتحديد مراد آياته ومقاصدها.

التفسير والسياق:

لما كان البحث عن الدلالة هو الهم الذي شغل به المفسرون، لذا نجد أن

(١) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ٢٣١.

(٢) دلائل الإعجاز: ٤٦.

الإطالة في التفسير وبيان المقاصد الإلهية المحتملة للآية والسورة واللفظة أو التركيب كان موضع إثراء للبحث الدلالي في كتب التفسير بل لقد «قدّم علم التفسير... أمثلة رائعة للغويات النص التطبيقية في تحليل النصوص، وربطها بوقائع حياة المتعاملين بها»[١]، فالبحث في الدلالة عماد التفسير، ووظيفة المفسر الكشف عن الدلالة؛ وقد بين السيد الخوئي تلك الوظيفة فجعل همّه الأول هو البحث عن المعنى القرآني بوسائل منهجية تتمثل بالخضوع لتوجهات النص القرآني وهي ناحية مهمة لمسايرة النص في محاوره التي رصدها، وفي ذلك يقول السيد الخوئي في مقدمة كتابه:

«على المفسر: أن يجري مع الآية حيث تجري، ويكشف معناها حيث تشير، ويوضح دلالتها حيث تدل»[٢]، وهي ناحية منهجية مهمة لفهم النص، وحياد المفسر لكلام الله تعالى؛ ويسهل الانقياد للنص فعلى المفسر أن لا يقحم النص في محاور ليس النص بصددها، الأمر الذي يجعله قريباً من مراد النص، وهو جانب أول لمفسر النص، وعليه أن يرتقي إلى جانب آخر يتساوق مع معارف القرآن المتعددة؛ لذا فإن السيد الخوئي يواصل كلامه السابق بقوله:

«عليه أن يكون حكيماً حين تشتمل الآية على الحكمة، وخلقياً حين ترشد الآية إلى الأخلاق، وفقيهاً حين تتعرض للفقه، واجتماعياً حين تبحث في الاجتماع، وشيئاً آخر حين تنظر في أشياء أخر، على المفسر: أن يوضح الفن الذي يظهر في الآية، والأدب الذي يتجلى بلفظها، عليه أن يحرر دائرة لمعارف القرآن إذا أراد أن يكون مفسراً، والحق أني لم أجد من تكفل بجميع ذلك من المفسرين»[٣].

(١) ينظر: نحو علم خاص بالعلوم الشرعية: ٢٠.

(٢) البيان في تفسير القرآن: ١٢.

(٣) المصدر السابق: ١٢-١٣.

فالسيد الخوئي يرى أن الخضوع لتوجهات النص وتعدد محاور فهمه على حسب مقتضيات الآيات القرآنية يجب أن يكون همّ المفسّر، بل إن التفسير يمثل دائرة معارف قرآنية بما يرصد من تخصصات متنوعة توجهت لها الآيات، وعلى هذا الحال فالتفسير لا يقتصر على بيان المعاني القرآنية، بل ينبغي أن يتكفل برصد جوانب العلوم الأخرى التي عقدت من خلالها سنن القرآن وأنظمته الأخلاقية والنفسية والتربوية والسياسية والعسكرية والغذائية والإدارية وغيرها من جوانب الحياة التي عالجتها الآيات القرآنية؛ ويوضح جمع كل هذه المحاور في ظل التفسير الذي لا ينبغي أن تغيب خصوصيته منتج نصه وحضوره الدائم في فيه، وهدايته العامة ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: الآية ٩)، ثم ختم السيد الخوئي كلامه بقوله: «وقد التزمت في كتابي هذا أن أجمع فيه ما يسعني فهمه من علوم القرآن التي تعود إلى المعنى...»[١].

فهو يبين حدود ما يهتم به في التفسير مما يتعلق بالمعاني التي يعطيها النص، وذلك أقسط للمفسّر أن يقتصر على معاني النص، ولا يغادرها إلى ما يتجاوز حقيقة التفسير.

«إنّ دلالة النص تتكشف من خلال تحليل بنائه أولاً، ومن خلال العودة إلى سياق إنتاجه ثانياً، وإن إهدار أحد الجانبين يعوق المفسر عن اكتشاف الدلالة والمعنى»[٢].

المصادر:

١. البيان في تفسير القرآن: سماحة السيد أبي القاسم الخوئي، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، ط٣٠، ٢٠٠٣م.

٢. التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرائي، نشر جامعة بغداد، دار الكتب للطباعة والنشر،

(١) البيان في تفسير القرآن: ١٣.

(٢) المعنى في تفسير الكشاف: نجاح فاهم العبيدي، ٧١.

جامعة الموصل، ١٩٩٨م.
٣. الميزان في تفسير القرآن: العلامة محمّد حسين الطباطبائي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، (ضمن مكتبة أهل البيت عليهم السلام الألكترونية مركز المصطفى للبحوث والدراسات).
٤. دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القادر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي (ت: ٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ)، تحقيق: د. محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، مطبعة المدني، ١٩٨٤م.
٥. الظاهرة اللغوية بين النشأة التوقيفية والاستعمال عند السيد الخوئي دراسة لسانية معاصرة: د. حيدر سلمان جواد، مجلة آداب المستنصرية، ع٥٠، ١٤٣٩هـ-٢٠٠٩م.
٦. علم الدلالة: د. أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
٧. علم الدلالة عند العرب (دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة): عادل فاخوري، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٥م: ١٥.
٨. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: د.محمود السعران، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
٩. فقه اللغة العربية: د. كاصد ياسر الزيدي، طبع جامعة الموصل، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
١٠. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوض وشاركهما الدكتور فتحي عبد الرحمن حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٨٨م.
١١. الكليات: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ-١٦٨٣م)، تحقيق: د. عدنان الدرويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
١٢. معاني الأبنية في العربية: د. فاضل صالح السامرائي، ط١، نشر جامعة بغداد، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
١٣. معجم القراءات القرآنية: د. عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠٠٣م.
١٤. معجم ألفاظ الفقه الجعفري: د. أحمد فتح الله، ط١، موقع يعسوب الدين، (الكتاب مرقم آلياً موافق للمطبوع).
١٥. المعجم المفصل في فقه اللغة: مشتاق عباس معن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٦. المعنى في تفسير الكشاف: للزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، نجاح فاهم صابر العبيدي، أطروحة مقدمة إلى مجلس كلية التربية جامعة بابل لنيل دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
١٧. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمّد علي التهانوي، تحقيق: د. علي دحدوح ود. عبد الإله الخالدي ود.جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
١٨. منهج الدلالة القرآنية للألفاظ – مدخل إلى تفسير القرآن بالقرآن: د. حسن عبد الغني الأسدي، مجلة آداب المستنصرية، ع٤٩، ٢٠٠٩م.
١٩. نحو علم خاص بالعلوم الشرعية: د. أحمد شيخ عبد السلام، ماليزيا، دون معلومات.

المصدر: مجلة كلية التربية في الجامعة المستنصرية: ع٤، ٢٠١٢م.

السيد أبي القاسم الخوئي... أستاذاً

الدكتور محمّد حسين علي الصغير

من هو أبي القاسم الخوئي؟

هو السيد أبي القاسم نجل العالم الرباني السيد علي الأكبر ابن السيد هاشم الموسوي الخوئي النجفي.

يتصل نسبه بالإمام موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

ولد في مدينة (خوي) من أعمال آذربايجان من أسرة عربية محضة أماً وأباً وجدّاً، في حي من أحيائها «المعدودة من مواطن العرب ومعاقل العربية والتراث في تأريخ الإسلام»[١].

وكان مولده الشريف في ١٥/ ٧/ ١٣١٧هـ الموافق ١٩/ ١١/ ١٨٩٩م، وهاجر مع أبيه إلى النجف الأشرف للدراسة في الحوزة العلمية وعمره ثلاثة عشر عاماً، وأقام فيها أكثر من ثمانين عاماً[٢].

وتوفي بالكوفة الغراء بتاريخ ٨ صفر ١٤١٣هـ الموافق ٨ آب ١٩٩٢م، ودفن في مقبرته الخاصة جوار مرقد أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف في الغرفة الملاصقة لمسجد الخضراء، والمطلة على الصحن الحيدري الشريف، ما بينه وبين أمير المؤمنين عليه السلام سوى عشرين متراً بالضبط، وقد أشرت إلى هذا حينما أرخت عام وفاته، وقد نقشت بالقاشاني ما بين الشباكين المطلين على ضريحه المقدس منتصفاً حرم مسجد الخضراء، وكان لهذا التاريخ الذي وفقت إلى نظمه، هو المختار من بين أكثر من مائة تاريخ، فوقع نظر الحوزة العلمية

(١) جريدة الزمان: العدد ١١٩١، الصادر ٩/ ٢/ ١٤٢٣هـ الموافق ٢٢/ ٤/ ٢٠٠٢م في لندن.

(٢) حددتُ إقامته في النجف الأشرف بأكثر من ثمانين عاماً، لأنه قد انتدب للتدريس في كربلاء المقدسة ثلاث سنوات من قبل المرجع الأعلى للإمامية في عصره السيد حسين القمي طاب ثراه (ت ١٣٦٦هـ) وكان مقر مرجعيته في كربلاء، وعند وفاته عاد الإمام الخوئي إلى النجف الأشرف.

وولده حجة الإسلام والمسلمين المرحوم السيد محمّد تقي الخوئي (ت ١٩٩٤م) عليه، وهو:

لما اصطفينا للهدى مضجعا ... وأصبح (الخوئي) فيه دفين

ومن (علي) قد دنا موقعا ... وهكذا عاقبة المحسنين

نودي فاهتز لها مسمعا ... إنا فتحنا لك فتحاً مبين

وأنشد التاريخ (لمّا دعا ... أزلفت الجنة للمتقين)

١٤١٣هـ

فمن هو الإمام الخوئي؟ لا أطيل عليك، وأختصر لك الحقيقة مجردة عن العواطف فأقول:

الإمام الخوئي إحدى عجائب الدهر ومحاسن الدنيا، زعيم الحوزات العلمية في العالم، ومجدد علم الأصول في القرن العشرين، وأستاذ الفقهاء والمجتهدين في النجف الأشرف.

وهو ظاهرة لن تتكرر - ولله خرق العادات - فقد استقل بالبحث الخارج العالي طيلة ستين عاماً متواصلة، وقد وهبه الله عمراً مديداً ما فرط بيوم واحد منه، حتى ما رآه أحد إلّا مدرّساً أو دارساً أو مطالعاً أو محرراً أو مفكراً، وهذا سر عظمته كما هو الأمر الواقع.

سيرته الذاتية:

وسيرة هذا الرجل الذاتية، قد كتبها السيد الخوئي نفسه بكل صدق وأمانة وتواضع بقلمه الشريف فجاءت برقم (١٤٦٩٧) من كتابه «معجم رجال

الحديث»، فقال[١]:

أبي القاسم بن علي أكبر بن هاشم الموسوي الخوئي رضوان الله عليهما، مصنف هذا المعجم، وجرياً على عادة الرجاليين في تحرر تراجمهم عندما يصل دور اسمهم، حررت هذه الترجمة الموجزة عند وصول طبع المعجم إلى هذا الموضع.

ولدت في بلدة (خوي) من بلاد آذربيجان، في الليلة ١٥ من شهر رجب سنة ١٣١٧هـ، وبها نشأت مع والدي وأخواتي، واتقنت القراءة والكتابة وبعض المبادئ، حتى حدث الاختلاف الشديد بن الأمة لأجل – حادثة المشروطة – فهاجر المرحوم والدي من أجلها إلى النجف الأشرف سنة ١٣٢٨هـ، والتحقت به في سنة ١٣٣٠هـ، برفقة أخي الأكبر المرحوم السيد عبد الله الخوئي، وبقية أفراد عائلتنا.

مشايخي:

وحين وصلت النجف الأشرف، الجامعة الدينية للشيعة الإمامية، ابتدأت بقراءة العلوم الأدبية والمنطق، ثم قرأت الكتب الدراسية الأصولية والفقهية لدى الكثير من أعلامها، منهم سيدي المرحوم العلّامة الحجة الوالد قدست نفسه، ثم حضرت الدروس العليا (بحث الخارج) على أكابر المدرسين في سنة ١٣٣٨هـ، أخص منهم بالذكر أساتذتي الخمسة قدس الله أرواحهم الطاهرة، وهم:

١– آية الله الشيخ فتح الله، المعروف بشيخ الشريعة الأصفهاني.
٢– آية الله الشيخ مهدي المازندراني.
٣– آية الله الشيخ ضياء الدين العراقي.

(١) الخوئي: معجم رجال الحديث: ٢٣/ ٢٠-٢٥.

٤- آية الله الشيخ محمّد حسين الأصفهاني.

٥- آية الله الشيخ محمّد حسين النائيني.

وأن الأخيرين أكثر من تتلمذت عليه فقهاً وأصولاً، فقد حضرت على كل منهما دورة كاملة في الأصول، وعدة كتب في الفقه حفنة من السنين، وكنت أقرر بحث كل منهما على جمع من الحاضرين في البحث، وفيهم غير واحد من الأفاضل، وكان المرحوم النائيني آخر أستاذ لازمته، ولي في الرواية مشايخ أجازوني أن أروي عنهم كتب أصحابنا الإمامية، وغيرهم، ولذا أروي بعدة طرق كتبنا الأربعة (الكافي - الفقيه - التهذيب - الاستبصار) والجوامع الأخيرة (الوسائل - البحار - الوافي) وغيرها من كتب أصحابنا قدس الله سرهم، فمن تلك الطرق ما أرويه عن شيخي النائيني، عن شيخه النوري بطرقه المحررة في خاتمة كتابه «مستدرك الوسائل» المعروفة بـ (مواقع النجوم)، المنتهية إلى أهل بيت العصمة والطهارة.

تدريسي:

وقد أكثرت من التدريس، وألقيت محاضرات كثيرة في الفقه والأصول، والتفسير، وربيت جماً غفيراً من أفاضل الطلاب في حوزة النجف الأشرف، فألقيت محاضراتي في الفقه (بحث خارج) دورتين كاملتين لمكاسب الشيخ الأعظم الأنصاري قدست نفسه، كما درست جملة من الكتب الأخرى، ودورتين كاملتين لكتاب الصلاة، وشرعت في ٢٧ ربيع الأول سنة ١٣٧٧هـ في تدريس فروع (العروة الوثقى) لفقيه الطائفة السيد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي، متبدئاً بكتاب (الطهارة)، حيث كنت قد درست (الاجتهاد والتقليد) سابقاً، وقطعت شوطاً بعيداً فيها - والحمد الله - حيث وصلت إلى كتاب (الإجارة) فشرعت فيه في يوم ٢٩ ربيع الأول سنة ١٤٠٠هـ، وقد أشرفت على إنجازه

الآن في شهر صفر سنة ١٤٠١هـ، وألقيت محاضراتي في الأصول (بحث خارج) ست دورات كاملات، أما السابعة فقد حال تراكم أشغال المرجعية دون إتمامها، فتخليت عنها في مبحث الضد.

في غضون السنين السابقة شرعت في تدريس تفسير (القرآن الكريم) برهة من الزمن إلى أن حالت ظروف قاسية دون ما كنت أرغب فيه من إتمامه، وكم كنت أود انتشار هذا الدرس وتطويره، وإني أحمد الله تعالى على ما أنعم به عليّ من مواصلة التدريس طيلة هذه السنين الطوال، وما توقفت إلّا في الضرورات كالمرض والسفر، حيث تشرفت بحج بيت الله الحرام عام ١٣٥٣هـ، وتشرفت بزيارة الإمام الرضا عليه السلام عام ١٣٥٠هـ، وعام ١٣٦٨هـ، وقد قرر مجموعة كبيرة من أفاضل تلامذتي ما ألقيته عليهم من دروس في الفقه، والأصول، والتفسير، وقد طبعت جملة منه، وإليك هذه القائمة بالمطبوع فحسب.

ت	اسم الكتاب	عدد الأجزاء	الموضوع
١	تنقيح العروة الوثقى	٦	فقه
٢	دروس في فقه الشيعة	٤	فقه
٣	مستند العروة	(٢) والثالث تحت الطبع	فقه
٤	فقه العترة	(١) والثاني تحت الطبع	فقه

وهذه الأربعة مشتملة على عدة أجزاء لم تطبع إلى الآن.

٥	تحرير العروة	١	فقه
٦	مصباح الفقاهة	٣	فقه
٧	محاضرات في الفقه الجعفري	٢	فقه
٨	الدرر الغوالي في فروع العلم الإجمالي	١	فقه
٩	محاضرات في أصول الفقه	وهي دورة طبع منها (٥)	أصول

١٠	مصباح الأصول	٢	أصول
١١	مباني الاستنباط	٢	أصول
١٢	دراسات في الأصول العملية	١	أصول
١٣	مصابيح الأصول	١	أصول
١٤	جواهر الأصول	١	أصول
١٥	الأمر بين أمرين	١	أصول
١٦	الرأي السديد في الاجتهاد والتقليد	١	–
١٧	رسالة في تحقيق الكر	–	–
١٨	رسالة في حكم أواني الذهب	–	–

وقد سجل جميع الدورة السادسة من درس الأصول في أشرطة خاصة محفوظة عندنا، وكذلك الكثير من أبحاثنا الفقهية.

تأليفي:

وقد ألفت في التفسير والفقه، والأصول والرجال مجموعة من الكتب طبع بعضها، ولا يزال البعض الآخر مخطوطاً، وإليك قائمة بالمطبوعات فحسب:

ت	اسم الكتاب	عدد الأجزاء	الموضوع
١	البيان في تفسير القرآن	١	تفسير
٢	أجود التقريرات	٢	أصول
٣	تكملة منهاج الصالحين	١	فقه
٤	مباني تكملة منهاج الصالحين	٢	فقه
٥	تهذيب وتتميم منهاج الصالحين	٢	فقه
٦	المسائل المنتخبة	١	فقه
٧	مستحدثات المسائل	١	فقه

٨	تعليقة على العروة الوثقى	١	فقه
٩	رسالة في اللباس المشكوك	١	فقه
١٠	نفحات الأعجاز	١	الدفاع عن كرامة القرآن
١١	منتخب الرسائل	١	فقه
١٢	تعليقة على المسائل الفقهية	١	فقه
١٣	منتخب توضيح المسائل	١	فقه
١٤	تعليقة على توضيح المسائل: طبعت مستقلة ثم أدرجت في المتن	١	فقه
١٥	تلخيص المنتخب	١	فقه
١٦	مناسك الحج (عربي)	١	فقه
١٧	مناسك الحج (فارسي)	١	فقه
١٨	تعليقة المنهج لأحكام الحج	١	فقه
١٩	معجم رجال الحديث	٢١	رجال

صلتي بالإمام الخوئي:

سكن السيد الخوئي قدس سره في أوائل القرن العشرين في محلة العمارة عند تقاطع أربعة طرق معروفة بـ (رأس أربع عكود) في النجف الأشرف، في دار لا يمتلكها بل هي موقوفة من قبل صاحبها على أفضل (الخوئيين) علماً وعملاً، وكان الإجماع آنذاك قائماً على أفضليته عليهم.

وكانت دارنا في زقاق يؤدي إلى مقام الإمام زين العابدين عليه السلام، وبين دار الخوئي ودارنا أربعون متراً تقريباً، وبحكم الجوار كانت رؤيتنا إياه طبيعية ونحن صبية، فإذا أضفت إلى هذه كونه ممن يبجل ويحترم جدنا المقدس الشيخ حسين الصغير (١٢٩٠-١٣٦٩هـ) ويقصده إلى داره مستفسراً عن صحته، ومشاركاً

فيما يطرح من مسائل علمية يعجب لها الحاضرون، والخوئي آنذاك شاب متميز.

وكان عمي الشيخ عبد الحميد الصغير (١٣٣٨-١٤١٨هـ) مصاباً بمرض خطير في شبابه، وقد أدركت أواخر أيام هذا المرض، وشاهد السيد الخوئي حالته الصحية، فأخبرني عمي الشيخ عبد الحميد أن السيد قدس سره أشار على جدي أن ينذر نذراً بدعوة سبعة سادة موسويين (يتصل نسبهم بالإمام موسى بن جعفر عليه السلام على صيغة نذر إن عوفي من مرضه، فنذر جدنا ذلك، وقال له: أنت أول المدعوين على المائدة، وعوفي عمي من المرض الذي أعيا كبار الأطباء في بغداد آنذاك ببركة اقتراح السيد الخوئي وحضوره.

أضف إلى هذا أن سيدي الوالد من طلاب دورته الأولى في الأصول (١٣٥٥هـ-١٩٣٦م) وهذا ما يؤكد الصلة العائلية، وكم كنت أعجب وأنا صغير السن، حينما أرى أبي يقبل يد الإمام الخوئي عندما يلتقيان في الطريق، لاعتقادي - آنذاك - أن تقبيل اليد للأب وحده، فهكذا كان يصنع أبي وأعمامي مع جدي، وهكذا أفعل مع أبي وربما استفسرت من الوالد رحمه الله عن هذه الظاهرة، فيقول: إن السيد الخوئي أستاذنا، والأستاذ بمنزلة الوالد.

حتى إذا اعتمرت العمامة (١٣٧١هـ-١٩٥٢م) كنت أستوقف الخوئي في طريق عودته إلى داره، وأقبل يده، وأسأل عن صحته، فيجيب بعطفه الأبوي وسلامته المعهودة، فأجد لذلك غبطة في النفس لا تعادلها غبطة، وأقام الوالد مجلس عزاء لأحد الأئمة عليهم السلام، فدعوته لذلك وعينت له الوقت، فاعتذر عن الحضور لأنه مشغول جداً، وسألته عن هذا الشغل، فأجاب أنه مشغول بالبحث والتدريس، فأخذتني دهشة كبيرة؛ أن هذا الرجل ليس كالرجال الآخرين، فانشغاله بعلم أهل البيت عليهم السلام يحول دون حضوره المجالس.

وتفتح مدرسة آية الله السيد البروجردي قدس سره (ت ١٩٦٠م) في مهرجان

جماهيري وعلمائي في النجف الأشرف بمولد الإمام الحسين ابن أمير المؤمنين عليهما السلام في ٣ شعبان ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م دعا إليه المغفور له الحجة الشيخ نصر الله الخلخالي عميد المدرسة، ويكون سيدنا الأستاذ الخوئي هو الذي يفتتحها، وبحضوره الشريف أنشدت القصائد والكلمات، وكانت قصيدتي مطلعها:

عيد ومولدك المبارك عيد نشدو ابتهاجاً باسمه ونشيد

والخطاب للإمام الحسين عليه السلام، حتى إذا عددت مآثر الحسين عليه السلام، وصلابته في العقيدة والمبدأ ختمت ذلك بالقول:

ولقد يبالغ في الكلام مفوّهٌ فيُضيف في أقواله ويُزيد

لكنه «الإيجاز» إن ظهرت له فيما يقول دلائلٌ وشهود

فتبسم الإمام الخوئي، والتفت إلى من حوله من العلماء قائلاً: إن الشاعر يدرس البلاغة العربية، وكان الأمر كذلك، فسئل قدس سره: من أين علمت ذلك؟ قال: الشيخ ذكر الإيجاز والمبالغة في الشعر، وهو بهذا السن يقتضي أن درسه في المعاني والبيان، فاستحسن العلماء قوله، واستدلوا بذلك على فرط ذكائه، وكان السيد الخوئي ذواقة للشعر وربما نظمه.

ومرّت الأيام سراعاً، وتقلبت الظروف وقامت ١٤ تموز ١٩٥٨م، واشتد الصراع العقائدي في العراق، ووقف السيد الخوئي إلى جنب الإمام الحكيم في تحريم الشيوعية، وكان لي دور منظور في مكافحتها، شعراً ونثراً، وكانت قصائدي مثار إعجاب الحوزة العلمية لا سيما الحكيم والخوئي، وأصدرت كتابي (الشيوعية مبدأ هدام) عام ١٩٦٠، وبعدت عن النجف وكنت قد أكملت السطوح (الدراسة العلمية الحوزوية للنصوص في النجف الأشرف) وأعجب الإمام الخوئي بالكتاب، وهاجرت عن النجف تسع سنوات ما بين

الكوت وبغداد، وحضرت بحثاً مختصراً للخارج في الأصول عند الحجة السيد إسماعيل الصدر في الكاظمية بعد صلاة العشاء ما بين عام ١٩٦٤-١٩٦٧م.

هنا بعض محاضرات السيد إسماعيل الصدر قال: لو بعث الشيخ أبو جعفر الطوسي (ت ٤٦٠هـ) لقلنا له أنت شيخ الطائفة حقاً، ولكننا اليوم لا نعترف بك حتى تحضر دورةً كاملة للأصول عند السيد الخوئي، وأثرت هذه الكلمة أثرها عندي، فانتقلت للنجف عام ١٩٦٩م بعد انتهاء دراسة السنة الأولى للماجستير في الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم العليا بجامعة القاهرة، وحضرت الدورة الخامسة للأصول عند الخوئي، وبعد مرجعيته أخبرته بقول السيد إسماعيل الصدر الآنف الذكر، فقال: هكذا يقول السيد إسماعيل الصدر؟ قلت: نعم، فتبسم واغتبط كثيراً وترحم عليه، وكان قد توفي عام (١٩٦٩م) وأنا في القاهرة، وأدركت حفلته الأربعينية فرثيته بقصيدة من الأعماق أولها:

عَظُم الخطبُ.. وقد جلّ المصاب في الحشا جمر.. وفي القلب التهاب

يا شهيداً خرّ في معكرة مثلما يهوي إلى الأرض الشهاب

ويؤوب الإمام السيد محسن الحكيم قدس سره من العلاج الطبي في لندن أوائل ١٩٧٠م ويستقبله الشعب العراقي بطبقاته كافة في مطار بغداد، وكنت وجماعة من العلماء في بغداد في الشرفة التي تطل على هبوط طائرته، وحينما نزل من الطائرة متكئاً على عصاه ومستنداً الآخرين، وهو قد اعتمر كوفية خضراء، قال الشيخ جواد الظالمي إمام الجماعة في البياع - وكان المرض قد هدّ قوى السيد الحكيم - وجه السيد ينبئ عن موته، وسنضيع بعده، قلت: لا نضيع مع وجود السيد الخوئي فهو المرجع الأعلى من بعده لا شك في هذا، فاستغرب الجمع من قولي هذا؛ لأن الإمام الخوئي - وإن كان مقلداً آنذاك - لم يكن ليتطلب المرجعية العليا، وليس بصددها، ومن الطائرة يرقد السيد الحكيم في مستشفى

ابن سينا ببغداد، ويعوده العلماء الأعلام، ورجال الدين في النجف الأشرف، ويعوده الإمام الخوئي – وقد يقال إن الإمام الحكيم قد استدعاه – ويجتمعان في غرفة المستشفى منفردين ولا يعلم ما جرى بينهما من حديث، وكان ذلك في مايس ١٩٧٠م، ويقال إن السيد الحكيم قد تحدث معه عن مستقبل المرجعية وأنه المرشح لمنصب المرجع الأعلى، هكذا أشيع، ويستدعي الإمام الحكيم ولده التقي الورع العابد الزاهد آية الله السيد يوسف الحكيم قدس سره، فيناوله مفتاح الخزانة التي تضم الحقوق الشرعية، والذي فهمته أن السيد الحكيم أمره أن يسلم هذه الحقوق إلى السيد الخوئي، إلّا أن السادة آل الحكيم يقولون: إن السيد يوسف هو الذي سلمها إلى السيد الخوئي ابتداء؛ لأنه في عقيدته هو المرجع الأعلى، ومهما يكن من أمر فقد شكل السيد يوسف الحكيم لجنة برئاسته، وفتحوا الخزانة (القاصة) وكان لا يعلم ما بها وفي إيرادها إلّا الإمام الحكيم نفسه والمال يعطى للمستحقين بإشرافه المباشر – وحينما فتحت عدّ ما فيها فكان خمسة وثلاثين ألف دينار فقط، وكان الإمام الحكيم يصرف شهرياً بحدود خمسة عشر ألف دينار لرواتب الحوزة العلمية ومشاريعه الأخرى، ومعنى هذا أن رصيد المرجعية كان يكفي لأكثر من شهرين فحسب، وهذا هو الورع والتحرج في ذات الله.

ويتوفى الإمام الحكيم في ١ حزيران ١٩٧٠م، ويذهب ولده الأكبر السيد يوسف إلى الإمام الخوئي فيعطيه المبلغ، فيأبى الخوئي قبوله، ويقول استلمته وأنت توزعه برأيك على المستحقين، قال السيد يوسف، فأنا لا أعطي أحداً راتباً الآن، فإذا أعطيت اعتاد الناس على ذلك، قال تصرفه، فإذا انتهى، فلا تكليف عليك، وهكذا كان.

وينادى من قبل أهل الخبرة العلمية بمرجعية الإمام الخوئي في حزيران

١٩٧٠م وتستمر مرجعيته العليا قرابة ربع قرن حتى وفاته.

ومنذ اليوم الأول كنت أحد مستشاريه، يقربني ويدنيني، وينتدبني للمهمات، وهي كثيرة أبرزها:

١- تجديد إقامات الحوزة العلمية الأجنبية، وقد كان ذلك في ٢٢/ ٦/ ١٩٧٥م إذ أوفدني إلى بغداد مع الشيخ محمّد الشيخ راضي والسيد محمّد صالح الخرسان، ونزلنا في دار الوالد بعد وفاته بالعطيفية، واتصلت بالدكتور أحمد عبد الستار الجواري واجتمعنا معه في داره قرب دارنا، وتحدثنا بالموضوع، فعمل كل ما في استطاعته، وأثمر الموضوع في ٢٨/ ٦/ ١٩٧٥م حيث أبلغنا أن المستوى الأعلى من المسؤولين قد وافقوا على إعطاء الإقامة لكل رجل دين يتسلم مرتباً في قوائم الإمام الخوئي، فجددت في هذا الضوء (٢٥٠٠) إقامة، وعدت من بغداد عند الظهر، فنزلت عند مقر الإمام الخوئي في الكوفة الغراء، وهو يسكن بيتاً متواضعاً آنذاك أباح مالكه له التصرف والإقامة فيه، فاغتبط سروراً، فطلب أن أبقى معه لتناول طعام الغداء سوياً، فلا أحد معه سوى المباشر لخدمته، فقلت: لا أبقى، أنت تأكل طعاماً جشباً وأنا يهيأ لي طعام خاص، فأصر أنه يوفر لي ما أريد فكان ذلك، واستلقينا في غرفته، وجلسنا عصراً، فقال: نمتم، قلت: كلا، فهذا الكتاب من إعدادكم (قاعدة الإلزام) لم أره سابقاً، وقد قرأته جميعاً، قال: هذا من بركات الشيخ إسحاق الفياض، وبمجرد نطقه الاسم دخل علينا الشيخ اسحاق الفياض فاستفسر عن ذكر اسمه فحدثته بالأمر.

٢- انتدبني وكيلاً دينياً عنه في بغداد، بعد وفاة والدي في ٢٣/ ٣/ ١٩٧٥م عندما قابله وفد بغدادي كبير يطلب إليه أن ينيبني الإمام لأداء مراسم (جامع براثا) الذي تم تشييده متكاملاً عام ١٩٦٣م على يد الوالد رحمه الله، فوافقت مبدئياً على سبيل التجربة، وكان ذلك بحاجة إلى صريح القول،

فهذا المسلك محتاج إليّ ولست محتاجاً له.

وذهبت إلى بغداد وكيلاً للإمام الخوئي، حتى إذا تمت لي التولية الشرعية والقانونية للجامع، عينتُ فيه أحد التجار الأخيار لإمامة الجماعة، وصليت خلفه، وعدت إلى النجف بعد خمسة شهور شاهدت فيها من الصراعات العقائدية والسياسية ما جعلني أزهد في كل المظاهر الزائلة، وفاتحت الإمام الخوئي في الموضوع قائلاً:

أيهما أولى وأهم في النظر العلمي، النجف أم بغداد؟

فقال الإمام: بل النجف الأشرف.

قلت: أنت تحتاجني، وجامع براثا يحتاجني فأيهما أقدم، وما هو الأوفق شرعاً؟

قال: أنا بحاجة إليك، وأنا أولى من الجامع قلت للإمام بحضور ولده السيد جمال الخوئي، فأنا أقف إلى جنبك بعيداً عن الصراع الذي لا عائدية معه، وإنما تكفي المؤونة في الجامعة إذ كنت في كلية الفقه في النجف الأشرف عام ١٩٧٥م.

فأنعم علي الإمام بالرضا والقبول وبقيت على وكالته حتى وفاته.

٣- أقيم في النجف الأشرف مهرجان وطني لنصرة القضية الفلسطينية على المستوى الشعبي والرسمي، وطُلب إلى الإمام الخوئي أن يفتتحه بكلمة منه فاستجاب عام ١٩٧٨م لذلك، وقال: لا يمثلني إلّا أنا ونفسي والشيخ الصغير هو نفسي، وأمرني بكتابة الكلمة نيابة عنه، وسلمتها إياه، فأجرى عليها بعض التعديل البسيط، وأمر السيد مرتضى النقشواني بإعادة كتابتها، فكتبها فذيلها باسمه الشريف وخاتمه المبارك، وقدمت في المهرجان بعنوان كلمة الافتتاح لسماحة الإمام الأكبر السيد أبي القاسم الخوئي يلقيها ممثله سماحة العلامة

الشاعر الشيخ محمّد حسين علي الصغير، فألقيتها بحماس بالغ، وتفاعل بالحدث فقوبلت بضجة صاخبة، واستحسان كبير، وقدم القادة الفلسطينيون الحاضرون في المهرجان شكرهم وامتنانهم للإمام الخوئي على الدعم المادي والمعنوي الذي قدّمه الإمام للقضية الفلسطينية، ويؤسفني أن هذه الكلمة الرائدة أخذها مني – فور انتهائي من الإلقاء – عريف الاحتفال المرحوم الأستاذ السيد علي بدر الدين، ولم أعرف مصيرها، وقيل إنها نشرت في الصحف، وعرضها التلفزيون العراقي.

لا أطيل عليك بقيت ملتزماً مع الخوئي حتى وفاته في ٨/ ٨/ ١٩٩٢م سوى فترة إعداد الدكتوراه في القاهرة التي أنهيتها قبل المدة القانونية.

وفي هذه المدة التي امتدت أربعين عاماً تقريباً، يزداد إيماني بالسيد الخوئي يوماً بعد يوم، فما رأيته إلّا صابراً محتسباً متوكلاً، لا يجزع ولا يغضب، ولا يضجر، رغم ما في مرجعيته من ملابسات معروفة، ولمست من خلقه الرفيع وأدبه الجم ما ألقي عليه الضوء في المبحث الآتي.

خصائص الإمام الخوئي ومميزاته الأخلاقية:

إذا عرفنا أن الإمام الخوئي قدس سره قد درس علم الأخلاق والعرفان عند العارف بالله المقدس الميرزا السيد علي القاضي، نابغة عصره، وخرّيت زمنه، فإذا أضفت لذلك تواجده الدائم عند العالم الرباني السيد عبد الغفار المازندراني في بحوثه الخاصة بالدرس الأخلاقي المتميز، خرجت بنتيجة أن الخوئي قد اختار الصفوة من الأخلاقيين تتلمذ عليهم وتخرج في رحابهم، ونشأ في ظلال معارف روحانية لا حصر لها عند هؤلاء في مدرسة النجف الأشرف، ومن هنا برزت خصائص الإمام الخوئي، ولاحت في الأفق البعيد مميزاته الأخلاقية، وهي تغترف من منهل أهل البيت عليهم السلام الذي لا ينضب.

إن نظرة فاحصة في سلوك الإمام الخوئي المهذّب، توحي إليك بأنه من ألمع الأبرار في القرن العشرين، يبدؤك بالسلام، ويستفسر عن الحال، ويشاركك الأفراح والهموم، ويواسيك بنفسه ونفيسه، لا تنفكّ الضحكة على فمه بساطة وترسلاً، تعجبه النادرة ويتطلب النكتة، يرى نفسه واحداً من الناس وهو في القمة، ويجد شخصيته اعتيادية، وهو في الذروة، تحسبه ساهماً وهو في أقصى درجات اليقظة، وتظنه غافلاً وهو يغوص في الأعماق، سلامته النفسية لم تؤثر على حذره الشديد، واتكاله على الله لا يعني إلقاء الحبل على الغارب، له نظرية أخلاقية تنطلق من المفهوم التعبدي «**إن الله أخفى وليه بين العباد**»، فهو يحترم الكبير، ويعطف على الصغير، ويعظّم المساوي، والمورد لا يخصّص الوارد، فالرواية وإن وردت في صاحب الأمر أرواحنا فداه، إلّا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فلرُبَّ أشعث ذي هامة له من المنزلة عند الله ما لا يدخل بذهن ابن بشر، فالحقائق العالية هي التي ترجح في الميزان، ومن هنا كان الخوئي لا يستهين بأحد على الأطلاق، والمفروض بالحوزة العلمية في أبنائها أن تسلك هذا المنهج، لا كما ينسب إلى الحلاج: «طوفو فإن الله في جبتي».

فالله أكبر، لا يحويه مكان، ولا يغنيه زمان، وعلى رجال العلم والدين أن يتمسكوا بالنداء لهم:

يـا أيهـا الجيـل المـؤمـل في غـد ... خـوضـوا الحيـاة ضراغـماً وشبـولا

وتـنـوّروا في ضـوء خـير دراسـة ... تـردي الـعـمى، وتـقـارع التضليلا

سـارت بهـا الأعـلام مـن علمائنا ... بـثـبـاتهـم.. مـا بـدّلـوا تـبـديلا

ومشى بها «الخـوئـي» وهـو زعيمكم ... فـترسـمـوا أثـر الـزعـيـم وصـولا

وثـقـوا بـأنّ الله سـوف يَـمُـدّكـمْ ... في عـونـه.. ويحـقـقُ المـأمـولا

وتواضعوا للناس في أخلاقكم ... وتجنبوا داء الغرور وبيلا
كونوا كما شاء الإله بواقع ... يترصدُ التزميرَ والتطبيلا
وتزوّدوا بالعلم وِرداً سائغاً ... ليس المثقف من يظل جهولا
وتلبثوا النهج القويم كما ارتأى ... الدين الحنيف موثقين عدولا
والزهد في هذي الحياة وزهوها ... والقاصمات عواطفاً وميولا
ليس الكرامةُ أن تكون موجّهاً ... إنّ الكرامة أن تزادَ قبولا
وكِلوا إلى الله القدير أمورَكم ... فالله خيرٌ حافظاً ووكيلا

هذا النداء الصارخ موجه إلى الشبيبة الناشئة من أهل العلم، للاقتداء بزعيم الحوزة العلمية الإمام الخوئي قدس سره في منهجه ومسلكه وتواضعه العجيب.

فرجل الدين يجب أن يكون النموذج الأرقى للأخلاقيات الإسلامية، ولا أتكلم في هذا الصدد عن النفر الضال ممن تزيا بهذا الزي، وهو يفتري على أئمة الدين ومراجع المسلمين، ويوسعهم سباً وقذفاً وشتائمَ، بدوافع الهوى واتباع النفس الأمارة بالسوء، لينحرف الناس عن المحجة البيضاء التي اختطها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرون عليهم السلام، وليواكبوا الاستعمار العالمي في هجمته على مرتكزات الشرع الشريف.

لقد رأيت الإمام الخوئي مدرسة أخلاقية سيارة، يجمع إلى جنب السمت الإلهي الوعي الإنساني، ويضع في اصطفاف القوى النفسية الخيرة، الثبات على المبدأ والصلابة في الرأي، فما اتفق ولا مرة واحدة أن خرج عن طور اللياقة والذائقة الروحية، ولا اتفق أن انسحب عمله المرجعي الشاق على سيرته في السكينة والوقار، ولاسمعته ولو جزئياً أن ذكر أحداً بسوء، ولا جر النار إلى

قرصه أبداً.

كنت مشدوداً إليه- ونحن جماعة من أهل العلم بقينا على تقليد الإمام السيد محسن الحكيمقدس سره – وانفردت به بعد عشر سنوات من مرجعيته العامة للمسلمين قائلاً بالضبط: أما أصبحت الأعلم في هذه المدة؟ هل أنت الآن أعلم من السيد محسن الحكيم أعلى الله مقامه؟

فتأمل طويلاً، وأصفر لونه وجلاً، فقال بعد التفكير: لا يبعد.

لم يزد على هذا اللفظ شيئاً على الاطلاق، وهذا هو التحرج في الدين، والتفقه بشريعة سيد المرسلين، وكنا نطالبه – وهو لا يرى الحكم في الموضوعات – أن يحكم بالهلال لمن هو على تقليد القائل بالحكم فيه – وواضح أن ذلك هو الإمام الحكيمقدس سره – فكان لا يتردد أن يحكم بذلك فوراً، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على هضم النفس وقهرها من الاستعلاء والانفراد.

كان مترسلاً في الحديث والفكاهة، لا يرتب أثراً في ذلك لمرجعيته ومنزلته العلمية.

سألني يوماً في ديوانه وأمام أهل العلم قائلاً: هناك لطيفة باللغة الفارسية إن ترجمتها إلى العربية تفقد بعض دلالتها، فهل تحسن الفارسية.

قلت: نعم

قال: كيف.

قلت: أعرف «بيا» و«برو» ولا أدري أيهما «تـمّن»، وأيهما «المرق».

فاستغرق بالضحك وأنس كثيراً، وطبعاً الكلمة الأولى تعني: تعال وهلم، والثانية تعني: اذهب.

كان في ديوانه (مكتبهِ) في النجف الأشرف يجلس كالأسد، وعادة يجلس إلى يساره تلميذه البار الشيخ محمّد إسحاق الفياض، فإذا أقبلت تنح الشيخ الفياض، وأجلسني إلى جنب الإمام الخوئي، فقلت له مرة: أنت - والخطاب للفياض - أكبر مني سناً وأعلى منزلة، وأفضل مني على كل حال، وخلاف الأدب أن أتجاوزك في المجلس.

قال الشيخ الفياض: هذه الاعتبارات مرفوعة بيني وبينك، وأنا أرغب أن تجلس إلى جنب السيد الخوئي؛ لأنك تناجيه بالحديث، فيضحك الخوئي ويبدو عليه الارتياح، فحينما يضحك السيد ويأنس، أغتبط كثيراً.

وكنت - بقصد الثواب - أدخل على الخوئي السرور، بذكر بعض النوادر والملح المهذبة بحسب مقتضيات المقام لأخفف من آلامه، وأسليه عن المتاعب والأحزان، فكان يستجيب لذلك استجابة تامة.

هذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على سلامته، وعدم عنايته بالأعراف التي تتطلب التزمت من المرجع.

كان الإمام الخوئي كريماً في ماله وأخلاقه وعلمه، وهو ظنين بسجائره بعض الشيء، فيستخرج علبة السجائر ويشعل القداحة ويدخن، ويرجع العلبة إلى جيبه.

قلت له مرة: أتعلم ماذا يقول شاعرنا الشعبي قديماً؟ قال: لا، ماذا يقول؟

قلت له يقول:

عجّل يا (أبو صالح) للأخبارية

لا تشرب (تتن) وتصير أصولية

صرنا أصولية، وسماحتكم تخرج السيجارة (مورّثة) من الجيب وترجع

الباكيت، فضحك وقال: أعدْ، هذا شعرٌ جيد.

فأعدته عليه، فاغتبط لذلك كثيراً، وأخرج العلبة وقدم لي سيجارة.

وهذا حديث يطول، وكنت أقصد فيه الترفيه عنه، وهكذا عادتي مع المراجع العظام، حتى أني أضحكت السيد الحكيم قدس سره، وكان صاحب سمت ووقار رعاية لمنصب المرجعية العليا.

هكذا رأيت الإمام الخوئي علماً خفاقاً، وبطلاً عملاقاً، ودائرة معارف كبرى، وإنساناً نموذجاً، وعبقرياً فذاً، ورجلاً متواضعاً، ومرجعاً مترسلاً، فإذا انبرى في علوم القرآن والعرفان والفقه والأصول فهو البحر المتلاطم موجاً، تستخرج منه درر العلوم الإنسانية والرسالية، فوا حزني عليه، ووا أسفي على فراقه، ممثلاً لرسالة السماء، ووريثاً لعلم الأئمة عليهم السلام، وحاملاً لإرث النبوة، فالقرآن هو المعزّى بفقده، والدين هو المفجوع برحيله:

أرثيك أم أرثي بك التنزيلا ... فلقد فجعت الدين جيلاً جيلا

أرثي الأئمة فيك أم أرثي الهدى ... والأولياء معاشراً وقبيلا

فلقد هززت الكون حتى لم تدع ... للفكر إلّا حيرة وذهولا

أرثي بك القرآن في آياته ... وأؤبن التوراة والإنجيلا

أنت الوريث لها وحسبك رفعة ... إرث النبوة وارفاً وظليلاً

ومنازل العلماء فيما قدموا ... كالأنبياء كرامة ومقيلا

تتنقل الأفياء في أرجائها ... وقطوفها قد ذلّلت تذليلا

تهديك من وضع السنا وطيوفه ... غرراً مقدسة الرؤى وحجولا

كالبدر في الظلماء يخترق الدجى والبحر ينسي دجلة والنيلا

***

قالوا اعتللت فقلت مما راعني أرأيت زين العابدين عليلا

فهرعت نحوك والحديث تهامس والناس حولك يخشعون مثولا

فعلت محياك الوسيم بشاشة تستقبل المتجمهرين قبولا

تضفي عليهم روعة ومهابةً وجلالة ورعاية وشمولا

ورأيت خير الناس فيه سعادة من راح يلثم كفه تقبيلا

فوقفتُ عندك استميحك نظرة في عمقها تتطلب التحليلا

نبضات قلبك لا يقر قرارها والنفس تحمل لوعة وغليلا

ومصائب الأيام ما أبقت به إلّا الأسى مستوطناً ونزيلا

فدرأت بالصبر الجميل شجونه والصبر أفضل ما يكون جميلا

حتى تداعى هيكل متهدم وأغذ عن دار الغرور رحيلا

كنت المكثر أمة بوجوده إذ كان مثلك في الرجال قليلا

قالوا: أترثيه؟ فقلت: وهل ترى غير الرثاء على الوفاء دليلا

قد كان يدنيني ويعلي جانبي أفلا أكون مع النبيل نبيلا

قالوا: أتعرفه؟ فقلت بداهة: جبلاً أشمَّ وصارماً مصقولا

***

يا أيها النجم المعفّر في الثرى خداً برغم النائبات أسيلا

قاومت شتى المشكلات بحكمة ودفعت موج النازلات سيولا
لك أسوة فيما أصابك من أذى بمحمد وبآله تفصيلا
إن أوقفوك لدى الطغاة فقبلها المنصورُ سام الصادق التنكيلا
أو قيدوا منك الإقامة فالتمس موسى بن جعفر الدفن والتغسيلا
أو يمنعوا التشييع عنك فإنهم منعوا الحسين الدفن والتغسيلا
ما ضرهم لو شيعوك فأطفأوا غضب النفوس، وأحسنوا التمثيلا
خافوك رمزاً في الحياة وحينما فقدوك خافوا نعشك المحمولا
فترصدوه وحاذروا أن يسمعوا من حوله التكبير والتهليلا
هذا الشعار على سلامة قصده يجتث حكماً للطغاة هزيلا
لو أنصفوك وأنت قائد أمة نشروا على جثمانك الإكليلا
أدنى حقوقك أن تنكّس دولةٌ أعلامها، أو تعلن التعطيلا
أو أن تشق لك القلوب مرارة أو أن تفيض لك العيون مسيلا
أو يستحيل لك العراق مآتماً تجتاح عرضاً للبلاد وطولا
دفنوك سراً، ثم جاؤوا بعدها يلتمسون العذر والتعليلا
وتعقبوا حتى الفواتح، وانجلى أي الكتاب مقيّداً مغلولا
يا ويحهم ركبوا الغواية منهجاً وعن الهدى جعلوا الضلال بديلا
أعزز عليّ «أبا التقي» بأن أرى العلماء بعدك واجمين ذهولا
خلت المحافل من علاك وربعها قد كان في العامر المأهولا

وتبددت تلك الرؤى، وتكلمت لغة العواطف رنّة وعويلا
الليل بعدك لا يعد منوراً والصبح بعدك لا نراه بليلا
والفجر بالآهات لا أنفاسه تشفي الغليل ولا النسيم عليلا
قد جللت كل العوالم هزة والحزن أرخى ظله المسدولا
وتجاوبت أصداؤه حتى مشت في الخافقين روابياً وسهولا
وسرت بمكة والمدينة رعدة والمسجد الأقصى غدا مثكولا
ما كان فقدك واحداً بل أمة فقدتك جيشاً، وافتدتك رعيلا
وكأنها في نعيه مُذ أفصحت نعت «الحسين» بكربلاء قتيلا

***

يا أيها الشيخ المعمر حقبة ولرب عمر لا يعد طويلا
ألزمته بالبر نفساً حرة وقضيت بالتقوى السنين الطولى
تسعون عاماً في النضال طويتها تبني الرجال مداركاً وعقولا
تزن الحقائق بالدقيق من الرؤى وتبلور الرأي الصريح أصيلا
حتى إذا شاءت السماء إرادة والغيب أنزل سره تنزيلا
آلت إليك المرجعية تحتمي حدباً، فكنت زعيمها المسؤولا
ومشت إليك امامة في ثقلها عفواً، فكنت حسامها المسلولا
ما كنت تطلبها ولكن منحة والله يعطي عبده تفضيلا
ولقد عرفتك قبل كونك مرجعاً فكراً أجل وفارساً مجهولا

علماً يصدّ الطارئات وشعلة تهدي إلى الحق الجموع سبيلا
ورحيم قلب حين بعض فظاظة تتطلب التوهين والتذليلا
ورقيق قول حيث بعض خشونة تستوجب التعنيف والتعذيلا
وصليب رأي لا تلين قناته فيعدّ أنصاف الحلول حلولا
حرباً على أميّة وجهالة ومحارباً مستعمراً ودخيلا
يا شيخ مدرسة المعارف والنهى فقهاً وروحانية وأصولا
وزعيم جامعة العلوم يقودها نحو السداد شبيبة وكهولا
وفقيه آل محمّد وفقيههم يتساهل التعظيم والتبجيلا
ما كنت بدعاً في الرجال، وإنما قد أهلتك مواهب تأهيلا
لله درك، أي فكر ثاقب، يمسي ويصبح دائباً مشغولا
والجد في سهر الليالي ناصباً غرس الطريق جنائناً وحقولاً
علم الحديث بك استقام رواته لما شهرت الجرح والتعديلا
أوسعته بحثاً وموضوعية ونفيت عنه الزيف والتدجيلا
ودلائل الإعجاز في أسراره أشرعتهن أسنة ونصولا
وذهبت أن جمعَ الكتاب نبينا تتفند التحريف والتبديلا
ونصبت نفسك للشريعة دونها سيفاً يُسل، وساعداً مفتولا
وأجلت فكرك بالفتاوى تصطفي ما يقتضي التحريم والتحليلا
ويداك ترتجفان بالقلم الذي قد خط في كل الفنون فصولا

لـولا يـراعـك لاستـحلـن دوارسـاً تـلـك الـعـلـوم، أو اغـتـديـن طلولا

***

أمجـــدد الإســـلام فـيـما أسـلـفـت تـلـك الأعـاظـم في الـقـرون الأولى

«عـلـم الهـدى» فـيـك اسـترد عرينه وحمـى بـك «الشيخ المفـيـد» الغيلا

وتـطـاول «الـطـوســي» في آرائـه يـتـصـدر المـعـقـول والمـنـقـولا

ومـن «الـصـدوق» أعـدت كل كريمة أروى محـاجـجـة وأصـــدق قيلا

زمـن «ابـن إدريـس» بعثت سرائراً ومـن «الـشـهـيـد» صـحـائفاً ونقولا

ومـن الـتراث «شـرائعاً» و»قـواعـداً» و«مكاسباً» و«رسـائـلاً» و«فصولا»

و«الـنـائـنـي» أعـدتـه ببـحـوثـه حـيـاً وزدت أصـولـه تـأصـيـلا

ومن «الحكيم» نشرته «مستمسكاً» بـالـعـروة الـوثـقـى غـداً مـوصـولا

أولاء رفـقـتـك الهـداة ومـن بنوا مجـــداً عـلـى هـــام الـــزمـــان أثـيـلا

الـواهـبـين حـيـاتهـم لـشـعـوبهـم والخـــادمـــين رســـالـــة ورســـولا

المشـــرقـين عـلـى الـزمـان كـواكـبـاً والمســـرجـين مـن الهـدى قـنـديـلا

والـسـاهـريـن عـلـى الشريعة عكفاً نظروا الكتاب فأحسنوا التأويلا

حـفـظـوا تـــراث محـمّـد ووصـــيـه وتحـمـلـوا عـــبء الـنـضـال ثقيلا

زهـــدوا بهـذا الـكـون إلّا شعلة لـلـعـلـم تـزهـو بـكـرة وأصـــيـلا

مـا الـلـيـل إلّا الـفـكـر في ملكوته والصبح إلّا الـدرس والتحصيلا

فـيـثـقّـفـون مـواهـبـاً ومـشـاعـراً ويخـرجـون فـطـاحـلاً وفـحـولا

حتى إذا ازدحم العباب تمرسوا سور الكتاب فرتلت ترتيلا

***

يا أيها الجيل المؤمل في غد خوضوا الحياة ضراغماً وشبولا

وتنوروا في ضوء خير دراسة تردي العمى، وتقارع التضليلا

سارت بها الأعلام من علمائنا بثباتهم ما بدلوا تبديلا

ومشى بها «الخوئي» وهو زعيمكم فترسموا أثر الزعيم وصولا

وثقوا بأن الله سوف يمدكم في عونه ويحقق المأمولا

وتواضعوا للناس في أخلاقكم وتجنبوا داء الغرور وبيلا

كونوا كما شاء الإله بواقع يترصد التزمير والتطبيلا

وتزودوا بالعلم ورداً سائغاً ليس المثقف من يظل جهولا

وتلبثوا النهج القويم كما ارتأى الدين الحنيف موثقين عدولا

والزهد في هذي الحياة وزهوها والقاصمات عواطفاً وميولا

الحق رائدكم، وتلك مزيةٌ لا تطلبوا من دونها تحويلا

ليس الكرامة أن تكون موجهاً إن الكرامة أن تظل جليلا

وَكِلوا إلى الله القدير أموركم فالله خير حافظاً ووكيلا

الإمام الخوئي في مهمته العلمية:

أريد أن أتحدث إليك حديث القلب إلى القلب، وأنطلق بك محدداً القول بالإمام الخوئي أستاذاً فحسب، وهو الهدف الأول والأخير في حياة المرجعية

العليا في النجف الأشرف بالإضافة إلى المهمات الجانبية الأخرى.

إن مهمة المرجع الأساسية هو بناء الحوزة العلمية، وتخريج جيل من العلماء يتوارث كنوز المعارف الدينية يتعلمها ويعلمها، وهكذا حتى يتم الهدف من تبليغ شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوَاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: الآية ١٢٢).

إن خلق جيل متكامل متحصن بالعلوم الإسلامية والأحكام الشرعية حلالها وحرامها، والتخصص في مفردات تلك العلوم كتاباً وسنة، فقهاً وأصولاً، رجالاً وأسانيد، ليس أمراً سهلاً متيسراً، بل هو مهمة شاقة يصعب تذليلها إلّا من قبل الرجال القلائل الأفذاذ، الذين ينتصب بهم عمود الدين، ويخفق لواء الإسلام، وعليهم وبهم تدور رحى البحث الدقيق والاختصاص الفريد الذي لا يطاول، بحيث تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة أعدائه هي السفلى.

إن مدار الإفتاء والاستفتاء واستنباط الحكم الشرعي إنما يتحرك بتوافر المجتهدين الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، فلا ينطقون إلّا حقاً، ولا يزبرون إلّا صدقاً، ولا يذيعون إلّا واجباً، لا تأثير عليهم في بيان الأحكام، ولا سيطرة لأحد في إيراد الفتاوى، وإنما هي القناعة النابعة من أصول استخراج الحكم بدليله، لا إتباعاً للهوى والاستحسان، وإنما هو قصارى الجهد في الاجتهاد القائم على أساس إعمال الفكر والنظر في كبريات أصولية تهدي إلى الإفتاء بالفروع الفقهية، أو في نصوص صريحة غير قابلة للتأويل يكون بها الأمر الشرعي وجوباً وحرمة ليس بحاجة إلى عملية الاجتهاد ومهمة الاستنباط،

كوجوب الصلاة والصيام والزكاة وحج البيت من القرآن الكريم، وكحرمة الزنا والفواحش وشرب الخمر وقتل النفس المحترمة بنصوص القرآن أيضاً.

فإنها من الوضوح بحيث لا يختلف فيها اثنان ممن له أدنى ذائقة عربية، إلّا في مورد أن الأمر يدل على الوجوب والنهي يدل على الحرمة كما هو في الأمثلة السابقة، وقد يدل الأمر على الاستحباب بدليل، كما يدل النهي عن الكراهية بدليل، وهو مبحث آخر.

وفي ضوء آية النفر المتقدمة[1] فإن دلالتها تنحصر في أمرين لا ثالث لهما، وهما:

١- التفقه في الدين.

٢- الإنـذار لقومهم عند العودة إليهم، والرجوع إلى حضيرتهم، والأوبة لإرشادهم، والإكتفاء العلمي في التحصيل، والتخصص بالمعارف الإلهية، عسى أن يحذروا المعاصي، ويمتثلوا الأوامر، ويؤدوا الواجبات، ويتبصروا في الشريعة، ويراقبوا الله وحده في مناحي الحياة كافة، تجنباً لغضب الله وسخطه.

وفي الآية – فيما يبدو لي – تلويح أو تصريح بمشروعية الهجرة إلى طلب العلم، فإن الرجوع – بوجه من الوجوه – يستلزم أولاً السفر ثم العودة ثانياً، والله العالم.

وهكذا نجد سيدنا الأستاذ الإمام الخوئيﷺ، قد هاجر في طلب العلم، واستقر في النجف الأشرف في ظل باب مدينة العلم أمير المؤمنين عليعليه السلام، فتلقى نفحات الفيض الإلهي متعلماً على أيدي فحول عصره من العلماء والفقهاء والأصوليين كالنائيني والعراقي والتنكابني وأمثالهم، ولقد استثمر ما اقتطفه

(١) التوبة: الآية ١٢٢.

من العلم الغزير في بناء الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وتخرج على يديه مئات المجتهدين، وآلاف الفضلاء، قبل أن يكون مرجعاً:

ولقد عرفتك قبل كونك مرجعاً فكراً أجلّ.. وفارساً مجهولا
عَلَماً يصدّ الطارئات.. وشعلةً تهدي إلى الحقّ الجموع سبيلا

الخوئي يصنع الأساتيذ ويمارس الإفتاء العالمي:

ليس بالإمكان حصر تلامذة الإمام الخوئي قدس سره طيلة سبعين عاماً من حياته الحافلة، إذ بدأ التدريس العالي وعمره ستة وعشرون عاماً، وفارق الحياة وعمره ستة وتسعون عاماً، فهنالك الآلاف ممن لا يعرفهم الجيل المعاصر، وهنالك المئات ممن لا يعرف أسماءهم أحد، وهنالك العشرات ممن تكتموا على أنفسهم حسبة، وقد امتد الزمن، وتعذر الإحصاء.

فلقد سمعت عمّنا الحجة العلامة المقدس الشيخ سلمان الخاقاني قدس سره فيقول في أواخر الستينيات من القرن العشرين أنه أحصى ألفي إمام جماعة في العالم الإسلامي من تلامذة الإمام الخوئي، ومعنى هذا أن طلاب السيد الخوئي آنذاك قد تجاوزوا هذا العدد أضعافاً مضاعفة، إذ أئمة الجماعة هم المبرزون والثقات والعدول من تلامذة الإمام الخوئي، فما هو رأيك في الباقين وضخامة حجمهم العددي.

هذا كله قبل مرجعيته المباركة التي امتدت قرابة ربع قرن من الزمان، وكان فيها متفرداً بالتدريس والإفاضة والإحاطة حتى تخرج في مدرسته آلاف المشتغلين والمحصلين، وحتى برز المجتهدون الكبار، والمراجع العظام، وبإمكاني أن أعدد جملة من المجتهدين، وأذكر كوكبة ممن تسنموا منصب المرجعية العليا من بعده، وممن هم «مراجع الظل» ممن يشار إليهم بالبنان، وتركوا التصدي في

عهده احتراماً لمقام الأستاذية، ومن بعده ابتعاداً عن الأضواء، وهؤلاء بالمئات، ويكفي الخوئي فخراً بهذا، وحسبه الأجر العظيم عند الله تعالى، ولقد صورت ذلك في الذكرى العاشرة لرحيله من قصيدة قلت فيها – جامعاً ذلك إلى جنب اختصاصاته المتعددة –:

يـا أيهـا الـعـلـم المـوحّـد أمـة ... قـد نـكـسـتْ بـمـصـابـك الأعـلامُ

وفـقـيـه «آل محـمـد» وفـقـيـهـهـم ... بـدرٌ عـلى «الـنـجـف الأغـر» تمام

مـرتْ أشـعـتـه الـبـلاد.. فـتـائـةٌ ... بـسـنـاه يـسـري.. والهـداة قـيام

طـلابـه الأعـلـون مـن بـركـاتِـهِ ... ذا مـرجـع أعـلى وذاك إمـام

شـيـخ الأسـاتـذة الـعـظـام وحـولـه ... الـعـلـماء، سـيـف مـا أعـتـراه كـهـام

فـمـن «الـفـقـاهـة» جـحـفـلٌ وكتيبةٌ ... ومـن «الأصـول» مـعـالمٌ ومـرام

ومـن «الحـديـث» «مـعـاجـم» علمية ... ومـن «الـرجـال» كـواكـبٌ ورغـام

ومـن «الـكـتـاب» أدلـةٌ قـدسـيـةٌ ... ومـن «الـشـريـعـة» دولـة ونـظـام

ومـن «الـفـتـاوى» عـالمٌ متـحـررٌ ... ومـن الـبـحـوث «جـواهـر وكـلام»

تـلـك المـآثـر – والخـلـود سبيلها ... لا الـدهـرُ يـفـنـيـهـا ولا الأعـوام

وهنا أستطيع القول إن الإمام الخوئي ظاهرة علمية عجيبة في هذا الملحظ بالذات، وهذا ما يذكرني بقول تلميذه الأكبر السيد علي الحسيني السيستاني المرجع الأعلى للإمامية في العالم، حيث يقول السيد السيستاني مدّ ظله العالي:

«كان – أعلى الله مقامه – نموذج السلف الصالح بعبقريته الفذة، ومواهبه الكثيرة، وملكاته الشريفة التي أهّلته لأن يكون في الطليعة من علماء الإمامية

الذين كرّسوا حياتهم لنصرة الدين والمذهب، وقد نذر نفسه لخدمة العلم وكان همّه التحقيق والتدقيق والبحث والتدريس، وقد رافقه التوفيق وأعانته المشيئة الإلهية، فربى أجيالاً من العلماء والفضلاء الذين التفّوا حول منبره الشريف، ونهلوا من عذب فراته طوال عقود من الزمن»[1].

هذا ما دعا الأخ المرحوم الدكتور مصطفى جمال الدين إلى القول:

«لا يوجد مسجد أو إمام مسجد يتحمل هداية المسلمين على مذهب أهل البيت عليهم السلام لم ينتفع بعلم هذا الفقيد انتفاعة مباشرة بالتلمذة عليه أو بالواسطة على من تتلمذ عليه، ولم يصادف في تأريخ مذهب أهل البيت على مر العصور، أن كان مثل هذا العدد الوافر من المرشدين يخرج في مرجع ديني واحد غير شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي، وزعيم الحوزة العلمية أبي القاسم الموسوي الخوئي قدّس سرّهما»[2].

إن الأطروحة الفريدة التي عرضها الشيخ الأكبر أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) وهو يؤسس الحوزة العلمية في النجف الأشرف عام ٤٤٨هـ هو استقطاب أهل العلم كافة فيما سيّره من المباني الفقهية النادرة، والتي ظلّت ردحاً من الزمن لا يتجاوزها المجتهدون حتى عهد ابن إدريس صاحب «السرائر» بل لا يناقشها أحد فجميعها من المسلمات، بيد أن هذا الملحظ قد تجاوزه الفقهاء فيما بعد لئلّا يغلق باب الاجتهاد، وبذلك تحقق البُعد الفقاهتي للطوسي وهو يتحدى الجمود إلى الانفتاح على المذاهب الإسلامية كافة لا سيما في كتابيه «الخلاف» و«المبسوط» وما سيّره من المعارف الإنسانية والرأي المقارن

(١) مجلة الغدير: العدد (٤٩) الصادر في صفر ١٤٢٣هـ - لندن؛ الموسم: العدد (١٧) في ١٤١٤هـ - وبعنوانه: آية الله العظمى السيد السيستاني يعزي الأمة، ص١٤٦.

(٢) مصطفى جمال الدين: أستاذ الحوزات العلمية، بحث نشر في مجلة الموسم، العدد (١٧)، ١٩٩٤م-١٣١٤هـ.

لعلماء الإسلام في تفسيره العظيم (التبيان في علوم القرآن) بمجلداته العشرة، وهنا يمكن القول إن السيد الخوئيﷺ، قد استوعب الشيخ الطوسي طريقياً، وتمثله نموذجاً فريداً، فكان مرجع المسلمين، وكانت مباحثه الفقهية على سوية عالمية فيما قرره تلامذته الكبار، وما نشر منها في موسوعة «فقه الإمام الخوئي» والتي قد تبلغ خمسين مجلداً.

وما رسخه الشيخ الطوسي من النصوص الحديثية في «التهذيب» و«الاستبصار» وهما الثالث والرابع من الكتب الحديثية الأصولية عند الإمامية، وأولها «الكافي» في الأصول والفروع للكليني، والثاني «من لا يحضره الفقيه» للشيخ الصدوق، هذه الكتب بعامة، قد تعقبها الإمام الخوئي وسواهما بالبحث والتمحيص، بما وضع من أسس علمية رصينة في علم الحديث والرواية من جهة، وفن علم الرجال وسنن الجرح والتعديل من جهة أخرى، وما أضفناه من نظام القبول والرفض للروايات، وما بينه من توثيق الرواة أو ردّهم، وما سجله من عدد الروايات وأماكنها من الكتب، ومظانّها في الموسوعات الحديثية، في كتاب «معجم رجال الحديث» في أربعة وعشرين مجلداً في طبعته الأخيرة، وهو يترجم فيها.

هذا الجهد الخالد الذي لا يقوم به إلّا القلائل الأفذاذ من العالم بوقت لم يستعن فيه مؤلفه العظيم بأجهزة الكومبيوتر ولا الحاسبات الألكترونية، ولا توجد وسائل الإحصاء التقنية.

ومع هذا كله فقد جاء إنجازه دقيقاً تدرك أهميته العقول المتابعة لمثل هذا الجهد الذي لا يعرف قيمته الفنية والعلمية والإحصائية والثبوتية إلّا أهله من ذوي البصائر والصبر على البحث العلمي الرصين، ولا يقومه حق تقويمه إلّا المستشرقون والأوربيون وجهابذة الفن الموسوعي.

ولقد أحسن صنعاً صديقنا العلامة المحقق الشيخ محمّد نجل الشيخ محمّد تقي الجواهري، فيما أغنى به المكتبة العربية، وما قدمه لعلماء الجرح والتعديل فيما اختصره بكتابه القيم «المفيد من معجم رجال الحديث» فذكر كل راوية من الرواة الذين أثبتهم الإمام الخوئي، وأشار إلى عدالته ووثاقته أو مجهوليته في سطر واحد، وبذلك فقد وفّر على الباحثين في الرجال قبولهم أو ردهم، جزاه الله خيراً بما قدمه من وفير الخدمات في هذا المجال.

وهذا الكتاب مجلد واحد ضخم على غرار «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» مطبوع بالحروف ذات القياس الصغير، واقترح على مؤلفه عند إعادة طبعه أن يكون في مجلدين بحروف كبيرة؛ لأنَّ أغلب الباحثين في هذا الفن قد تجاوز مرحلة الشباب، فضعف بصره، أو تصعب عليه متابعته.

ولئن كتب الشيخ الطوسي أعلى الله مقامه «التبيان» تفسيراً، فقد كتب السيد الخوئي «البيان» مقدمة شاملة لعلوم القرآن، وتأريخ القرآن، وأبرز من الحقائق المبتكرة فيه، ما استنار به اللاحقون، سيما في «جمع القرآن» و«نفي التحريف عن القرآن».

ولئن ألّف الشيخ الطوسي «الخلاف» فيما بين المذاهب الإسلامية من الاختلاف في الفروع، فقد كان الخوئي إماماً لكل المسلمين، يفتي في ضوء الكتاب والسنة والإجماع والعقل لأبناء الإسلام كافة.

وربما جرت العادة أن يشار في الرسائل العملية للمرجع الأعلى بأنه: شيخ الطائفة أو سيد الطائفة، أو مرجع الطائفة، أو زعيم الطائفة، وهكذا، إلّا أن الخوئي قد تجاوز ذلك كله، فقد اقترحت عليه حينما طبع رسالته «منهاج الصالحين» لأول مرة عام ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م تعليقاً وأصلاً لما كتبه الإمام السيد محسن الحكيم قدس سره، أن يكتب في الغلاف ما نصه:

«فتاوى مرجع المسلمين.. زعيم الحوزة العلمية.. السيد الخوئي» فكان ذلك لهذا الملحظ المتقدم، واستمرت الطبعات على هذا الرسم طيلة ثلاثة وعشرين عاماً في سبع عشرة طبعة، حتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

إنّ ما تحمله عبارة «مرجع المسلمين» تنطبق بأدق معانيها على السيد الخوئي، وإن كان المرجع الأعلى للإمامية.

كان السيد الخوئي في فقاهته رمز العالم المتبحّر، ومثال المثابر المتطلع، وقد كان يترأس مجلس الإفتاء في داره بالكوفة عصراً، تبحث أمامه المسائل، وتناقش من قبله ومن أعلام تلامذته مسألة مسألة، ثم يقرر جواب الاستفتاء في ضوء نظره الاستدلالي، ثم يكتب عنه فتوائياً.

والغريب الذي شاهدته أنه يستحضر أدلة كل سؤال، ويجيب مستنبطاً عن كل مسألة، في ذلك المجلس المبارك، وهو يتكون في بعض مراحله من العلماء التالية أسماؤهم، مع حفظ الألقاب:

١- السيد علي الحسيني البهشتي.

٢- السيد مرتضى الخلخالي.

٣- الشيخ محمّد إسحاق الفياض.

٤- الشيخ مرتضى البروجردي - أحياناً -.

٥ - السيد محمّد رضا الخلخالي - أحياناً.

٦- الشيخ محمّد جعفر النائيني - أحياناً.

وربما حضر أخيراً ولده السيد محمّد تقي الخوئي، وربما حضرته للإفادة لا للرأي، إلّا أن السيدﷺ قد يسألني عن بعض الجزئيات بلاغياً ولغوياً ونحوياً.

وكم كان يدهشني الإمام الخوئي حتى في هذا المجلس الجدي أنه لا يترك الطرف والنوادر، وقد يضحك بملء فيه مترسّلاً غير متقيّد.

ولقد منّ الله على السيد الخوئي بإدراك ذهني متميز، وبعارضة فقهية مترسخة حتى آخر لحظة من حياته، فقد بحث قبل وفاته بدقائق معدودة جملة من المسائل الدقيقة، واتجه فوراً فتوضأ، وبمجرد أن أكمل وضوءه بمسح الرجل اليسرى إلى الكعبين وإذا بروحه القدسية تفارق الدنيا بهدوء وسكون، وتنطوي تلك القسمات المشرقة لمحياه بصمت بليغ.

مسيرة البحث الخارج للإمام الخوئي:

كان السيد الخوئي قد حضر البحث الخارج عند أساتذته العظام عام ١٣٣٨هـ وله من العمر إحدى وعشرون سنة، وكان اختصاصه بالعلمين الأصفهاني والنائيني معروفاً، وهما أكثر من تتلمذ عليه فقهاً وأصولاً، وحضر عندهما دورة كاملة في الأصول، وعدة كتب في الفقه حقبة طويلة، وكان يقرر بحث كل منهما على جمع من الحاضرين في البحث[1]، وهي بدايات تدريسه البحث الخارج في هذه الحدود، وقد استقل بالبحث الخارج في حياة أستاذه الميرزا النائيني على شكل أفراد يحضرون وعمره ستة وعشرون عاماً، ولدى وفاة أستاذه الميرزا النائيني استقل ببحثه العالي عام ١٣٥٥هـ-١٩٣٦م وعمره ثمانية وثلاثون عاماً.

وأريد أن أحدثك عن الدورة الأولى لبحثه الخارج وهو في صورته المتطورة، ولقد حدثت سماحة السيد الخوئي بمراحل هذه الدورة - فيما سمعته من الوالدقدس سره والسيد محمّد كلانترحمه الله - فأقره جميعاً، واعتبط بذلك كثيراً، وأنس أنساً عجيباً، وقال بما مؤداه: لقد ذكرتني بماض عريق، وواقع دفيق، وحياة

(١) الخوئي: معجم رجال الحديث، ٢٢: ١٨.

الشباب الأولى، قلتُ للإمام الخوئي: فأقرني.

إن الدورة الأولى في الأصول حضرها سيدي الوالد، والدورة الأخيرة حضرتها، في مرحلة زمنية امتدت إلى خمسة وثلاثين عاماً بل تزيد.

بدأ الإمام الخوئي هذه الدورة بالشكل المنظم بثمانية تلاميذ:

١- الشيخ محمّد تقي الشيخ جواد الأيـرواني، وهو الوحيد من الأحياء في التسعين من عمره.
٢- السيد موسى السيد جعفر بحر العلوم رحمه الله.
٣- الشيخ علي الشيخ حسين الصغير رحمه الله.
٤- الشيخ سلمان الشيخ عبد المحسن الخاقاني رحمه الله.
٥- السيد محمّد السيد جعفر الشيرازي رحمه الله.
٦- الشيخ أحمد الشيخ هادي الطرفي رحمه الله.
٧- السيد محمّد السيد سلطان كلانتر رحمه الله.
٨- السيد محمّد السيد محمود الروحاني قدس سره، وقد أقنعه بالحضور الشيخ سلمان الخاقاني بعد ثلاثة شهور من بدء البحث[١].

وكان مقر هذا البحث لأول مرة في مقبرة الفقيه الشيخ حسين نجف الواقعة في الصحن الحيدري الشريف للداخل من باب القبلة/ الغرفة الثانية على يمين الداخل.

وكان وقت هذا البحث بعد صلاتي المغرب والعشاء، واستمر هذا الوقت على حالته حتى النهاية.

(١) أجرى معي من كتب عن السادة الموسويين مقابلة، سألني فيها عن هذه المعلومات ومعلومات أخرى عن السيد الخوئي فأجبته والأمانة العلمية تقتضي ذكر المقابلة وتأريخها وصاحبها، ولكنه ابتلعها ونسب هذه الشذرات لنفسه، وليس هناك حيث لم يجتمع بالسيد الخوئي ولا يوماً واحداً، ولا يعرف ذلك جملة المعاصرين.

وحينما اتسع حضار البحث ضاقت غرفة المقبرة بهم، فانتقل الإمام الخوئي بطلابه إلى سطح (الكيشوانية) المقابلة لها بجوار المنارة الجنوبية للحرم الشريف وبقرب غرفة المؤذن للحرم الحيدري، واتسع الحضور وضاقت السطح بالتلامذة، فانتقلوا إلى مقبرة المرجع الأكبر السيد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي في الصحن الشريف، وهي الغرفة الثانية على يمين الداخل إلى الصحن الحيدري من باب الشيخ الطوسي رحمه الله شمال الروضة المطهرة، وأمامها الإيوان الكبير المقابل لإيوان العلماء الملاصق لرواق الحرم.

وهنا التحق بالبحث السيد علي الحسيني البهشتي ولمدة ثلاثة أشهر فقط.

وللتاريخ، فقد كان مسجد عمران بن شاهين مجاوراً لمقبرة السيد اليزدي وفيه نافذة مطلة على المقبرة وحتى اليوم، وكان فضلاء الإيرانيين قد ساءهم – بحدود – أن يكون هذا الشاب وهو في الأربعين من العمر أستاذاً كبيراً للبحث الخارج في بلد الأساطين من العلماء الأعلام، وكانوا يستمعون من الكوة (النافذة) لما يلقي من الدروس، وهو يباحث باللغة العربية الفصحى، فيعجبون من كثرة الحضور وبدقة المطالب[1].

وللتاريخ أيضاً، فقد نصب السيد محمّد الشيرازي في هذه المقبرة منبراً يرتقي عليه السيد الخوئي للتدريس، وكان قبلها يباحث جالساً على الأرض.

وضاقت مقبرة السيد اليزدي بكثرة أفاضل الطلاب من الشباب المتحفّزين لأخذ لباب العلم دون القشور، فانتقل السيد الخوئي بحوزته العلمية إلى مقبرة المجدد السيد الشيرازي قدس سره (ت ١٣١٢هـ)، وهي تتسع لأكثر من مائة وخمسين تلميذاً، وتقع على شمال الداخل إلى الصحن الشريف من باب الطوسي عند دورة الصحن، وإلى جنبها مدرسة الشيرزاي العلمية، وقد ذهب قسم منها في الشارع

(١) حدّثني بذلك الشيخ سلمان الخاقاني والسيد محمّد كلانتر رحمهما الله.

العام، ولا تزال قائمة حتى اليوم ٢/ ٦/ ١٤٢٣هـ الموافق ١١/ ٨/ ٢٠٠٢م.

وللتاريخ فقد نصب السيد محمّد كلانتر رئيس جامعة النجف الأشرف الدينية، مروحة سقفية في المقبرة من أجل البحث الخارج، والمروحة هذه موجودة إلى اليوم أيضاً، وهي من مخلفات الإنكليز في حرب الشعيبة ١٩١٥م الموافق ١٣٣٣هـ.

واشتهر الخوئي في النجف شهرة علمية ذائعة الصيت[١] في دقة المباني، وجدة العطاء، وابتكار النظرية الأصولية، وصفاء المنهج، فتهافت الطلاب بغزارة من أقطار الأرض على بحثه الخارج، فضاقت بهم ساحة مقبرة الشيرازي ومسجدها.

وكان (مسجد الخضراء) الملاصق للصحن الشريف من ناحية الشمال الشرقي مهجوراً، وعاد عبارة عن مخزن للفرش والستائر والمصابيح والكريستال الزجاجي، يفتح ويقفل بإدارة خازن المشهد الشريف، وهنا تحرك السيد موسى بحر العلوم بمفاتحة سادن الروضة السيد عباس الرفيعي (الكليدار) بأن يهيئ المسجد ويعدّه ليقوم أحد الأعلام بالتدريس فيه، فسأله من هو؟ فقال: السيد الخوئي، فقال خازن المشهد: لا أعرف عالماً بهذا الاسم في النجف الأشرف.

قال السيد بحر العلوم: بلى، والسيد الخوئي يسكن البيت الموقوف على أفضل الخوئيين في محلة العمارة وأنت فيها، وعرفه موقع الدار.

قال السادن: الآن عرفته، هذا السيد الذي يمشي مشية «الأفندية».

(١) لا أدلّ على ذلك من استدعاء الآية الكبرى الشيخ محمّد رضا آل ياسين المرجع الأعلى في عصره للسيد الخوئي في الأربعينيات من القرن العشرين، وإعطائه مبلغاً من المال المخصص للمشتغلين من أهل العلم؛ لأن طلاب الخوئي من المشتغلين حقاً وقسّمه بهم. انظر: د. محمّد حسين علي الصغير: الفكر الإمامي من النص حتى المرجعية، ص٢٥٧.

وكان الخوئي بشبابه، ولدى أول كهولته، يضع يديه إلى خلفه متشابكتين عند المشي، وحينما أمسك بالعصا بقيت لديه هذه الحالة، ففي اليمنى العصا، ويضع يده اليسرى إلى خلفه، وقد اكتسب جملة من تلامذته هذه الخصلة منه فصارت عادة لهم، منهم سيدي الوالد رحمه الله، والسيد محمّد تقي السيد سعيد الحكيم المتوفى ١٦/ ٢/ ١٤٢٣هـ الموافق ٢٩/ ٤/ ٢٠٠٢م في النجف الأشرف.

ومهما يكن من أمر، فقد امتثل خازن المشهد العلوي الاقتراح، وأعد مسجد الخضراء، وهيأه لبحث سيدنا الأستاذ الخوئي.

والمسجد - كما أدركته قبل عمارته الحاضرة - يشتمل على حرم وساحة مكشوفة، الحرم ترتفع به الاسطوانات الدائرية تمسك السقف المبني على شكل طاق مقرنص يعتمد على تلك الاسطوانات، وإلى جنب كل طاق طاق مثله، أما الاسطوانات فكانت عدتها اثنتي عشرة اسطوانة فيما أتخيله، ثلاثاً عرضاً في أربع طولاً، وقد أقيم فيه بحث السيد الخوئي حقبة تتجاوز عشرين سنة على هذه الحالة، حتى جدد في عمارة ثانية أزيلت فيها الاسطوانات وبني بناء عصرياً في حرمه بهمة «أخوان أنصاري» وهما الشيخان الجليلان العلامة الشيخ محمود الأنصاري رحمه الله، وأخوه الشيخ أحمد الأنصاري حفظه الله، وبقي على هذه العمارة طيلة عشرين عاماً أخرى، وجدده الإمام الخوئي نفسه في عمارة حديثة محكمة تتناسب مع أهميته، إذ عاد جامع المرجعية العليا، وهي العمارة القائمة اليوم.

وبنى الإمام الخوئي - بإشارة منه - إلى جنبه، مقبرته الخاصة في إحدى غرف الصحن المجاورة للمسجد، ولها باب من الصحن، وآخر من المسجد، وبينها وبين المسجد شباك يطل عليها معاً، فمن كان في المسجد يشرف على المقبرة ومن كان في المقبرة يطل على حرم المسجد، وكان هذا المكان الشريف ضريحاً للإمام الخوئي في مثواه الأخير.

لقد أحيا الإمام الخوئي قدس سره هذا المسجد الكريم طيلة اثنين وخمسين عاماً، أحياه بالتدريس والبحث الخارج والدراسات العليا، وصلاة الجماعة منذ ١٩٤٠م حتى وفاته في ٨/ ٨/ ١٩٩٢م، ولدى عجزه عن تدريس الأصول لانشغاله التام في شؤون المرجعية، كان بحثه للفقه في مدرسته الدينية (دار العلم) حتى حين، ولدى ضعفه ومرضه وعجزه أناب فترة من الزمن السيد نصر الله المستنبط للصلاة في الجامع حتى وفاته، فأقام السيد السيستاني بما يشبه كوجوبه للصلاة فيه، وكان السيد السيستاني في عيادة أستاذه الإمام الخوئي وهو منحرف الصحة في ٢٩/ ٤/ ١٤٠٩هـ، فطلب إليه أن يقيم صلاة الجماعة في مكانه في جامع الخضراء، فامتنع السيد السيستاني، فألحّ عليه الإمام الخوئي قائلاً: «لو كنت أحكم كما كان يفعل ذلك المرحوم الحاج آغا حسين القمي لحكمت عليكم بلزوم القبول».

فاستمهله السيد السيستاني دام ظله بضعة أيام، ثم استجاب لطلبه، وأمّ المصلين يوم الجمعة ٥/ ٥/ ١٤٠٩هـ إلى الجمعة الأخيرة من ذي الحجة عام ١٤١٤هـ حيث أغلق الجامع.

لقد خرّج هذا الجامع الشريف آلاف العلماء المتفوقين علماً وفضلاً وعملاً، ودرس فيه السيد الخوئي آلاف الأتقياء من ذوي الورع والزهد والقناعة والعفاف، وقوّم آلاف العقليات المعاصرة ثقافةً وعطاءً ومعرفةً.

فمن هم تلامذة الإمام الخوئي؟

نموذج من البحث الخارج في الأصول:

كان سيدنا الأستاذ الإمام الخوئي قدس سره أحد الرموز الشامخة في علم الأصول، وكان بحثه الخارج فيه قد استمر أكثر من نصف قرن من الزمان، وقد دونت بحثه فيما أفاده تقريراً بحدود ولخصت أفكاره الأصولية في الموضوع دون

تسجيل لها أو كتابة في أثناء بحثه الخارج، وإنما دونتها بعد التفكير في نصوص أقواله، وصياغة ذلك بقلمي ليلة بليلة.

وقد اخترت منها مبحث «أصالة الصحة»، لأقدمه للقارئ لأمرين مهمّين:

الأول: إن علم الأصول فيه من الصعوبة ما يجعل جيلنا المعاصر من الشباب والمثقفين والدارسين يعزف عنه ويبتعد لتعبيره الغامض، وألغازه المعقدة.

وقد قدرت أن أسهل هذه المطالب وأيسرها هو مبحث «أصالة الصحة» ففيه من الاستمتاع ما لا يتأتى بغيره.

الثاني: أن ينظر الفاحص البصير بمعطيات «أصالة الصحة» عند الإمام الخوئي، وكيف يحمل عمل المؤمن على الصحة ما لم يثبت العكس بالدليل التعبدي، لا اتباعاً للظن والهوى، ليقف على ما تروجه الدعايات الظالمة، والأقلام الأجيرة، والنزعات المتعمّدة ضد الإمام الخوئي، متناسياً أن هذا الرجل أفنى حياته في سبيل إحياء مذهب أهل البيت عليهم السلام بعد عمر مديد بإبداع كثير من الفنون عسى أن تقف هذه الحملات التي تهدف إلى إلغاء الكيان المرجعي، والاستعاضة عنه بزعامات مزيفة، أو مبادئ مرتجلة، أو نزعات منحرفة، ولينتبه القارئ الكريم من خلال «أصالة الصحة» على طيبة الرجل وعلو مقامه وشدة دفاعه عن المبدأ أو الرجال، وهو يقابل بالعقوق والسباب والشتم من قبل من لا خُلق لهم ولا خلاق، ولا قِدم ولا قَدم، وإنما هو التضليل المقصود إليه لنسف مرتكزات أهل البيت عليهم السلام في قيادة المرجعية للأمة في شؤون دينها.

ومهما يكن من أمر فقد كتبت هذا المبحث ضمن الدورة الخامسة لسيدنا الأستاذ الإمام الخوئي قدس سره وكان تدويني لها ابتداءً من ١٩ شوال ١٣٩٠هـ الموافق ٢٠/ ١٢/ ١٩٧٠م، ولا أعلم متى أكملت التدوين، فقد كان الأستاذ قدس سره في السنة الأولى لنهوضه بأعباء مرجعية العالم الإسلامي بعد وفاة سيدنا

الإمام الحكيم (ت ١٣٩٠هـ) وكان درسه يتراوح بين العشرين دقيقة وخمس وعشرين دقيقة.

وقد تركت هذا البحث على سجيته دون إضافة أو تطوير، بل قد أوصيت عليه لتصويره في النجف، وهاهنا أثبته على حالته، وأنا في دمشق ٢٦ جمادى الأولى ١٤٢٣هـ الموافق ٥/ ٨/ ٢٠٠٢م، أي بعد ثلاثة وثلاثين عاماً من تدوينه، نعم خرجت الآيات والأحاديث فحسب، عسى أن يكتسب قيمة تاريخية يجد فيها شباب الحوزة العلمية في النجف حافزاً بالجد والاشتغال.

بسمه تعالى وبه نستعين

أصالة الصحة

لأصالة الصحة موضعان ومعنيان:

الأول: الحمل على الصحة: والمراد به هل ينبغي فعل هذا الشيء أو لا ينبغي؟ وهل هو مناسب أو غير مناسب؟ وهل هو صحيح أو غير صحيح؟

ففي حالة صدور ذلك عن المؤمن فينبغي حمل عمله على الصحة سلباً وإيجاباً، فلو قال فعلت هذا أو لم أفعل هذا يجب تصديقه، ولو قال غيره خلاف قوله يجب تكذيبه، فالتحقيق قائم على تصديق إخبار المؤمن عن نفسه، وتكذيب المخبر عنه، فهو أمر إخباري لا أمر خبري.. والدليل على هذا أمران:

١- الكتاب في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**...﴾ (الحجرات: الآية ١٢)، فظنّ السوء إثم.

٢- السنّة في قوله عليه السلام: «**كذّب سمعك وبصرك عن أخيك، فلو شهد عندك**

خمسون قساماً فصدّقه وكذّبهم»[1].

والمراد بالتكذيب هنا حمل كلامهم على الاشتباه.

وهذا الحمل إنّما يجري في المؤمن ولا يجري في الكافر أو من هو في حكمه، باعتبار أن المؤمن ليس من شأنه أن يكذب، وليس من شأنه أن يعمل ما هو مناف، وعلى فرض صدور ذلك منه، فيحمل على أمرين:

أ- بنائه على الواقع.

ب- حمل ذلك على الغفلة.

الثاني: تطلق أصالة الصحة: ويراد بها صحة العمل بخلافه بطلانه.

وموضوعها: ترتيب آثار الصحة على عمل المؤمن الماضي والمقارن كما هو الحال في الصلاة إماماً.. فالحمل على الصحة يقتضي صحة صلاة الإمام باعتباره مؤمناً، أو صلاة الجنازة المقارنة بالفعل فهنا تترتب آثار الصحة عليها، والحكم من ثم بصحة الصلاة، وهكذا بالبيع والشراء، فالمدار هاهنا الحكم بالصحة على عمل غير الشرط كونه مؤمناً، وهنا يتجلى الفرق بينها وبين قاعدة الفراغ إذ قاعدة الفراغ تتعلق بشك الإنسان في عمله وفعله شخصياً بعد الفراغ منه، أما أصالة الصحة فتجري في أعمال الغير سواء انتهى منها أم اقترن ذلك فعلاً.

وقد يستدل على القول بأصالة الصحة بما يلي:

١- الكتاب: أنه قد يقال أن الأمر بـ ﴿**أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**﴾ (المائدة: الآية ١) يدل على ذلك ويرد هذا بأمور:

أ- المراد بالوفاء بالعقود هو الانتهاء من أدائها خلافاً لنقضها والتقيد بالالتزام المترتب عليها، وهو أمر مختص بالمتعاقدين غير مخاطب به جميع

(١) ينظر: الكافي: الكليني، ٨: ١٤٧؛ الحر العاملي: وسائل الشيعة، ١٢: ٢٩٥، رقم الحديث ١٦,٣٦٣؛ المجلسي: بحار الأنوار، ٧٢: ٢١٥.

الناس.. إذ ليس من الصحيح أن يقال أوفوا – أيها الناس – بنذر فلان أو دينه، أو صحّحوا بيعه، وإلّا فليس معنى ﴿**فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ**﴾ (المائدة: الآية ٦) أن يغسل رجل ما وجه أو يد رجل آخر.

ب- أن الآية المباركة على فرض حملها على جميع الناس فهي أمر نفسي لا يشمل الإيقاعات، بل هو خاص بالعقود وحدها.

ج- المراد بـ ﴿**أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**﴾ هو النفي لكل شرط من الشروط التي تعيق الوفاء بالعقد.

٢- الإجماع: قد يستدل على القول بأصالة الصحة في الإجماع بأنه لم يخالف أحد في هذه المسألة واتفاق العلماء على ذلك يكشف عن إجماعهم والتسليم بالقاعدة، وهذا صحيح في الجملة ولكن كون هذا إجماعاً غير ممكن إذ قد لا يكشف الإجماع عن قول المعصوم.

٣- قد يستدل على القول بأصالة الصحة بما ورد برواية حفص من تعليل الإمام بجواز الشهادة استناداً إلى اليد، إذ كيف يمكن شراء شيء من أحد لو لم تكن اليد دليل الملكية، ففي اليد يحكم بكونه ملكه، وقد اعتبر بعضهم هذا التعليل دليلاً على أصالة الصحة.. وهذا لا بأس به لكنه لا يتم على الإطلاق، وإنما يتم في المعاملات بالمعنى الأعم لا الإيقاعات؛ إذ لو شككنا في صحة الطلاق كيف يمكن الحمل على الصحة، والطلاق إيقاع.

٤- والعمدة في الاستدلال على المقام هو السيرة القطعية، إذ جرت عند المسلمين كافّة البناء على أصالة الصحة.

إذ لا شك في أن هذه السيرة متصلة إلى زمن المعصوم؛ إذ تلقته الأبناء عن الآباء عملاً، إذ كان أمراً معروفاً معلوماً بين الناس، وبما أنه لم يرد نفي في المقام فيطمئن أن الإجماع مبني على هذا؛ إذ لم يرد حتى رواية ضعيفة تناقض الموضوع.

والكلام في مقدار جريان أصالة الصحة فهل يختص ذلك في مورد دون

مورد أو لا؟

فتارة يكون الشك في الصحة والفساد من ناحية احتمال فقدان هذا العمل الشرط من الشروط المناطة به، كما إذ كنا لا نعلم هل هذه الصلاة مشتملة على الطهارة أو لا.

وتارة تنشأ الشك من قابلية الفاعل لهذا العمل، فهل أنه قابل أو غير قابل كالشك في كون الفاعل صبياً أو بالغاً عاقلاً أو مجنوناً.

وتارة يشك في قابلية الأمر المتعلق بأصل العمل كالشك في البيع ذاته فلا يدري مثلاً أهو خل أم خمر.

فهذه أقسام ثلاثة لا بد من معرفة جريان أصالة الصحة أو عدمه فيها جميعاً.

١- إذا شككنا في فقدان العمل لشيء معتبر في المعاملة بالمعنى الأعم في عقد أو إيقاع فهذا هو القدر المبني عليه بجريان أصالة الصحة.

٢- إذا شككنا في الفاعل في كونه قابلاً أو غير قابل فهو على نحوين:

أ. من الاعتبار الشرعي.

ب. من ناحية العقلاء.

فالعقلاء لا يعتبرون بيع الصبي غير المميز وكذلك الشارع.

وقد تكون القابلية من جهة حكم الشارع، كالصبي المميز، فالشارع اعتبر البلوغ في صحة بيع الصبي المميز كما نصت عليه الآية الكريمة ﴿**حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ**﴾ (الأنعام: الآية ١٥٢)، أما العقلاء فلا يعتبرون البلوغ وعدمه في الصبي، فهل تجري هنا الأصالة مطلقاً أو لا تجري مطلقاً؟ وهل تجري من ناحية العقلاء فقط؟

هنا لا تجري أصالة الصحّة ولا يحكم بها؛ لأن الشك واقع ببطلان البيع.

نعم، إذا شككنا أن البائع بالغ أو غير بالغ فالأصالة جارية.

وقد يكون الشك دخيلاً حتى عند العقلاء كالعقد الصادر عن المجنون وغير المميز، فلا عبرة بعقده وإيقاعه، وقد يكون ما اعتبره الشارع غير معتبر عند العقلاء، كاعتبار الشارع أن لا يكون المبيع ميتة أو غير مذكى، إذ لا يجوز بيع الميتة، وهذا ما لا يعتبره العقلاء وكذلك اعتبر الشارع أن لا يكون المبيع خمراً والعقلاء يبيعون الخمر ويعتبرون له قيمة، وذلك أن ما اعتبره العقلاء في المبيع – كما ذكره صاحب المفتاح والشيخ الأنصاري – هو أن تكون له مالية فلا يجوز بيع الخنفساء مثلاً.

وقد يكون الشك في الصحة والفساد من ناحية المكلف فقد يكون صاحب المال أو وكيلاً له، فالبيع من جهة الفاعل لا مانع فيه، فإذا بيع العقار مثلاً فلا شك في الصحّة من ناحية البيع والبائع، ولكن لا ندري هل وقع هذا البيع صحيحاً أو كان غررياً أو غبنياً.. كل هذا يحمل على الصحة لقبول الفاعل ولقابلية المبيع، وهذا ما تجري فيه أصالة الصحة.

٣- أما الشك في قابلية المورد أو قابلية البيع، فالظاهر عدم جريان أصالة الصحة في هذا المقام، وقد استشكل بعضهم في هذا، إذ قد نرى شخصاً باع شيئاً ما، وشككنا في هل له أن يبيع أو لا، فلا تجري أصالة الصحة؛ إذ إن سيرة المتشرعين على نكران هذا البيع.

وكذلك طلاق الوكيل إذا أنكر الأصيل ما لم يقرّ الوكالة.

ولو فرضنا أن الجزم في المورد غير متحقق، فبما أنا الدليل لبيٌّ فلا يجوز التمسك بهذا الدليل؛ إذ لا أثر ولا صحة لأصالة الصحة.

وكذلك في المورد الثاني فيما إذا شككنا في أن ما وقع عليه البيع قابل للبيع أو لا، فلا ندري أن هذا ميتة أو غير ميتة، فلا تجري أصالة الصحة ما لم يثبت أنه

مذكّى، فمجرد صدور البيع من مسلم ما لم نعلم أصل الشيء فلا تجري الأصالة مع الشك، كمن شك في أن المبيع كان خلاً أو خمراً، فلا يجري الاستصحاب بكونه كان خلاً لتغير الحال.

ويقتصر على القسم الأول في جريان أصالة الصحة فقط للسيرة القطعية الصادرة عن المتشرعين، فإنما تجري أصالة الصحة إذا كانت قابلية الفاعل وقابلية المورد قابلة لذلك، والدليل عليه أن الأصل لم يثبت بدليل لفظي، وأما حمل المسلم على الصحيح فليس في كل مورد؛ إذ كل ما يشك فيه في قابلية الفاعل أو المحل فلا بد من البناء على الفساد.

تارة نشكّ في العاقد هل هو صبي أو بالغ، وتارة نقطع ببلوغه ونشك ببلوغ وكيله، أما العاقد فلا يسأل أن هذا المبيع من أي الأنواع، أو أن كميته أي مقداره العبرة بعلم البائع الحقيقي والمشتري الحقيقي، وبجهلهما يحكم ببطلان البيع؛ لأنه يكون غررياً، ولو كان الموكل مجنوناً أو صغيراً لا أهلية له في البيع فلا يمكن بأصالة الصحة في البيع؛ لأن العاقد ليس وكيلاً على حقيقته، فالوكالة لم يعلم صحتها لعدم ثبوتها.

وأما بالنسبة إلى العاقد فلا يحرز ذلك منه، فلو شككنا ببلوغه نحكم بالصحة، ولو شككنا في أهليته فهل كان بيعه صحيحاً أو فاقداً للشرائط أو مشتملاً عليها، فلا بد من اعتبار القابلية في البائع والمشتري دون العاقد، وبناء على هذا، فهل اعتبار الأهلية في البائع تصحيح البيع فإذا أحرزنا القابلية في أحد الطرفين وشككنا في الطرف الآخر، فيقال إن هذا البيع صحيح نظراً لصدوره ممن له الأهلية، فبالالتزام يصحح حمل الطرف الآخر على الصحة ونحكم بصحة البيع.

فيكفي في أصالة الصحة إحراز الأهلية من أحد الطرفين كما ذكر ذلك

الشيخ الأنصاري قدس سره؛ لأنه يكفي بصحة البيع.

وبما أن الطرف الآخر مشكوك فيه فصحة الإيجاب لا تعني صحة القبول، فلو انضم الشراء إلى الإيجاب لصح البيع، أما إذا لم ينضم إليه الشراء فلا يصح.

وهنا أمر آخر وهو أن العاقد الذي نشك في صحة فعله وفساده إما أن:

أ- نفرض أنه جاهل بالحكم والموضوع ونحتمل صحة عمله لمصادفته للواقع، كما إذا وجدنا من يصلي على الميت ونحن نعلم بأنه لا يعلم عدد تكبيرات هذه الصلاة، ولكن نحتمل أنه قد يصادف الواقع بالتكبير خمسة، فهنا لا تجري أصالة الصحة، ولم تجر السيرة القطعية في المقام أصلاً.

ب- وإما أن نشك أنه عالم بالحكم والموضوع أو جاهل لهما، فهذا هو مورد جريان أصالة الصحة بدون إشكال.

ج- وتارة نفرض أنه عالم بالحكم والموضوع ولا نعلم أأتى بالأمر الصحيح الواقعي أو لم يأت به ففيه تفصيل وهو على ثلاثة أقسام:

١- تارة نعلم أنه موافق للفتوى تقليداً أو اجتهاداً مع الشخص الآخر، فهذا لا إشكال فيه ويحمل على الصحة.

٢- وقد يفرض أنه مخالف له بالفتوى تقليداً أو اجتهاداً في موارد الشك فلا ينبغي الشك في الحمل على الصحة.

٣- أما إذا علمنا أن فتوى الإمام مخالفة لفتوى المأموم، أو لفتوى من يقلده المأموم كالمخالفة بالتباين كما في موارد القصر والتمام.

يرى أحدهما الفرض قصراً والآخر تماماً، وفيما يراه أحدهما شرطاً يراه الآخر مانعاً كالوضوء في الجبيرة، فهنا لا مجال للحمل على الصحة، أما إذا افترضنا أن المخالفة ليست بينهما بالتباين كما يرى أحدهما الأمر واجباً والآخر غير واجب، كالتسبيحات يرى الإمام أن التسبيحة واحدة والآخر على الثلاث.. فإذا كان الاختلاف مثل هذا الاختلاف ويحتمل المأموم أن الإمام يأتي بالواقع.

وهنا لابد من فرض الكلام في موارد فيما يأتي به الإمام، فالإمام إذا لم ير السورة واجبة فليس للمأموم أن يأتم بهذا الإمام إذا رأى السورة واجبة فلابد له من أن يأتي بالصلاة كاملة، فهنا لم يحرز جريان الأمر في الحمل على الصحة وإن جاء به الإمام على وجه الاستحباب، فمع إحراز المخالفة لا يحمل الأمر على الصحة.

وقاعدة أصالة الصحة إنما تثبت الصحة في المقدار المشكوك فيه فقط، فإذا استأجرنا أحداً في العمرة والحج وشككنا في صحة العمرة فالحمل على الصحة جار، أما إذا شككنا هل أتى بالعمرة أو لا فالحمل على الصحة غير جار؛ لأن الأثر المترتب على مجموع الحج لا يتحقق في الخارج وهو إبراء ذمة الميت.

وأصالة الصحة في القبول لا تجري وكذلك في الإيجاب كهبة شيء لزيد، فإذا شككنا في حصول تحقيق ذلك في الخارج لا يحمل على الصحة.. ولا نثبت صحة الهبة إلّا في القبض، فالحمل على الصحة جار في المشكوك فقط.

وأينما جرت أصالة الصحة يترتب عليها الأمر الصحيح بنفسه، أي إن جريان أصالة الصحة في شيء إنما تثبت الصحة لنفس ذلك الشيء وترتب الآثار الخاصة به، فإذا كان الشيء مركباً، وجرت أصالة الصحة في جزء منه لا تثبت بها صحته في باقي الأجزاء، وغيرها من الأمور المترتبة عليه.

فالعين المرهونة إذا أجاز الراهن بيعها للمرتهن ثم رجع عن ذلك، فإذا كان الرجوع بعد الإجازة وبعد البيع صح البيع، وإذا كان الرجوع بعد الإجازة وقبل البيع لا يصح البيع.

فأصالة الصحة بالأذن لا يثبت بها وقوع البيع قبل الرجوع كما أن أصالة الصحة في الرجوع لا يثبت بها وقوع البيع بعد الرجوع؛ لأنها تحتاج إلى إحراز قابلية البائع حين البيع وهو مشكوك، وكونه كان قابلاً في أن لا يثبت قابلية

في الآنات الأخرى، فلا تجري فيه أيضاً؛ لأنها مبنية على قابلية البائع وقابلية المبيع، فالإذن في المقام مشكوك فيه... وقد يقال بالاستصحاب في بقاء الإذن إلى أن حان البيع فلا يدري أرجع أم لم يرجع، فالأصل كونه لم يرجع فهو من قبيل إحراز بعض أجزاء المركب بالوجدان وإحراز الآخر بالأصل، كالوضوء استصحاباً ببقاء الطهارة بمقتضى الأصل، فالصلاة في زمن يكون فيه المكلف متطهراً تكون الصلاة قد أحرزناها بالوجدان والطهارة بالاستصحاب.

وقد يقال بسقوط حق الرهانة بالإذن بالبيع فلا يبقى لمعارضة أصالة الصحة في رجوع المرتهن مجال.

وعلى فرض معارضة استصحاب بقاء الرجوع لزمان البيع لاستصحاب بقاء الإذن لزمان البيع فيتساقطان فيرجع إلى استصحاب بقاء ملكية الراهن فينتج فساد البيع.

وفي جريان قاعدة أصالة الصحة يجب أن يكون ذات العمل مقروناً عنه في الخارج.. ولكن لا يدري أوقع صحيحاً أم فاسداً وإذا شك في ذلك فلا تجري أصالة الصحة؛ لأن أصل العنوان غير معلوم، وهذا له موارد:

١- إذا شككنا أن زيداً أوقع ثوبه في الماء عصره أو لم يعصره فلا تجري أصالة الصحة؛ لأن عنوان الغسل غير متحقق في الخارج فلا نحكم بالأصالة.

٢- وإذا شككنا في القصد فكذلك لا تجري الأصالة، كما لو رأينا أحداً يكبر على جنازة ما، ولكن لا ندري أقصده الصلاة عليها أم يكبر لأمر آخر لا علاقة له بصلاة الميت.

وكذلك إذا أستأجرنا أحداً للحج فحج وصلى وعمل أعمال الحج ولكننا شككنا هل نوى ذلك عن الميت أو لا، فصحة حجّه لا تكفي بجريان أصالة الصحة في النيابة والوكالة عن ذلك الميت؛ لأن الشك لم يقع في حجّه، وإنما

قصده، فالعناوين القصدية لابد من تحققها في الخارج.

وللشيخ الأنصاري قدس سره كلام في هذا المقام، فذكر أن عمل العامل النائب عن الغير له حيثيتان، **الأولى** حيثية صدوره منه، **والثانية** حيثية من جهة المنوب عنه، ويترتب على هذا أنه هل يعتبر فيها ما يعتبر في المماثل، فلو ناب عن المرأة فهل يجب عليه ستر بدنه كافة كالمرأة... والتحقيق أنه لا يجب على النائب مراعاة الشروط المترتبة على المنوب عنه، فلا يخفت في الصلاة الجهرية كالمرأة باعتبار أن المنوب عنه يجب عليه الإخفات، وكذلك العكس.

والشيخ الأنصاري يحمل عمل الأجير على الصحة باعتبار استحقاق الأجرة فله المطالبة بها، ولكنه فرّق بين استحقاق الأجرة وبين فراغ ذمة المنوب عنه؛ لأن النائب قد يكون صلى أو حج عن نفسه.. وهذا مناقش فيه؛ لأن صحة العمل واستحقاق الأجرة مثلاً زمان؛ لأنه منوب ومستأجر لأداء هذا الفرض عن المنوب عنه لا عن العمل الصحيح على الإطلاق.

بقي كيف يعرف قصد النائب وهو أمر غير ظاهري.. فقد يعرف من نفسه بقوله ويرجع إليه فيه كما يرجع إلى المرأة في التصديق بالنسبة لعدتها وخلوها، وهذا منازع فيه؛ فالنص على تصديق المرأة لا يشمل غيرها أما أن كل ما لا يعلم إلّا من شخص وجب تصديقه فهذا ما لم يدل عليه دليل، ولا بد من إثبات ذلك، فيقال: إن الأجير إذا لم يكن ثقة أو عدلاً فلا يمكن أن يصدق، وإذا كان عادلاً ثقة فيصدق وإلّا فيشكل استئجاره، فإذا أخبر الأجير الثقة بأنه أدى ذلك فيصدّق، ويحكم بفراغ ذمة الميت، ويحكم هنا بأصالة الصحة.

الصحة أصل أم أمارة؟

لا شكّ أن أصل المشترك لا يكون حُجّة، فهل أن أصالة الصحة من الأمارات دون أن يثبت بها أي لازم، وقد ذكر في الاستصحاب أنه لا فرق بين

الأصل والأمارة في ذلك بل لابد من اتباع الدليل، فإن دلّ الدليل على حجته وإلّا وجب إقامة الدليل.. فالإقرار مثلاً يثبت أنه من الأمارات مع أنه لا تثبت به اللوازم.. وبناء العقلاء استقر على حجية الإخبار بالمدلول الالتزامي كما أنه حجّة بالمدلول المطابقي، أما غير ذلك من باب الأمارات فلا.

فالظن بتعيين القبلة لا يشمل لازمه وهو دخول وقت الظهر والعصر.. فعلى هذا لا يبقى مجال في ترتيب أي أثر لأصالة الصحة في أنها أمارة أو أصل.

ومع ذلك فهي أصل من الأصول لا إمارة، والوجه أن ظهورها للمسلم غير قابل للإنكار ويكشف عن أن ما يأتي به المسلم هو صحيح عنده لا أنه يأتي بما هو صحيح واقعاً.

فحجيتها باعتبارها أصلاً مستندة للسيرة القطعية؛ إذ إنها في واقعها كشف عن الحكم على نوعية العمل بالصحة، وهذا ما ينفي كونها أمارة.

فروع الشيخ الأنصاري ومناقشتها:

١- ذكر الشيخ الأنصاري فروعاً في الباب مهمة، منها إذا وقع الخلاف بين المؤجّر والمستأجر، فادّعى المستأجر على أن الإيجار سنة واحدة بدينار، وأذعن المؤجّر أن على كل شهر درهماً، فإذا تنازعا في ذلك ماذا يحكم في المقام؟

ذكر العلامة الحليقدس سره أن تقديم قول المستأجر إشكالاً، وإن كان هو المدّعي مع إدعائه صحة العقد وإدعاء المؤجّر بطلان العقد، فلا يلزم المؤجّر بقبول الثمن، وعلى تقديم قول المؤجّر ذكر العلامة الحكم بصحّة استحقاق الأجر لمدة شهر.

وقد ذكر الشيخ الأنصاريقدس سره عدم ترتب أصالة الصحة؛ وذلك أن هذه

المسألة محل خلاف.. فهل العقد صحيح أو فاسد؟ والمشهور أن العقد باطل؛ لأن المدة مجهولة، ويعتبر في صحّة الإيجار أن تكون المدة معلومة، على أن هذا الإيجار غرري، فإن الشهور تختلف بحسب الإيجار شتاءً وصيفاً فقد تكون إجارتها عشرة دنانير في سائر الشهور وخمسين ديناراً أيام موسم الزيارة مثلاً، فالإيجار غرري وحكموا بالبطلان، وعلى هذا الأساس ذكر العلامةﷺ أن في تقديم قول المستأجر نظراً، وإن كانت أصالة الصحة تقضي بصحة العقد.

وإنْ كان لازم صحة العقد مشكوكاً فيه، هل أنه وقع بدينار لمدة سنة أو بدرهم لشهر واحد، هذا بناءً على فساد العقد.

أما في البناء على صحته فكلاهما يدّعي صحّة العقد، وهذا من باب التداعي؛ إذ إن كل منهم منكر، فيحكم لمن قدّم البينة.

٢- أن الإيجار بدرهم لمدة شهر هل هو صحيح أو باطل؟ فالظاهر صحة هذا العقد.. فإنه يؤجره بدرهم في هذا الشهر وكذلك بقية الشهور، فبالنسبة لإيجار الشهر الأول لا جهالة ولا غرر، فيكون هذا الإيجار من باب العقدين الملزم أحدهما للآخر، وضم العقد الباطل للصحيح لا يلزم بطلان العقد الصحيح.

كما إذا أجّر دارين أحدهما لبيع الخمر والآخر لبيع الكتب مثلاً فالأول باطل والثاني صحيح، وإن أنشأهما في الخارج بإنشاء واحد، وذلك كما يبطل البيع في الخنزير، ويصح في الشاة إذا ضمهما بإنشاء واحد.

ذكر السيد الخوئيﷺ في هذا المقام أنه إذا كان قد أجّر داره بكل شهر بدرهم ينحل إلى صحة أجار الشهر والباقي باطل؛ إذ إنه من باب ضم الباطل إلى الصحيح؛ إذ يخرج هذا المثال مما نحن فيه؛ إذ ليس أحدهما يدعي البطلان والآخر يدعي الصحة.. فكلاهما متداعيان.

قطع النظر عن أصالة الصحة:

إذا قطعنا النظر عن أصالة الصحة فالكلام يجري في الاستصحاب تارة في الحكم وتارة في الموضوع، فالأصل يقتضي أن الوجوب الكفائي قد سقط بمجرد صلاة المسلم على الجنازة سواء كانت صحيحة أم فاسدة، وكذلك بالنسبة للطلاق والبيع فالكل صحيح بالنسبة للأصل استصحاباً، إذا صرفنا النظر عن أصالة الصحة.

وهذا هو المراد بالأصل الحكمي، فتارة يكون الاستصحاب حكمياً، وتارة موضوعياً، فالأصل الموضوعي ما تحرز به عدم الأهلية في البائع أو المبيع، وتارة يجري في غير الأهلية لأمر آخر يجري بالنسبة لصحة العقد، كالشك في البلوغ وعدمه، والاستصحاب يقضي بعدم البلوغ؛ لأنه سابق عن البلوغ، وتارة يكون لغير هذين الموضوعين كبيع الكبيرين لكن نشك في أن مُجري الصيغة بالغ أو غير بالغ بناء على اعتبار البلوغ في مجرى الصيغة، أما بخلافه فالبيع صحيح، فإذا شككنا بكونه صغيراً فيفسد البيع، أو كبيراً فيصح البيع، فالأصل الموضوعي جارٍ في غير أهلية البائع.

أللأصول التقديم أم للأصالة؟

ولابدّ من بيان هل أن هذه الأصول تتقدم على أصالة الصحة أو الأصالة تتقدم عليها؟ أما بالنسبة للعبادات فتقدم الأصالة على هذه الأصول؛ لأنه مبني على السيرة القطعية القائلة بصحة هذا العمل.

فالأصول الحكمية غير جارية.

أما الأصول الموضوعية فتجري بلا إشكال ويحكم بذلك بفساد العقد.. فإذا شككنا في البائع أصغير كان أو كبير فيحكم بفساد العقد، وكذلك بالنسبة للطلاق المشكوك بموقعه أبالغ كان أو غير بالغ، فالاستصحاب جار في الموضوع

فطلاقه محكوم عليه بالبطلان لاستصحاب بقائه غير بالغ.

فالأصول الموضوعية تكون فلو فرضنا أنها لم تحرز في مورد لمعارضتها العلم الإجمالي مثلاً فلا تجري أصالة الصحة؛ لأنها مبنية على السيرة فقط ويجري الاستصحاب ويحكم بالبطلان.

أما إذا شككنا ببلوغ العاقل وعدمه فيحكم بأصالة الصحة؛ لأنه شك في الصحة والفساد بعد إحراز أهلية البائع والمشتري ولكن لا ندري أحصل البيع جامعاً للشرائط أم غير جامع.. فلا أثر ظل، سواء أكان حكمياً أم موضوعياً، فالحكم على السيرة، فالفرق إذاً ليس من ناحية الأصل أحكمي هو أم موضوعي، بل العبرة بدليل أصالة الصحة وهو السيرة، فإن ثبتت في مورد حكماً في صحة الحكم، وإن لم تثبت في مورد تلاحظ الاعتبارات الأخرى.

وبما ذكرنا عُلمَ أنه لا أثر للبحث في النسبة لأصالة الصحة أهي أمارة أم أصل، وإذا كانت أصلاً هل هي أصل محرز أو غير محرز؟

فإذا افترضناها أمارة من الأمارات لا بد من أن ينظر إلى دليلها فإذا كان جارياً في مورد فحينئذ تتقدم على الاستصحاب وإلّا تقدم عليها الاستصحاب.

وإذا فرضناها أصلاً محرزاً أو غير محرز، فإذا ثبت في مورد فالأصل يجري ويتقدم على الاستصحاب؛ لأن الاستصحاب ليس بحجة ولم يثبت بالسيرة، فالعبرة بقيام الدليل وعدمه، فبأي مورد كانت السير غير جارية كأن أصالة الصحة جارية، وفي أي مورد كانت السيرة غير جارية كان الاستصحاب جارياً، سواء أكانت أصالة الصحة أصلاً أم أمارة.

ابتكارات الإمام الخوئي في الأصول:

للسيد الخوئيﷺ جملة من المبتكرات الأصولية التي لم يُسبق إليها إبداعاً،

وتعد من نظرياته في دقائق علم الأصول، هذا العلم الذي ينطلق منه وفي ضوئه استنباط الحكم الشرعي من أدلته التفصيلية من جهة، ويترتب على إبداعاته حيناً، وعلى التعمق في مفرداته حيناً آخر، مبنى تحقق الأعلم – عادة – في الفقيه الجامع للشرائط، مضافاً إلى المباني الأخرى التي ترشح المرجع الأعلى للطائفة الإمامية في العالم.

لا أريد الخوض في هذا الموضوع، ولا أقف عند مبانيه المعقدة غالباً، ولا أحاول مناقشة الأدلة والاختلاف في اتجاهاته ولكني أحاول استخراج بعض الشذرات الابتكارية لسيدنا الأستاذ في المقام، والتي لم يسبق لغيره من علمائنا الأعلام الانفراد بها، كما قدر له ذلك، مستخرجاً ذلك من الذاكرة العلمية فحسب، حيث أكتب هذا البحث في دمشق ولا مصدر لي، ولا وقت لمراجعة المباحث التي دونتها في الموضوع، وما لا يدرك كله لا يترك كله، وما سأذكره قائم على سبيل النموذج، ليستدل بما ذكرت على ما لم أذكر، والله المستعان.

١ – **مفهوم الوصف**: وقد فصّل السيد الخوئي فيه القول على أساس دلالة القيد على المفهوم، فإذا كان المفهوم بمعنى انتفاء سنخ الحكم بانتفاء الوصف، فليس للوصف المعنى الدقيق من المفهوم، بل بسبيل أن المفهوم يدل على موضوع الحكم باتجاه آخر، وهو المركز الوسطي، في القول بمفهوم القيد وعدمه، فلو ورد «اكرم الفقير العادل» فإنه تقييد القول بالعدالة لا يدل على انتفاء سنخ الإكرام في جميع مفرداته عن الفقير الفاسق عالماً كان أم جاهلاً، هاشمياً – مثلاً – أو غير هاشمي، وهذا المعنى للمفهوم الذي نفاه جملة من الإعلام عن الوصف، عبارة عن المفهوم بنحو السالبة الكلية.

وأما إذا كان المفهوم بمعنى عدم ثبوت الحكم الطبيعي الموصوف، فالتحقيق يقتضي أن الوصف يدل على المفهوم بهذا المعنى، وبما أن فرض ثبوت الحكم الطبيعي الموصوف قد نشأ من فرض ثبوته لمطلق الحصة الفاقدة للوصف،

فبالإمكان التقييد عن هذا المعنى للمفهوم بعدم ثبوت الحكم بطبيعة الحصة الفاقدة للوصف.

وهذا المعنى للمفهوم يعبر عنه بالمفهوم لنجد السالبة الجزئية؛ لأن سلب الموجبة الكلية بالنسبة إلى الحصة الفاقدة أعمّ من السالبة الكلية والسالبة الجزئية، وعدم ثبوت وجوب الإكرام لطبيعة الفقير غير العادل في المثال السابق أعمّ من نفي وجوب الإكرام عن جميع حصص الفقير الفاقد للعدالة ومن نفي وجوب الإكرام عن بعض حصص الفقير الفاقد للعدالة بنحو غير معيّن مثل: الجاهل أو غير الهاشمي أو غير المؤمن، إذاً القدر المتيقن من سلب الموجبة الكلية هو السالبة الجزئية.

وعلى هذا فإن الوصف يدل على انتفاء الحكم عن بعض حصص فاقد الوصف نظراً للجعول المتعددة الأخرى التي لا تستلزم العدالة.

إذاً جعل الحكم للحصّة المقيّدة لغو، فحتى لا تستلزم الأحكام في دليلها هذا اللغو، ينبغي نفي احتمال ثبوت الحكم بطبيعة الموصوف بنحو الجعول المتعددة.

وقد تباحثت في هذا المطلب مع سماحة الأخ الشيخ محمّد رضا الأحمدي فخالفته بعض الشيء وخالفني بعض الشيء وتوصلت إلى ما ترى.

٢- **نظرية التعاهد المركزي في الوضع**: والمراد بمفهوم هذه النظرية هو كشف العلاقة القائمة بين الألفاظ والمعاني في ظواهر اللغات عند البشر، ولما كانت اللغات - ومنها العربية - متطورة مع الزمن في المناخ الإنساني بعامة، فإنها قد تتخطى المسيرة للدلالة المركزية (اللغوية) في عصر بحيث تصدق عليها وعلى سواها في عصر آخر، وبتعبير آخر إنها ترتبط بظاهرة التطور المعرفي للألفاظ، فإن المعاني المرتبطة بتلك الألفاظ قد تتطور، وعلى هذا فاللفظ له دلاليته الاجتماعية والملاك واحد وهو قصد إيصال المعنى المراد إلى الملتقي،

ولما كان الرأي الأصولي العام لا تتفق وجهة نظره بتنظير هذا الفهم، عمد سيدنا الأستاذ الإمام الخوئي إلى بلورة هذا الفهم باعتبار الألفاظ دالة على المعاني بإرادة الناطق لها بغض النظر عن الفهم المركزي للفظ، نظراً للعلاقة بين اللفظ ومعناه الخاص بتعاهد التبادر الذهني لدى العقلاء في مسيرة اللغة تأريخاً، وإذا كان الأمر كذلك – وهو كذلك – فإن المراد باللغة هو الوصول إلى المعنى المراد، وعلى هذا ينتفي توافر الدواعي الأخرى بالألفاظ عدا إيصال المعنى وفي هذا الضوء تكون دلالة وضع الألفاظ مركزية أو اجتماعية دلالة تصديقية دون الدلالة التصويرية، أي إن المراد إنما لقصد إليه في حدّ ذاته على نحو الإرادة التصديقية لا الإرادة التصويرية.

على هذا فإن الفهم للألفاظ جارٍ في التصديق ذهنياً، وهذا ما لا يمت بصلة إلى الوضع في أصله، وعليه فكل ما أنس به الاستعمال الاجتماعي للتوصل للمعنى فهو الوضع في نظرية التعاهد وهو ما انفرد بها الإمام الخوئي، وما عليه الدراسات الأوربية المتطورة.

٣- **الاستصحاب والشبهة الحكمية**: ولعلّ من أطرف ما ذهب إليه الخوئي خلافاً للمشهور عدم أصالة الاستصحاب في الشبهات الحكمية، فإن نظرية المشهور فيها جريانه، ولكنه قدس سره اعتبر أن الاستصحاب في الشبهات الحكمية معارض باستصحاب تفريق الجعل وعدم سعته، وإذا تم هذا، فإن الاستصحاب فيها ساقط معارضة، وهذا معنى وتفسير ابتكاري انفرد به الإمام الخوئي، وقد ترتبت عليه الفتوى بفروع فقهية كانت قائمة على جريان الاستصحاب في الشبهات الحكمية، وحينما ذهب إلى عدم الأصالة في ذلك تغير المنهج تبعاً لتغير المبنى، بناء على هذه النظرية الجديدة، أضف إلى هذا في المقام إضافته في الاستصحاب قسماً رابعاً هو «استصحاب الكلّي»، ولم يقل به أحد من القدامى والمتأخرين.

والحق أن هذه أيضاً من نظرياته الإبداعية؛ لأن أقسام الاستصحاب ثلاثة عند القوم.

٤- **حجية الاستصحاب**: لما كان الاستصحاب مبنياً على الروايات في أصله فهو يقتضي أن يكون أصلاً عملياً دون ريب، أما إذا اعتبرنا الاستصحاب من الأمارات وإن كانت ضعيفة، فهو ليس بأصل عملي.

وسيدنا الأستاذ الإمام الخوئي رضوان الله عليه يذهب المذهب الثاني وإن كانت حجية الاستصحاب قائمة على الملحظ الروائي وابتكاره في هذا الجانب يسلط الضوء على الاستصحاب بأنه أمارة، ولكن هذه الأمارة ليست في سياق الأمارات الأصولية ولا بقوتها، فهي في الركب المتأخر من الأمارات في الحجية، وسبب ذلك أن الاستصحاب يقضي بحمل الحالة الثانية على الحالة الأولى بقاءً واستمراراً، أو هو العمل عند الشك باليقين السابق.

وهنا يكون التفريق الدقيق بين الملحظ الأول والثاني.

فهو كأصل عملي شيء، وهو كأمارة شيء آخر، ويترتب على هذا الفهم الجديد عند الإمام الخوئي قدس سره للاستصحاب في حجيته أن التعبد ببقاء اليقين السابق تعبد عملي باعتباره من أضعف الأمارات.

هذه نماذج قد لا تصور لك حجم ابتكارات السيد الخوئي في نظريات الأصول، ولكنها جاءت على سجيتها خالية من التعقيد ولا أريد أن أتحدث إليك عن مبتكراته في الفقه الإسلامي، فله فيه القدح المعلن، لا سيما في مسائل الهلال، ومسائل الإرث، وقضايا الخمس، وقضايا الطهارة، ومفردات الصلاة.

وطالما خالف المشهور لدقة نظره في استنباط الحكم الشرعي في ضوء نكتة لم يذهب لها المتقدمون.

وهذا باب متلئبٌ يطول الوقوف عنده ويعجبني أن أختمه بقولين نادرين

سمعتهما وأعقب عليهما إيضاحاً للمراد:

١- قولهﷺ: «الإتيان بالعمل برجاء المطلوبية من أقصى درجات الأمتثال»: وهذا حق؛ لأن الذمة تكون غير مشغولة وهي في مثل هذه الحال مشمولة بأصالة البراءة، أما الإتيان بالعمل واجبا كان أو مستحباً برجاء الواقع، فهو أقصى درجات الامتثال لله عز وجل، إذ قد لا يجب ولا يستحب واقعاً، وكذلك في النهي حرمة وكراهة.

٢- قولهﷺ: «لا يجب قول الصدق بحد ذاته، ولكن يجب عدم الكذب»: فالمسلم إذا لم يكذب عدّ صادقاً، وكان مع الصادقين، ولكن لا يجب عليه قول الصدق لنفسه، فقد لا يجيب، وقد يعبر بالكناية، وقد يؤدي بقصد التورية في الكلام، وقد يميل إلى التعريض، وهذا كله من عدم الكذب، وهو صادقاً فيه بالنتيجة، وشواهد ذلك كثيرة من الكتاب والسنة الشريفة:

أ. في الكتاب نماذج في هذا المقام، كما في قضية إبراهيمعليه السلام في تكسيره الأصنام قال تعالى حاكياً: ﴿**قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنطِقُونَ**﴾ (الأنبياء: الآيتان ٦٢-٦٣)، وما فعله كبيرهم، وما كذب إبراهيمعليه السلام؛ لأن كلامه جاء على سبيل التعريض بهم، فهذه الأصنام لا تفعل ولا تنطق، لا إرادة لها، ولا قابلية للكلام، وقد علم قومه بهذا التعريض، فما أنكروا عليه، وما كذبوه ولكنهم أقروا، واعتبروا أنفسهم ظالمين، ونكسوا على رؤوسهم، واعترفوا بالحقيقة أن الأصنام لا تنطق، ولا تعي، فتوصل من خلال هذا إلى تسفيه أحلامهم وعبادتهم بمحاكمتهم عقلاً وواقعاً.

قال تعالى: ﴿**فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾

(الأنبياء: الآيتان ٦٤-٦٦).

ب. السُّنة: كما في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمن سأله ممن أنتم؟ قال: «**من ماء**»، فرجع السائل إلى نفسه متسائلاً: من ماء العراق؟ من ماء نجد؟... إلى آخره، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقصد عموم خلق الإنسان من الماء، قال تعالى: ﴿**فَلْيَنظُرْ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ**﴾ (الطارق: الآيتان ٥-٦).

معجم تلامذة الإمام الخوئي:

سبق القول بتعذر الوقوف على جميع تلامذة السيد الخوئي، بل يشكل علينا إحصاء أكثرهم، فمسيرة البحث العالي الخارج للإمام الخوئي قدس سره وهي تستوعب ستين عاماً من عمره المبارك كفيلة بأن تخفى علينا معالم وأشخاص تلامذته السابقين لزمن تدوين الأسماء، ومعرفة الذوات، لا سيما أن قسماً كبيراً منهم يعرف بين الناس بالكنى والألقاب أمثال «أخوان أنصاري» و«أخوان مرعشي».. وهكذا الباكستاني والأفغاني والتبتي والبلوجستاني والبلوشي والبحراني والسعودي والأحسائي والقطيفي والأصبهاني والرضوي والنقوي والمشهدي والسعيدي والجلستوني والحائري والقمي والتبريزي، والآغا والميرزا، وأمثال هذا كثير.

وقد قام السيّد سعيد الشريف القطيفي بإعطاء معجم ببلوغرافي لتلامذة الإمام الخوئي أحصاهم فيه بـ (٦١٧) تلميذاً مما تمكن من ذكره ونشره في العدد (١٧) من مجلة الموسم عام ١٩٩٤م، ولدينا على هذا المعجم بعض الملاحظات:

١- أثبت الباحث - مشكوراً - أسماء من وصل علمه إلى معرفتهم دون الإشارة أن هؤلاء ليسوا إلّا الجزء المعروف لديه من تلامذة الإمام.

٢- رتّب الباحث هذا المعجم على الحروف (الألف باء) لكن جاء بطريقة مربكة للبحث في تناول الأسماء، لا يقرّه عليها الفن الببلغرافي في كل صوره.

فقد أثبت من اسمه المركب من كلمتين، والأولى منهما «محمد» بالاسم الثاني أبجدية، وهذا غير وارد على الإطلاق، وقد يضع الاسم الذي يبدأ بـ (أبو) في حرف الألف وهذا لا يصح، إذ يوضع الاسم في الموضع الذي يلي «أبو» من الحروف، فهو يضع في:

(أ)

- محمّد إبراهيم الأنصاري، بحرف الألف، وترتيبه حرف «الميم».
- وأبو تراب، في حرف الألف، وترتيبه حرف «التاء».
- وأبو الحسن الأنواري في حرف الألف، وترتيبه حرف «الحاء».
- وأبو طالب الفاضلي، في حرف الألف، وترتيبه حرف «الطاء».
- وأبو الفضل الخونساري، في حرف الألف، وترتيبه حرف «الفاء».
- وأبي القاسم الروحاني، في حرف الألف، وترتيبه حرف «القاف».

وهكذا، وهذا لا يصح أكاديمياً وإن صنعه بعض المؤلفين، إلّا أن يكون ذلك من قبل دار النشر، في المصادر، فهو ليس من مسؤولية المؤلف لو تغير المنهج.

(ب)

يضع محمّد باقر، وميرزا باقر في الباء، وحقهما في حرف «الميم».

(ت)

يضع محمّد تقي، ومحمد التهجدي في حرف التاء، وحقهما في حرف «الميم».

وهكذا في بقية الحروف، فمحمد حسن، ومحمد حسين، في حرف الحاء وحقهما في حرف «الميم».

ومحمد صادق ومحمد صالح، في حرف الصاد، وحقهما في حرف «الميم» وهكذا.. إلى آخره.

٣- أغفل أسماء بعض المراجع والمجتهدين، وهذا غير وارد؛ لأنهم من المعرفة بمكان، فقد أغفل مثلاً كلاً من السيد نصر الله المستنبط، والشيخ بشير النجفي الباكستاني.

٤- ذكر أسماء بعض رجال الدين في المعجم ممن لم يحضر عند الخوئي ولا ساعة واحدة، وهذا من أخطر ما جاء في معجمه، فإنه يدخل في باب التحريف للحقائق ولا داعي لذكر بعض هذه الأسماء بسبب الإحراج الكبير.

٥- أغفل ذكر أغلب تلامذة الإمام الخوئي من الأسر العربية النجفية، ومن المهاجرين العراقيين إلى النجف الأشرف، وفيهم من العلماء والفضلاء العدد الأكبر.

ومع هذا، فعمله مشكور ومثاب عليه إن شاء الله، وقد رأيت من المناسب أن أستدرك عليه جملة ممن فاته ذكرهم ممن أدركتهم ورأيتهم، لا سيما أن الباحث بصدد وضع دراسة عن تلامذة الإمام الخوئي، وهو يرحب بكل إضافة وإنارة كما ذكرت ذلك «الموسم» التي نشرت بحثه.

مستدرك تلامذة الإمام الخوئي:

(أ)

- الشيخ أحمد شذر الساعدي.
- الشيخ أحمد الشيخ عبد علي زائر دهام.
- الشيخ أحمد علي الأحمدي الأفغاني.
- السيد أسد الله بن السيد محمّد كاظم الطباطبائي اليزدي.

– الشيخ أحمد نجد الربيعي (الربيعاوي).

(ب)

– الشيخ باقر أبو خمسين الهجري الأحسائي.

– الشيخ بشير حسين النجفي الباكستاني.

(ج)

– الشيخ جواد المحتصر السعيدي.

– الشيخ جعفر أبو جناح الأزيرجاوي.

– الشيخ جواد الظالمي.

(ح)

– الشيخ حسين العبد (الأزيرجاوي) العبودي.

– الشيخ حسين الشيخ محمّد الصغير.

– الشيخ حسين مبارك الربيعاوي.

– الشيخ حسين الظالمي (معقّـل).

– الشيخ حسين الشيخ سالم الفرطوسي.

– السيد حسن السيد ماجد الحكيم (الضرير البصير) ابن أخ السيد سعيد الحكيم.

– الشيخ حسن الشيخ موسى الشميساوي.

– الشيخ حسين المهناوي العيساوي.

– السيد حسين النوري الهاشمي.

- الشيخ حسين شرع الإسلام.

(د)

- السيد دخيل البكّاء.

(س)

- السيّد سعدون البعاج.

(ش)

- الشيخ شبيب الموسى الساعدي.

(ص)

- الشيخ صفر محمّد العالمي الأفغاني.
- الشيخ صادق الشيخ باقر القاموسي.
- الشيخ صالح الشيخ مهدي آل صحين الساعدي.
- الشيخ صالح الشيخ محمّد حسن الغراوي.

(ع)

- الشيخ عاتي الحبيب العيساوي.
- الشيخ عباس العادلي النجفي.
- الشيخ عبد الجليل العادلي النجفي.
- السيد عبد الرسول السيد مشكور الطالقاني.
- الشيخ عبد المهدي الشيخ صالح الساعدي.
- السيد عبد المنعم السيد عبد الكريم الحكيم.
- السيد علاء الدين السيد موسى الغريفي.
- الشيخ علي سماكة الحلي.
- السيد علي السيد فضل البعاج (إمام جامعة النجف الأشرف الدينية).
- الشيخ علي الشيخ حسين سميسم.

– الشيخ علي الشيخ عبود سميسم.
– الشيخ علي حرج الوائلي.
– الشيخ علي الشيخ محمّد طه الحويزي الكرمي.
– الشيخ عيسى الطرفي الحويزي.
– السيد علي السيد عبد الرضا البكاء.
– الشيخ غني العادلي النجفي.

(ق)

– الشيخ قاسم محيي الدين النجفي العاملي.
– السيد قاسم السيد علي الرضوي الأفغاني.
– الشيخ قاسم حرج الوائلي.

(ك)

– الشيخ كاظم الشيخ حبيب الأزيرجاوي.
– الشيخ كاظم الحلفي.
– الشيخ كاظم الهجري.

(م)

– الشيخ محسن سلطان الغراوي.
– الشيخ محمّد حسين الشيخ راضي نصار النجفي.
– الشيخ محسن الشيخ عبد علي زائر دهام.
– الشيخ محمّد جواد الشيخ حبيب العادلي.
– الشيخ محمّد حسن الشيخ محمّد طه نجف.
– الدكتور محمّد حسين الشيخ علي الصغير (كاتب السطور).
– الشيخ محمّد رضا الأوحدي الأفغاني.
– الشيخ محمّد رضا الشيخ شبيب الموسى الساعدي.

- الشيخ محمّد رضا العامري الحويزي.
- الشيخ محمّد الشيخ محمّد طه الكرمي الحويزي.
- الشيخ محمّد الشيخ عبد علي زائر دهّام.
- الشيخ محمّد اللاهيجي.
- الشيخ محمّد علي الشيخ حسين الموصلي.
- السيد مرتضى الحكمي.
- الدكتور مصطفى السيد جعفر جمال الدين.
- الشيخ مهدي الكرباسي النجفي.
- الشيخ محمّد الشيخ حسين (الأزيرجاوي) العبودي.
- السيد مسلم بن السيد حمود الحلّي.
- الشيخ موسى البامياني العالِمي.

(ن)

- السيد نصر الله المستنبط (صهر الإمام الخوئي).
- الشيخ نور الدين الجزائري النجفي.

(هـ)

- الشيخ هادي حموزي.
- الشيخ هادي كريم الساعدي.
- السيد هاشم السيد مرتضى الموسوي المخراقي.

(ي)

- الشيخ يوسف اللامي العماري.

قصيدة المؤلف في رثاء الإمام الخوئي:

رثي الإمام الخوئي بمئات القصائد والكلمات والمحاضرات، وعقدت له عشرات الاحتفالات التأبينية في مختلف أرجاء العالم، ونعته عشرات الصحف

والمجلات والجرائد في مختلف الأقطار العربية والإسلامية والأوربية، أوجز القول بتأبينه المراجع العظام في كلمات قصار، وبحث قسم من طلابه في حياته وسيرته، مما يتعذر حصره، وقد جمع الكثير من رثائه وتأبينه في كتاب (رثاء القيم) الصادر عن مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية في لندن، وهو يمثل جزءاً كبيراً مما رثي به، فمن أراد الإفاضة في الموضوع الرجوع إليه.

وسبق لي في البحث ذكر شيء مما رثيته به، وهنا أثبت قصيدتي في رثائه بمناسبة الذكرى العاشرة لوفاته، أثبتها هي وعنوانها وما جاء في مقدمتها، علماً بأني قد نظمتها في يوم وليلة، وقد مرّت بي ذكريات السيد الخوئي شاخصة شجية، والعبرة تتملكني، والأسى يحزّ في قلبي، والدموع تتساقط دون إرادة:

ذكرى الخالدين

ألقيت في الاحتفال الذي أقيم في لندن في ٨ صفر ١٤٢٣هـ بمناسبة الذكرى العاشرة لرحيل أستاذ الفقهاء والمجتهدين الإمام الخوئي قدس سره المتوفى في ٨ صفر ١٤١٣هـ الموافق ٨/ ٨/ ١٩٩٢م.

عشر مضينَ.. وكلُّ يوم عامُ ... وبكل قلبٍ جمرةٌ وضرامُ

وبكل واجيةٍ تلوح ظُلامةٌ ... وبكل ناحية يسودُ ظلامُ

الصبح بعدكَ غيرُ ما عُرفَ الضحى ... والفجرُ ذاوٍ.. والحياةُ حِمام

كنتَ المكثّرَ أمةً بنضاله ... ولربّ فردٍ وحدهُ الإسلام

أوليتَها حُسن الرعاية.. فانتحَى ... شوطٌ... وكبّر مقودٌ وزمام

الوعيُ عندكَ قوةٌ وإرادةٌ ... والفكرُ نورٌ.. واليراعُ حسامُ

تسعون عاماً خُضتَ في غمراتها والبحرُ يَعصفُ.. والطريقُ زحام
بطلُ العقيدةِ والأصالةِ والحجى والقائدُ المتمرّسُ المقدامُ
وزعامةٌ للمسلمين رفعتَها رمزاً تخرّ أمامَه الأصنام
فمنَ النبيّ أُعيدَ مجدٌ شامخٌ ومن «الأئمة» منهجٌ ومقامُ

***

يا أيها العلمُ الموحّدُ أمةً قد نكستْ بمصابك الأعلامُ[1]
وفقيهَ «آل محمد» - وفقيهُهم بدرٌ على «النجف الأغر» تمام
غمرتْ أشعتُهُ البلاد.. فتائهٌ بسناهُ يسري.. والهداة قيام
طلابه الأعلون في بركاته ذا مرجعٌ أعلى وذاك إمام
شيخُ الأساتذة العظام، وحولَهُ العلماءُ.. سيفٌ ما اعتراه كَهام
فمن «الفقاهة» جحفلٌ وكتيبةٌ ومن «الأصول» معالمٌ ومرام
ومن «الحديث» معاجمٌ علميةٌ ومن «الرجال» كواكب ورُغام
ومن «الكتاب» أدلةٌ قدسيةٌ ومن الشريعة دولةٌ ونظامُ
ومن «الفتاوى» عالَمٌ متحررٌ ومن البحوث «جواهرٌ وكلامُ»
تلك المآثر - والخلودُ سبيلُها - لا الدهرُ يُفنيها ولا الأعوام

(١) المورد بكامله يتحدث عن عظمة مرجعية الإمام الخوئي وهو يديرها في النجف الأشرف لتغمر العالم الإسلامي وتخلق المراجع العظام فقهاً وأصولاً، مشيراً إلى تمرسه قدس سره في كل من الفقاهة والأصول وعلمي الحديث والرجال، واستنباطه الأحكام من الكتاب والسنة وتيسيره للفتاوى والبحوث، وفيها تصريح بأهمية «جواهر الكلام» للشيخ محمّد حسن النجفي (ت ١٢٦٦هـ) في البحث الخارج العالي.

عشرٌ مضين على وفاتك.. والأسى متجددٌ.. والطارئات جسام
ومشى الخمولُ على العقول كلالةً وتنازلتْ في عدّها الأرقام
صمتَ الرجالُ المصلحون وأجهشتْ بنحيبها الزفراتُ والآلام
وتحسسَ النفرُ القليلُ.. وحولَهم غُولٌ.. وجيشٌ للطغاة لُهامُ
وتصاعد «الإرهاب» يخنقُ أمةً سمحاء.. لا وَتَرٌ ولا أنغام
و«القدسُ» فوضى.. والدماءُ زكيةٌ وفم الضحايا صارخٌ ثَمثَام
و«العالمان» بمسمعٍ وبمشهدٍ و«الأمنُ» لا نفيٌ ولا استفهام
ماذا تُقرر «هيئة الأممِ» التي حَكَمَ اليهودُ بظلها وأقاموا
هي منبرٌ لخطابة.. وقرارها دَجَلٌ.. وصوتُ المنكرينَ حرامُ
أرأيتَ تخريبَ المنازِلِ جهرةً والقصفُ ينسِفُ.. والسلامُ صِدام
والعُرْبُ في حُكّامِها وطغاتِها لهمْ سكوتٌ مطبقٌ وصيامُ
أو ما تهزّهُم النساءُ حواسراً أو لا يُثيرُكَ طفلةٌ وغلام
ذهبتْ «فلسطين» وعاد ترابها وهو الطهور.. بلاؤه الأجرام
أبناؤها الأقحاح قتلى ضُرّجاً والصامدون الأسرُ والإعدام
وحماتُها الشهداء أسرع ركبُهم في السير ساعةَ تتعبُ الأقدام
يتسابقون إلى الكرامة والعُلا والقابعون الحالمون نيام

***

أعزز عليّ «أبا التقيّ» – وقد خبا وهج الأبوة – أننا أيتام

خلتِ المحافلُ من عُلاك وأوحشت ... تلك الديارُ.. وطاشت الأحلام

بيتٌ يضج من الشكاة.. ومنبرٌ ... باكٍ.. ومحراب الصلاة يضام

والمسجد المحزون بعد زعيمه ... أودى.. فلا خبرٌ ولا إعلام

و«الحوزة الغرّاء» ليس كأمسها ... والهول حدّاء بها حَوّام

طويتْ مقاييسُ الدراسة.. واعتلى ... ذاك النظام النقض والإبرام

لولا الإمام «أبو الرضا» لتبددت ... تلك الجهود وسادتِ الأوهام[1]

نفحات «أهل البيت» في آرائه ... وعلى يديه تصدرُ الأحكام

وأبو اليتامى والجياع يعولُهم ... فكأنه وكأنهم أرحام

المرجع الأعلى لأمة أحمد ... وهو الحياةُ وثغرُها البسّام

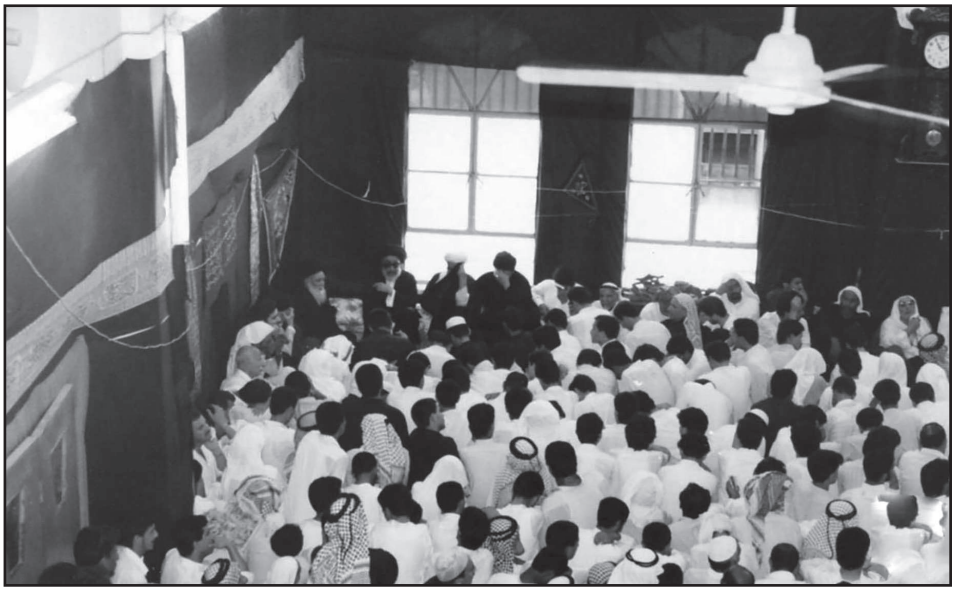
١٨/ ٤/ ٢٠٠٢م

٥ صفر ١٤٢٣هـ

(١) سماحة السيد السيستاني مدّ ظله العالي.



الإمام السيد الخوئي قدس سره في مكتبته مع بعض أحفاده أواخر أيامه



إحدى مجالس التأبين على روح الإمام السيد الخوئي قدس سره

قصائد شعرية

بحق الإمام السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره

الغري عليك يبكي

السيد حسين الصدر

عـلى الخـوئـي قـد بـكـت المـعـالي وضـجـت بـالأسـى مـن دون شك
فـمـا أقـسـى المـنـون تخـطّـفَـتـه وراعـتـنـا بـغـارات وفـتـك
وحـوزات الـعـلـوم تـنـوح شـجـواً وأرخـتِ (الـغـري عـلـيك يبكي)

لوعة المصاب

الدكتور السيد محمّد بحر العلوم

أعـرني فـماً كـي استـسـيغ رثـائـيـا لمـن كـان لـلإسـلام عـزاً وحـاميـا
وروعـنـي هـول المـصـاب ففجرت شـجـوني آلامـاً وشـبـت ذواكـيـا
ومـدت إلى الأمـس الحزين رسومها تـنـوء بطيف كـان في الجـرح غافيا
وطـافـت عليه الـعـاصـفـات بقسوة فـكـانـت بهـا الأيـام شعـثـاً دواجـيـا
تعسر فيها الـركـب والـضـيـم مولع بـعـيـني فـهـدت مـن رؤاه ضيائيا

تـذكـرت عـهـداً لـلـغـري ومجـده ... ودنـيـا نـمـت فـيـهـا حـيـاتي مـراقـيـا
وكـنـت أنـاغـي الـنـجـم في لهـواتـه ... فـما تـعـبـت نـفـسي وخـابـت أمـانـيـا
ولـكـن جـور الحـادثـات أفـضّـنـي ... فـأوقـد هـمـاً كـان في الـقـلـب خافيا
أبـى الـلـؤم إلّا أن يـدنـس موطني ... ويـقـتـصّ مـن صرح الـكـرامـة غاليا
يـصـول عـلـيـه مـلء حـضـنـيـه ذلـة ... وعـار تجـلى في «الهـزائـم» بـاديـا
وفي الـنـجـف الـسـامـي تنمر قسوة ... وضـجّ بـمـرمـاه وطـاش معـاديـا
وأرسـى به «الـطـوسي» للعلم معهداً ... لـيـطـفـئ غـلـيـلاً لـلـمـعـارف ظاميا
وصـار لـه «الخـوئـي» رائـد عهده ... فأضحى لدنيا العلم مجداً وواقيا
فـفـجـره لـلـفـقـه والـفـضـل مـوردا ... مشت نحوه الأفكار تطوى الفيافيا
ولم يـك غـير الجـهـبـذ الـفـذ مقصداً ... «ومـن قصد البحر استقل السواقيا»
رحلت أبـا الأعـلام في فقه «جعفر» ... فلملمت من فجر الأمـاني الأمانيا
وأيتمت حـوزات العلوم فودعت ... بـنـعـيـك آمـالاً فـضـجّـت بـواكـيـا
وفـارقـتـنـا والـضـيـم يقتلنا أسىً ... وحـقـد مـن المـاضي يلف النواصيا
ولم يـرعـو والحـالـكـات تـؤمـه ... جـهـاراً ودمـع الـذل يـروي الخوافيا
يجـور عـلى شـيـخ الـفـقـاهـة والـعـلى ... حـيـاة ومـوتـاً تـسـتـفـيـض مآسـيـا
ويـمـنـع مـن تـشـيـيـعـه كـل مسلم ... ولـكـن أمـانـيـه تـؤوب مخـازيـا
ففي كـل قـلـب هـزّه فـاجـع الأسـى ... ثـوى فـيـه مجـداً لـلـكـرامـة بـاقـيـا
أبـا المكـرمـات الـغـر وهـي شـوامـخ ... تمـور بـدنـيـانـا سـمـواً مـراقـيـا

مشت نحونا الأرزاء تشهق لوعة ولم تبق لي أحبابنا والمغانيا
وشُتتَ شملٌ كان في ناصع الضحى جميلاً يناغي بالطيوب رجائيا
وكنتُ إذا ما سامني الهم أصحرت إليهم عيوني تنفث الشوق صاليا
أعلل باللقيا فؤادي مؤهلاً زماناً وأرجو أن أنال مراديا
ولم أدر أن الليل هبَّ مزمجراً يلف رؤى النائين عني لياليا
فتقفر عني صحوة العمر خلسةً كأني لأعباء الدواهي مؤاخيا
رحلت أبا الأشبال والليل مظلم «وقد أخرس الخطب الممض لسانيا»
وبات فؤادي موجعاً من شجونه يعض بآلام الفراق زمانيا
وكنت أمنّي النفس أن يرحل الخنا وتبقى وتعلو للحياة معانيا
ويرجع عهد للغري سمى به وجودك عزاً للشريعة عاليا
وتشرق شمس الرافدين عزيزة على وطني تخبي حكايا الأعاديا
ولكن آمالاً تهاوت عواثراً تلم لهاث الحالمين خواليا
عزائي بأشبال سَمَوا في محاجري صعوداً ودامو للمعالي مراقيا

أبا الفقاهة

السيد جودت القزويني

أبـا الـفـقـاهـة، مـن لـلـقـوم يفتيها ... ولـلـشريـعـة مـن يجـلـو مـعـانـيـهـا
عـادت بـفـقـدك أشـلاءٌ مبـضّـعـةً ... تنعى سـطـورك في الجـلى وتبكيها
وقد هوى في محطّ التّرب طودُ حجى ... لم يـعـرف الـدهـر في مـسـراه تشبيها
تسعون عاما وشمس العلم ساطعة ... والـيـوم مـوصـولـةٌ حـزنـاً دياجيها
يـا نبعة الـعـلـم، أيـن الـدار عـامـرةً ... وكيف عـاد الصدى مستحكماً فيها
كـانـت بـعـزّك يُستسقى الـغـمام بها ... فأظلمت من شجى الدنيا نواحيها
لـولا نـجـومك قـد أطلعتها شُهباً ... لـقـلـت: ضـاع انـتـظـامٌ مـن دراريـهـا
يـا حـامـلي نـعـشـه رفـقـاً بـغـربـتـه ... مـلائـكُ الله قـد وارتـــهُ أيـديـهـا
غَفَت عيونك في مهد المسار، وكم ... اطلعت من مظهر الأحكام خافيها
آيـات نـورِك يـا بحر التقى سطعت ... فـلـيـس تـغـمـر إلّا عـين رائـيـهـا

***

يـا حـامـل الهـيـكـل الـقـدسي إنّ له ... (مـنـاهـجـاً) كـان يبني الـديـن بانيها
هـوّن عـلى مهجة الـدنـيـا، وبهجتها ... إذا عَـــدَتْ خـطـراتُ أنْ تُـواريـهـا

عجبت كيف انطوى في الترب هيكله وكـــان لـلـشرعـة الـغـراء مُحييـها
يـا ناثر العلم، أنـوار العلوم خبت فليس بعدك مَـنْ (بـالـدرس) يحييها
نـم في ثـراك قـريـر الـعـين مبتسماً وإن تـركـتَ قـلـوبـاً في تشظيها
أبـا الـفـقـاهـة إنّ الـــدار خـالـيـةٌ وإنّ جـفـن الـعـلى يـبـكـي بـنـاديـها
أبـا الـفـقـاهـة دع جـرحـاً يضمده جـرحٌ ودع شـفـة الـدنـيـا تناجيها
وأن جُـرحـاً مُـلّـثـاً لـيـس يُـبرؤه جـرحٌ، ولـيس يعيد الـقـوس باريها
وخـبّر الجـمـع أن الأرض محرقةٌ وإنَّ سُـمّـــاً زُعـافـاً في أفاعـيـها
وخـبّر (الـنـجـف) المـحـزون إنّ له مـدامـعـاً تـتـشـظـى في مآقـيـها
مـا فـاق مـن أنّـــة إلّا وأردفـهـا بـأنـّـةٍ، وجـــروحٍ لـيـس يحصيها
قـد عـاث أهـل الخنا في تُـربـه سفهاً وقـد أعـــادوا حـديـثـاً مـن تشفّيها
إنْ لامـسـتْ تُـربَـهُ الـزاكـي أكفهُمُ مـن الـشـواظ، فـكـفّ الـثـأر تُطفيها

***

يا وقعة الدهر كم قرّحتِ من كبدٍ وكـم نـثـرت مـن الأحـــزان باقيها
صـوّبـتِ سهماً إلى قلب الـرشـاد، ولم يـرتـد إلّا لـيـطـوي كـفّ راميـهـا
إن ظـنّ أعـداؤنـا الحمقى بنصرهم فـإنـنـا أمـــةٌ حمـــرٌ مـواضـيـهـا
لا تستكينُ، فطعم المـوت في فمها ولـيـس إلّا دمُ الأحـــرار يـرويـها
إذا هـوى عـلـمٌ مـنـهـا، رقـى علمٌ سـبـيـكـةٌ الـتـبرِ إذ يـصـفـو تجليها
زهـت بنور الهـدى حتى إذا اتسقت أضـحـت بحاضرها تـشـدو لماضيها

مثل الكواكب إشراقاً ملألئةً لا يستبين ضلالاً خطو ساريها
من هدي (حيدرةٍ) أحكامنا انبثقت وعن (أبي القاسم الخوئي) نرويها

***

أبا الفقاهة قد أجحتَ قافيتي وقد أذبت الليالي في مراثيها
وقد قصدتُك أُبدي كلّ حادثةٍ تُطوى لتُنبت جُرحاً في قوافيها
ما ضرّك العزم لو أججتها حمماً تدُكُّ في وقعة حرّى أعاديها
هل سامك الضيم يا تاج الخلود؟ وهل عدت على حُرمة التقوى ضواريها؟
(بغداد)، (بغدادُ)، أيامٌ ستجمعنا وسوف نهدُم صرحاً ماثلاً فيها
أمُّ الخطوب، فليس الخطب يفزعنا أنّا رضعنا المنايا من أياديها
وقد تعوَّد أن يرفض منتفضاً سيف على دارة القتلى يناجيها
نحنُ الحضور، فيا زيفَ الغزاة أَفِق فدورةُ الأرض لا تبقى لأهليها!

الحروف الولهى

السيد حسين الصدر

معاهد (أهل البيت) تبكيك بالدم وفي كل قلب للأسى ألف مأتم
لقد كنت طوداً للشريعة شامخاً تلوذُ به في الحادثات وتحتمي

بيُمناك من غالي العلوم (معادن) وتُخرجها للناس من خير منجم
فليس عجيباً أن نرى العلم نادباً فقد كان (للخوئي) يُعزى وينتمي
فيا منهلاً قد فاض فينا عطاؤه لقد كُنت عذب الورد للعاطش الظمي
وفي بُردك التقوى تمور بعطرها وتعبقُ في أندى ربيعٍ وموسم
ويا حاملاً من فقه (جعفر) روحه عليك سلام الله من كل مُسلم
توهجت في أفق الفقاهة مطلعاً نجوماً من الإبداع في إثر أنجم
وأوحشت ربع الدين والعلم والحجى فأرهق في داجٍ من الخطب مظلم
حروفي ولهى لا تُطيق مراثياً ولكنما يرثيك قلبي لا فمي
فيا أمة الإسلام نوحي حزينة على المرجع الزاكي الكبير المعظّم
رحلتَ ولكن للجنان مخلداً وأبقيت (صداماً) لنار جهنّم

فقيد العلم والتقوى

الشيخ جعفر الهلالي

حُمَّ المصاب فمن تنعى له البُرُدُ؟ قالوا: أبي القاسم الميمون يُفتقد
فيا لخطب على الإسلام كلكله أناخ مذ طاح من أبياته عمد
هوت عروش المعالي بعده حزناً وظل يندبه الإيمان والرشد

(يا للرزية عمَّتنا فوادحها) حيث اختفى من عرين الغابة الأسد
مضى فنادي الهدى قفرٌ لغيبته وأعين الخلق غشى نورها الرَّمد
قد كان للأمة الثكلى به أمل بأن يدوم لها عيش به رغد
لكنما الحادثات الهوج خابطة كخبط عشواء تستشري وتزدرد
أصابت اليوم عيناً من قلادتنا فشمل أمتنا من بعده بدد

***

تعساً لدوامة الأقدار هل علمت ماذا جنته لها في فعل ذاك يد
تصيد العلم الهادي بفعلتها وتترك الوغد وهو الظالم الحرد
حرباً مع النفر الأبرار تصرعهم سهاماً حيث لا بعد ولا صدد
كأنما هي منهم طالب ترة وافى بآتون من نار له تقد
في كل آونة منا حليف تقى مغيب ضم منه البهجة اللحد
كانوا على الأرض أوتاداً بهم سكنت حتى إذا رحلوا ألوى بها الميد
إنّا إلى الله فهو المستعان على هذي المصيبة وهو الواحد الأحد

***

يا راحلاً عشته حيث العلى عمراً كالشمس ما عكّرت من صفوها المدد
وعالماً ما انثنى يوماً إلى دعة كلّا ولا عاقه عن سيره أحد!
تسعون عاماً وقد أحرزت نيفها يحدوك نحو بلوغ الغاية الجلد
شيخ ولكن به تسمو فتوته وكم فتى هدّه الإعياء والجهد

قد كنت والحق للإسلام مدرسة كبرى بشخصك حيث العلم مرتفد
طوّرت للنجف الأعلى معاهده بما أفدت وما في ذلكم فند..
تلك البدور اجتهاداً منك قد برعوا في كل حاضرة منهم لنا عدد
هذا هو الفخر يحييه الشموخ على مرّ السنين وهذا العز والرأد

***

يا راحلاً أثكل الدنيا برحلته فعمَّ في جانبيها البؤس والكمد
غطى مرابعها من بعده قتر وإن تزين في الأخرى به الخلد
هذي هي الأمة العزلاء واجمة بمن تراها – وقد غودرت – تعتمد
رحلت عنها فتاهت في مسيرتها وهدها الحزن لا متن ولا عضد
كنت الضياء لها في كل حالكة فدربها لك وضاح السنا جدد
واليوم خيَّم ليل الجور معتكراً والبدر في الليلة الظلماء يفتقد

***

يا واهب العمر في علم وفي عمل وذاك للمرء في الأخرى هما السند
ولابساً برد التقوى بلا كلفٍ وهي الكرامة لا مال ولا ولد
وحاملاً همَّ آلام لأمته لله درك من عظم الذي تجد
قدت السفينة والأمواج مزبدة من حول ركبك والتيار منعقد
صلب اليقين قوي العزم راسخه فأين منك وإن شام الذرى أحد
ما هزّ عطفك من دنيا الأولى ظلموا وعدٌ ولا لوعيدٍ كنت ترتعد

صعب المجسة ما لانت قناتك للـ ـباغين مهما توالى حولك الرَّصد
حتى المهات فقد خافوك إذ منعوا من أن تُشيَّع يا بئس الذي قصدوا
فاهنأ بها خير عقبى رحت تكسبها وبالعواقب أمس يزدهي وغد

***

يا راحلاً سوف يبقى ذكره عطراً وإن ثوى منه في ملحودةٍ جسد
ماذا عسى الشعر أن تطريك قافية منه وأنت علاً تسمو وتبتعد
آثارك الغر رغم الجور خالدة هذي عقول البرايا نحوها تفد
ففي الفقاهة (مصباح) يضاء به (محاضرات) و(تنقيح) و(مستند)
وفي الأصول (مصابيح) منورة (جواهر) و(دراسات) لها مدد
وثم عندك في التفسير مفخرة هو (البيان) به لا زلت تنفرد
وفي الحديث كفى في (معجم) ظهرت فيه الرجال عليه اليوم تستند
هذي الحياة التي تحيا النفوس بها على المدى حيث يلقى الطارق التلد

***

يا قائداً عاقنا صرف الزمان به وهو المعين لنا والفارس النجد
كنا نلوذ به في كل نازلة إذا طغى الدهر أو أودى بنا الجهد
واكبت وثبة شعب ثار منتصراً سلاحه الصدق والإيمان لا العدد
حيث العراق به هَبَّت طوائفه تبغي الخلاص من الظلم الذي تجد
شعب كريم به ثارت عزائمه على الطغاة من القوم الأولى مردوا

إذ راح يمطرهم في زحفه حمماً سقوا به الموت مُراً حينما وردوا
فحصحص الحق إذ راحت عفالقها كأنَّ شملهم الجرذان ينطرد
لكنما الأمر وافى عكس غايته من بعد ما كاد فيه النصر يحتصد
فغازل الكفر (صداماً) وزمرته وكان في ذاك منهم ساعد ويد
فأوسعوا الشعب تقتيلاً، قذائفهم ترمي البلاد وذاك الشعب منفرد
يا منحة القدر القاسي يروعنا بما تفتت من أوجاعه الكبد
عادت لنا كربلاء الأمس دامية كأن جيش ابن سعد للحمى يرد
من كل من أنكر الإسلام نسبته من حاقدين ومن ملمومة جحدوا
ومن صليبية أبدت عداوتها لكل ما هو في الإسلام معتقد
ومن يزيدية منبوذة ظهرت يشدّها ليزيد حبله المسد
(فقبة السبط) تُرمى في قذائفهم ويستباح حماه وهو منتجد
وخضبت بدماء الناس تربته حيث الضحايا على بعض بها حشدوا
سبعاً لأيامها باتت مجزّرة تسفي الرياح عليها دونما أحد
جريمة ما عرفنا مثلها أبداً حتى (التتار) تجافيها وتبتعد

***

آهٍ على النجف الأعلى يعيث به حزب الضلال فساداً حيث لا رشد
حزب يعيش على سفك الدماء فلا دين يصد ولا الأخلاق تعتمد
قد ريع من حرم المولى أبي حسن ذاك الحمى وإلى تدنيسه قصدوا

ألم يكن قبلها للمسلمين أباً ... خليفة وإماماً نهجه حمدوا
وقوِّض العلم وانهارت مدارسه ... على يد البغي يا شُلّت لذاك يد
حضارة شادها الإسلام فانطمست ... منها المعالم؛ فهي اليوم تختضد
والمسلمون بمرآها ومسمعها ... هذي الفعال، وما احترَّت لهم كبد
لبّى على البعد صوت الندب (معتصم) ... فهب والبلق يعلو متنها الزرد
ونحن والسيف يفري في مناحرنا ... ومن بني عمنا ما فاه منتقد

***

يا مغمضون على البلوى عيونهم ... والساكتون ولا حزن ولا كمد
ألم يك النجف الأعلى منار هدى ... ومعهداً لعلوم الشرع يعتمد
ألم يشيد من الفصحى منارتها ... فيما تدارسه طلابه النجد
وكم تصدت لإصلاح مراجعه ... حرصاً على أمة الإسلام تتحد
وكم لهم في قضايا المسلمين يد ... بيضاء يحفزهم في ذاك معتقد
وللعروبة كم أعطى بما حفلت ... به السنون ولي في ذاك مستند
هذي (فلسطين) ما زالت مدوية ... فيها القصائد من روح الولا تفد
وفي (الجزائر) كم قالوا وكم هتفوا ... و(للسويس) وخير الناس قد شهدوا
للآن رغم عظيم الجرح ما هدأت ... تلك النفوس ولا أصحابها بردوا
لا هُمَّ وحّد على الإسلام أمتنا ... فقد ضعفنا وطاح الزند والعضد
يا أمة الحق والإيمان لا تهني ... وإن هوى لك من ركن الهدى سند

وشـمّـري لجـهـاد عـن سـواعـد لا كـل يـسـاورهـا يـومـاً ولا مهد

وأنت يا شعب وادي (الرافدين) أَفِق ولا يـرعـك بـأن الـكـفـر يـتـحـد..

واستـنـفـذ الـوطـن الـغـالي بصادقة مـن الـعـزائـم فـهـي الـعـد والـعـدد

ووحّـد الصف فالتوحيد مكتسب ودون ذلـك لا يـستـنـقـذ الـبـلـد

إنّـا لـيـحـزنـنـا مـا قـد نـشـاهـده شـتـى رؤوس ولم يـبرز بهـا أحـد

لا هُـمَّ سُـدَّ خطا قـومـي فإنهم أحـد عـلى المزالـق والأخـطـار تحتشد

أب حنا قد بكت الخوئي لكن بالدم

السيد حسين الصدر

ريـع الهـدى واستـوحـشـت ربـوعـه بـعـد رحـيـل المـرجـع المـعـظـم

وحـوزة الـعـلـم تـشـظـت ألمـاً وهـدّهـا فـقـد الـزعـيـم الأعـظـم

وهـو لهـا مـذ أرخـوا: (أبٌ حنا قـد بـكـت الخـوئـي لـكـن بـالـدم)

فضل السيد الخوئي

تاريخ مدرسة دار العلم التي شيدها الإمام الخوئي قدس سره، للمغفور له سماحة العلامة الحجة السيد موسى بحر العلوم:

بجنب باب حيدر أسست ... مدرسة للعلم فيها منار
على التقى والفضل إذ أرخو ... (يشيدها الخوئي للعلم دار)

التاريخ: ٣٣٠ + ٦٤٨ + ٢٠٠ + ٢٠٥ = ١٣٨٣هـ

صور من العراق

الشيخ إبراهيم النصراوي

صبراً وإن عزّ الفراق وطالا ... سيظل شخصك يا عراق مثالا
وحذار من يوم المصير إذا دعا ... داعيه في جمع الطغاة زوالا
وتريثوا فالأمر ليس بمهرة ... للراكبين إذا أتوه عجالا
فالبحر مصطخب بموج عارم ... يجد السفين بموجه الأهوالا
يوم يباح لنا دم متفجر ... أو يخنقون عقيدة وكمالا
أو يقتلون لنا الوليد بمهده ... ويمثلون بآخرين ضلالا

وسطاً على الليث مباغتاً قزم فأفزع عندها الأشبالا
يا قوم ما كلّت صوارم أمتي لكنها صبرت عليه فصالا
صبراً فأفئدة الفوارس لن تزل زبراً يحكم عزمها الأغلالا
مهما توعدنا الشرار فقل لهم سترون دحر الصامدين محالا
سيحدّث التاريخ أن أنوفنا تأبى الدنية ترفض الإذلالا
أو لم نكن أبناء سبط محمد وهب المنون أشاوساً أبطالا
«إن كان دين محمّد لم يستقم إلّا بقتلي» ما انثنى أو مالا
هجمت سيوف اليائسين وظنهم قتلوا الحسين وكل شيء حالا
أو ما دروا أن الرجال بفكرها تحيى فتوقظ بعدها الأجيالا
تمتد في جنح الظلام سيوفهم لتجذ أيد للفساد طوالا

***

يا شعب شعب الرافدين تحية لك رغم أني أزمع الترحالا
عام يمر وكل نبض جراحه منا يبث شكاية وسؤالا
أنى يضيع دم تقاطر من جوى أيعود حلم الثائرين خيالا
تلك القباب الطاهرات بقدسها عبثت أكف كي تزيل جلالا
ولنا بدور بالدماء تضرّجت حسناء ألبست الدماء جمالا
أيموتُ شعب إن أراد حياته؟ أيباع والمتساومون ثمالى؟
يتربصون بنا الدوائر كلما وجدوا لهم هدفاً رموه نبالا

خسئوا فليس يخيف شعب عراقنا وغـــد لـيـمـنـع غـيـثـه الهـطـالا
قـد عـضّ إصـبـع كـفـه متبجحاً وعـــوي فـــروّع أهـلـه والآلا
أرأيـــت حـاكـم دولـــة عـربـيـة طـعـن الـعـروبـة خـنـجـراً قـتـالا

***

الحـالمـون بـنـا تـطـاول لـيـلـهـم وسـيـوقـظـون مـن المـنـام كـسـالى
والمـنـكـرون حـقـوق شـعـب صـامـد عـمـا قـريـب يـصـبـحـون نـكـالا
قد أكثروا لغط الحديث وما دروا فـالانـتـفـاضـة خـيـبـت آمـالا
إن قيل ما هي معطيات قضيتي؟ فـأجـبـت مـفـتـخـراً أرد مـقـالا
يـكـفـي بـأنّـا قـد شـددنـا أزرنـا بـالمـرجـعـيـة ممـسـكـين حـبـالا
لـلـسـيـد الخـوئـي نـفـدي أنـفـسـاً نـمـشي عـلى جمـر الـوغـى أبـطـالا
وبـعـزمـه إنّـا قـطـعـنـا دابـراً لـلـمـعـتـديـن فـزلـزلـوا زلـزالا

فادحة الخطوب

الشيخ إبراهيم النصيراوي

ستـبـقـى رغـم فـادحـة الخـطـوب مـشـعـاً بـالـشـروق وبـالـغـروب
فـروحـك لـلـخـلـود سـعـت بـرفـق وأنـت تـعـيـش في وسـط الـقـلـوب

تركت الخافقين ينوح حزناً عليك من الشمال إلى الجنوب
طويت العلم عملاقاً فريداً فكيف طويت عادية الكروب
فرحنا يوم بشرنا المنادي بأنك قد شفيت من اللغوب
حمدنا الله أنّ المجد صينت منابرهُ برونقها الشبوب
ولما عمّ ساحتنا سرورٌ وطار بجُنحه أمل الرقيب
أبت نوبُ الزمان تحيد عنا رمتنا فيك باليوم العصيب
فحلّ اليأس وارتعشت نفوس وقدّ الصمت ألسنة الشعوب
وكنا نرتجيك تهز كفاً مع المهدي بالفرج القريب
وكنا نرتجيك لنا عماداً ترد العاصفات من الهبوب
ملاذاً للشريعة وهي حيرى بأنّ لواءها بيدٍ عضوب
عرفنا اليتم لما غبت عنا فيا نفس اذهبي أسفاً وذوبي
رأينا الأرض بعد ضياك قفرى وشمس الصبح في وجه كئيب
وهب الحالمون وقد أفاقوا بنشر مدائحٍ بفم كذوب
وراح يرتل الأحزان رهط أدافوا السم بالعسل المشوب
فناحوا والقلوب تصبّ حقداً قد افتقدوك بدراً في المغيب
عذرت اللائمين وهم صغارٌ وفكرك قد يشق على اللبيب
لقد نضحوا عليك بضيق صدر وأنت نضحت بالصدر الرحيب
فيا قطب العلوم تركت جيلاً تطلّع للكفاح وللوثوب

رأوك قيادةً عملت بصدقٍ ... أبياً قد طهرت من العيوب

تركت العلم والعلماء حيرى ... وأهل الحق في أمر مريب

وهُدّ الركن وانفصمت عرانا ... فبحر العلم آبَ إلى النضوب

فمن للمعضلات وقد ألمّتْ ... بهذا الدين أنواع الخطوب

فقدنا فيك مدرسة تجلت ... بفكر لا نظير له دؤوب

فيا (عبد المجيد) وأيّ شكوى ... أبثُّ إليك من قلبٍ وجيب

تصبر إنّ فاجعة كهذي ... تشيب الرأس من قبل المشيب

إذا ذرفت عيونك دمع وجد ... فعين الدين تذرف بالنحيب

فكم باك يئن وكم ثكالى ... تجاوبُ مثلما حرّى القلوب

وكم من ناشراتٍ شعر حزن ... أبيح لرزئها شقُّ الجيوب

وعزّ به (التقي) وقل بشجوٍ ... سلامٌ للغريب من الغريب

سلامٌ بالدموع وبالتعازي ... لمفجوع بخير أب مهيب

عليك وأنت في ضنك الرزايا ... تودع والهاً جسم الحبيب

عجبتُ بأنّ هذا الرحب ذرعاً ... يضيق بفكره الجمّ العجيب

فكيف حواه قبرٌ؟ لست أدري ... وكيف ينام في الزمن القطوبِ؟

فقيد الأمة

الدكتور محمّد صادق العدناني

جرى القضاء فأضحت بعدك الدار ... قفراً وغاب سنى للدين نوار
وقد هوت خيمة كنت العماد لها ... وقطبها ورحى الإسلام دوار
وكنت كالشمس في دنيا العلوم وقد ... رنت إليك من الأقطار أبصار
فلا غرابة أن يخشاك ذو ضعة ... ولو تحوطه جند وأنصار
فأنت حر أعز الله جانبه ... فطالما أرهب الأوغاد أحرار
وإن دفنت بجنح الليل لا عجب ... كذاك قد دفن الزهراء كرار
وجدك الحسن المسموم حين رمى ... رفاته بسهام الحقد أشرار
وفي الطفوف وسبعون تقدمهم ... أبو الإباء وجيش الغدر جرار
ضحّى بهم لتنير الدرب سيرتهم ... ويستقيم سبيل دونه ثاروا
بقوا ثلاثاً وذاري الريح كفنهم ... ومسرحاً لخيول البغي قد صاروا
وبعد ذلك قد صارت مراقدهم ... يحجها بعد بيت الله زوار
وشانئوهم فهل تلقى لهم أثراً ... وما تبقى ففي تاريخهم عار
وباء بالخزي والأجيال تلعنهم ... وسوف تلعن من في ركبهم ساروا

وجرح فقدك قد زاد الجراح أسى ... فأجّجت في بقايا الروح أوار

فها هو الوطن المكلوم قد نهبت ... خيراته واستبيحت فيه أمصار

وشرد البعض من أبنائه وغدا ... بعض يلوذ وقد ضمته أهوار

وفي مخطط تجويع ومعتقل ... والآن قوض بالإعدام تجار

وجاثم فوق صدر الشعب قاتله ... وينحني خانعاً إن جدَّ إنذار

ونحن ما زادنا إلّا تفرقنا ... فظن ضعفاً بنا فاستأسد الجار

ملوماً وبقطع الماء هددنا ... أما درانا إذا ثرنا فإعصار

وما درى نحن كالأفعى إذا ظمأت ... وعن حمانا فلا لن يترك الثار

(أبا التقي) فعذراً قد أهاج دمي ... ما نابنا فدم المفجوع فوار

فإن فقدنا رفاقاً منك طاهرة ... فروحك الطهر في الآفاق معطار

وقد تركت من الجلى بلا عدد ... وخالدات بدنيا العلم أسفار

وقد أشدت من الآثار عامرة ... هذي الصروح ففيها منك آثار

هي المنارات في شرق ومغربه ... ما مات من لبيوت الله عمّار

والسادة الغر أنجال بهم خلف ... لنهجكم ولنا سلوى وتذكار

وفيهم الباقيات الصالحات ومن ... ينمي إليك فهم لاشك أبرار

أبا مجيد تنعّم في الجنان وكُنْ ... مع النبيين فالأخرى هي الدار

وفي الخلود وقد حاطتك كوكبة ... من الأولى خيروا أنعم بما اختاروا

فمنهم (الصدر) و(البصري) عارفنا ... والسابقون فسلمان وعمار

وسوف تجزى بما لاقيت من عنت فالصابرون لهم عقبى ومقدار

خذوني إلى وادي الغري

الدكتور محمّد صادق العدناني

خذوني إلى وادي الغري خذوني ولو بين أحزاني هناك ذروني
خذوني لواد فيه آدم نازل وأصحاب نوح من نجو بسفين
وفي رحبه قد ضم هوداً وصالحاً وأرماس من مروا به لقرون
خذوني إلى باب لخير مدينة لعلم رسول الله خير أمين
خذوني لأرنو نحو قبة حيدر وأشكو إلى مثواه بعض شجوني
أقبل أعتاباً هوى التبر عندها وأكحل من زاكي التراب عيوني
دعوني إلى جنب الضريح وباعدوا فعلّي بطيف ما افتقدت يريني
فقد باعدت بيني وبين رحابه على مضض مرت عجاف سنين
فإني تركت الأرض لست مخيراً وأحمد ربي قد نجوت بديني

***

خذوني لوادٍ بارك الله حوله خذوني إلى وادي السلام خذوني
خذوني لحيث الطهر والجود والتقى وأعظم كنز للعلوم دفين

فقد ضم من أعلامنا كل طاهر ... ومعتصم فذٍّ بحبل متين

ففي ما يلي (باب العمارة) مرقدٌ ... (لعدنان) شيخي عنده فدعوني

وفي مسجد الهندي قبرٌ (لمحسن) ... حكيم بأبعاد العلوم مكين

ولا يبعد (الطوسي) عن حائر الحمى ... فهم كليوث قد أووا لعرين

ومثوى الشهيد الصدر إن كان خافياً ... فقد حلّ بين محاجر وجفون

ورام يزيد العصر إخفاء ذكره ... فباء بخزي دائم ومبين

وكادوا وشاء الله إظهار نوره ... فنور الهدى لا يختفي بمنون

وآخر من وافى الحمى عَلَمٌ سمى ... فليس له في عصرنا بقرين

أبي القاسم الخوئي ذو الحلم والحجى ... تجلى برأي ثاقب ورصين

وفي حالك الأزمان لم يبرح الحمى ... وكان رهين الدار شبه سجين

وما راعه يوماً توعد غاشم ... جبان طغى بعساكر وسجون

فليس سوى الإيمان كان سلاحه ... فرد بصبر ثابت ويقين

فغادر دنيا لا دوام لزهوها ... وحل بحصن بالجلال حصين

وفي مسجد الخضراء قد حط رحله ... ليبقى على قرب لخير بطين

وخلّف آثاراً من العلم جمةً ... بفقه وتفسير وشرح متون

وأسس في شتى البلاد معاهداً ... لتعنى بفكر نيّر وبدين

فما مات من كان (البيان) تراثه ... ولما يكن في كفه بظنين

فطوبى له في الخالدين وإنه ... سيسقى بكأس كوثر ومعين

سـلام عـلى مـثـواه مـا هـل فـرقـد ومـا حـمـلـت مخـلـوقـة بـجـنـين

من وحي الذكرى

الدكتور الشيخ أحمد الوائلي

مـرّ عـام كـلـيـلـة إذ تمـر والـرؤى حـيـة ونـبـعـك ثـر
وكـأن الـدنـيـا كـمـا هـي حـال لم يـفـرق مـا بـيـنـنـا فـيـه قبر
يـرفـض الـذهـن أن يـصـدق أن المـوت واراك في الـثـرى أو يقر
لم تـزل عـنـدنـا وبـالـسـمـع صـوت مـنـك نهـفـو لـه وبـالـوعـد فكر
حـولـك الجـمـع ينـهـل الـعـلـم نهلاً فـهـو ظـام وأنـت لـلـعـلـم سفر
والكيان الـوقـور والشيبة البيضاء والـوجـه مـثـلـمـا رفّ فـجـر
مجـلـس كـل مـا بـه الـرشـد والـنـور وأفـق بـكـل مـا فـيـه طـهـر
فكأنا نعيش في مسجد الخضراء والـبـحـث صـاخـب مـسـتـمـر
وعـلـيّ بـجـنـبـنـا في ضـريـح يـتـهـامـى عـلـيـه نـور ونـور
والحـشـود الـتـي لـدارك تسعى وبهـا لـلـعـطـاء والـعـلـم فقر
فـلـهـم مـنـك بـالأبـوة عـطـف ولـقـد كـانـت منـهـم كـمـا شئت بر
وتـدٌ مـا يـزال مـلء عـيـوني أنـت فـيـه وحـولـك الـنـاس صـدر

تغمر الوافدين رفداً ولطفاً وثدي الكرام بالرفد غمر
والمصلون خلف محرابك الخاشع صمت مغرد فيه ذكر
صور لم تزل على الذهن تترى شاخصات لهن مجد وفخر
سوف تبقى حبابها دون حد من سنين فليس للعلم عمر
في مجال الأذهان فكر وفي العين جلال وفي الصحائف سطر
يا ترى هل تعود فينا الليالي لعلي والليل يجلوه بدر
وأفاويق العلم من جعفر الصادق يروي العطاش فهن در
ويعود القرآن والسنة الغراء في الظل منهما مستقر
وعلوم لدى مدارس آيات صداهن هادر منه نبر
ذاك ما نرتجيه رغم جحيم نصطليه فالدهر كرّ وفر

تجليات الفكر

إبراهيم العاتي

نبع من الفكر أم نور من الكلم أنار ضوء سناه داجي الظلم
تحلقت حوله الأذهان ساهرة أغفت نجوم الدجى تعبى ولم تنم
الواردون لنهر العلم مشربهم عذب وإن شابه شيء من السقم

يستعذبون رؤاه وهي ترهقهم ويقطفون الجنا في سورة الألم
آمنت بالعلم نبراساً نلوذ به إن طبق اليأس أحيا خائر الهمم

***

يا حامل الهبة الكبرى مكللة بنور أحمد يهدي سائر الأمم
وغارساً في حقول العلم سنبلة وموقداً جمرة الأفكار في الرمم
وسابراً غورها علماً ومعرفة وباسطاً نهجها سهلاً بلا أكم
تلك الغصون بما أعطيت مزهرة من يانع الثمر الزاهي على القمم
ففي البيان يواقيت مرصّعة مما حوى الآي من علم ومن حكم
وفي الحديث جلوت الحق عن نفر كانوا السعاة لنهر سابغ النعم
آلت إليك أمور الشرع تنظمها رأياً فرأياً بعقد غير منفصم
عقد تلألأ في جيد الزمان سنا يستقبل الفجر من إشراقة القلم

***

يا ربوة النجف المكلوم هل بقيت ذكرى وإن طرقت في القلب كالحلم
أم أطبق الحزن في عينيك وانكفأت تلك الشموع ترد الليل في سأم
أين الأحبة غابوا في الثرى كمداً سقت قبورهم سكّابة الديم
هل لي على تربك الزاكي أقبله وأفتدي قبة أهفو لها بدمي
هل لي بقطرة ماء منك أرشفها فيرتوي ظمأ في مهجتي وفمي
بنت الحضارة يا نبعاً تحدر من شرع الإله ليسقي دوحة القيم

من ألف عام ودنيا العلم قائمة ... بما أفضت وما أسديت من نعم
كنت الوفية للإسلام معتقداً ... وللعروبة كنت الواصل الرحم
وللعراق بذلت النفس دامية ... ضد الغزاة ليعدو آمن الحرم
لو كنت في بلد تزكو أطايبه ... لصرت في ربعه ناراً على علم

صدى الناعي وداعاً

الشاعر نزار البصري

هبيني صدى الناعي فؤاداً معذباً ... ونوح أسىً في الخافقين تلهّبا
هبيني حشاشات تطايحن والثرى ... على كوكب في حاضن الترب غُيبا
وصبّي دموع الحزن جمراً لعلها ... تشذب آهاتٍ تفجرن نحّبا
فقد ودعت دنياي إنسان عينها ... فعسعس فيها الليل شرقاً ومغربا
هوى نجمنا الزاهي فأطبق ليلنا ... رعيباً وهذا الدرب ما زال مرعبا
فسوط بني سفيان أدمى ظهورنا ... وأنشب فينا الظلم ناباً ومخلبا
فقدناك فقد الظامئين كؤوسهم ... وفقد الرؤى الحيرى شعاعاً مُجربا
ألفناك تسعيناً عجافاً وما غفا ... بذهنك صبح كان للعلم مركبا
تمنيت لو ضمّ الثرى ألف كوكب ... وما ضم في عينيك فجراً مُذهبا

مسجى وإياك الزمان لأنه بنعشك لما سار أقعى وحدّبا
حنانيك دعني أستبيح صبابة من العمر عاث القهرُ فيها وخرّبا
ففتياك ثكلى والغريّ مغيّبٌ ومحرابك المفجوع في حومة الصُّبا
وشعب يصدّ السيف نزف جراحه وتعنو له الأحقاد أن يتشعبا
حنانيك يا نبع الهدى إنّ في دمي عويلاً يريد الجمر أن يتوثبا
فقد يتعب الماشون من كثرى السرى وقد يبصرون الشمس في الأفق غيهبا
أبا القاسم الخوئي وداعاً وإنني أودع في مسراك صرحاً مخضّبا
إذا ابتعدتْ عنا خطاك فإننا سنلمح من أنظارك الدرب ألْحبا

ذكرى رحيل الإمام الخوئي

السيد فاضل جمال الدين

إذا أقول وفي الشفاه ذبول أم كيف أكتب والبنان عليل؟
والدهر ما أبقى لدي خواطراً حتى أوفّي حقكم وأقول
وبخاطري أنماط حزن صاخب تجري على الأفكار وهي تجول
لكن دمعي قد تدفق فجأة هذا الإمام وذا المصاب مهول
يا سيدي والشمس في إشراقها أمسى يلف بها السناء أصيل

عشرون عاماً مذ عرفتك سيدي تطغى على طغيانها وتصول
كف كريم تستفيض بجودها ما صافح الكفين منك بخيل
والسيد المسموع كل كلامه يبقى شعاعاً إن نفاه جهول
والحق فيه منافع ومعاجز حيناً يصول وفي المصير فصول
فانعم بأنك في جوار أئمة في الخالدين محمّد وبتول
أطلقتها ياسيدي وبقوة للظلم يوماً والطريق طويل
ما حوّل التاريخ دين محمد كلّا وإن غشيت عليه حؤول
والشعب في أصنافه وسماته صنفان فيه منعم ورميل
والظلم إن دارت على أعوانه جور مع الطاغين فهو شمول
والحزن في شفة الكريم تبسماً يجري على ثغر الضعيف جميل
والسيل يعلو لو أفاض بفيضه لا تعتريه حواجز وتلول
كم راوغوا في ثني همة ساعد ما إن قضى شطر فجاء بديل
والله لا أنسى ترابك موطني حتى يفارقني الحياة رحيل
يا سيدي أججت فينا ثورة عانقت أحراراً وأنت خليل
صارت علينا للجميع مقاصد ردفان بين الواهمين عميل
نبقى شداداً سيدي وبأننا حرب مع الأيام وهي تطول
والرعب في شعبي نراه بصارخ ومصائب في الهور وهي تهول
صرنا شتاتاً بين أشلاء الفلا كم في الشباك وفي السجون فحول

هـــدام لـلأســـيـاد خـــير مـنـفـذ ... مـا حـــدّث الـتـاريـخ فـيـه ذيـول
فـالحـمـل إن زادت عـلـيـه مقاصد ... يـنـهـض بـه الأهـلـون وهـــو ثقيل
والـريـح إن مـالـت عـلـيّ بموطني ... دعـــهـا تهـب ومـــا تـشـاء تميل
في ثـــورة الأحـــرار في شعبانـنا ... ذاك الـفـداء عـلى المـمات دليل
أم أنـت يـا صهيون مـا هـذا الـذي ... تبغيه مـن شـعـب وأنـــت دخيل
يـا حـاقـداً أوصـلـت فـيـه لأمتي ... هـذا المـصـاب ويـرتـضـيـه خبول
رحـتـم تمـنـون الـنـفـوس بغيها ... تخـشـون منـهـا أن تـكـون عـقـول
مـهـما يـكـن في الـبـعـد بـين أحبة ... بـعـد الـثـبـات تـرى الـغـبـار يـزول
ثـارت لـدى الأبـطـال كـل وشائج ... روّت فـــداء والجـهـــاد سبيل
مـا هـانـت الأرواح عـنـد مجاهد ... عـنـد الـصـعـاب ومـا اعـــتراه خمول
والـسـيـف إن طـرقـت عـلى أغـمـاده ... هـــو في أكـــف الـثـائـريـن صقيل
والخـيـل في الهـيـجـا عـلى ركـزاتهـا ... تخـشـى لـصـوت الـسـابـقـين صهيل
نـبـقـى بـعـز شـامخـين حـيـاتـنـا ... مـا خـال أعـدائـي الـسـبـات ذبـول
والـظـلـم لا يـأبـى كـرامـة أمـة ... إن عـاش فـيـهـا خـامـل وكـسـول
يـا حـاملي نـعـش الـغـريـب تيقنوا ... أن الـفـقـيـد مـوقـر وجـلـيـل
تخـشـون في التشييع صـرخـة أمـة ... في حبس أنـفـاس الـشـعـوب فضول
فـالـصـدر مـات مـضـــرج بـدمـائـه ... هـــو في الـــتراب مـعـذب وعـلـيل
يـا أمـــة الـــقـــرآن في أعـنـاقـكـم ... ثـــار وهـــذا الـعـار فـيـه غسيل

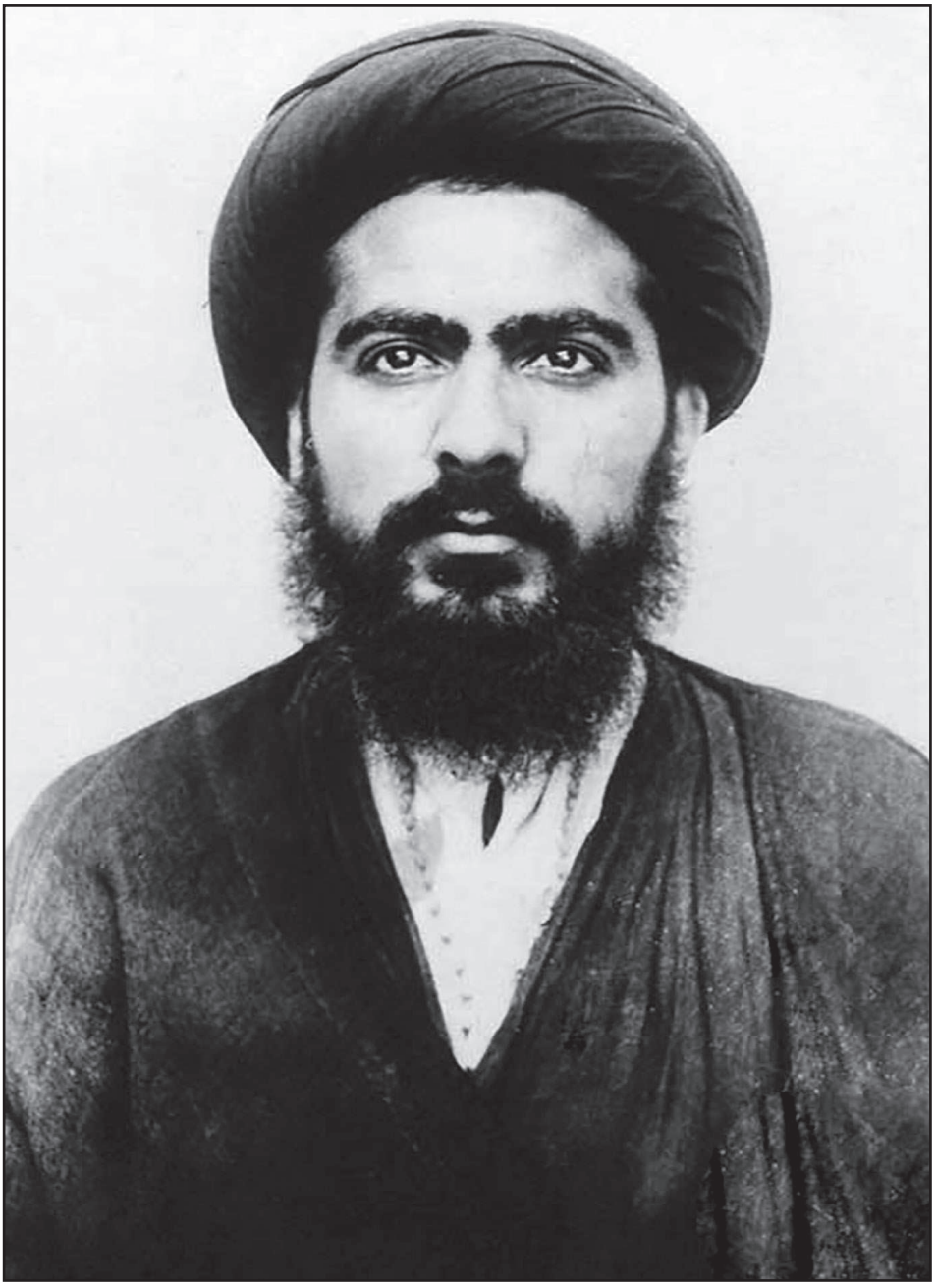
أم المصائب والأسى بمصابكم في كل آن للطغاة ثكول
فمضى يزيد ملطخ بجرائم هذا الحسين وذا يزيد ذليل
هذي القباب الشامخات بغرّة جاء الشباب تبركاً وكهول
إنا سنبقى رافلين بحبكم لا يعترينا جازع وملول
حتى نحقق بالفداء طريقنا إن القصاص من الجناة غليل

على قبر الخوئي

الشيخ الدكتور محمّد حسين الصغير

كتب هذه الأبيات ونقشت على القاشاني المقام لقبر السيد الخوئي طاب ثره في النجف الأشرف.

لما اصطفينا للهدى مضجعا وأصبح الخوئي فيه دفين
ومن علي قد دنا موضعا وهكذا عاقبة المتقين
نُودي فاهتزّ لها مسمعا إنا فتحنا لك فتحاً مبين
وأنشد التاريخ «لما دعا أزلفت الجنة للمتقين»

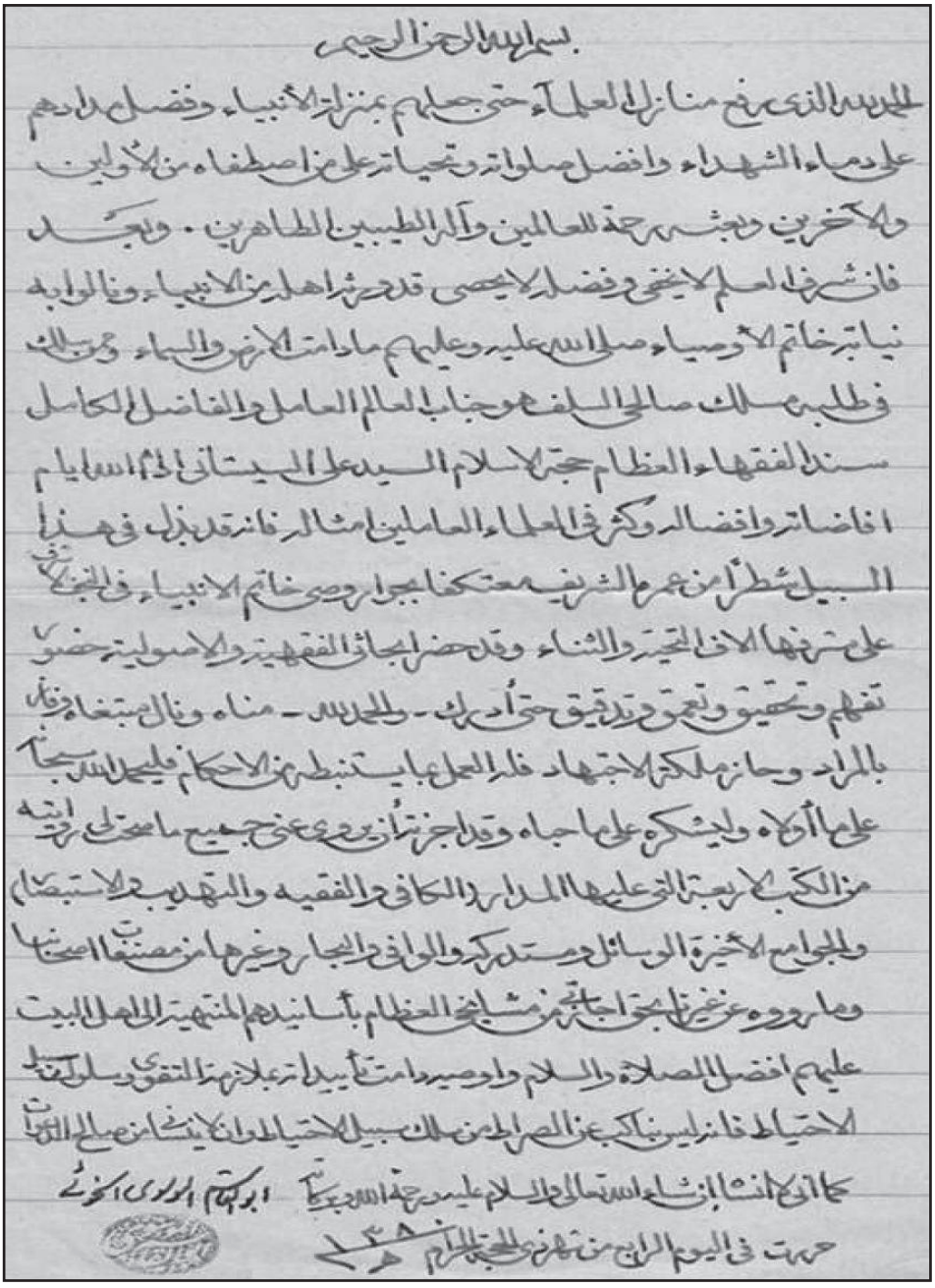


الإمام السيد أبي القاسم الخوئي قدّس في شبابه

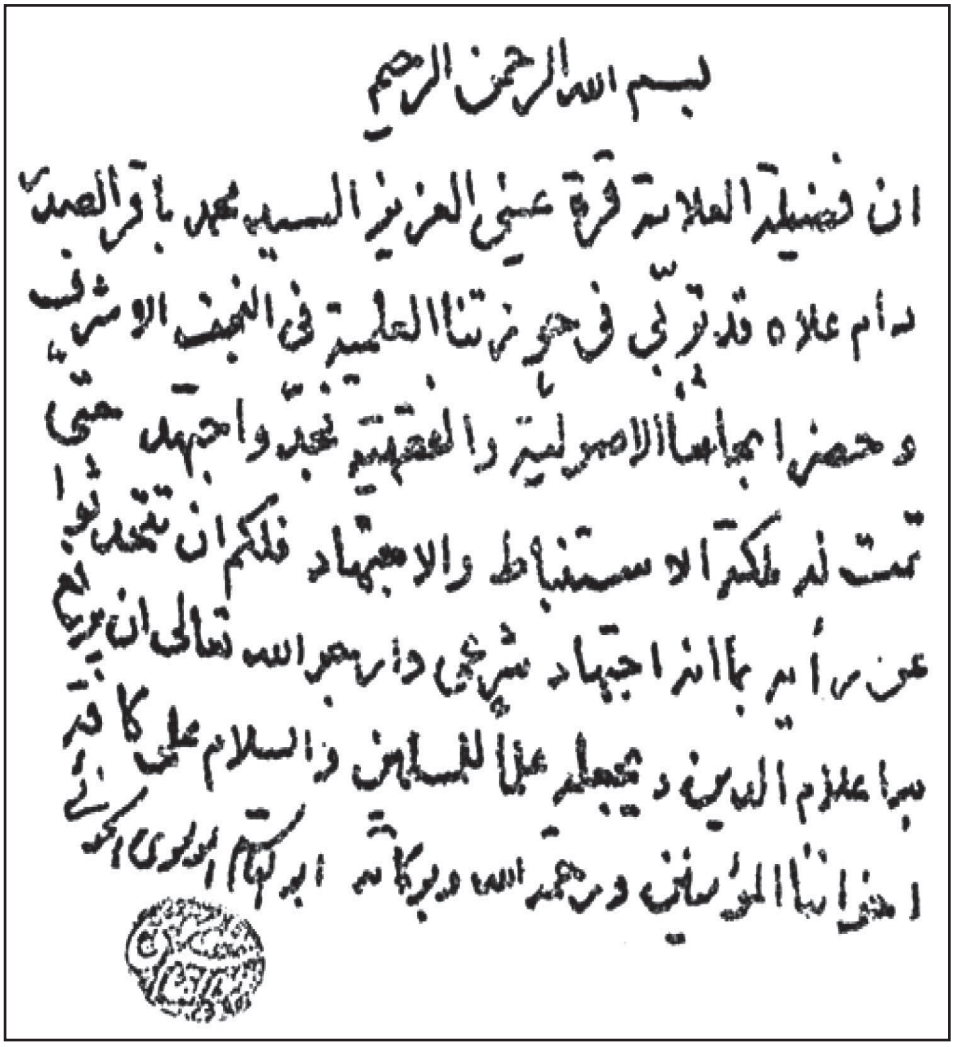
وثائقٌ وصورٌ

من أرشيف المرجع الراحل

الإمام السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره

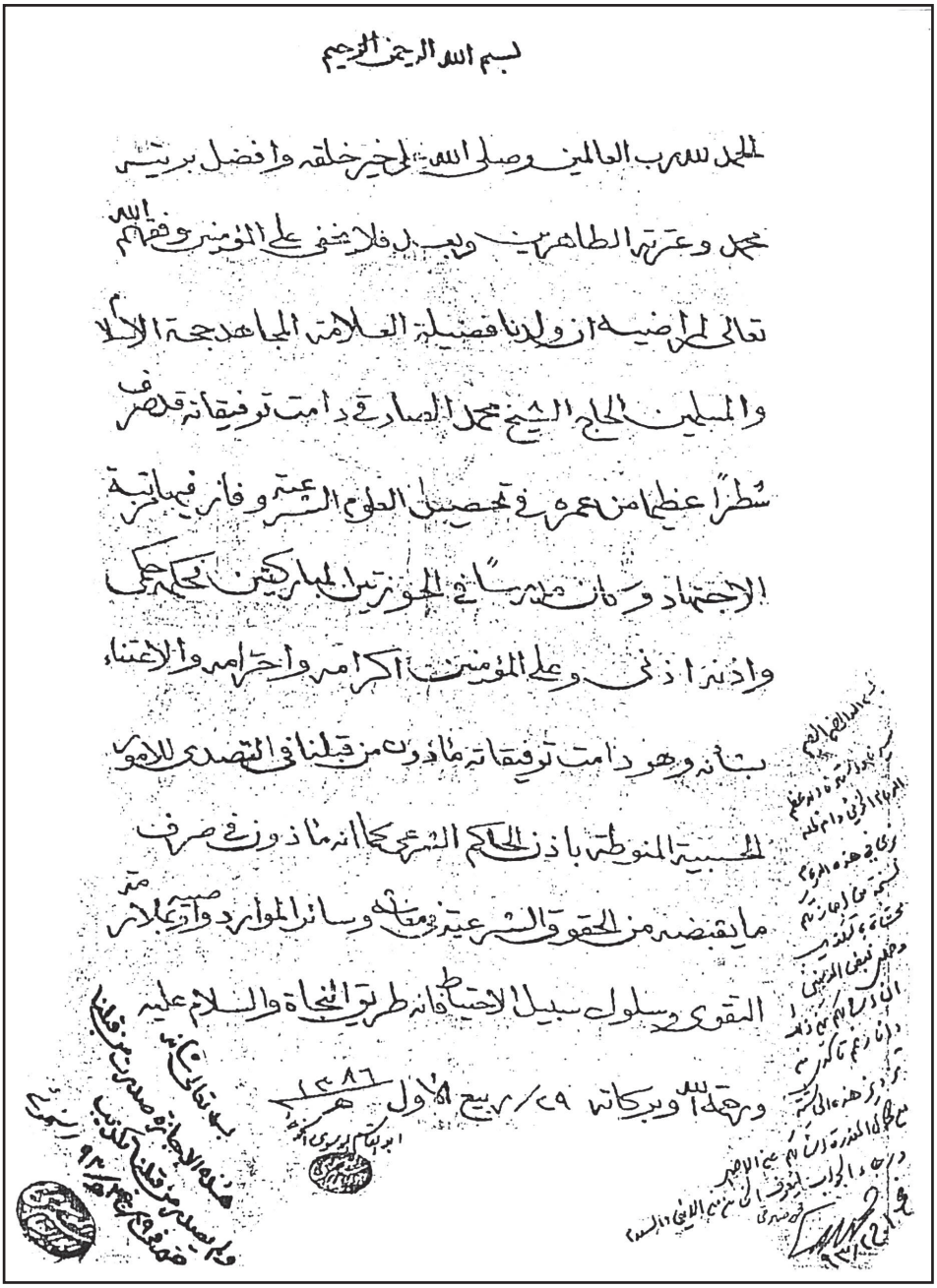


إجازة السيد أبي القاسم الخوئي قدّس الى المرجع الديني السيد علي السيستاني قدّس


بسم الله الرحمن الرحيم

ان فضيلة العلامة قرة عيني العزيز السيد محمد باقر الصدر
دام علاه قد تربى في حوزتنا العلمية في النجف الاشرف
وحضر ابحاثنا الاصولية والفقهية فجد واجتهد حتى
تمت لديه ملكة الاستنباط والاجتهاد فلكم ان تتحدثوا
عن رأيه بما انه اجتهاد شرعي وادعو الله تعالى ان يرفع
به اعلام الدين ويجعله علما للمسلمين والسلام على كافة
اخواننا المؤمنين ورحمة الله وبركاته ابو القاسم الموسوي الخوئي

إجازة السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره الى المرجع الديني السيد محمد باقر الصدر قدس سره



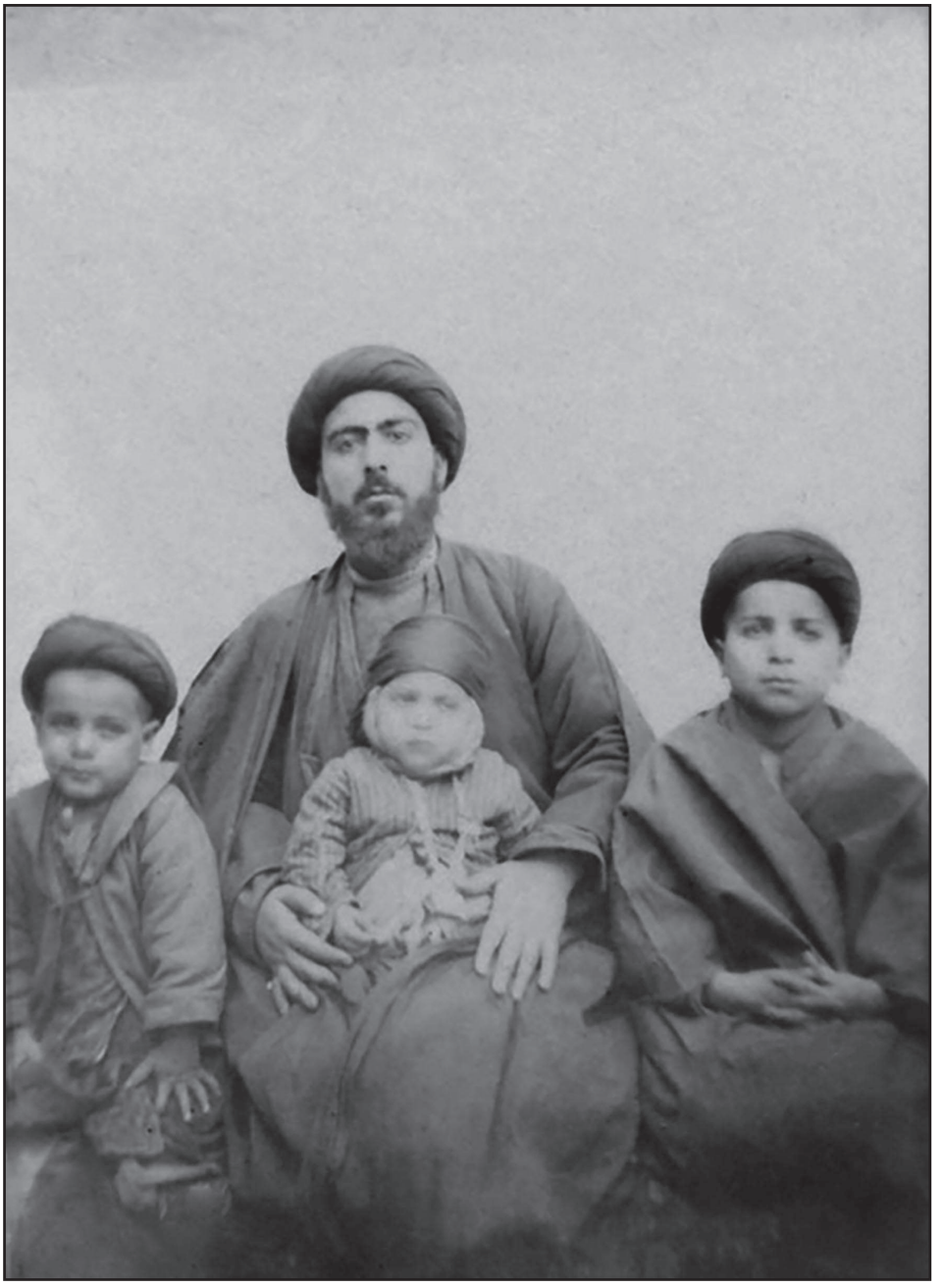
إجازة السيد أبي القاسم الخوئي قدّسَ الى الشيخ محمد الصادقي في الأمور المالية



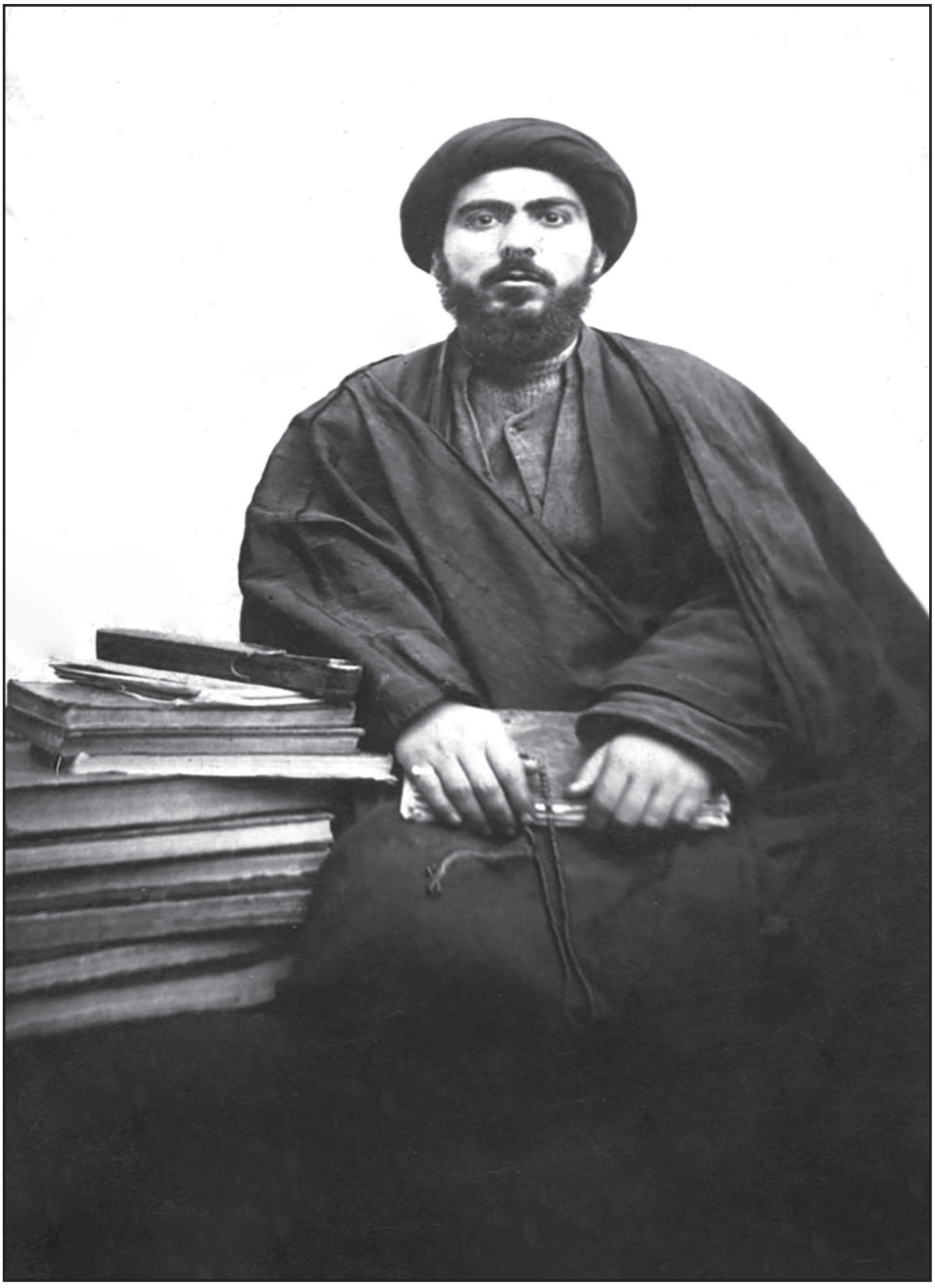
إجازة السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره الى المرجع السيد تقي الطباطبائي القمي قدس سره



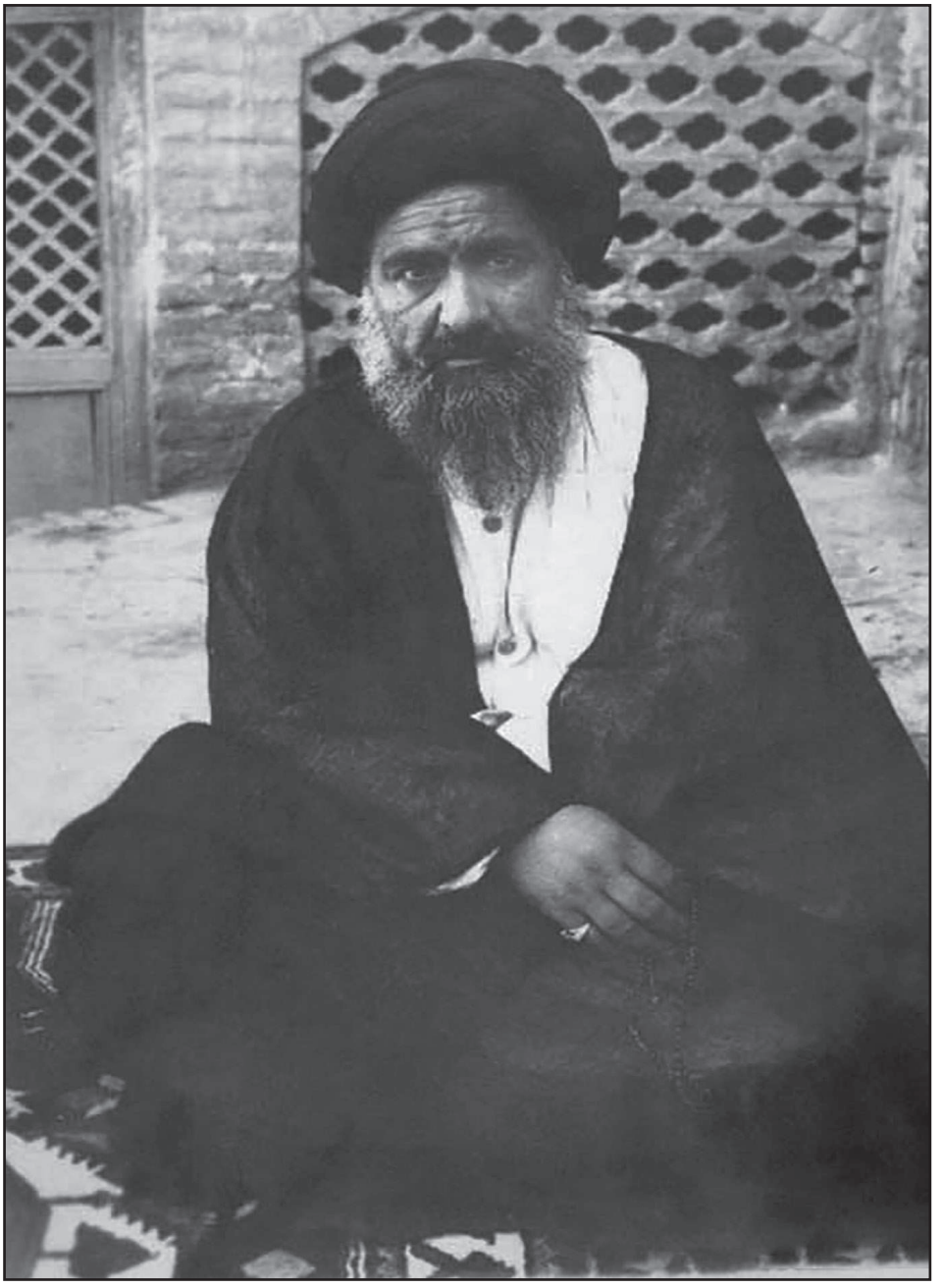
إجازة السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره الى آية الله الشيخ الميرزا علي الفلسفي قدس سره



السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره أيام شبابه مع أولاده



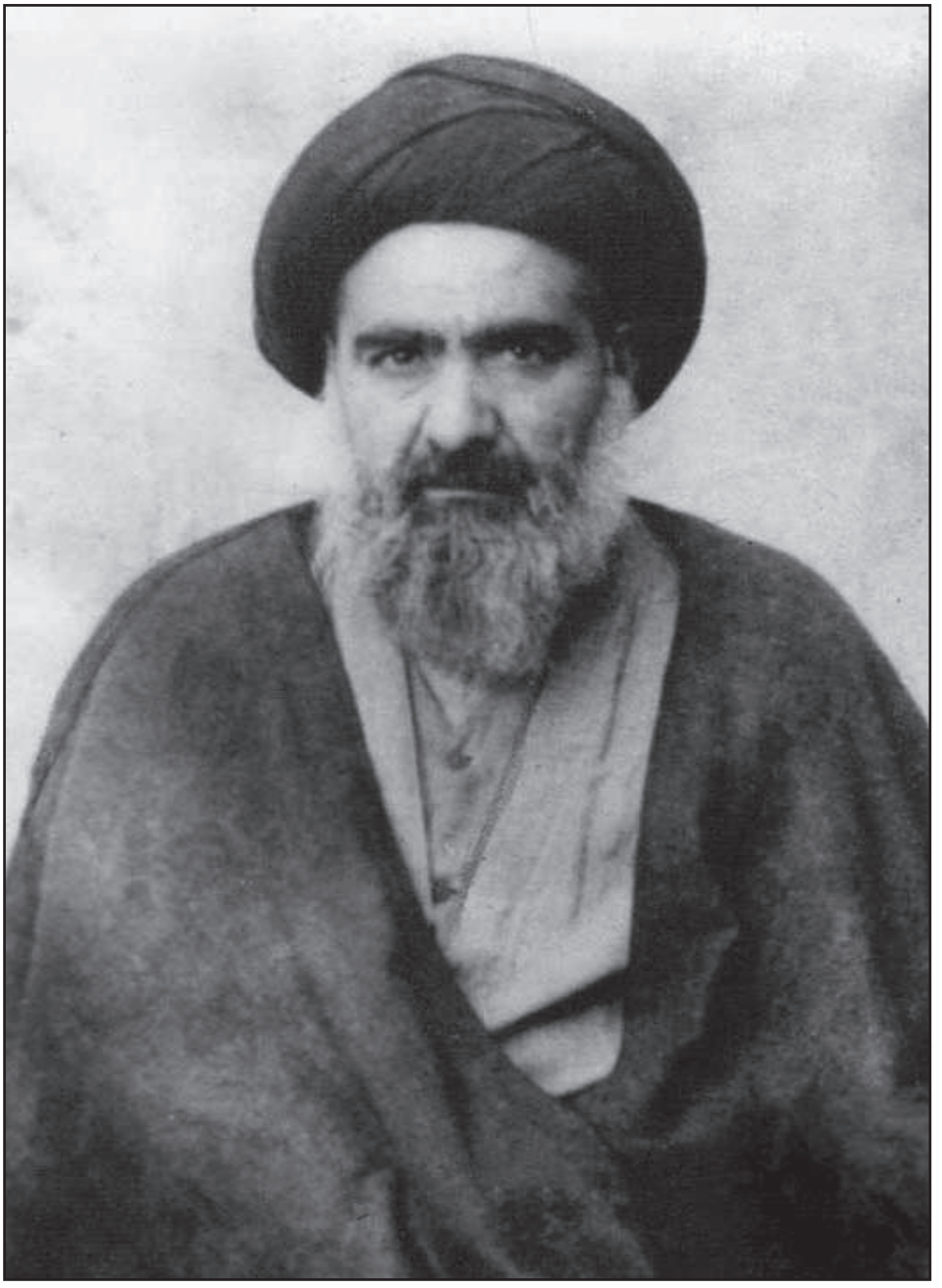
السيد أبي القاسم الخوئي قدّس سرّه أيام شبابه



السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره في الأربعين من عمره الشريف



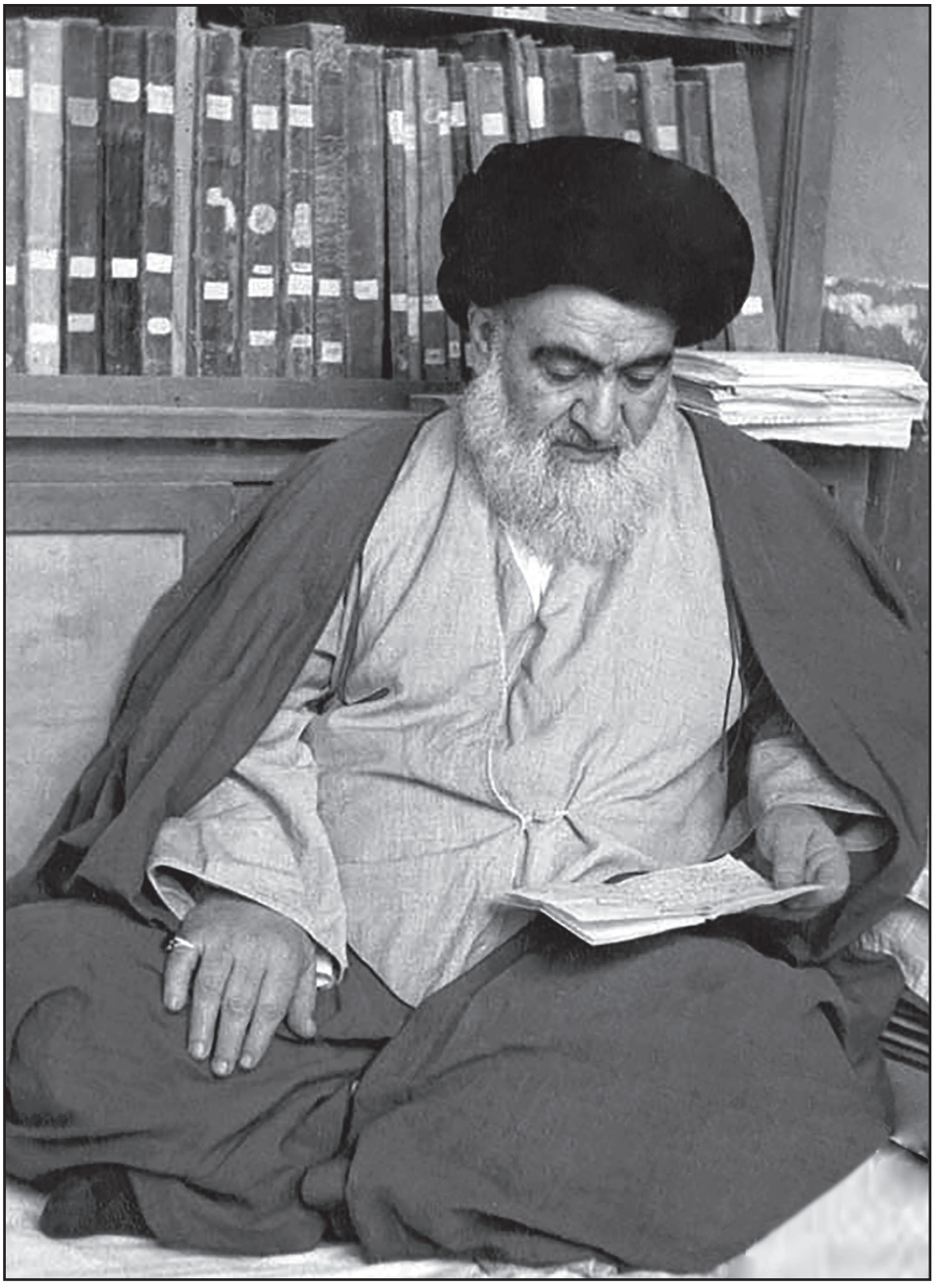
صورة تذكارية للسيد أبي القاسم الخوئي قدّس سرّه في صورة عائلية



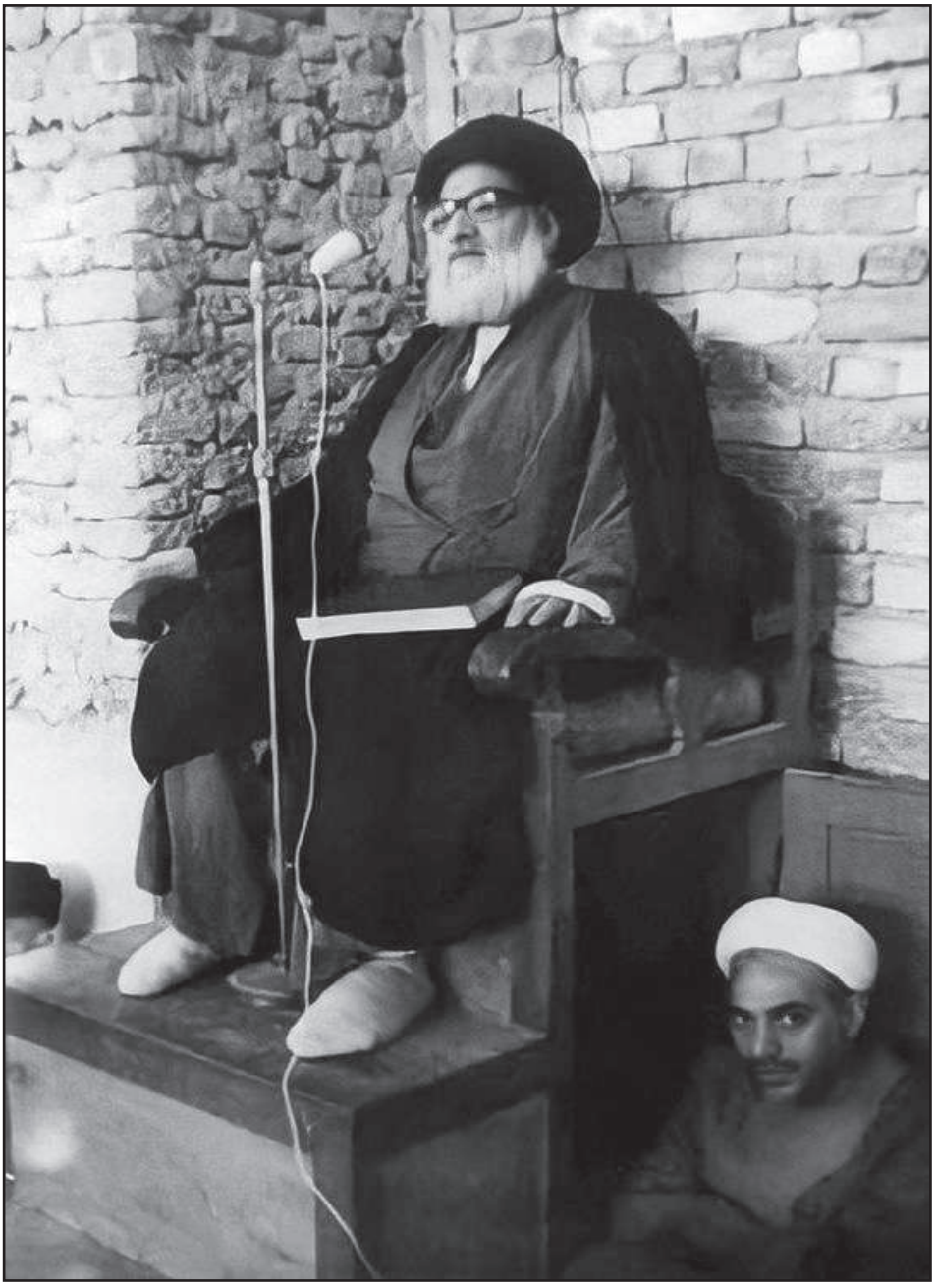
السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره في صورة تذكارية



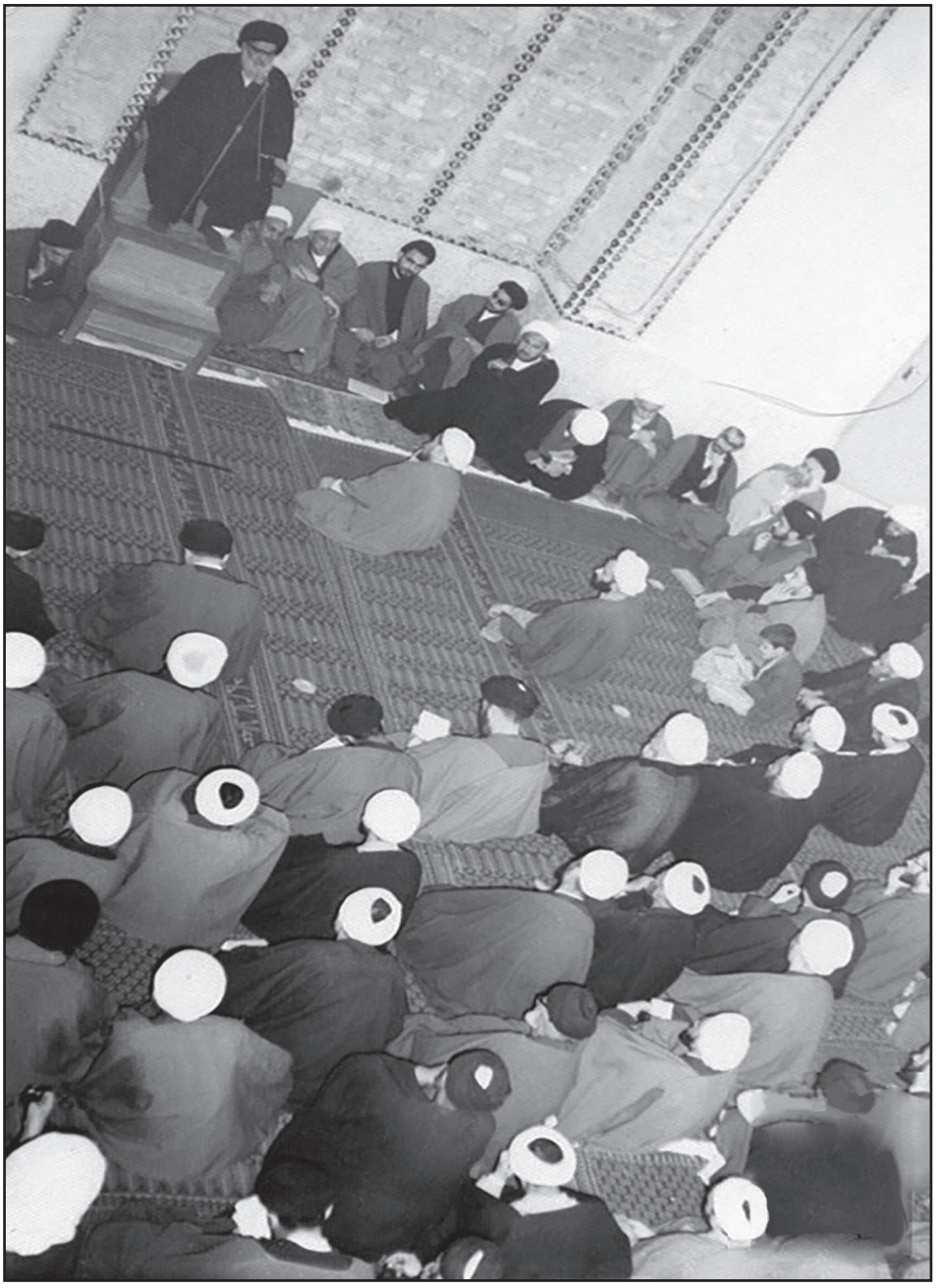
صورة نادرة تجمع آية الله السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره مع آية الله السيد عبد الله الشيرازي قدس سره



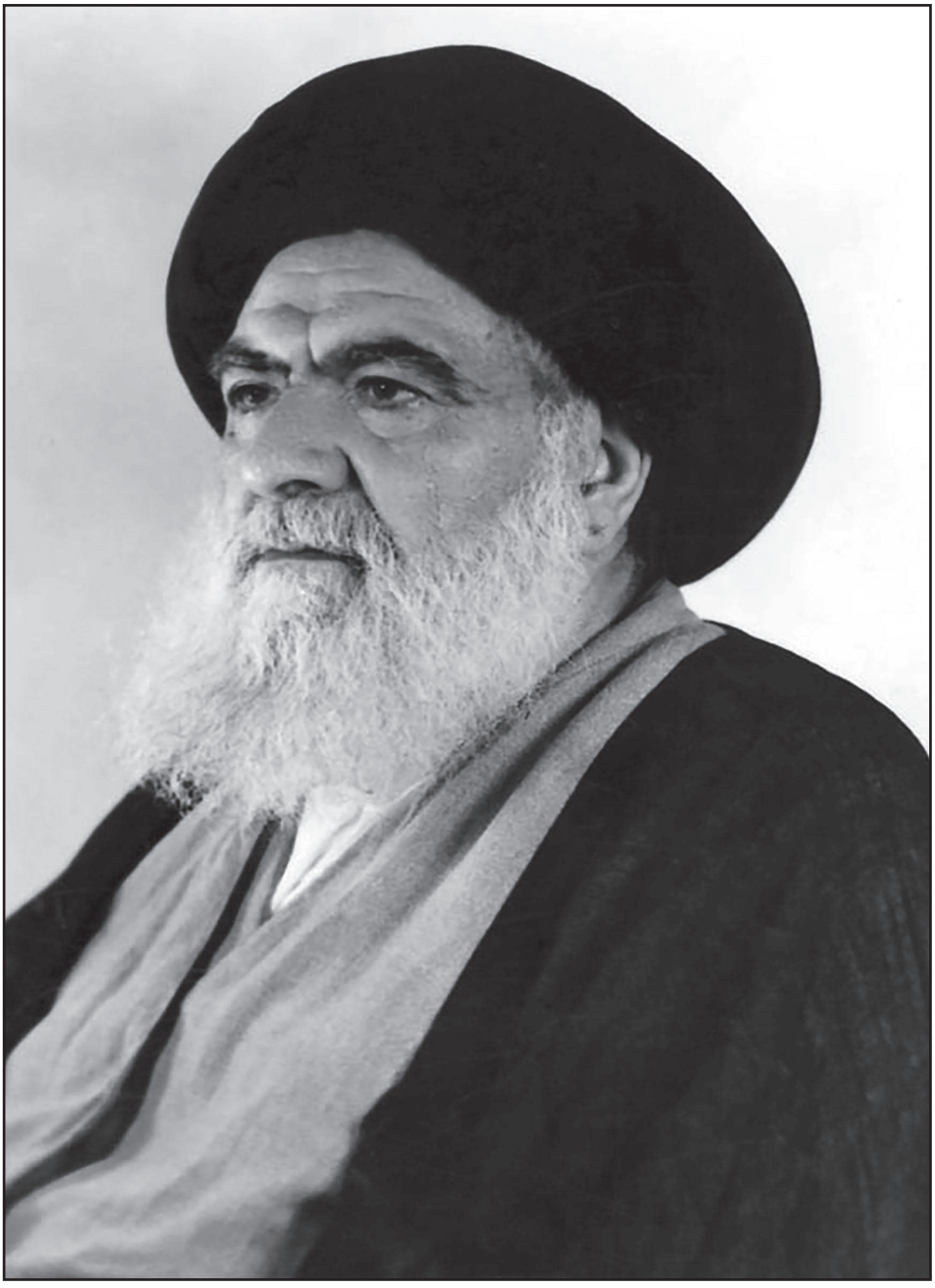
الإمام السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره جالس في مكتبته



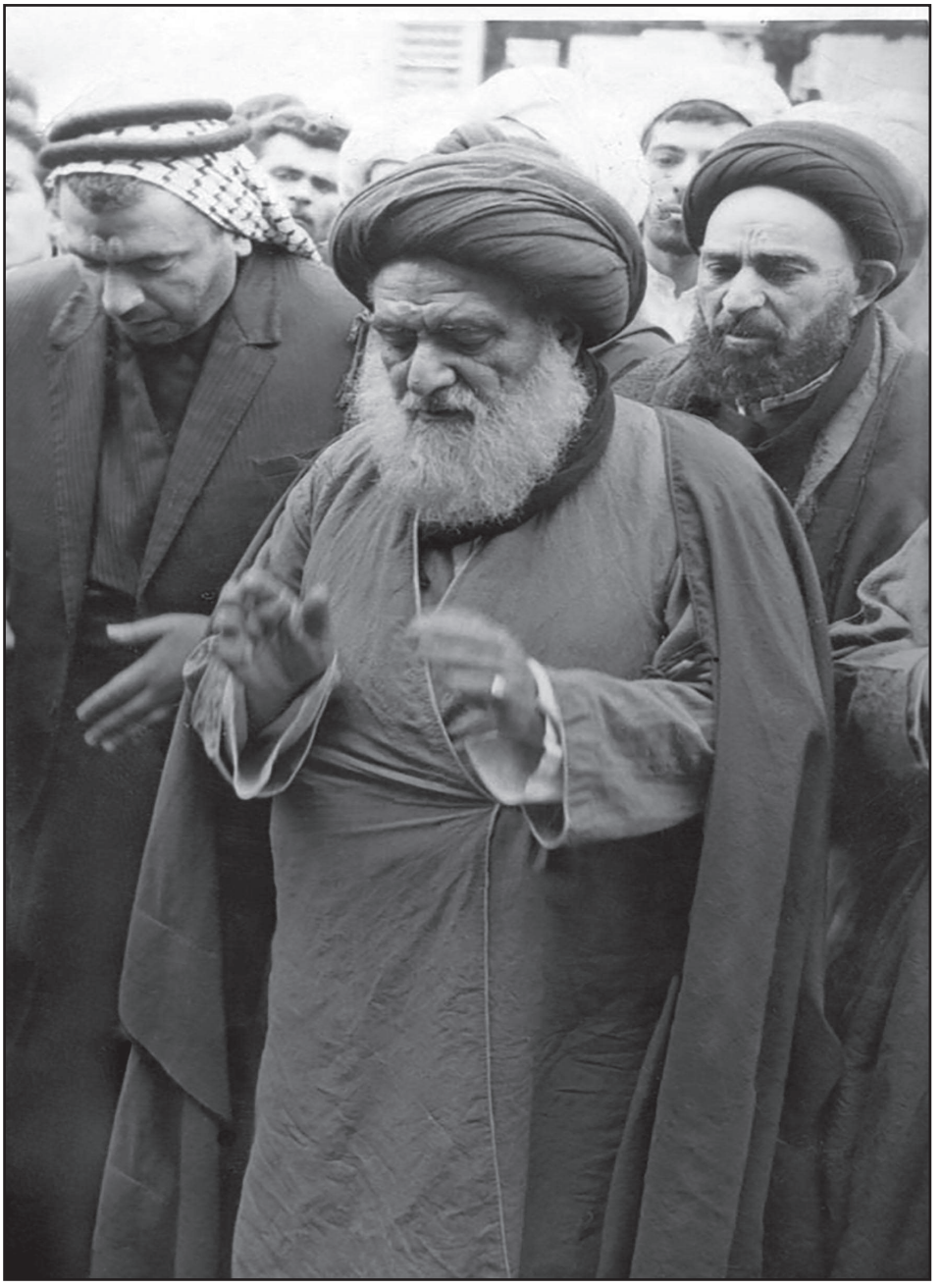
صورة نادرة للإمام السيد الخوئي قدّسُ على منبر (البحث الخارج) في جامع الخضراء بالنجف الأشرف



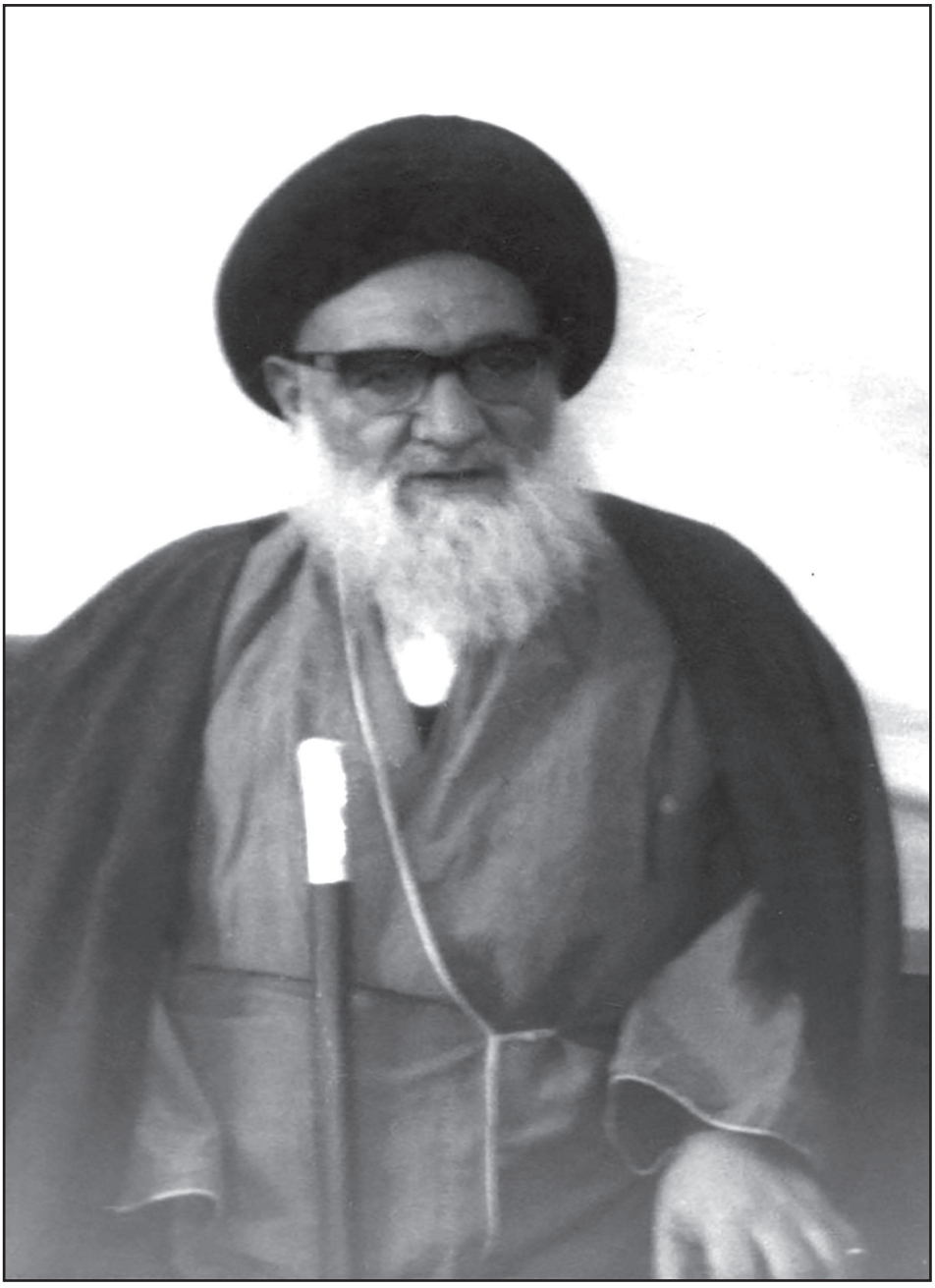
الإمام السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره كعادته على منبر البحث العلمي في جامع الخضراء بالنجف الأشرف



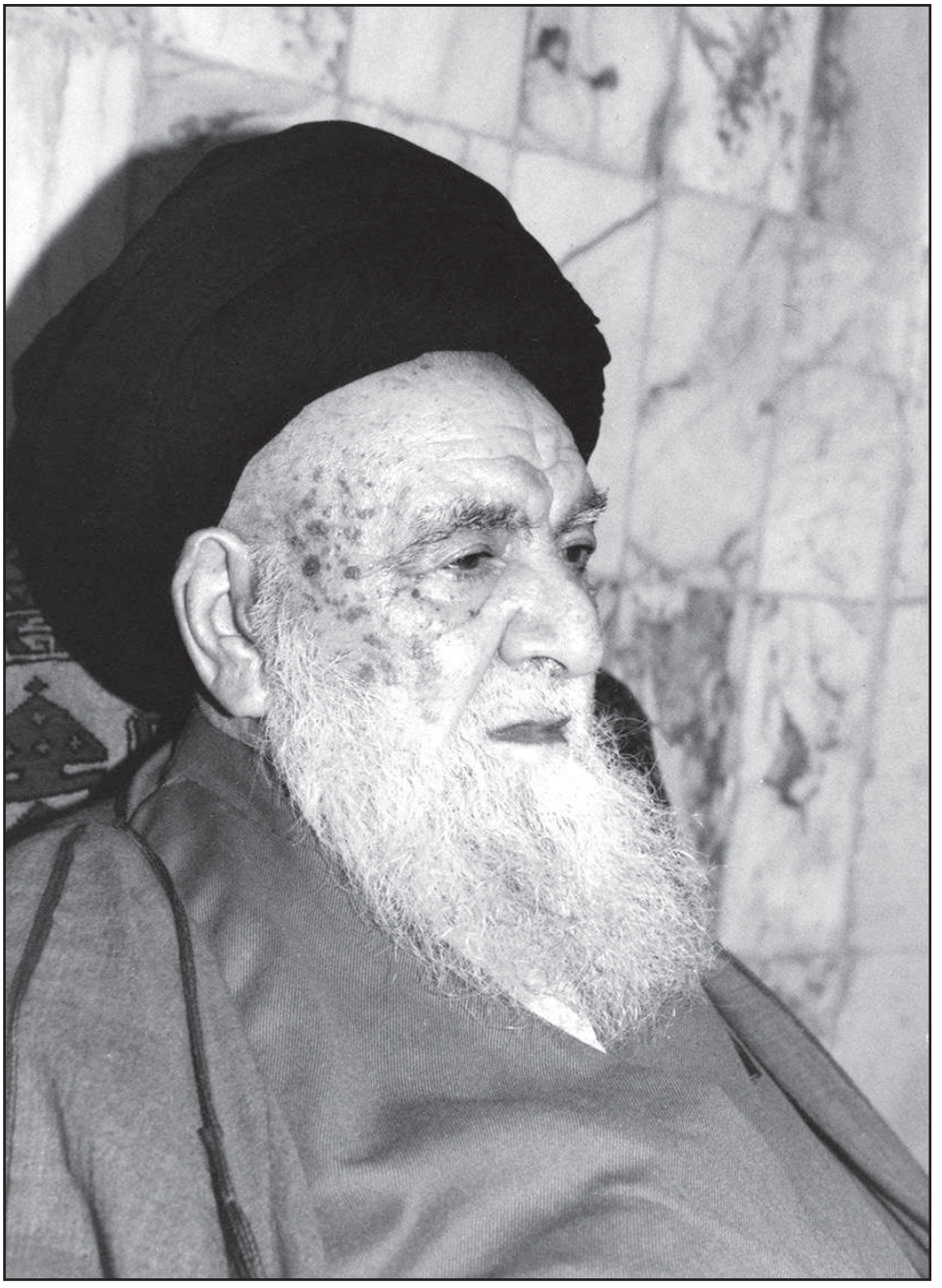
الإمام السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره في سبعينيات القرن الماضي



السيد الخوئي قدس سره في الصحن العلوي الشريف أثناء تأدية إحدى صلوات الجماعة



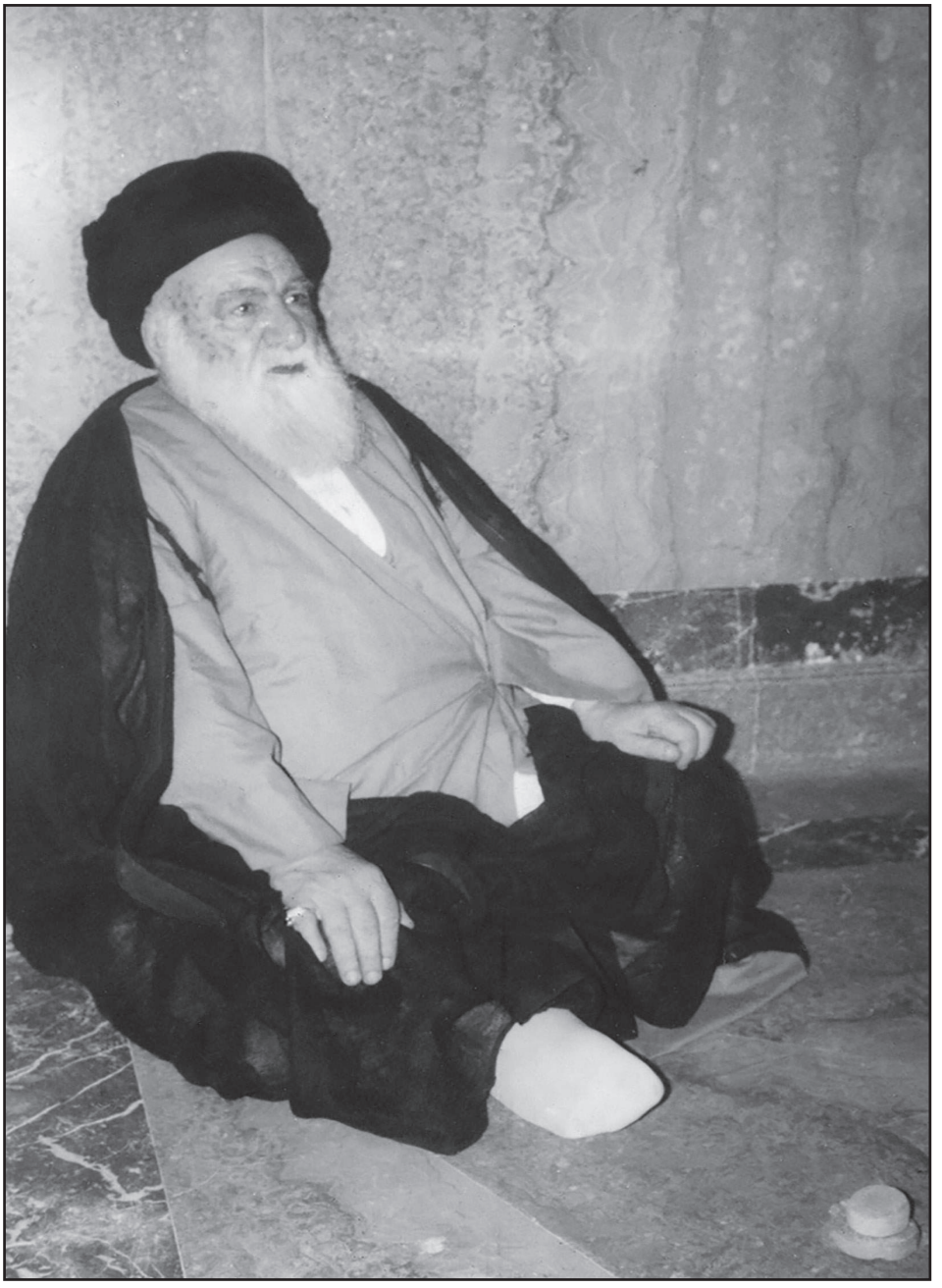
صورة أخرى للإمام السيد أبي القاسم الخوئي قدّس سرّه في سبعينيات القرن الماضي



الإمام الخوئي قدس سره في أواخر أيامه



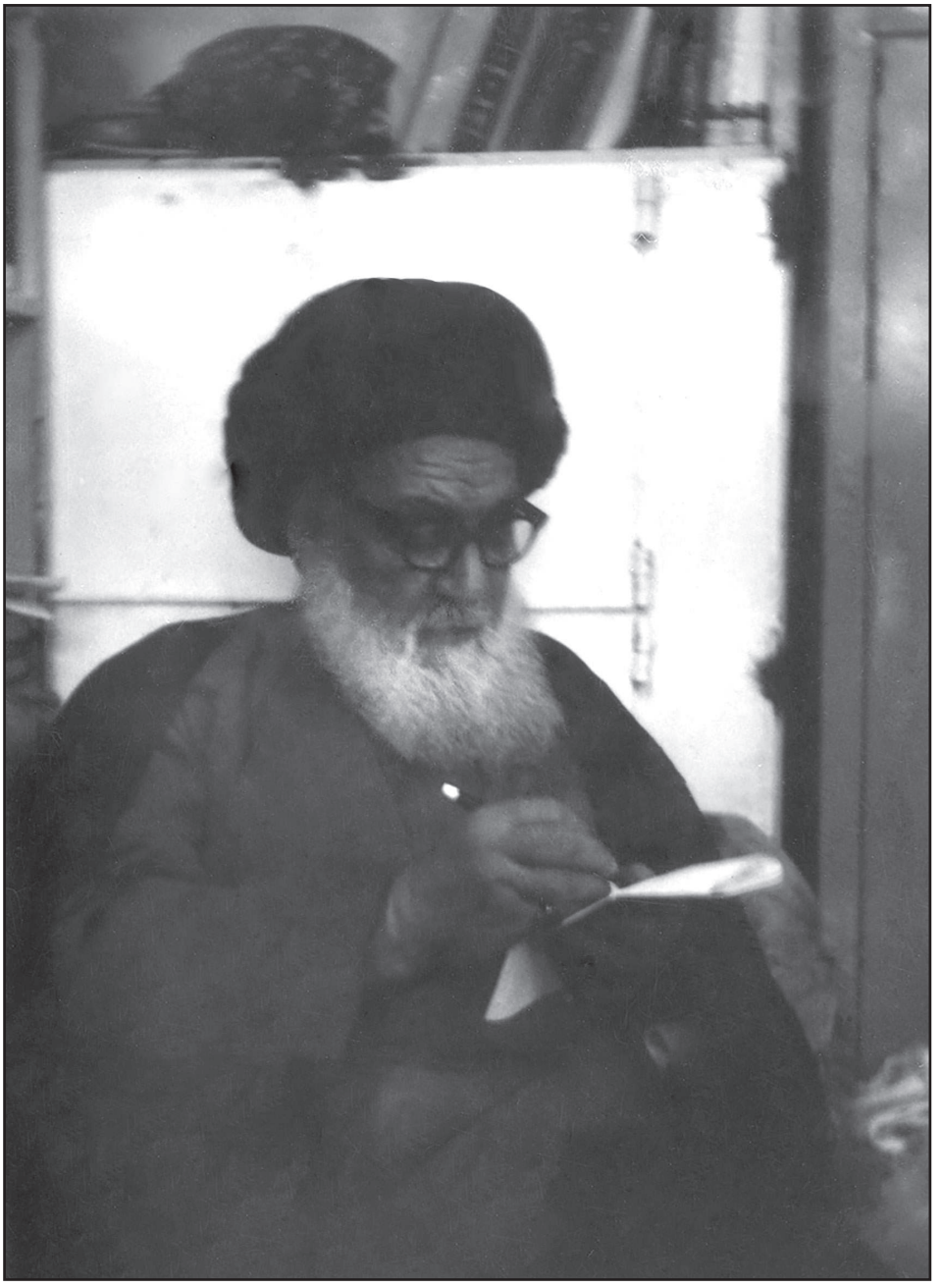
السيد الخوئي قدّس في أواخر أيامه وهو على منبر البحث الخارج



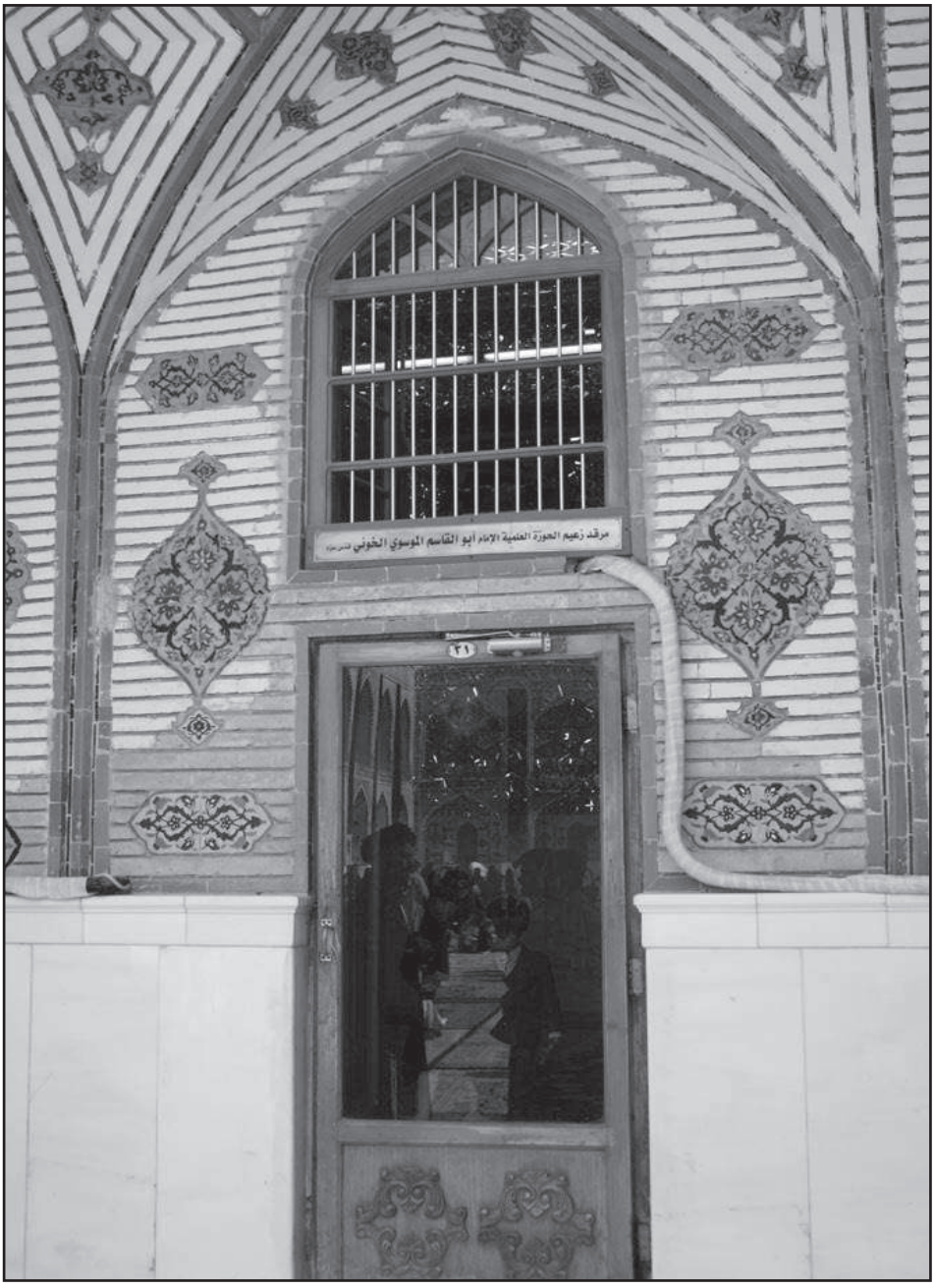
الإمام السيد الخوئي قدس سره في أواخر أيامه خلال زيارة جدّه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام



صورة السيد الخوئي قدّس سرّه وهو جالس في داره



السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره أثناء تدوين بعض الفتاوى الفقهية



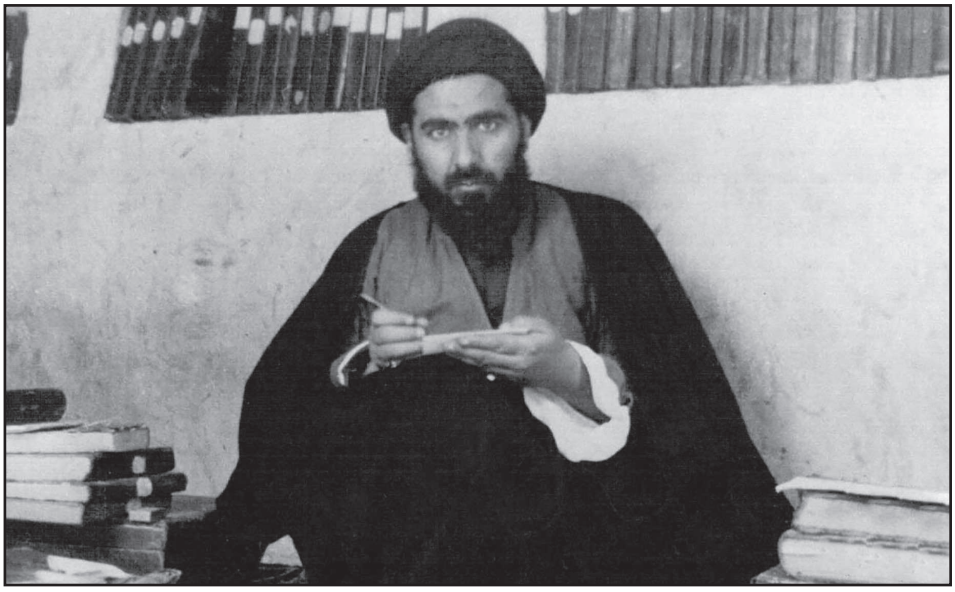
مرقد زعيم الحوزة العلمية الإمام السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره



صورة تذكارية للسيد أبي القاسم الخوئي قدس سره في شبابه



السيد علي أكبر الخوئي قدس سره – السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره



صورة تذكارية أخرى للسيد أبي القاسم الخوئي قدس سره في شبابه



صورة نادرة للسيد الخوئي قدس سره أيام شبابه في إحدى مجالس الفاتحة في النجف الأشرف



السيد الخوئي قدس سره أيام دراسته الحوزوية مع ثلة من أصدقائه ورفقاء دربه



السيد الخوئي قدس سره مع جمع من الفضلاء والعلماء



صورة أخرى للسيد الخوئي قدس سره مع ثلة من أصدقائه ورفقاء دربه



السيد الخوئي قدس سره في أيام شبابه أثناء تأدية مراسم الزيارة الأربعينية على طريق النجف الأشرف



في الصورة يظهر السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره وعلى يساره والده السيد علي أكبر قدس سره وعلى يمينه صهره السيد المستنبط وأيضاً يظهر في الصورة بعض من أقاربه وأولاده وأحفاده رحم الله الماضين منهم وحفظ الله الباقين



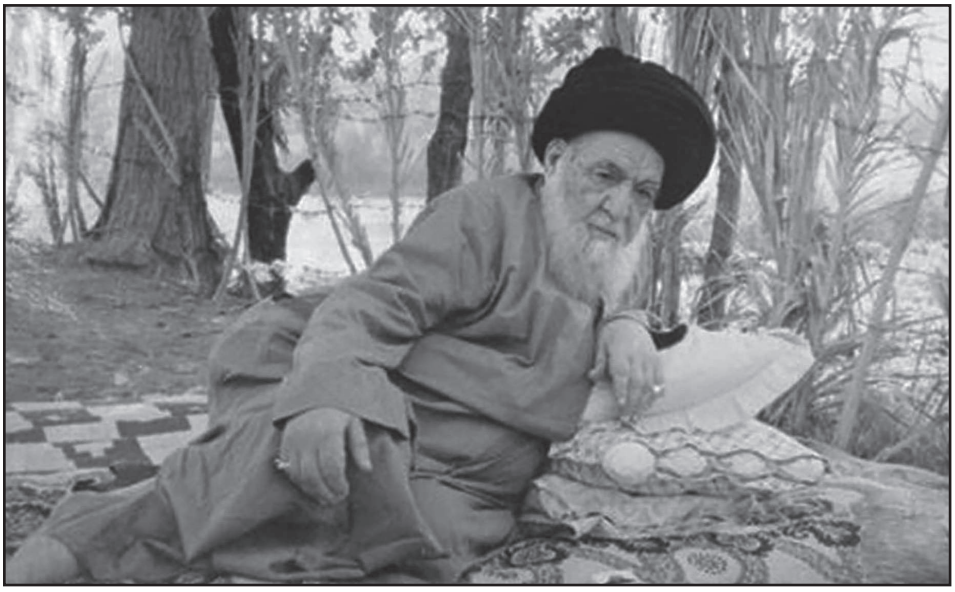
السيد الخوئي قدس سره على منبر البحث العلمي في جامع الخضراء بالنجف الأشرف



صورة تذكارية عائلية للسيد الخوئي قدس سره



السيد نصر الله المستنبط التبريزي قدس سره – السيد الخوئي قدس سره



السيد الخوئي قدس سره في جلسة بيتية



من نوادر الصور حيث يظهر في اليمين السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره ثم والده السيد علي أكبر الخوئي قدس سره ثم آية الله السيد جواد الخامنئي قدس سره (والد السيد الخامنئي قدس سره)



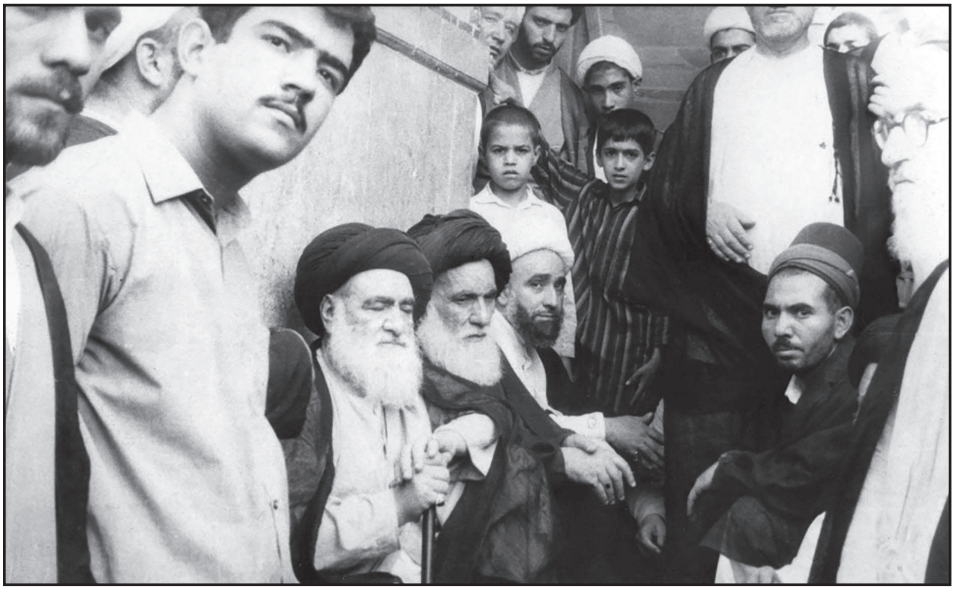
من أبرز تلامذة السيد الخوئي قدس سره وهم من اليمين: السيّد علي السيستاني قدس سره والسيّد مُحَمّد باقر الصدر قدس سره والسيّد جمال الدين الخوئي قدس سره والسيّد صالح الخرسان قدس سره



السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره – السيد حسين فقيه إمامي



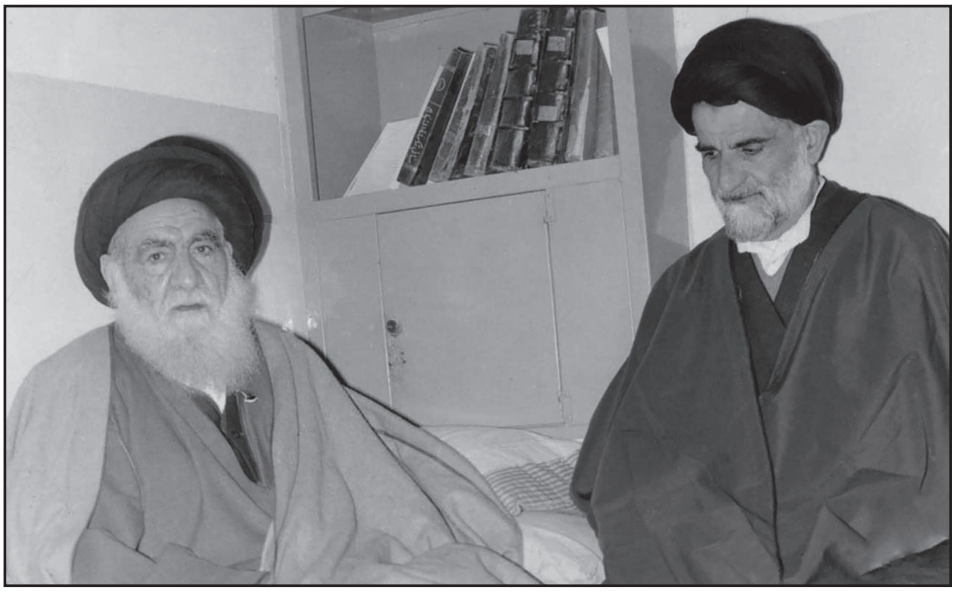
من أساطين المرجعية الدينية في النجف الأشرف: من اليمين السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره والسيد محسن الحكيم قدس سره والسيد محمود الشاهرودي قدس سره والسيد علي التبريزي قدس سره رحمة الله عليهم أجمعين في إحدى مجالس الفاتحة المقامة في النجف الأشرف



صورة نادرة تجمع السيد الخوئي قدس سره مع السيد عبد الله الشيرازي قدس سره



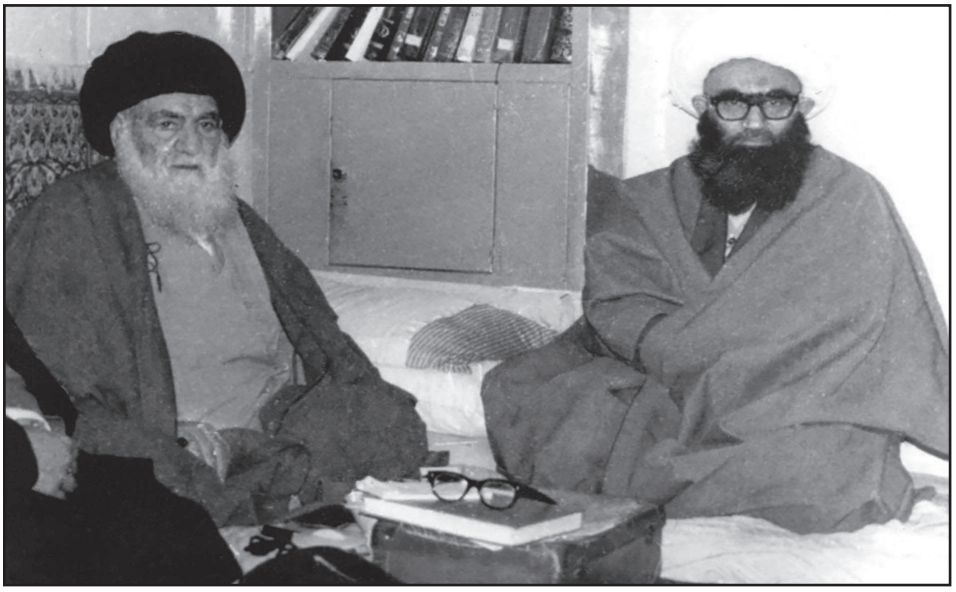
صورة نادرة للسيد أبي القاسم الخوئي قدس سره مع السيد محمود الروحاني قدس سره



السيد جمال الدين الخوئي (النجل الأكبر للسيد الخوئي قدس سره) – السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره



السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره مع كوكبة من العلماء والمحبين أثناء تأدية مراسم الزيارة الأربعينية على طريق النجف الأشرف



السيد الخوئي قدس سره في مجلسه اليومي مع آية الله الشيخ علي الغروي قدس سره



يظهر في الصورة السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره جالس الى جانب والده السيد علي أكبر الخوئي قدس سره
مع بعض الفضلاء والأدباء في حوالي الخمسينيات من القرن الماضي



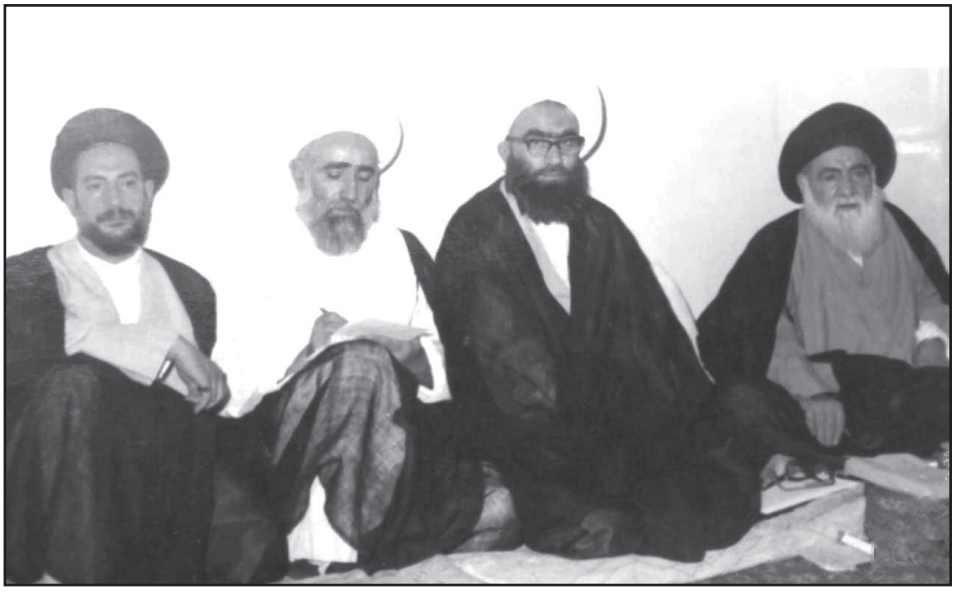
السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره في مجلسه اليومي وهو يدون بعض المسائل الفقهية والعلمية



السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره في منزله قبل توجهه الى صلاة الجماعة في الصحن العلوي الشريف



صورة تذكارية للسيد الخوئي قدس سره مع جمع من الفضلاء والعلماء قبل توجهه لأداء صلاة الجماعة في الصحن العلوي الشريف في نهاية ستينيات القرن الماضي



الامام السيد الخوئي قدس سره في بيروت قبل توجهه للعلاج الى لندن مع جمع من الفضلاء الأعلام



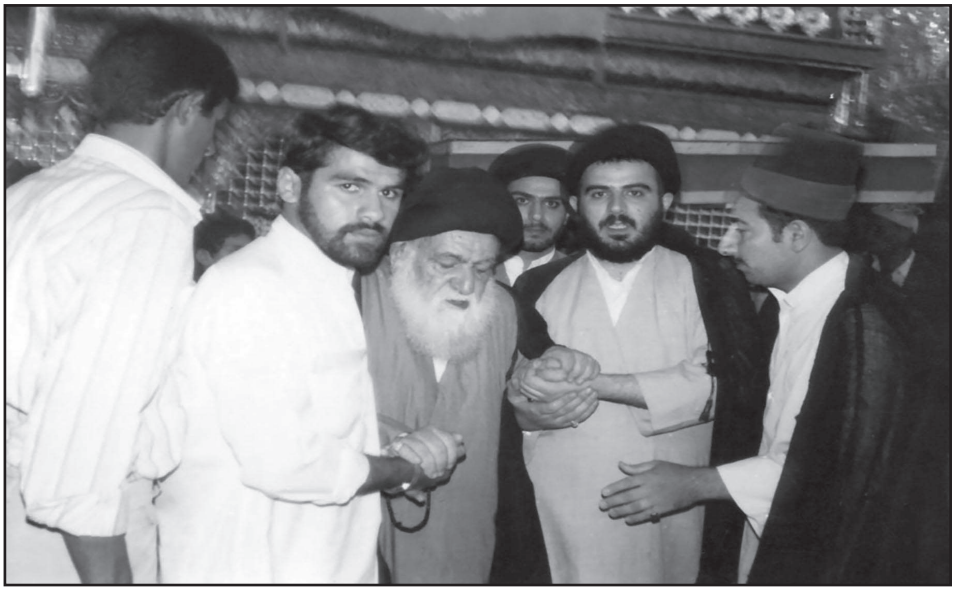
السيد الخوئي قدس سره جالس في منزله بالكوفة وهو يستمع الى أسئلة ومناقشات زواره ومحبيه والى جانبه الأمير صدر الدين آغا خان المفوض السامي للمفوضية العليا للأمم المتحدة



صورة نادرة للسيد الخوئي قدس سره عند مرقد جدّه الإمام علي عليه السلام مع ثلة من العلماء والفضلاء



صورة نادرة للسيد الخوئي قدس سره وهو يزور مرقد جدّه الإمام علي عليه السلام



صورة أخرى للسيد الخوئي قدس سره وهو يزور مرقد جدّه الإمام علي عليه السلام



السيد الخوئي قدس سره يتصدر المجلس والى جنبه مجموعة من تلامذته



السيد الخوئي قدس سره وهو يُلبس ولده الشهيد السيد عبد المجيد الخوئي عمامته الشريفة قبل توجههما الى حرم أمير المؤمنين عليه السلام



صورة أخرى للسيد الخوئي قدس سره مع كوكبة من العلماء والمحبين أثناء تأدية مراسم الزيارة الأربعينية على طريق النجف الأشرف



السيد الخوئي قدس سره في مجلسه اليومي وعن يساره آية الله الشيخ الغروي قدس سره وعن يمينه الشيخ لطفي ثم السيد حسن الحسيني



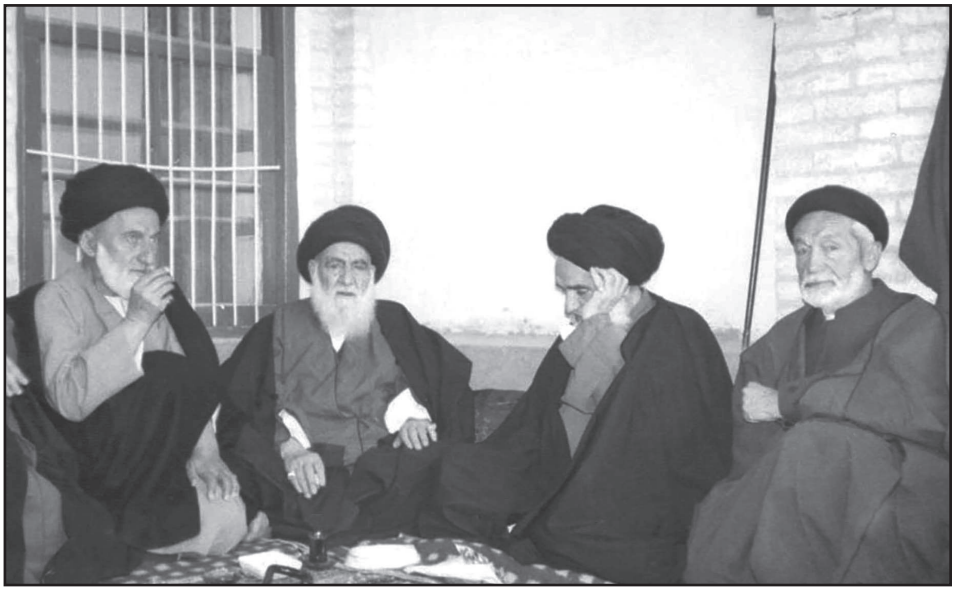
يظهر في الصورة السيد الخوئي قدس سره الى جانب والده السيد علي أكبر الخوئي قدس سره خلال إحدى مجالس الفاتحة



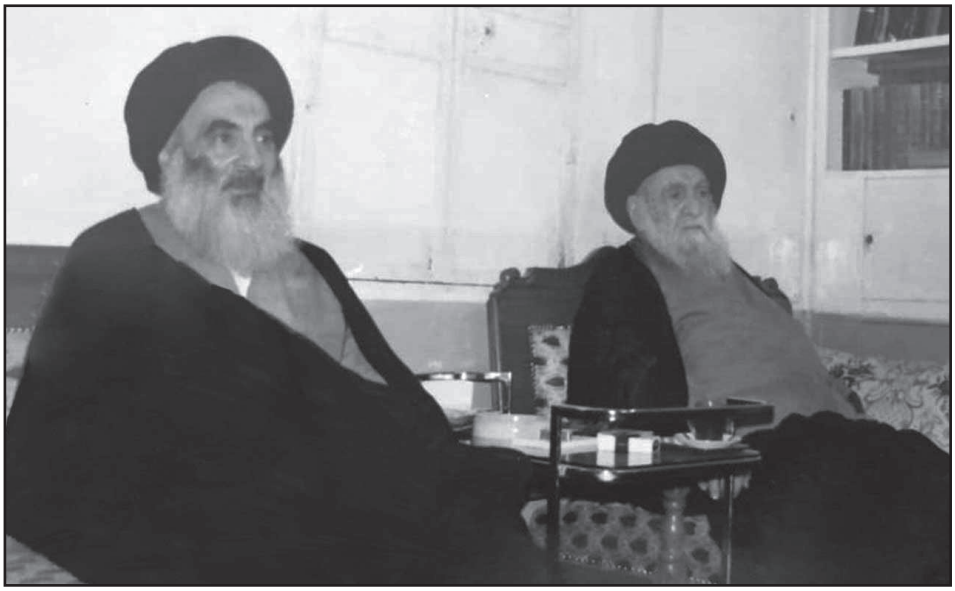
يظهر في الصورة السيد الخوئي قدس سره والى جانبه تلميذه السيد علي السيستاني قدس سره



السيد السيستاني قدس سره – السيد الخوئي قدس سره – السيد علي البهشتي قدس سره



من اليسار السيد نصر الله المستنبط، السيد الخوئي قدس سره، السيد السيستاني قدس سره ثم السيد علي البهشتي



السيد الخوئي قدس سره مع السيد السستاني قدس سره في صورة نادرة



السيد الخوئي قدس سره مع السيد السستاني قدس سره في صورة نادرة أخرى



السيد الخوئي قدس سره مع السيد السيستاني قدس سره في صورة نادرة أخرى



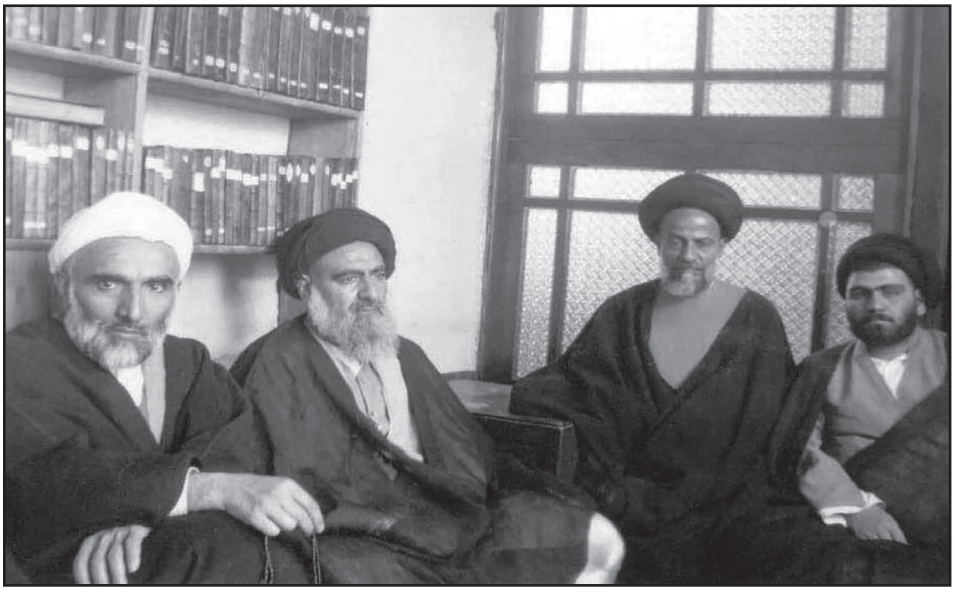
يظهر في الصورة السيد الخوئي قدس سره والسيد محمد الحسيني الشاهرودي والسيد علي السيستاني أطال الله عمره



الإمام السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره بين تلميذيه السيد السيستاني (دام ظله) والسيد الشهيد محمد رضا الخلخالي رحمه الله



السيد الخوئي قدس سره مع نجله السيد محمد تقي الخوئي



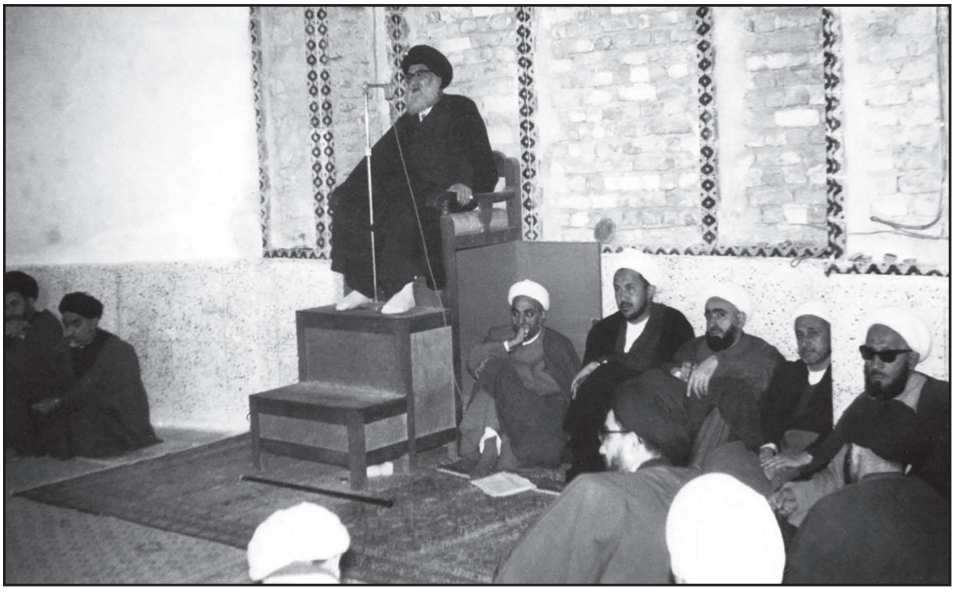
صورة نادرة تجمع السيد الخوئي قدس سره مع الحجة الشيخ محمد تقي الفلسفي ومعهم بعض العلماء الأفاضل



السيد الخوئي قدس سره مع أحد أحفاده في ثمانينيات القرن الماضي



السيد الخوئي قدس سره يتناول وجبة الغداء في باحة منزله في النجف الأشرف



السيد الخوئي قدس سره على منبر البحث والدروس العلمية في جامع الخضراء



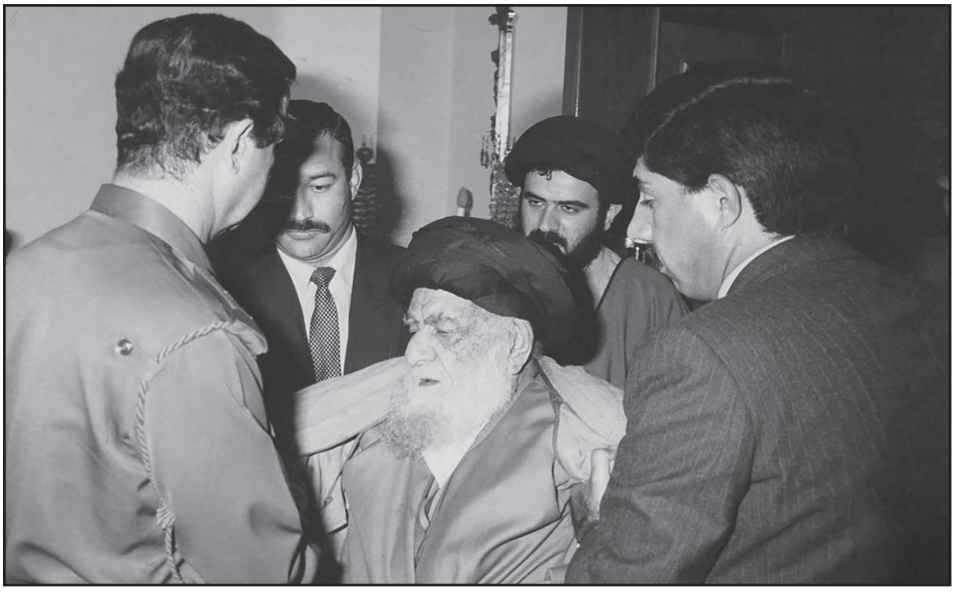
السيد الخوئي قدس سره مع السيد مرتضى النقشواني



من اليمين السيد عبد الأعلى السبزواري قدس سره، السيد الخوئي قدس سره ثم نجله السيد عبد المجيد الخوئي



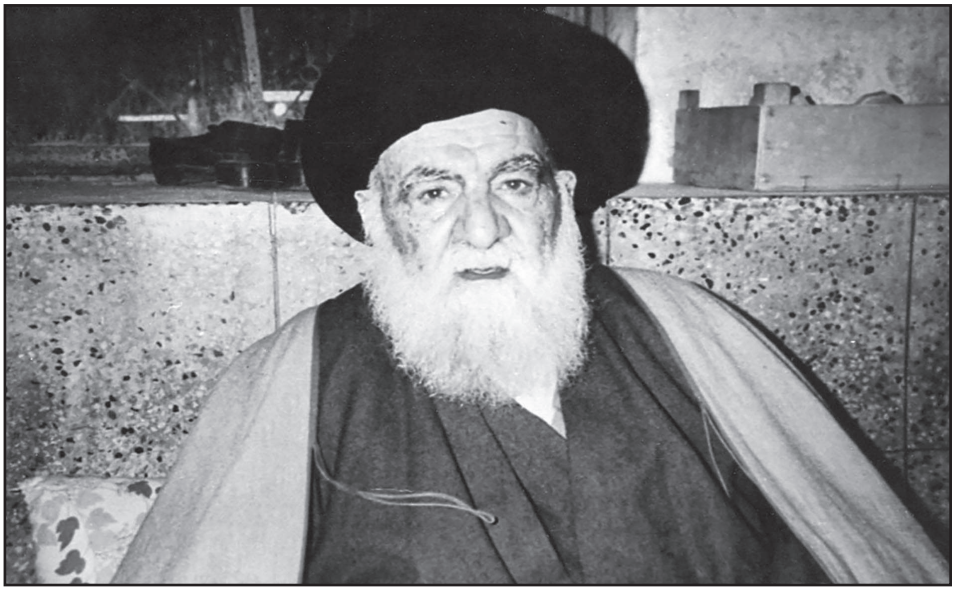
الإمام السيد الخوئي قدس سره مع بعض من تلامذته من اليمين: السيد جعفر الخوئي، السيد موسى الصدر، السيد عبد الله الشيرازي، السيد الخوئي، السيد نصر الله المستنبط والسيد مرتضى الحكمي



إرغام السيد الخوئي قدس سره على اللقاء مع صدام حسين بعد قمع الانتفاضة الشعبانية المباركة



الإمام السيد الخوئي قدس سره في أواخر أيامه مع بعض أحفاده في النجف الأشرف



الإمام السيد الخوئي قدس سره في أواخر أيامه في بيته في النجف الأشرف



الإمام السيد الخوئي قدس سره قبل توجهه للعلاج الى لندن



السيد الخوئي قدس سره في أواخر أيامه وهو يروم الذهاب الى صلاة الجماعة



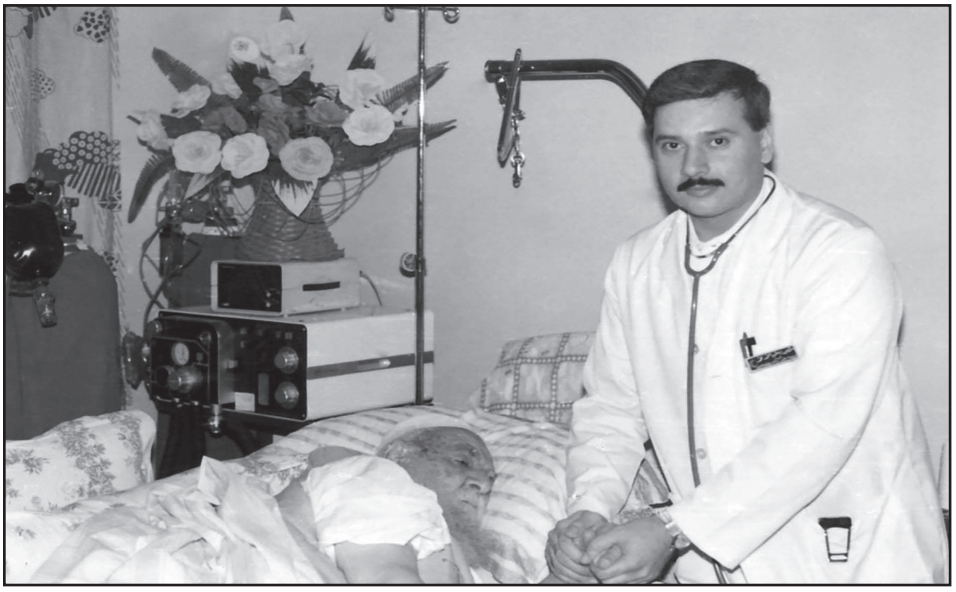
الإمام السيد الخوئي قدس سره في بداية تسعينيات القرن الماضي بين مقلديه ومحبيه



الإمام السيد الخوئي قدس سره في المستشفى



الإمام السيد الخوئي قدس سره يستقبل الزوار أثناء مرضه في المستشفى



الإمام السيد الخوئي قدس سره أثناء مرضه وقبيل وفاته بأيام



صورة أخرى للإمام السيد الخوئي قدس سره وهو يستقبل الزوار خلال مرضه



خلال تشييع جنازة الإمام السيد الخوئي قدس سره في النجف الأشرف



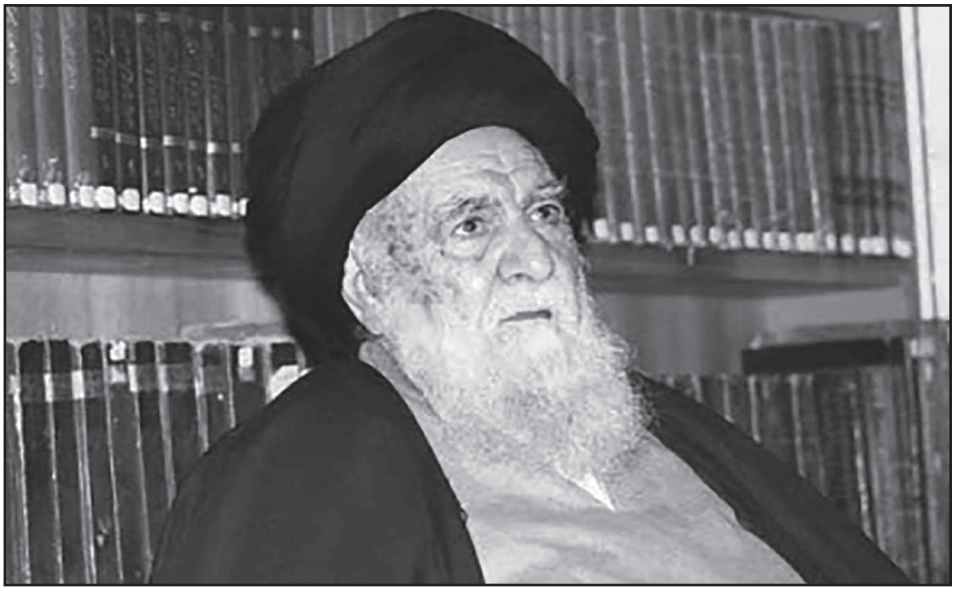
صلاة السيد السيستاني دام ظله على جثمان السيد الخوئي قدس سره في مرقد الإمام علي عليه السلام



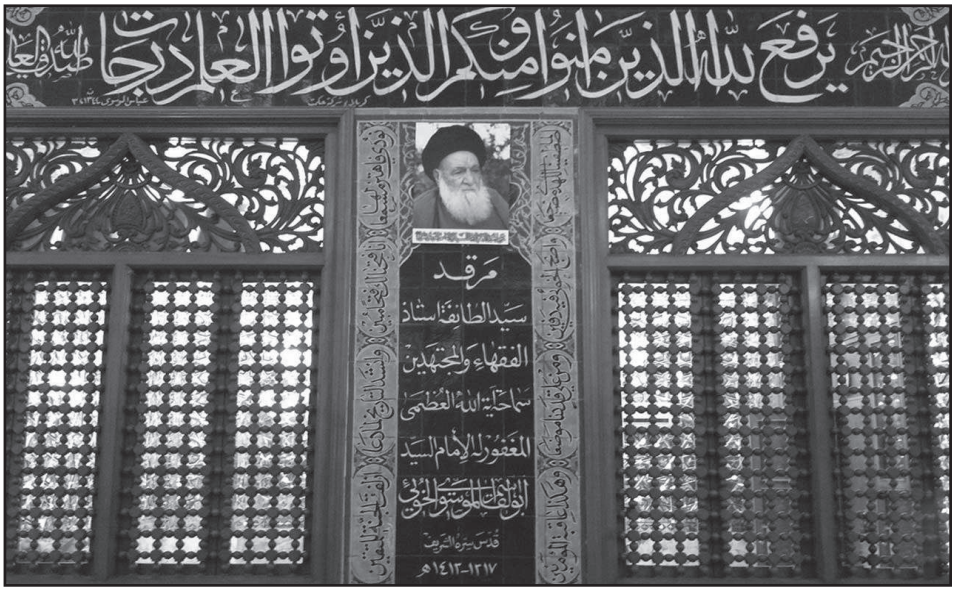
تشييع جنازة الإمام السيد الخوئي قدس سره في مرقد الإمام علي عليه السلام



أثناء تشييع جنازة الإمام السيد الخوئي قدس سره في مرقد الإمام علي عليه السلام



الإمام السيد الخوئي قدّس سرّه في مكتبته أواخر أيامه



مرقد الإمام السيد الخوئي قدّس سرّه في النجف الأشرف



مرقد الإمام السيد الخوئي قدس سره في الصحن العلوي الشريف بالنجف الأشرف



مكتبة الإمام السيد الخوئي قدس سره

المحتويات

الإمام الخوئي المرجع الشيعي الأكبر (مجموعة مقالات) ٥

■ إبداعات الإمام الخوئي في الأبحاث الأصولية والفقهية ٧

آية الله العظمى

الشيخ محمّد إسحاق الفياض

■ انحناءة أمام أعتاب الأب الراحل للأمة ٣٣

محمد تقي الخوئي

■ المعلّم العظيم ٣٧

السيد علي حسين مكي العاملي

■ دمعة ولد على والد ٤٧

الشيخ عبد الله الخنيزي

■ أستاذ الحوزات العلمية ٥١

د. السيد مصطفى جمال الدين

■ الإمام الخوئي علامة بارزة في آفاقنا العلمية ٥٥

د. الشيخ أحمد الوائلي

■ جولة في مكتبة الإمام الخوئي ٧٣

السيد أحمد الحسيني الأشكوري

■ المرجعية المتميزة للإمام الخوئي..... ٨١

السيد فاضل الحسيني الميلاني

■ ملمح في شخصية الإمام الخوئي قدس سره ملكات
فكرية لا تتوفر إلّا للعباقرة ٨٥
السيد منير الخباز
■ مسيرة المرجعية المتطورة من خلال تحرك الإمام
الخوئي العلمي والاجتماعي ٩١
د. السيد محمّد بحر العلوم
■ خطوات رائدة في مسيرة الإمام الخوئي العلمية ١٠٥
د. الشيخ عبد الهادي الفضلي
■ كلمة الشيخ محمّد مهدي شمس الدين
نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان..... ١١١
■ مرجعية الإمام الخوئي قدس سره السمات والمعالم ١١٩
آية الله الشيخ باقر الأيرواني
■ الإمام السيد الخوئي سيرة وذكريات ١٢٥
الحاج حسين الشاكري
بلاغة التراكيب والأساليب في كتاب (عليٌّ إمامُ البَرَرة) ١٣٩
أ.م.د. أركان رحيم جبر
غفران فاضل زناد
المحور الفكري والتجديد الأصولي عند السيد الخوئي ومدرسته ١٩١
سلام رزاق حسون

السيد أبي القاسم الخوئي (١٨٩٩-١٩٩٢)
دراسة في نماذج من رؤاه ومواقفه السياسية ٢٤٥
م.د. محمّد جواد جاسم الجزائري
أثر السيد أبي القاسم الموسوي الخوئي
في الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية (١٨٩٩- ١٩٩٢م)..... ٣٠٣
د. جاسم محمّد إبراهيم اليساري
البحث الدلالي عند السيد الخوئي في
كتابه (البيان في تفسير القرآن)..... ٣٦٥
د. حسن عبد الغني الأسدي
د. وفاء عباس فياض
السيد أبي القاسم الخوئي... أستاذاً..... ٣٨٩
د. محمّد حسين علي الصغير
قصائد شعرية بحق الإمام السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره ٤٥٩
وثائقٌ وصورٌ من أرشيف المرجع الراحل الإمام
السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره ٤٩١